

بسم الله الرحمن الرحيم

الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

7

المعارف الجغرافية







الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

ⓒ دار الدائرة للنشر والتوثيق ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية

ط١.- الرياض.

٤٨٧ ص ١٨ × ٢٥سم

ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٣٥-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٧)

١- السعودية - الثقافة

ديوي ٣٠١,٢٩٥٣١ ٢٠/ ٣٧٢٥

رقم الإيداع: ٣٧٢٥/ ٢٠

ردمك: ٤-٢٧-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٣٥-٨٤٢-٩٩٦٠ (مجلد ٧)

الناشر: دار الدائرة للنشر والتوثيق

ص. ب ٨٦٧١٣، الرياض ١١٦٣٢

المملكة العربية السعودية

فاكس ٤٥٠٤٩٧٥

Traditional Culture of Saudi Arabia

Published by The Circle for Publishing & Documentation

P. O. Box 86713, Riyadh 11632

Kingdom of Saudi Arabia

Fax. 4504975



تم إنجاز هذا العمل وطباعته ونشره

بتوجيه ورعاية من صاحب السمو الملكي

الأمير خالد بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود







الثقافة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

المشرف العلمي ورئيس هيئة التحرير

د. سعد العبدالله الصويان

المستشار العام

سلطان بن خالد بن أحمد السديري

هيئة التحرير

د. إبراهيم القرشي عثمان
د. حسن مصطفى حسن
حمد بن أحمد العسعوس
سعد بن عبدالله الغريبي
عبدالإله بن عبدالمحسن البابطين
د. عبدالرحمن عبدالرؤوف الخانجي
عبدالرحيم رجا نصار
عبدالله بن أحمد السيف
عبدالله بن بخيت البخيت
ناصر بن إبراهيم بن ناصر الحزيمي

الجهاز الفني والإداري

أبو بكر سعيد أحمد عمار
أشرف صفوت محمود
حسن صبري حسين
خالد عبدالرازق محمد
السيد حسن علي غالب
علاء أحمد حمدي عطية
ماجد محمد عبدالعظيم
محمد إبراهيم المحمد

تصميم وإخراج

أيمن السيد محمد عجمي

معالجات فنية

أشرف محمد عبداللطيف مفرح

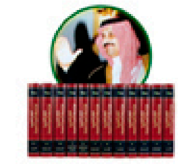


المشاركون في التأليف

د. أحمد بن حمد الفرحان	(الحيوان، النبات)
د. أحمد بن عمر الزيلعي	(الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)
د. أسامة بن محمد نور الجوهري	(العمارة)
د. جابر بن سالم موسى	(الطب والعطارة)
د. حميد بن إبراهيم المزروع	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. خليل بن إبراهيم المعيقل	(المواقع الأثرية)
د. سالم بن أحمد طيران	(الآثار)
د. سعد بن عبدالعزيز الراشد	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. سعد بن عبدالعزيز السعران	(الألعاب)
د. سعد العبدالله الصويان	(الإبل، القنص والصيد)
د. سعود بن سليمان ذياب	(الآثار، المواقع الأثرية)
سلطان بن خالد بن أحمد السديري	(الإبل، الحيوان، القنص والصيد، المعارف الجغرافية، النبات)
د. سليمان بن محمد الذييب	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. صالح العلي الهذلول	(العمارة)
عبدالرحمن بن زيد السويداء	(الإبل، القنص والصيد)
د. عبدالرحمن بن سعود الهواوي	(الإبل، القنص والصيد)
د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري	(الآثار، المواقع الأثرية)
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع	(الإبل، الطب والعطارة، العمارة)
د. عبدالرحمن بن محمد العسيري	(الألعاب)
د. عبدالرحمن بن محمد عقيل	(الطب والعطارة)
د. عبدالعزيز بن سعود الغزي	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالكريم بن عبدالله الغامدي	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالله بن إبراهيم العمير	(الآثار، الحرف والصناعات، المواقع الأثرية)
عبدالله بن أحمد السيف	(الإبل، المعارف الجغرافية)
د. عبدالله بن آدم نصيف	(الآثار، المواقع الأثرية)



د. عبدالله بن حسين الخليفة	(الألعاب)
د. عبدالله بن حمد الخلف	(الفلاحة)
د. عبدالله بن عبدالرحمن الدوسري	(الآثار، المواقع الأثرية)
د. عبدالله بن سالم الزهراني	(الفلاحة)
د. عبدالله بن محمد الشيخ الأنصاري	(الحيوان، النبات)
د. عبدالله بن ناصر الوليعي	(المعارف الجغرافية)
د. عبدالله بن يوسف الغنيم	(المعارف الجغرافية)
د. عساف بن علي الحواس	(المعارف الجغرافية)
د. علي بن إبراهيم حامد غبان	(الآثار، الثقافة البحرية، الحرف والصناعات)
م. علي بن محمد الشعيبي	(العمارة)
د. عوض بن متيريك الجهني	(الحيوان، النبات)
د. فوزان بن عبدالرحمن الفوزان	(الفلاحة)
د. محمد بن حسن صالح البراهيم	(العمارة)
د. محمد بن خالد السعدون	(الحيوان، النبات)
محمد بن سعود الحمود	(المواقع الأثرية)
د. محمد بن عبدالعزيز اليحيى	(الطب والعطارة)
محمد بن عبدالله الشواطي	(المواقع الأثرية)
د. محمد بن عبدالله الصالح	(العمارة)
د. معراج بن نواب مرزا	(المعارف الجغرافية)
د. منصور بن سليمان السعيد	(الطب والعطارة)



المراجعون

إبراهيم بن عبدالله الخميس
أحمد بن حامد الغامدي
د. حسن بن عايل أحمد يحيى
د. خليل بن إبراهيم المعيقل
راشد بن محمد الحمدان
سعد بن عبدالله البراك
د. سعيد بن فالح الغامدي
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
سلمان الأفنس ملفي الشراري
سلمان بن سلامة محمد الهلالي
صالح بن عبدالله العبودي
صالح بن محمد الخليفة
عبدالحميد بن مهدي أبو السعود
عبدالرحمن بن زيد السويداء
د. عبدالرحمن بن فريح العفنان
عبدالرحمن بن عبدالعزيز المانع
عبدالرحيم بن مطلق الأحمدي
عبدالعزيز بن جار الله الجار الله
د. عبدالله بن أحمد سعد الطاهر
د. عبدالله بن محمد البداح
عبدالله بن محمد المنيف
علي بن صالح السلوك الزهراني
علي بن محمد الحبردي
د. لويزا بولبرس
محمد بن إبراهيم الميمان
محمد حسين بنونة
د. محمد الصالح الربدي
د. محمد الصالح الشنيفي
محمد بن صالح البليهشي
د. محمد بن عبدالله النويصر
محمد بن عبدالله الحمدان
محمد بن علي حسن آل ناصر
د. مشلح بن كميخ المريخي المطيري
هزاع بن عيد الشمري
د. يوسف بن محمد فادن

استشارات علمية وفنية

د. إياد عبدالوهاب نادر
د. سعيد زغلول البسيوني
د. شوكت علي شودري
صالح بن عبدالله العزاز
عثمان لولن
د. مصطفى عبدالله شيحة

الرسامون والمصورون

بسام مصطفى أحمد
حمزة عبدالله النميري
روبرتو ميديننا
رولاند ميدينا
صلاح الدين الأمين
عبدالرؤوف محمد جمعة
غالب خاطر
محمد بن حسين بنونة



مصادرالصور

- **دار الـدائرة لـلنـشـر والتـوثيـق**
- **المشاركـون فـي الـتـألـيـــف**
- **الـهـيـئـات:**

شركة أرامكو السعودية
مكتبة الملك فهد الوطنية
الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض
الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

- **المطبوعـات:**

أطلس المياه، وزارة الزراعة والمياه
الغطاء النباتي للمملكة العربية السعودية، وزارة الزراعة والمياه.
الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً، مجموعة بن لادن السعودية.

- **الأفــــراد:**

بســام مصـطـفـى أحـمـد
سلطان بن خالد بن أحمد السديري
صـالـح بـن عـبـدالـله الـعـزاز
عبدالـعزيز بن جار الـلـه الجار الله
عـبدالـلـه بـن مـحـمـد المـنيـف
عــثــمـــان لـــولـــن
د. محـمد بن عـبدالـله الصـالح
مـحـمـد بـن حـسـين بـنـونـة
د. يـوسـف بـن مـحـمـد فادن







تنبيه

هذه هي الطبعة الأولى من مشروع الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. لقد بذلت دار الدائرة للنشر والتوثيق كل ما في وسعها لتخرج مجلدات المشروع على الشكل الذي يرضى عنه القارئ. إلا أن الثقافة ميدان فسيح من ميادين المعرفة وموضوع متداخل متشعب يصعب الإلمام به وحصره بين دَفّتَي مجلد أو عدد من المجلدات. إن مشروعاً بهذه الشمولية وهذا الطموح وهذا التعقيد يحتاج إنجازه بالشكل الصحيح إلى عقود عديدة وأجيال متعاقبة وطبعات متوالية لسد النقص وردم الثغرات وتصحيح الخطأ وتطوير المنهج وتلافي مختلف أوجه القصور. وأياً كان الأمر، يبقى عمل الإنسان ناقصاً مهما بذل من جهد لإتمامه، فالبدايات دائماً صعبة وشاقة. لذا فنحن بقدر ما نستدر عطف القراء ونأمل منهم الصفح عن الهفوات والأخطاء، فإننا، في عمل ضخم كهذا، بأمس الحاجة إلى آرائهم ونرحب بكافة ملاحظاتهم وتصويباتهم حتى يمكن الاستفادة منها في طبعات لاحقة.

كما نلفت الانتباه إلى أننا أوردنا في نهاية كل مجلد قائمة بالمصادر ذات الصلة بموضوع المجلد والتي تم الاعتماد عليها والتي يمكن للقارئ الرجوع إليها للاستزادة. لكننا، جرياً على العادة المتبعة في تأليف الموسوعات، حاولنا التخفيف قدر الإمكان من الإحالات إلى المراجع داخل النص واقتصرنا في ذلك على الحد الأدنى والضروري. أما تلك المصادر التي ترتب مادتها هجائياً مثل كتب الأمثال ومعاجم البلدان والقواميس فإننا أغفلنا الإحالة إليها داخل النص لعدة أسباب أهمها تعدد طبعاتها واختلاف الناشرين وسنوات النشر لكل طبعة ولأن مادة هذه المصادر مرتبة ترتيباً هجائياً يجعل من السهل على القارئ تتبع موادها والعثور على بغيته فيها دون أن نشير له إلى رقم الصفحة.



المحتويات













تمهيد

تقع المملكة العربية السعودية في الجنوب الغربي من قارة آسيا، وتشغل معظم مساحة شبه الجزيرة العربية، وتمتد شمالاً حتى تحتضن صحراء بادية الشام، وجنوباً حتى تحتوي معظم الربع الخالي، وتمتد شرقاً حتى الخليج العربي وغرباً حتى البحر الأحمر.

ويبلغ عرض المملكة من جهة الشمال نحو ١٣٦٠كم، وفي الجنوب نحو ١٧٠٠كم، في حين يبلغ أقصى طول لها ١٨٠٠كم، وهي محصورة بين خطي الطول ٣٦َ ٣٤ْ و٠٠َ ٥٦ْ شرقاً ودائرتي العرض ٠٠َ ١٦ْ و١٢َ ٣٢ْ شمالاً.

وترتبط بحدود جغرافية مع اليمن وعمان جنوباً، والأردن والعراق شمالاً، والكويت وقطر والإمارات شرقاً، والبحر الأحمر غرباً. وتبلغ مساحة المملكة ٢,٢٥٠,٠٠٠كم٢ أي أنها تستأثر بنحو ٨٠٪ من مساحة شبه الجزيرة العربية.

تركيب القشرة الأرضية لشبه الجزيرة العربية

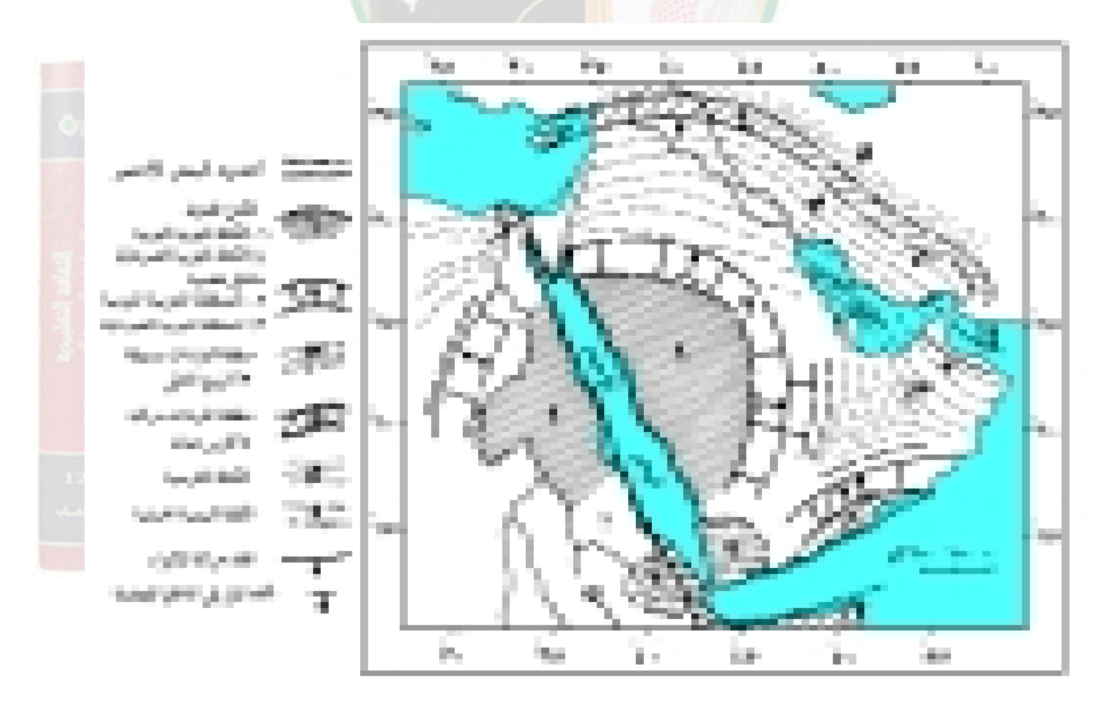
تتكون شبه الجزيرة العربية من وحدتين أرضيتين هامتين؛ أولهما الكتلة الأرضية القديمة، أو الدرع العربي، وتشغل وسط شبه الجزيرة العربية وغربها. وتتكون أساساً من صخور القاعدة التي يعود تاريخها إلى الحقبة الأركية. وتؤلف معظم السواحل الشرقية للبحر الأحمر (٢٠٠٠كم)، والسواحل الشمالية للبحر العربي (١٥٠٠كم)، وتمتد في الداخل لمسافة تقرب من ٧٠٠كم، لتشكل معظم الهضبة النجدية وفرائد الجبال الناتئة هناك. وتبلغ مساحة هذه الكتلة في المملكة وحدها حوالي ٦١٠,٠٠٠كم٢ أي حوالي ٢٧٪ من مساحتها.

أما الوحدة الأخرى فهي الرف العربي ذو الأصل الرسوبي. ويمثل غطاء



من الصخـور يحيط بالقاعـدة الأركية السـابقة الذكـر من الشـرق والجنوب الشرقي والشمال الشرقي. ويزداد سمكاً بالتدريج كلما ابتعدنا عن وجوه الطبقة القاعدية أو صخور القاع. وقد تعرض الرف العربي لـتغييرات أرضية باطـنية (تكتونية) قليلة تتمثل في التواءات الجبل الأخضر في عُمان، التي تعـود للزمن الثالث، وهو النمط نفسه الذي تنتمي إلـيـه جـبـال زاجـروس وطـوروس الالتوائية.

الدرع العربي. كان الدرع العربي جزءاً من الكتلة العربية الأفريقية قبل أن يحدث الانكسار الأخدودي العظيم الذي أدى إلى انشطارها فـي الزمن الثالث إلى جزأين مكوناً النظام الأخدودي المؤلف من خليج عدن-البحر الأحمر-خليج العقبة-وادي عَرَبَة-البحر الميت-وادي الأردن. ونتيجة لعمليات الانكسار، وربما مع حدوث بعض الالتواءات، فقد مـالت الكتلة العربية، فارتـفعت عـلى طول سـواحل البـحـر الأحمر. وانخفضت باتجاه الشرق. وربما كان ذلك بـفعل الرواسب الثـقيلة التـي أُرسبت على الرصيف القاري لبحر تيشس. وكان لهذا الميل أثره الواضح في تشكيل نمط الـتصريف المـائي في شبـه الجزيرة



مناطق الحركة والثبات في شبه الجزيرة العربية



العربية، فقد أصبح خط تقسيم المياه على بعد ١٢٠كم من البحر الأحمر و ١٢٠٠كم من الخليج العربي.

وبجانب هذا الصدع الأخدودي العظيم اكتنفت الكتلة العربية مجموعة من الكسور والصدوع الأخرى، التي تتجه نحو الشمال الغربي في الأجزاء الشمالية والشرقية، ونحو الشمال والشمال الشرقي في الأجزاء الجنوبية. ومن تلك الصدوع الصدع النجدي، الذي يمتد عبر الكتلة القديمة باتجاه الشمال الغربي. وكان تحرك الكتلة الشمالية في اتجاه الغرب بالنسبة للكتلة الجنوبية، وهو الاتجاه السائد للحركة في الإقليم جنوب شرق خليج العقبة، وعند الصدوع المهمة الأخرى التي تتفرع من الصدع النجدي

الصدوع السائدة في غربي شبه الجزيرة العربية



في الجنوب الغربي. وقد غطت انبثاقات البازلت والاندسيت من شقوق تلك الصدوع مساحة شاسعة، يعاصر أقدمها الحركة الأخدودية العظيمة التي تمت في عصر المايوسين أو البلايوسين، وسجلت أحدث طفوحها في العصر التاريخي الحديث.

ويضم الدرع العربي ثلاثة أجزاء أو مكونات: فهناك الكتلة العربية الغربية التي تشمل وسط نجد والحجاز وعسير، وهي تتألف من صخور نارية ومتحولة يعود تاريخها إلى ما قبل الزمن الكمبري، مع بعض الهضاب البازلتية التي ينتمي أغلبها للزمن الثالث. وهناك هضبة اليمن وعدن، وهي أيضاً تتألف من الصخور المتبلورة نفسها التي يتألف منها الجزء الشمالي، إلا أنها أقل ثباتاً، والجرانيت بها أحدث عمراً. وما تزال بعض البراكين بها تحتفظ بمخاريطها سليمة. وهناك الكتلة العربية الجنوبية التي تمتد وجوه طبقاتها على طول السواحل الشمالية للبحر العربي، وهي أيضاً ثابتة منذ العصر الكمبري.

وتتكون الكتلة العربية الغربية (الدرع العربي الغربي) من مساحات شاسعة من صخور ما قبل الكمبري وهي في معظمها من الصخور النارية والمتحولة، تعلوها غرباً غطاءات بركانية أحدث عمراً. وتحتوي هذه الكتلة أيضاً على أحزمة كبيرة من الصخور الرسوبية هي الآن ملتوية ومتداخلة ومتحولة، تدل على وجود نظم جبلية سابقة. ومن المحتمل تعرّض هذه المنطقة خلال الحقب القديمة (الأركية) لعدة دورات تضاريسية قبل أن تصبح كتلة ثابتة. كما يحتمل حدوث بعض التداخلات والفوالق المحلية في الكتلة بعد بدء الزمن الأول، كما سُجِّل بوضوح عدد من الحركات البانية للجبال في المتتاليات الرسوبية، بالإضافة إلى الانزلاقات والفوالق الجوهرية التي حدثت خلال الزمن الثالث على طول منخفض البحر الأحمر.

الرف العربي. تغطي الصخور الرسوبية النطاق الشرقي من شبه الجزيرة العربية، وهي تحيط بالكتلة العربية القديمة في شكل محاور متوازية من الحافات (الكويستات) التي يطلق عليها عرب الجزيرة اليوم اسم جيلان، تواجه جروفها الغرب، وتنحدر بسفوح لطيفة نحو الشمال الشرقي في شمال شبه الجزيرة العربية، ونحو الشرق في شرقها، ونحو الجنوب الشرقي في



جنوبها. وتبين تلك الجيلان أو الحافات مراحل الغمر البحري لشرق شبه الجزيرة العربية، خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة، التي أدت إلى حدوث مخلفات رسوبية متعاقبة من أنواع شتى من الصخور الجيرية والرملية والطفل والطين والأصداف البحرية فوق صخور القاعدة الأركية القديمة. وكانت في أول إرسابها أفقية ثم مالت نتيجة هبوط الأحواض المحيطة بالكتلة العربية القديمة، مما أدى إلى بروز نحو ثماني حافات في غربي النطاق، أكبرها وأعلاها بروزاً حافة العارض أو جبل طويق، وتليها شرقاً حافة العرمة ثم تأخذ تلك الحافات في الصغر التدريجي بالاتجاه نحو المشرق إلى أن تختفي في شرقي الدهناء، ويحل محلها التواءات قبابية ومقعرة بالقرب من بقيق والظهران. ويتدرج عمر هذه الصخور الرسوبية من عصر الكمبري إلى الباليوسين. وتعلوها الرواسب الرئيسية للزمن الرابع التي تتألف من الرمال الريحية العظيمة التي يوجد أغلبها في أربعة بحار رملية رئيسية، هي: الرُّبْع الخَالِي والنُّفُود والدَّهْنَاء والجَافُورَة. وهي تغطي حوالي نصف مساحة الجزء الرسوبي من المملكة، خاصة إذا أضفنا مساحات كبيرة وصغيرة من الرمال متناثرة هنا وهناك على الرف العربي. كما يوجد تكوينات رملية كثيرة أصغر حجماً على الدرع العربي نفسه مرتبطة بالوديان الرئيسية أو السهول الطميية الشاسعة، بالإضافة إلى كثبان صغيرة الحجم في تِهَامَة تذري في اتجاه التلال السفلية من الجرف. وتكاد تصل مساحة الرمال في المملكة إلى ثلث مساحتها الكلية. وهناك أيضاً مسطحات حصوية شاسعة أعظمها سهل الدبدبة بالإضافة إلى رواسب السباخ.



قطاع جيولوجي عام لشبه الجزيرة العربية



الأقاليم التضاريسية لشبه الجزيرة العربية

تضم أراضي المملكة أربعة من الأقاليم التضاريسية لشبه الجزيرة العربية، وفيما يلي توصيف لتلك الأقاليم مع ما تتضمنه من أقاليم فرعية.

تهامة. يقال لهذا الإقليم أيضاً الغور أو غَوْر تِهامة، ومعنى تِهَامة والغَوْر واحد (البكري ١٩٤٥، ج١: ٧). وسميت تِهَامة بذلك -كما ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي- لشدة حرها وركود ريحها، وهو من التَّهَم، أي شدة الحر وركود الريح، يقال: تَهِمَ الحَرُّ إذا اشتَدَّ. ويقال: سُمِّيت بذلك لتغير هوائها، يقال: تَهِم الدُّهن إذا تَغَيَّر ريحه. وجبال الحجاز هي الحد الفاصل بين تهامة ونجد.

وقد أشار العرب إلى عدة نقاط اعتبروها الحد الفاصل بين تهامة والحجاز، منها ذات عرق والعَرْج والطائف. قال الأصمعي: إذا خلَّفت عمان مُصْعِداً فقد أنْجَدت، فلا تزال مُنْجِداً حتى تنزل في ثَنَايا ذات عرق، فإذا فعلت ذلك فقد أتْهَمْت إلى البحر. وإذا عَرَضَتْ لك الحِرَار وأنت مُنْجِد فتلك الحجاز، وإذا تصوبت في ثنايا العَرْج واستقبلك الأراك والمَرْخ فقد أتهمت. وإنما سُمِّي الحجاز لأنه حَجَزَ بين تهامة ونجد.

وتدل النصوص السابقة أيضاً على وجود فاصل مناخي واضح بين الحجاز (السراة) بمناخه المعتدل، وتهامة بمناخها الحار الرطب. ولشدة الحرارة والرطوبة، خاصة في الأجزاء الجنوبية من هذا الإقليم، أصبحت بعض تلك الأجزاء وبيئة. وقد أشار البكري إلى أن شجر تهامة الأراك وكَلأَها الإذْخِر. وذكر الأصمعي من شجر الغَور الرَّتَم والصَّاب (الأصمعي ١٩٧٢: ٣٧).

ويبدو أن الأصمعي لم يوفق إلى تحديد تهامة التحديد الصحيح، فالطائف وذات عرق والعرج جميعها تقع إلى الشرق من جبال السراة فلا يمكن أن تكون بذلك بداية تهامة. كما لم يوفق في ما ذكره من أن من أشجار الغور الرتم والصاب، فالرتم ينبت في جبال الحجاز ابتداء من العلا فشمال. أما الصاب (الرميدا) فينبت أيضاً في الجبال.

ومن واقع الحال يمكن القول إنه عند النزول من عقبة الضَّلَع الواقعة جنوب مدينة أبها (٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر) أو عقبة الباحة الواقعة إلى الغرب من مدينة الباحة يتغير المناخ



تماماً، بعد حوالي خمسة عشر كيلومتراً من أعلى العقبة، إذ ترتفع كل من درجة الحرارة ونسبة الرطوبة ارتفاعاً محسوساً، بل وتختلف الحياة النباتية أيضاً. فبعد أن كان المظهر السائد هو أشجار الأَثْأب والغَـلْف والسِّـدْر والمَظ، تقـل تلـك الأشجار فتسود غابات من أشجار السَّلَم والسَّمُر والأراك والمـرخ والسرح وفي الأودية يكثر الدوم.

ويتضمن إقليم تهامة كل الـسهول والمنخفضات الساحلية المطلة على البحر الأحمر، ويمتـد بمحاذاة جبال الحجاز من اليمن جنوباً إلى أَيْلَة طولاً. ومن غربي ذلك الحاجز الجبـلي الكبير إلى ساحل البحر الأحمر عرضاً. ويتراوح عرض ذلك السهل في معظمه بين ٢٠-٧٠كم. وقد تقل أو تزيد عن ذلك، إذ يتسع الـسهل عند يَنْـبُع البحر إلى حوالي ١٠٠كم بينما يضيق شمالاً حتى لا تترك جبال مَدْيَن إلا شريطاً ساحلياً ضيقاً. وتنتشر في هذا السهل القيعان والسباخ وبعض الروضات، كما يقطعه عددٌ من الأوديـة يغذي بعضـها تلك السباخ والقيعان، ويصل بعضها الآخر إلى البحر. ولا يقتصر إقليم تهامة على هذا السـهل الساحلي بـل يتعداه إلى حضيض جبـال الحجاز، التي تفصل بين الساحل وأعالي الجبال، فمكة من تهامة. وعلى هذا يمكن أن يعتبر الحد الشرقي لـهذا الإقليم هو خـط كنتور ٤٥٠ متراً تقريباً.

الحجاز (السراة). أجمع العلماء على أن سبب تسمية الحجاز هو من قولهم حَجَزَه يَحْجُزه حَجْزاً أي منعه. والحجاز ممتد، حال بين غور تهامة ونجد، فكأنه مَنَع كلاً منهما أن يختلط بالآخر. فهو حاجز بينهما. إلا أن بعض النصوص تقصر تسمية السَّراة على الأجزاء الجنوبية من جبال الحجاز. قال الهمداني «جبل السراة يصل مـا بين أقصى اليمن إلى الشام في عرض أربعـة أيام في جميع طول السراة. يزيد كسر يوم في بعض هذه المواضـع، وقد ينقص مثـلها في بعـضهـا» (الهـمداني ١٩٧٤: ٩٩). وجعل مبتدأ هذه السراة من أرض اليمن عُرَّ عدن. والعُرُّ، بـضم العين المهملة وتشديد الراء، هي جبـال بركانية كان يطلق عليها العُر ثم أطلق عليها التَّعْكر. وتدعى اليوم جبل شمسان.

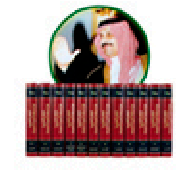
وقد نص معظم الجغرافيين على أن الحد الشمالي لإقليم الحجاز يبلغ أطراف الشام. أما البكري فينص، عنـد ذكره للطريق من المدينـة إلى بيت المقدس، على أن جبال الشورى، الواقعـة على



مرحلة من أيلة، فصلت ما بين أرض الحجاز وأرض الشام، ويقول هي جبال مُنيفة وفيها قرى عامرة وثمار غزيرة. وذكر الهمداني أن الحد الشرقي للحجاز هو تثليث، وأن ما دونه إلى ناحيةَ فْيد والجبلين (أجَأْ وسَلْمَى) حجاز، وأن ما انْحَجَـز في شرقي الحجاز مـن الحرار وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلى المدينة فمن الحـجاز، فالعرب تـسميه نَجْـدا وَحِجَازا وجَلْـسا، والحجاز يضم كل ذلـك (الـهـمـدانـي ١٩٧٤: ٥٨). والـهـمـداني بـهذا ضَـمَّ كل الجـبال والهضاب المرتفعة الواقعة غربي الخط الممتد بين تَثْـلِيث في الجنوب ومنطقة فيد والجـبلين في بـلاد طيّء (حائل) شمالاً.

وقد فـطن العـرب إلى أن جبـال الحجـاز ليست جـبلاً واحداً ولكـنها سلاسل متصلة على شق واحد، كما قال الهـمداني. ويدل تقسـيم العرب للسراة على أنها كانت تطلق فقط على النطاق الواقع جنوب الطائـف، حيث تبدأ سَراة ثَقيف، أو الحجاز الأسود، عند الطائف، ويليها جنوباً سراة فَهـم وعدوان وأخيراً سَراة الأزْد، كمـا قال الحموي. وقَسَّـم البكري الحجاز إلـى حجـازين: الحجـاز الأسود وحـجاز المديـنة. ويبدو أن المـقصود مـن هذا التقسيم هـو التفريق بين جبال السراة الجنوبية، أو الحجاز الجنوبي، والحجاز الشمالي. ولهذا الـتقسيم من الوجهة الجغرافية دلالـة شكلية. إذ يعتبر كل قسم منهما إقليماً شكلياً له خصائصه المـميزة، من حيـث الارتفاع والمـناخ والحياة النباتية.

نجد. يـقول ياقـوت الحمـوي في معجم الـبلدان «النجد قِـفَاف الأرض وصلابُـها وما غَـلُظ منـها وأشرف. وجمعه نِجَاد، ولا يكون ذلك إلاّ قُفَّا أو صلابة مـن الأرض في ارتفاع من الجبل معتـرضاً بين يديك يرد طرفك عما وراءه». ويمتـد إقليم نجد شـرقـي الحجـاز. والحد الفاصل بين الإقليمين ليس واضحاً في الكتـابـات العربيـة. فـفي نـص الهمدانـي المتقدم عـن الحـجـاز -بعـد أن جـعل حده الشرقي من تثـليث إلى فيد والجـبلين- يقول «فالعرب تسميه نجدا وجَلْساً وحجازا، والحجاز يجمع ذلك كـله» (الهمداني ١٩٧٤: ٥٩). وذكر البـكري أن نجداً ما بين جُرَش إلى سواد الـكوفة وآخر حدوده مما يلي المغرب الحجازان، حجاز الأسود وحجاز المدينة. والحجاز الأسود سراة شَنـوءة، ومن قبل المشرق بـحر



فارس؛ ما بين عُمان إلى بطيحة البصرة، ومن قبل يمين القبلة الشامي الحَزْن، حَزْن الكوفة، ومن العُذَيْب إلى الثَّعْلَبية إلى قُلَّة بني يَرْبوع بن مالك، وعن يسار المُصْعد إلى مكة، ومن يسار القبلة اليمنى ما بين عمل اليمن إلى بطيحة البصرة. ونجد كلها من عمل اليمامة. وفي كتاب بلاد العرب، قال الأصمعي «إذا جُزْت وَجْرة وغَمْرة فأنت في نجد إلى أن تبلغ العُذيب. وغمرة في طريق الكوفة، ووجرة في طريق البصرة». وقال أيضاً «إذا جاوزت عَجْلَز من ناحية البصرة فقد أنجدت، وإذا بلغت من ناحية الكوفة سُميراء أو دونها فقد أنجدت إلى أن تبلغ ذات عرق، فإذا تصوَّبت في ثنايا ذات عرق فأنت مُنْجِد». وذكر الأصفهاني ثلاثة أقوال أخرى توضح حد نجد على طريق الحاج البصري، يجعل الأول حَدّ نجد بمجاوزة حَفْر أبي موسى، والثاني بمجاوزة النِّباج، والثالث بمجاوزة القَصيم، وعند عَجْلَز، وهي المَنْصَف بين مكة والبصرة (الأصفهاني ١٩٦٨: ٣٣٦-٣٤١).

ومن الأقوال السابقة يتضح أن حَدَّ نجد ليس واضحاً، فمنهم من جعله شاملاً لهضاب الحماد الشمالية، المتمثلة في حزن بني يربوع وحزن الكوفة ومناطق الجيلان الشرقية التي يقطعها وادي فَلْج (الباطن)، ومنهم من جعل حد نجد في طريق البصرة عند النِّباج. والتي تسمى اليوم الأسْيَاح، وتقع في الشمال الشرقي من بريدة عند طرف المظهور والثويرات الغربي في حضيض جال الأسياح. ومن عندها ترتفع الأرض باتجاه مكة ارتفاعاً ملموساً وربما كان هذا ما جعلهم يرون أن النباج هي حد نجد. أما قولهم: القصيم أو عَجْلَز حد نجد، فيبدو أن سببه هو بروز الجبال ابتداء من هذه المنطقة مشكلة مظهراً تضاريسياً جديداً يفرق بين الهضاب الجيرية في الشرق والشمال الشرقي، ومظاهر الكتلة العربية القديمة في الغرب والجنوب الغربي. وتقع عجلز المذكورة في شرق عنيزة. ومن تلك المنطقة يمكن رؤية عدد من فرائد الجبال التي سماها العرب الأخْيلَة، أو أخيلة حِمَى ضَرِيَّة، منها جبل سُواج وطَخْفَة والأيم وعَسْعَس وغيرها.

ويظهر أن قول العرب إن حد نجد ما جاوز النِّباج للمُصْعِد إلى مكة، هو أوفق الأقوال. ويؤيده وصف الهمداني لبلاد العروض والبحرين، حيث جعل النباج من مياه ستار البحرين. قال «والنباج بلاد كثيرة، ويقال له نِباج بني

عامر. وهي عيون تَـنْبِج بالماء ونخيل وزروع، وأعلاها يواصل الجبلـين أجا وسَلْـمى، بـينـهمـا مسيـرة يومـين» (الهمداني ١٩٧٤ : ٢٨٠). وكان وصفه للحد الشرقي للعروض، وهو الإقليم الواقع شرقي نجد، يـكاد يتماشى مع ذلك المحور العظيـم المتمثل في جبال العارض (طويق)، التي هي جبال تفرق بين النطـاق الرسوبي الشرقـي ونطاق القاعدة الغربـي. ويؤكد وجود الفرق في تركيب القشرة الأرضيـة بين إقليم نجد وإقليم العروض، الواقع في شرقيِّه قول عمرو بن كلثوم:

فـأَعْرَضَـتِ الـيَمـامَةُ واشْـمَـخَرَّتْ
كـأَسْـيَـافٍ بـأَيْـدي مُـصْـلِـتـيـنـا

يصف عارض اليمامة (جبال طويق) وجروفه المرتفعـة التي حددتها السيول حتى بدت كالأسياف المُشهرة، ونسب ذلك الحاجز الجبلي إلى اليمامة. ويطلق العرب على الأجزاء الشرقية المنخفضة من نجد اسم السافلة. أما المناطق الغربية فيطلقون عليها اسم العالية أو عالية نجد (الأصفهاني ١٩٦٨ : ٣٣٦).

العروض. العروض -كما جاء في <u>معجم البلـدان</u>- هي بلاد اليمامة وما والاها. وسـميـت بالعـروض لأنهـا معترضة في بـلاد اليمن والعرب، ما بين تخـوم فارس إلى أقصى اليـمن، مستـطيلة مـع ساحل البـحر. والحد الغربي لهذا الإقليم هو جبال العارض (طويق). أما الحد الشـمالي فيبـدو أنه كان يقف قريباً من البصرة. وهو نفسه الحد الشمالي لما كان يطلق عليه قديماً اسم بلاد البحرين. ويمكن اعتبار طريق الحاج البـصري هو حد ذلك الإقلـيم من تلك الجهة، وإن كـانت امتدادات ذلك الإقليم تتجاوزه كما سيأتي بعد. أما الحد الجنوبي فهو بلاد عمان ورمال الجزْء (الربع الخالي).

وتنقسم العروض إلى أربعة أقاليم تضاريسية واضحة، ميز العرب بينها، ووصفوا أشكالها المختلفة، وهي: إقليم السهول الســاحلية، وإقليم الصَّمَّـان، وإقليم الرمال، وإقليم الجيلان.

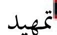
إقليـم السهول الساحـلية الشرقـية. وهي منطقة سهلية منخفضة، كان يطلق عليها قديماً اسم البحرين، تضم ثلاثة مظاهر رئيسية: أولها السباخ، التي تمتد بموازاة ساحل الخليج. وتشمل مساحات مستوية شاسعة من الأراضي الملحية. وتختلف عن السباخ الداخلية في خلوها من الحياة الـنباتية، فيمـا عدا الأجزاء الواقعة إلى الشمال من جون الكويت، حيث تنتشر بها بعض أنواع الحُموض.



وتكون تلك السباخ بسبب سد الرمال لمداخل الخُلجان الضحلة فتفصلها عن الخليج العربي، ثم تتبخر مياهها بسبب الحرارة العالية فتخلِّف وراءها تلك المسطحات الملحية المستوية (الصياد ١٩٥٩، م٢، ع١ : ٥١).

وثاني هذه المظاهر الرمال البحرية، التي تعتبر من أخطر الأنواع الرملية في شبه الجزيرة العربية، لما لها من أثر كبير على العمران والمناطق الزراعية. ويساعد وجود السباخ الساحلية المستوية على سهولة انتقال تلك الرمال بعيداً عن الشاطىء في اتجاه الرياح الشمالية الشرقية، مهددة المناطق التي تقع في طريقها بالدمار. وقد زحفت تلك الكثبان الرملية على أجود الأراضي الزراعية في واحة الأَحْسَاء. وأدت إلى دفن بعض المنازل والقرى في تلك المنطقة. وكانت هذه الرمال كثيراً ما تتسبب في حوادث السيارات على طريق الإسفلت الواصل بين الهفوف وبقيق. وقد عملت شركة النفط في المنطقة الشرقية على رش تلك الرمال بالأسفلت لتثبيتها حتى أصبحت الهضاب الرملية المغطاة بالأسفلت من المظاهر المألوفة هناك. كما أقيم مشروع كبير لحجز الرمال بالأحساء، بُدِئ في تنفيذه سنة ١٣٨٢هـ، ويعتمد على تثبيت الكثبان الهلالية الزاحفة على الواحة بحواجز متوازية من سعف النخيل، يزرع بينها -بطريقة الزراعة الجافة- عُقَل الأَثْل التي تغرس على عمق يقرب من ١٢٠سم أي عند سطح التربة الأساسي، وتحتاج تلك العملية إلى عناية دائمة. وقد نجح المشروع نجاحاً واضحاً إذ أصبحت تلك المنطقة التي كانت جرداء غابات كثيفة حمت الواحة من زحف الرمال، وهيأت للسكان هناك متنفساً ومكاناً طيباً للترويح. ولعل البكري كان أول من أشار إلى ظاهرة زحف الرمال، فقد ذكر أن بلاد البحرين مُنْهَالة الكثبان جارية الرمال، حتى يُسَكِّروه بسعف النخل، وربما غلب عليهم في منازلهم، فإذا أعياهم حملوا النقوض وتحولوا. وهذه الرمال من المصادر الأساسية لرمال الربع الخالي. حيث تنتقل عبر صحراء الجافورة إلى هناك.

والمظهر الثالث هو الينابيع التي تنتشر خاصة في واحة الأحساء (الهفوف)، ويصل عددها إلى نحو ١٦٣ ينبوعاً، بخلاف الينابيع التي تنتشر في سائر المنطقة. ولعل تسمية المنطقة بالأحساء جاءت من هنا، يقول ياقوت الحموي نقلا عن الأزهري: وسمعت

غير واحد من بني تميم يقول «احتسينا حِسْيًا أي أنْبَطْنَا ماء حِسْي، والحِسْيُ الرمل المتراكم أسفله جبل صلْدٌ (طبقة صلبة)، فإذا مطر الرمل نَـشِف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل حَر الشمس أن يَنْشف الماء، فإذا اشتدّ الحر نُبث وجه الرمل عن الماء فنبع بارداً عذباً يَتَبرَّض تَبَرُّضاً -وقد رأيت في البادية أحساء كثيرة على هذه الصفة منـها أَحْسَاء بـني سعـد بحذاء هَجَـر وقراها، وهي اليوم دار القرامطـة وبها منازلهم، ومنها أَحْساء خِرْشَاف وأحْسَاء القطيف».

الصَّمَّان. يقع هذا الإقليم بين السهول الساحلية فـي الشرق ونطاق الرمال في الـغرب. ويـتـراوح عـرضه بـين ٨٠ و٢٥٠كم. ويتألف سطحه من تكوينات الحجر الرملي، والمارل، والحجر الجيري (مايوسين وبلايوسين)، ومن تكـوينات أم رضمـة، وهي حجـر جيـري بلون القـشدة، وبلـون بني فـاتح ورمادي، وحجـر جيري ممزوج بـالدولومـايت، ودولومايت (باليوسين وأيوسين). وتعلو هذه الـتكويـنات شرقـاً مساحـات من الحصباء المنقولة عن طريق المجاري النهرية التي سادت تلك المنطقة في الأدوار المطيرة من الزمن الرابع.

ومعظم أجزاء هذا الإقليم القريبة من الدهناء تتكـون من أراضٍ صخرية شبه مستويـة. أما الأجزاء الشرقية منـه فقد قَطَّعتها المجـاري المائية القديمة إلى عدد من الشواهد الجيرية والهضيبات المفردة، التـي سَمَّاها الـعرب قِفَـاف الصَّمَّان، واحدها قُفّ. وتشتمل أراضي الصَّمان على منخفضات كثيرة تتباين في الحجم من قيعان واسعة إلى خبار صغيرة، وفي تلك المنخفضات منابت السِّدر والعشب، فإذا أخصبت رَبَعت العرب جمعاء، مثلما ذكر ياقوت الحموي في معجمه.

وتمتد تكوينات الصمان شمالاً عبر وادي فَلْـج (الباطـن) إلى أن تتـصل بصحاري الحماد الشبيهة بها في شمال الجزيرة. وقد أطلق العرب على النطاق الواقع شمالي الجـزيرة العربيـة، ابتـداء مـــن وادي فَلْج (البـــاطـــن)، اسم الحُزُون، قـال ياقـوت الحموي «فَـلْج بطن واد يَفْرق بين الحَزْن والصَّـمَّان». والحَزْن لغةً -كـما جاء في المخصص لابن سيده- هي الأرض الغليظة.

وتنتشر في شرق الصَّمان مجموعة من السهول الحصوية. وهي إرسابات نهريـة قديمة تتمـثل في ثلاثة سـهول حصـوية مـتتابـعة من الـشمـال إلى الجنوب. ففـي الشمال سهل الدبـدبة



الحصوي، وهو دلتا فسيحة رَسَّبها وادي الرِّمة-الباطن. ورأس تلك الدلتا عند نقطة جنوب غربي حَفْر الباطن (حفر أبي موسى). والسهل الأوسط هو السهل الذي أرسبه وادي السَّهباء، وتتضح فيه الملامح الدلتاوية بصورة أكبر، ويقع رأس الدلتا عند حَرَض. وأمكن بالاستطلاع الجوي تتبع مكونات تلك الدلتا إلى الحد الغربي لسبخة مطي جنوب شرقي قطر. ويتركز الحصى في مجاري القنوات القديمة التي تظهر في مجار مقلوبة تقف على علو أمتار قليلة فوق السهول المجاورة، حيث نشطت الرياح في تذرية الرمال المحيطة بالوادي، تاركة الحصى في مكانه من مجراه. أما هوامش ذلك السهل فقد ضرِّست نتيجة غارات بحرية متتالية. ويتمثل السهل الجنوبي في إرسابات وادي الدواسر، التي تصل إلى الأطراف الجنوبية للسهل السابق. وتختفي معالم الأجزاء الجنوبية من هذا السهل تحت كثبان الربع الخالي الرملية. وتتدرج تلك السهول الحصوية من حيث حجم الرواسب وتشتتها باتجاه سواحل الخليج العربي. ويتراوح معدل انحدارها من ٨٨-١٢٠سم/كم.

الرمال. يقع هذا الإقليم غربي الإقليم السابق. وتحيط به الحزون الشمالية والصمان في الشرق، وإقليم الجيلان في الغرب. وينقسم إلى ثلاثة نُطُق أولها: النطاق الرملي الشمالي (النفود الكبير-رمل عالج)، والعالج كما يذكر ياقوت الحموي هو المتراكم من الرمل المتداخل بعضه في بعض، أو لصعوبته يُعَالَج المَشْيُ فيه أي يُمارس. وتقدر المساحة التي يحتلها رمل عالج، أو النطاق الرملي الشمالي، بحوالي ٥٦٣٢٠كم٢. ويقع في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية. وهو على شكل مثلث قاعدته جنوباً منطقة جبل شمر، وأقصى امتداد له من جهة الجنوب هو خط العرض ٢٧ْ شمالاً. ويقع رأس المثلث عند التقاء خط الطول ٤٠ْ شرقاً، وخط العرض ٤٠َ ٢٩ْ شمالاً، جنوب منخفض الجوف وسكاكا. ويمتد من ضلعه الغربي لسان يصل حتى خط الطول ٢٠َ ٣٨ْ شرقاً، بينما لا تتجاوز زاويته الجنوبية خط الطول ٤٥َ ٣٨ْ شرقاً. ويحده من الجنوب تكوينات صخور القاعدة التي تنتشر شرقي خط الطول ٣٠َ ٤٠ْ شرقاً تقريباً. أما غربي ذلك الخط فتنتشر صخور الحجر الرملي التابع لأم سهم. كما تنتشر مجموعات من الصخور الرملية الأحدث عهداً، منها تكوينات

النطاقين الرمليين الشمالي والأوسط

تبوك وتكوينات الجوف. ومن جهة الشرق تحده هضبة التيسية الجيرية. ولا يخرج هذا التحديد عما ذكره القدماء بشأن هذا الإقليم (البكري ١٩٤٥، ج٣: ٩١٣-٩١٤).

والثاني هو النطاق الرملي الأوسط، الذي يمتد على شكل محاور متوازية بين خطي العرض ٢٠ْ و٢٩ْ شمالاً، وبين خطي الطول ٤٣ْ و٣٠َ ٤٨ْ شرقاً تقريباً. ويفصل بين تلك المحاور الرملية مجموعة من الجيلان، أكبرها جبال العارض أو طويق، ومرتفعات العَرمة الواقعة إلى الغرب منها. وأكبر تلك المحاور الرملية هو المحور الشرقي، الذي يطلق عليه اسم الدهناء. وتنصرف هذه التسمية أيضاً إلى الامتدادات الرملية الواقعة شمال حوض وادي الرمة المدفون، وتتمثل في امتدادين رئيسيين: أولهما رمال الدغم التي تنقطع عند بركة العشار، والثاني يتضمن عدة عروق



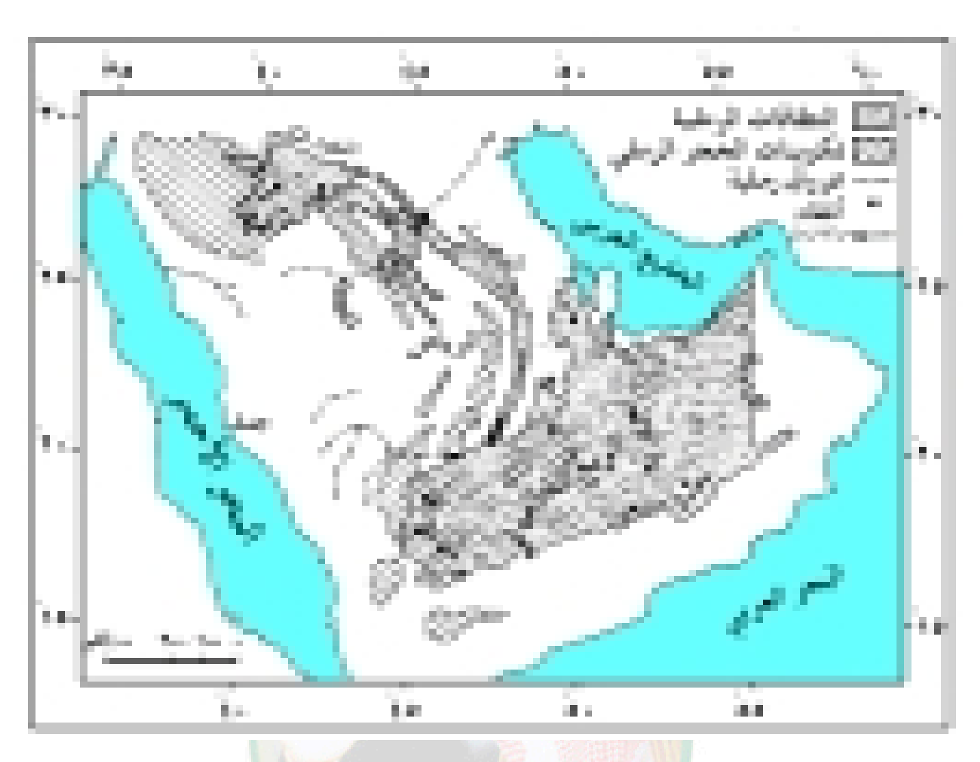
رملية غربي رمال الدغم، منها عرق المظهور والأشعلي والأبَيْتر. وتقع بين هذه العروق زَرودُ، وهي الحد الفاصل بين رمل عالج (النطاق الرملي الشمالي) ورمال الدهناء. ولم يشر العرب إلى رمال الدغم عند تحديدهم للدهناء من جهة الشمال. وقد يعود ذلك إلى انفصال الدهناء هناك طبيعياً عن النفود الكبير أو رمل عالج بشقة من حجر الكلس الذي تتكون منه هضبة التيسية.

ويختلف نطاق رمال الدهناء عن كلٍّ من نطاق رمال النفود ونطاق رمال الربع الخالي، في أن النطاقين الأخيرين يتخذان شكل الأحواض الرملية، بينما يتوزع نطاق الدهناء في شكل عروق رملية طولية تتوازى معظمها مع تكوينات العرمة والعارض. وقد أدَّت الجيلان المتتابعة من الشرق إلى الغرب دوراً هاماً في استنزاف حمولة الرياح الشمالية الغربية، وترسيب ما تحمله من حبيبات الرمال عند حضيضها. يضاف إلى ذلك ما تنقله مئات المسيلات الصغيرة التي تنتشر فوق أظهر الجيلان وتتجه -تبعاً للانحدار العام- نحو الشرق حيث ترسب حمولتها أيضاً عند حضيضها. ولعل في هذا تفسيراً لتَشكُّل هذا الإقليم على النحو المذكور.

والثالث هو النطاق الرملي الجنوبي وهو الحوض الرملي العظيم الواقع جنوب شبه الجزيرة العربية. ويعتقد عدد من الباحثين أن اسم الربع الخالي، الذي يطلقه عليه الجغرافيون اليوم، هو مصطلح مستحدث لم يكن معروفاً عند القدماء، وأنه ترجمة لكتابات الأوروبيين الذين سموه بذلك، لأنه يشغل ربع مساحة شبه الجزيرة العربية تقريباً. وربما يزداد شك الباحث في هذا الأمر حينما يرجع إلى كتابات الجغرافيين الأقدمين كالإصطخري وابن حوقل والمقدسي والإدريسي فلا يجد هذا الاسم في نصوص كتبهم ولا في خرائطهم. غير أن هذه التسمية، وإن لم تكن موجودة في تلك المصادر القديمة، تسمية عربية وردت في مصدر أحدث منها نسبياً هو كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، الذي وضعه شهاب الدين أحمد بن ماجد في عام خمسة وتسعين وثمانمائة من الهجرة النبوية. وحدد ابن ماجد الربع الخالي بأنه على مشارق مأرب والجوف (ابن ماجد ١٩٧١ : ٣٧٠).

تشغل رمال الربع الخالي الحوض الممتد من جبال عمان شرقاً إلى جبال الحجاز (السروات) وجبال اليمن غرباً.





مصادر الرّمال وحركتها في شبه الجزيرة العربية

وتحده من جهة الجنوب هضبة حضرموت. ويتصل من جهة الشمال برمال الدهناء، كما أشرنا من قبل. ويتصل أيضاً بشاطىء الخليج العربي عند سبخة مطي. ويمتد منه ذراع يحاذي الساحل الغربي للخليج يعرف باسم الجافورة، يصل في امتداده إلى مدينة الجبيل شمالاً. ويبلغ طول الربع الخالي ١٢٠٠كم تقريباً، وعرضه حوالي ٦٤٠كم تقريباً ويغطي مساحة تبلغ حوالي ٦٥٠٠٠٠ كم[٢] وهو أكبر امتداد رملي في العالم.

الجيلان الغربي. ويمتد هذا الإقليم غربي الرمال السالفة الذكر، ويبلغ عرضه حوالي ٣٤٠كم، ويتألف من عدد من الجيلان، كما يسميها السكان هناك، مفردها جال، تمتد في شكل محاور يصل عددها في بعض المواضع إلى نحو ثمانية جيلان، تواجه الغرب منها جروف وعرة شبه قائمة، وتنحدر بالتدريج نحو الشرق وفقاً للانحدار الطبوغرافي العام لشبه الجزيرة العربية. وبعض حضيض تلك الجيلان تحتله الرمال، وبعضها الآخر تنتشر فيه القيعان



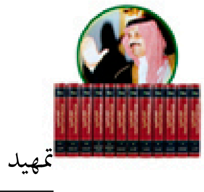
والروضات والسباخ الناشئة عن تجمع مياه الأودية المنحدرة فوق أسطحها.

وأهم تلك الجيلان هي جبال العارض (طويق)، الذي يسمى أيضاً عارض اليمامة. ويتألف من تكوينات الحجر الجيري المنتمية للعصر الجوراسي الأعلى. وأدق من وَصَفَهَا من العرب، أبو زياد الكلابي، حيث يقول: العارض باليمامة، فأما ما يلي المغرب منه فعقاب وثنايا غليظة، وما يلي المشرق وظاهره أودية تذهب نحو مطلع الشمس كلها. والعارض كما يقول ياقوت الحموي هو الجبل ولا نعلم جبلاً يسمى العارض غيره. وطرف العارض في بلاد بني تميم في موضع يسمى القرنين، فثمَّ انقطع طرف العارض الذي من قِبَل مَهَبّ الشمال، ثم يعود العارض حتى ينقطع في رمل الجزء (الربع الخالي)، وبين طرفي العارض مسيرة شهر طولاً ثم ينقطع، واسم طرفه الذي في رمل الجزء الفُرُط.

وتمتد جبال العارض إلى أكثر من ١٠٠٠كم. ويتراوح ارتفاع قممها بين ٨٥٠م و١٠٦٠م فوق مستوى سطح البحر. وترتفع نحو ٢٥٠م عن السهول الواقعة غربي الإقليم. وإلى الشرق من العارض توجد سلسلة أخرى من المرتفعات الشبيهة بجبال طويق، أهمها جبال العرمة، وتتألف من تكوينات الحجر الجيري المنتمية للعصر الطباشيري الأعلى. قال ياقوت الحموي نقلا عن الأزهري «العَرَمة تُتَاخِم الدهناء، وعارض اليمامة يقابلها». وترتفع جروف العَرَمَة نحو ٥٤٥م فوق مستوى سطح البحر. وهي أقل بروزاً من جبال طويق حيث لا ترتفع عن السهول المتاخمة لها من جهة الغرب سوى ١٢٠م فقط.

ويعني هذا أنه يمكننا من النصوص العربية المتقدمة أن نصنف الأقاليم التضاريسية لشبه الجزيرة العربية في عشرة أقاليم، هي: إقليم تهامة، وإقليم نجد، وإقليم الحجاز، وإقليم اليمن وهضبة حضرموت، وإقليم عمان، وإقليم الجيلان، وإقليم الرمال، وإقليم الصَّمان، وإقليم السهول الساحلية الشرقية، وإقليم الحُزون الشمالية. وفي المملكة العربية السعودية ثمانية من هذه الأقاليم حيث يخرج إقليم اليمن وهضبة حضرموت، وإقليم عُمان عن نطاقها.

ولابد من تأكيد أهمية التمسك بالأسماء العربية للمواضع والأقاليم في شبه الجزيرة العربية، لأن معظم تلك الأسماء لها دلالة لغوية تعطي معنى



محدداً لـلموضع أو الإقلـيم، دون أن تغفـل الظروف المنـاخية أو النبـاتية أو التضاريسية. ولذلك أضحى من الأهمية بمكان كبير المحافظة على هذه الأسماء، وإشاعتها بين الباحثين والطلاب المشتغلين بجغرافية شبه الجزيرة العربية.



المنــاخ

تقع أراضي المملكة العربية السعودية بكاملها ضمن المناطق الجافة، أو شبه الجافة في أحسن الحالات. وبالرغم من أن هناك اختلافاً في تعريف الجفاف فإن كل التعريفات تتفق على أن الجفاف يعني نقصاً في الموارد المائية مقابل الطلب عليها. والحاجة للماء نسبية، فالبدوي الذي يرعى أغنامه في الصحراء يتنقل من مكان إلى مكان بحثاً عن الكلأ وموارد الماء لسد حاجته وحاجة مواشيه المحدودة، لا يحتاج من الماء قدر ما يحتاجه أهل المناطق الحضرية والمدن الكبيرة بتقنياتها ومشاريعها ومصانعها. وبذلك يختلف الحد الفاصل في الخصائص بين المناطق التي يمكن أن تسمى جافة أو غير جافة. وعلى العموم يمكن التمييز بين اتجاهين رئيسين في تعريف المناطق الجافة وتحديدها. الأول متعلق بتعريف الصحراء، الذي هو بحد ذاته محل اختلاف، والثاني متعلق بالتعريف العلمي للجفاف.

فالصحراء في اللغة العربية هي البرية نسبة للبر، وهو الواسع من الأرض. سميت بذلك للون ترابها. والعرب تنعتها بنعوت منها؛ القِفَار: وهو الخلاء من الأرض، ويطلق عليها البلقع والنفنف والديموم. و الفَلاة: وهي الأرض المنقطعة من الماء. والمُوْمَاة: وتحمل معنى القفار سميت بذلك لأن سالكيها يومىء بعضهم لبعض. واليَهْمَاء: وهي أرض قفر من الأنيس فلا يسمع فيها صوت، قال الأعشى:

ويهماء بالليل عطشى الفلاة
يؤنسني صوت فيادها

والمفازة واحدة المفاوز. قال ابن الأعرابي: سميت بذلك لأنها مهلكة من فوَّز تفويزاً، أي هلك. وقال الأصمعي:

سميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة والفوز، مثلما جاء في مختار الصحاح للرازي.

واليَهْماء: وهي المفازة التي لا ماء فيها كأن قاطعها يهيم على وجهه. والمَلا: فلاة ذات حر وسراب.

واصطلاحاً تطلق الصحراء على أي منطقة قاحلة شحيحة المياه بها نمو خضري مشتت من نباتات ذات خصائص خاصة. وهي قليلة السكان، والزراعة فيها غير عملية وبهذا فلا يلزم أن تكون المناطق الصحراوية ذات أراض صخرية أو رملية عارية تماماً. بل تتسع لتشمل الصحاري القطبية المتجمدة الفقيرة في مواردها. وقد بني هذا المصطلح بشكل عام على ظروف التربة وانتشار النبات والحيوان وتنوعهما ومدى توافر الموارد المائية واستخدام الأراضي.

الجفاف

يختلف التعريف العلمي للأراضي الجافة أيضاً فمن قائل إنها أراضي المناطق التي يقل فيها معدل التساقط معظم السنة وتزيد فيها معدلات التبخر عن كميات التساقط. وعلى ذلك يمكن التمييز بين مناطق صحراوية تغطي ١٢٪ من أراضي العالم، ومناطق شبه صحراوية تغطي ١٤,٣٪ من أراضي العالم أي إن المناطق الجافة تشغل ٢٦,٣٪ من أراضي العالم وهي ذات معدلات تساقط قليلة معظم السنة والمعدلات المحتملة للتبخر والنتح تفوق التساقط. إلا أن هذا التحديد باعتماده على المعدلات السنوية لم يأخذ في الاعتبار القيمة الفعلية للتساقط وتغيرها بين فصول السنة، حيث إن تساقط ١٠٠ ملم من المطر مثلاً خلال الفصل الحار من السنة سيكون أقل فائدة للأرض وللنبات مما لو سقطت الكمية نفسها في المنطقة نفسها في الفصل المعتدل أو البارد من السنة، لأن معدلات التبخر والنتح ستكون أقل وما يمكث من الماء حينئذ في الأرض سيكون أكثر. وقد قام أحد العلماء (Meigs 1953, 1: 203-209) بحساب مؤشر للرطوبة مبني على العلاقة بين التبخر والنتح من جهة والتساقط من جهة أخرى، مستبعداً المناطق الباردة التي لا يمكن أن يحدث بها نمو نباتي. وقد قسم مؤشر الرطوبة تبعاً لإمكانية الإنبات وأضاف قسماً خاصاً بالمناطق التي لم يسجل فيها تساقط لمدة اثني عشر شهراً متتالية كما يوضح ذلك الجدول التالي:



مؤشر الرطوبة	النطاق المناخي	إمكانية الإنبات بدون ري	تقديرات المعدل السنوي للتساقط (ملم)
- ٢٠ إلى صفر	دون الرطب	ملائم	أكثر من ٥٠٠
- ٤٠ إلى ٢٠	شبه جاف	ملائم لأنواع محددة وبه أعشاب طبيعية	٢٠٠ - ٥٠٠
- ٥٦ إلى - ٤٠	جاف	غير ملائم	٢٥ - ٢٠٠
أقل من - ٥٦	جاف جداً	غير ملائم على الأقل ١٢ شهراً متتابعة دون تساقط	أقل من ٢٥

وبالنظر إلى خريطة توزع الأمطار في المملكة نجد أن معظم أراضيها تقع ضمن النطاق الجاف (٢٥-٢٠٠ملم) باستثناء نطاق ضيق في جبال الحجاز يقع ضمن النطاق شبه الجاف (٢٠٠-٥٠٠ملم). ومع أن السمة العامة لمناخ البلاد هي الجفاف، إلا أن هناك اختلافات مكانية لا يمكن إغفالها عند مناقشة الظروف المناخية. هذه الاختلافات المكانية هي محصلة التفاعل بين كمية الأمطار الساقطة ودرجة الحرارة، ورطوبة الهواء النسبية ومعدلات التبخر في فصول السنة الأربعة (الجراش ١٩٩٢). فعلى الرغم من قلة الأمطار عموماً إلا أن تفحص مواعيد سقوطها ومتوسطاتها الشهرية في محطات القياس المنتشرة في القرى والمدن يوضح أن هناك اختلافاً في فصول سقوط الأمطار بين الأماكن المختلفة. فبعض المناطق مثلاً، تسقط أمطارها في الشتاء فقط، وبعضها في الصيف، وبعضها تتوزع الأمطار فيها بين الصيف والشتاء. ولا شك في أن القيمة الفعلية لكمية الأمطار الساقطة (مدى فائدتها للأرض والنبات) ستختلف بناء على ذلك لاختلاف معدلات التبخر والنتح بين الصيف والشتاء. والمتتبع لكميات التساقط




الشهري، خلال السنوات، في المحطات المختلفة في المملكة يلاحظ أن الأمطار تتركز في فصل الشتاء كلما اتجهنا نحو الشمال والشمال الشرقي.

ويرجع ذلك إلى أن المملكة تقع في نطاق هامشي بين نظامين مطريين، أحدهما شتوي الأمطار عموماً والآخر صيفي. فالمناطق الشمالية تتأثر بأعاصير البحر المتوسط التي تتعاظم ويكثر حدوثها في فصل الشتاء ويمتد تأثيرها إلى المناطق الشمالية والوسطى من المملكة بشكل متذبذب، بينما المناطق الجنوبية تتأثر أكثر بالرياح الموسمية التي تهب صيفاً من ناحية الجنوب الغربي وتسقط أمطارها على المرتفعات الجنوبية الغربية، وقد يمتد تأثيرها في بعض السنوات إلى المناطق الوسطى. عن ابن مسعود # أن النبي ﷺ قال «المدينة بين عيني السماء عين بالشام وعين باليمن. وهي أقل الأرض مطراً».

الحرارة

تتفاوت درجات الحرارة أيضاً في معدلاتها الشهرية والفصلية مكانياً. وينتج هذا التفاوت عن اختلافات مكانية في كمية (طاقة) الإشعاع الشمسي الواصلة إلى سطح الأرض وإلى الارتفاع عن سطح البحر، حيث تزداد كمية الإشعاع الشمسي كلما كانت زاوية سقوط أشعة الشمس أقرب إلى العمودية وهذا مرتبط باختلاف مطالع الشمس، وانتقال هذه المطالع بين المدارين شمالاً وجنوباً. فيكون أقصى هذه المطالع نحو الشمال عندما تتعامد الشمس على مدار السرطان (٥, ٢٣ْ شمالاً) الذي يمر بوسط شبه الجزيرة العربية بامتداد شرقي غربي ويحدث ذلك عند الانقلاب الصيفي في ٢١ يونيو. بعد ذلك اليوم تعود مطالع الشمس إلى التزحزح نحو الجنوب بالتدريج إلى أن تصل إلى أقصى ابتعاد لها نحو الجنوب بتعامدها على مدار الجدي (٥, ٢٣ْ جنوباً) في ٢٢ ديسمبر فيما يسمى الانقلاب الشتوي حيث تعود بعده مطالع الشمس إلى التزحزح شمالاً إلى أن تتعامد على مدار السرطان مرة أخرى بعد سنة كاملة. ولكن ينبغي أن نأخذ في الاعتبار درجة صفاء الجو وخلوه من الغيوم والسحب، ومن بخار الماء والعوالق من غبار وأتربة التي تحجب جزءاً من أشعة الشمس عن الوصول إلى سطح الأرض. وحينما يمتص سطح الأرض أشعة الشمس



مشارق الشمس ومغاربها عند مدار السرطان

الواصلة إليه، ترتفع درجة حرارته فيدفأ الهواء الملامس له وتنطلق منه حرارة في الجو. لذا تكون الأماكن المرتفعة أقل حرارة مع أنها أقرب إلى الشمس من الأماكن المنخفضة.

الرياح

الهواء خليط من الغازات يحيط بسطح الكرة الأرضية بأكملها على شكل غلاف، هو المحيط الحيوي لكافة أشكال الحياة على سطح الأرض. فمن غير توافر الهواء وعناصره اللازمة للتنفس لا يمكن أن تبقى صورة من صور الحياة على سطح الأرض. والهواء والماء هما العنصران اللذان جعلا الحياة ممكنة على سطح الأرض دون غيرها من الكواكب. وعندما يتحرك الهواء من مكان إلى مكان آخر فإنه يحمل خصائص المكان الذي تحرك

منه فإن كان حاراً نقل معه الدفء والحرارة إلى المكان الذي تحرك إليه، وإن كان رطباً نقل معه الرطوبة وبخار الماء. وعندما يتحرك الهواء يدفع معه بعض العوالق من سطح التربة، وهذه العوالق يزداد تركزها ويكبر حجمها كلما ازدادت سرعة الريح وشدتها إلى أن تصبح عواصف رملية شديدة قد تهلك الإنسان والزرع والضرع. قال تعالى ﴿ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون﴾ (الروم: ٥١). وقد عذب **الله** قوم عاد بالريح العقيم، قال تعالى ﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ (الذاريات: ٤١).

والرياح تسوق السحب الممطرة إلى حيث يشاء **الله**، قال تعالى ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته﴾ (الأعراف: ٥٧) وقال: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح ...﴾ (الحجر: ٢٢) وهي التي تلقح السحاب والشجر. قال ابن أبي حاتم عن عبدالله بن عمرو: الرياح ثمانية: أربعة منها رحمة وأربعة منها عذاب. فأما الرحمة: فالناشرات، والمبشرات، والمرسلات، والذاريات، وأما العذاب: فالعقيم، والصرصر، وهما في البر، والعاصف، والقاصف وهما في البحر.

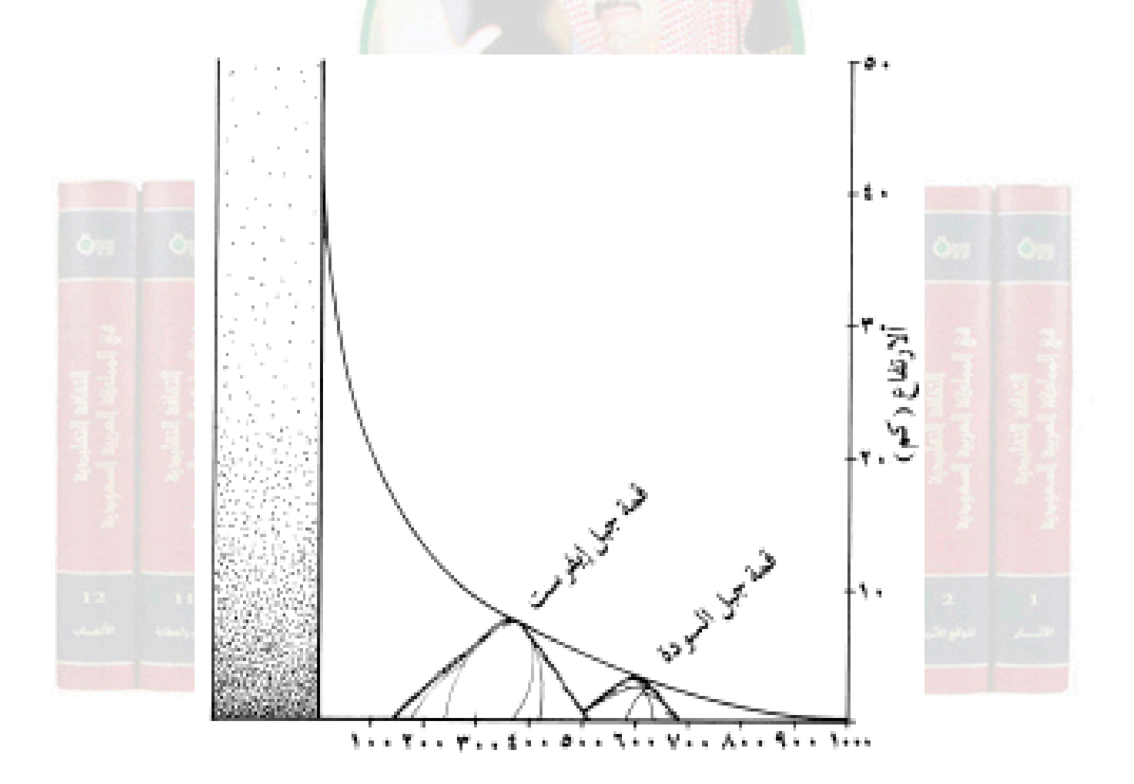
هذه العناصر كلها جعلت للرياح التصاقاً مباشراً بحياة الإنسان وأهمية في حياة أبناء الحاضرة والبادية في البر والبحر. ومن هنا كان اهتمام العرب الأوائل بالرياح كبيراً وجاء اهتمام أبناء هذه البلاد بها امتداداً لذلك. فعرفوا مَهَابها وأوقاتها وآثارها ودرجات مرورها وعَبَّرُوا عن كل هذا بذخيرة وافرة من الألفاظ والألفيات والأشعار التي تعكس هذا الاهتمام وتنم عن مقدرة كبيرة في الملاحظة والتمييز والوصف.

حركة الرياح. يتحرك الهواء من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، أي أن الفوارق في الضغط الجوي على سطح الأرض هي التي تسبب تحرك الرياح على السطح. وكلما ازدادت هذه الفوارق عمقاً كانت حركة الرياح أسرع وأقوى. وهذه الفوارق في الضغط الجوي تحدث بمقاييس مختلفة فمنها خلايا من الضغط المرتفع والمنخفض تنتظم دولاً وأقاليم بأكملها وهي تتزحزح ببطء من الغرب إلى الشرق وتؤثر في حركة الهواء في المناطق المحيطة بها. وبالتالي تؤثر على الظروف الجوية لتلك المناطق، وتقوم على دراستها ومراقبة حركتها التنبؤات الجوية. ومن أمثلة ذلك خلايا الضغط المنخفض التي تعبر البحر المتوسط



وجنوب أوروبا وتمر بشمال شبه الجزيرة العربية خلال فصل الشتاء. وبالمقابل هناك خلايا محلية صغيرة من الضغط المنخفض تنشأ عن التسخين المحلي لسطح الأرض، لذا يكثر حدوثها بعد الظهيرة في أيام الصيف المشمسة. هذه الخلايا المحلية ينتج عنها تحرك الهواء بسرعة وبشكل حلزوني حول هذه الخلايا وتثير عموداً من الأتربة والغبار التي يحركها اندفاع الهواء بسرعة. ويُعرف عند العامة بالعاصوف ويجمع على عواصيف.

ومن الفوارق في الضغط الجوي تلك التي بين اليابس والماء. فمن المعروف أن المعادن المكونة لصخور اليابس تكتسب الحرارة بسرعة وتفقدها بسرعة مقارنة بمياه البحار والمحيطات، وهذا راجع لارتفاع السعة الحرارية للماء. لذا فأسطح القارات أدفأ في الصيف وأبرد في الشتاء من البحار المجاورة لها، وبالتالي فإن الهواء الملامس لهذه الكتل القارية أدفأ في الصيف وأبرد في الشتاء من الكتل الهوائية المتمركزة على البحار. ونتيجة لذلك



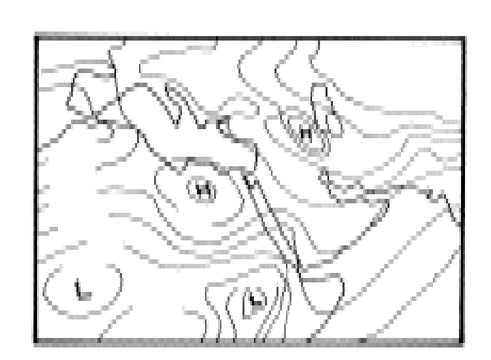
انخفاض الضغط الجوي بالارتفاع

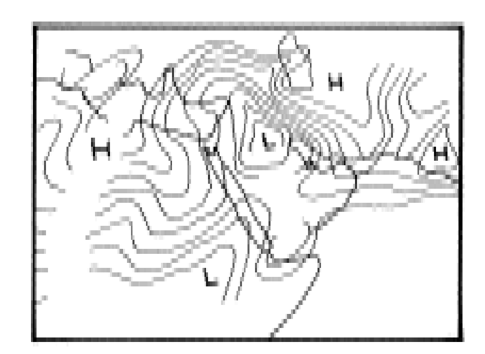


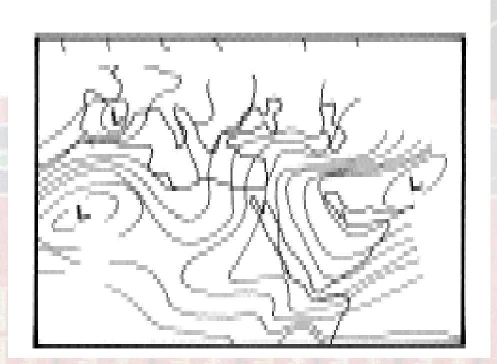

تتمركز خلايا من الضغط النسبي المنخفض على القارات صيفاً نتيجة لارتفاع درجة حرارتها وانخفاض كثافة الهواء الملامس لها، بينما تتمركز خلايا من الضغط المرتفع نسبياً في الصيف على البحار. ومن الأمثلة على ذلك خلية الضغط المنخفض التي تتمركز على شمال الهند ووسط آسيا في فصل الصيف، فتجذب إليها الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تهب على جنوب غرب المملكة وقد يمتد تأثيرها في بعض السنوات إلى وسطها.

ومن الجدير بالاهتمام أن الهواء لا يتحرك في خط مستقيم مباشر من مناطق الضغط المرتفع إلى مركز الضغط المنخفض بل ينحرف إلى يمين اتجاهه في نصف الكرة الشمالي، وينتج هذا الانحراف عن دوران الأرض حول نفسها. لذا تدور الرياح بشكل حلزوني بعكس اتجاه عقارب الساعة في تحركها حول خلايا الضغط المنخفض، وتندفع بشكل حلزوني في تحركها من خلايا الضغط المرتفع باتجاه عقارب الساعة.

ويرتبط التخلخل والتباين في الضغط الجوي أيضاً بمناطق التقاء الكتل الهوائية. وهي قطاعات ضخمة من الهواء تغطي مساحات شاسعة، ويكون الهواء في كل

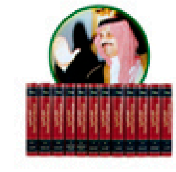


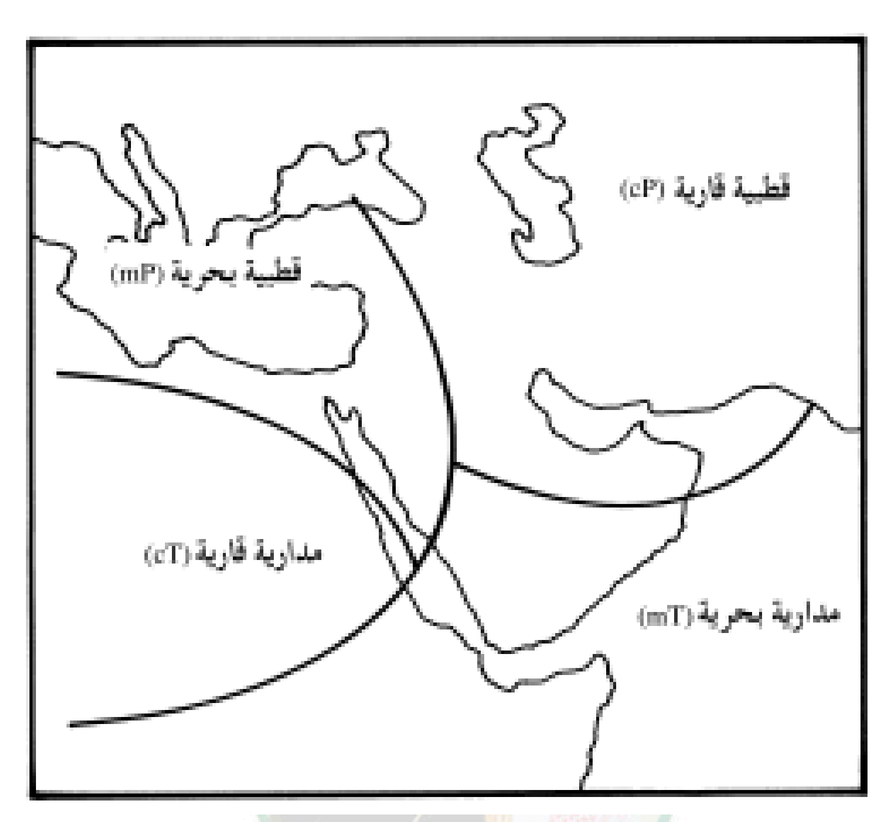




خلايا الضغط حول شبه الجزيرة العربية صيفاً وشتاءً

كتلة متجانساً في خصائصه من حيث درجة الحرارة والرطوبة النسبية. وعندما تتزحزح هذه الكتل الهوائية إلى أي مكان فإنها تحمل إليه خصائص المكان الذي نشأت فيه. فالكتل الهوائية القطبية باردة وتؤدي





الكتل الهوائية المؤثرة في مناخ شبه الجزيرة العربية

إلى انخفـاض درجة حرارة المناطق التـي تغطيهـا. فمثلاً تتزحزح الكـتل الهوائية القطبيـة في الشتاء نحو الجنـوب لتغطي حوض البحر المتوسط وشمال شبه الجزيرة العربية ووسط آسـيا، بينما تتمركز كتـل مدارية دفيئة نسبياً على وسط أفريقيا ووسط شبه الجزيـرة العربية وجنوبهـا. ومناطق التقاء هذه الكتل المتباينة في درجة حرارتها مناطق عدم استقرار وتخلخل في الضغط الجوي حيث ينساب الهواء الـبارد (عالي الكثافة) على سطح الأرض بـينما يندفع الهواء الدافىء (الأقل كثافة) إلى الأعلى منزلقاً فوق أطراف الكتلة الباردة. ويتأثر مناخ شبه الجزيرة العربية بعدد من الكتل الهوائية في فصل الشتـاء، حيث تتمركز كتلة هوائية قطبية قارية (باردة جافة) على وسط آسـيا وشمال شـرق شبه الجـزيرة العربية. وتتمركز على جنوب شبه الجزيرة العربية والبحر العربي كتلة هوائية مدارية بحرية (دافئة رطبة) بينما في الغرب وعلى وسط أفريقيا تتمركز كتلة مدارية قارية أي دافئة جافة (Al-Qurashi 1981).

تصنيف الرياح. يطلق لفظ الريح على الهواء المتحرك، فهي نسيم الهواء وحركته من أي جهة كانت وعلى أي درجة كان المرور. أما السكون فإنه ضد الريح وهو حالة من التوازن والاستقرار في الضغط الجوي في الغالب، داخل خلايا الضغط المرتفع، بلا أي تيارات هوائية بأمر **الله**. قال تعالى ﴿إن يشأ يسكن الريح...﴾ (الشورى: ٣٣). والعرب تقول سَكَرَتِ الريح إذا سكنت، وليلة سَاكِرَة أي لا ريح فيها، والوَقْدَة سكون الريح مع اشتداد الحر. ومنه «وَقْدَةُ سهيل» وهي سبعة أيام مع طلوع الجبهة، لكن سهيلاً يطلع قريباً منها فيغلب ذكره على ذكرها. والهواء في هذه الأيام أحر مما قبلها وبعدها، ثم تطيب الليالي ويسمى عند البادية «حَمّ سهيل». وما قبله مثله «حَمّ الكليبين». قال الشاعر:

ثَـوَّر خيـال سـاكـرات هـبـوبـه
وانـهل مـزنـه بـيـنـنـا وانـتـشـر مـاه

فعبر عن سكون الريح بأنها ساكرة.

وجمع الريح رياح. قال كثير من المفسرين في قوله ﷺ إذا هبت الريح «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً» لأن عامة ما جاء في محكم التنزيل على لفظة الرياح (بالجمع) للسقيا والرحمة، وما جاء بخلاف ذلك كان على لفظة ريح بالإفراد. أما قوله تعالى ﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر...﴾ (سبأ: ١٢)، فالجواب أن سليمان سخر **الله** له ريح الصَّبَا. وروى البخاري عنه ﷺ قوله «نصرت بالصَّبَا وأهلكت عاد بالدَّبُور» و**الله** أعلم.

والعرب والبادية تفرق بين الريح والرياح، فالريح هي القوية العاتية المثيرة للأتربة والغبار، أما الرياح فهي الخفيفة اللطيفة المنعشة.

وأول كل ريح عثنونها أو أراعيلها، إذا جرَّت الغبار، وأعاليها أعرافها ومآخرها أذيالها (الأصفهاني، د.ت.: ٧٨). قال ذو الرمة يصف ظليماً (ذكر النعام):

يَـسْـتَنُّ فـي ظـل عـراص ويطـرده
حفـيف نـافجـة عثـنونـهـا حـصب

والنافجة أول كل ريح تهب بشدة أو هي التي تأتي بغتة. وقد ميز العرب بين الرياح حسب مهابها (اتجاهها) ودرجة مرورها (سرعتها) وحرارتها وما تحمله من عوالق.

مهاب الرياح. صنف العرب الرياح حسب جهة هبوبها إلى قسمين رئيسين؛

الأول: أمهات الرياح؛ وهي الرياح التي تهب من إحدى الجهات الأصلية الأربع وهي:



الشّمال: وهي أدوم الرياح في الشتاء والصيف وتسمى الشمال أو الشامية. تهب من ناحية القطب الشمالي، وقيل من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر. وهي الرَّوْح والنسيم عند العرب وتسمى محوة لأنها تمحو السحاب وتزيله، وتسمى الماحقة لأنها تمحقه أي تزيله. لذا فإن المتحابين إذا تفرقا قيل ريحهما شمال، وإن اجتمعا قيل ريحهما جنوب. قال الشاعر:

لعمري لئن ريح المودة أصبحت
شمالا لقد بدلت وهي جنوب

وقال الشاعر الشعبي:

هبت هبوبٍ شمالْ وبردها شيني
ما تدفي النار لو حنا شعلناها

والشمال تذم بأنها تأتي بالبرد وتقشع الغيم، ومن الأمثال الشائعة «افْطَن لَلغيْم إذا هبَّت الشِّمَال بِنْزَاح». وتحمد بأنها تصاحب الضباب وتمسك الثرى فتصبح عنها كأنها ممطورة وتصبح الغصون تنطف. وأكثر ما يكون ذلك عن غب المطر (الأصفهاني د.ت.: ٣٤١). ومن الأمثال الشائعة عنها «مَضْمُوْنَةٍ لها الغِدْرَان» لأنها تأتي غالباً بعد المطر وهي من أدوم الرياح وأكثرها عجاجاً وسحاباً لا مطر فيها ولا شبيه لها في ذلك غير الهيف. ومن الناس من يسميها السُّوَيْدَاء وشْمَيِّلَه وعند بادية الشمال اسمها السليته أو السليتا. ومن خصائص الشمال أنها لا تسري أي أنها تسكن بالليل وأنه يستذرى منها بأدنى شيء.

الجَنُوب: وهي ريح بروج الربيع. وتهب من جهة القطب الجنوبي وتسمى النَّعَامَى، وهي للإمطار والإنداء عند العرب، وهم يقولون إن الجنوب تربي السحاب والشمال تقشعه بأرض الحجاز وإن ما كان من أرض العراق فالشمال تربي فيه السحاب وتؤلفه، مما يدل على إدراكهم وملاحظتهم للفروق المكانية بين العراق الذي يتأثر بالجبهات الدفيئة والباردة المصاحبة للمنخفضات الحركية وبين نجد والحجاز التي تتأثر فقط بالجبهات الباردة في الغالب. ومما ورد فيها قول الشافعي: بلغني أن قتادة قال، قال ﷺ «ما هبت جنوب قط إلا أسالت وادياً». وتسمى أيضاً كوس عند بعض فلاحي المنطقة الشرقية وفي شمال شبه الجزيرة العربية يسمونها القِبْلِيَّة. قال عضيان المري:

احب الهبوب اللي تجينا هواها كوس
جنوبيةٍ من صوب زين التبهلال

ومن خصائص الجنوب أنها تسري بالليل ولا يستر منها شيء.

الصَّبَا: وتسمى القَبُول وتهب من ناحية الشرق من موضع مطلع الشمس



إذا استوى الليل والنهار، وقيل من مطلع الثريا إلى بنات نعش وهي للإلقاح عند العرب. قال الشاعر:

إذا هـم بالإقـلاع همـت به الـصبـا
فـعـاقـب نـشء بعـدهـا وخـروج

وقال آخر:

أريـد لأنسـى ذكـرها فـيـهـيـجـنـي
نسيم الـصبا من حيث يـطلع الفجر

وتلقب بريح العشاق:

مـا لـقلبـي كـلـما هـبـت صـبـا
عـاده عـيـد مـن الـشـوق جـديـد

والعرب تجعـل أبواب بيوتها حذاء الصبا ومطلع الشمس. وتسمى عند عامة الناس مَطْلِع شمس أو شرقيه. قال ابن شريم:

هِـبِّي بـريـحه يـاهـبوب الـشـمال
كُوْدَ الجنوب ومَـطِلعَ الشمس تَـنْصَاه

وفي الأحساء يسمونها خُوَاد خاصة إذا كانت رطبة هادئة. وتهب من مطلع شمس الشتاء من الجهة الجنوبية الشرقية. ومما يقال في المثل «مبَكْيَةْ الحِصْنِيْ ذَرَاها ظلالَه».

وتسمى الصـبا في المنطقة الجنـوبية النجدية لأنها تـهب من جهة نجد وهي جافة وتؤثر على المزروعات والمياه الجوفية وقد تغنى الشعراء في الصـبا ومن ذلك قول أحدهم:

ألا ياصـبا نجد متـى هجت من نجـد
لقد زادنـي مسراك وجداً علـى وجد

وقال فهيد بن هباس:

يـوم الصـبا هـبت بـريـح الخزامـى
الشـوق في قـلبي تـعدى المقـاييـس
قـلـت آه يامـا يـاصـبـا نجد يـامـا
في القلـب جددت الجروح المراميس

الدَّبُور: وهي الغربية، تهب من جهة الغرب، وبالتحديد من مـغرب الشمس وقت الاعتدال. وهي عند العرب للبلاء والعذاب، نعوذ بالله منهما. وتعرف عند عامة أهل نجد بـالقبلية ومهبها من جهة القبلة في نجـد وإلى اليسار منها قليلاً. وتسمى في عسير غُوْرِيَّه ونُوَيْدِيّه. وفي غامد وزهران تسمى البَحرية لأنها تهب من جنوب البحر الأحمر وهي هناك على عكس النجدية مفيدة لمنابع المياه وللزراعة.

وكل ريح تهب ما بين الشمـال والغرب يقال لها «غربية» أو «مغيب شمس» وقد تسمى «عَلَيّه». قال الأعشى:

لـهـا زجـل كـحـفـيـف الحـصــا
تـصـادف بـالـلـيـل ريـحـا دبـورا

القسم الثاني من مهاب الرياح عند العرب النكباء: وهي الرياح المنحرفة في هبوبها عن أي من مهاب الجهات الأصلية والواقعة بـين حدين من هذه الجهات، وهي أربع:



أزْيَب: وهي النكباء التي مهبها بين الصبا والجنوب وقد يسميها بعض العامة هَيْفِيَّه تجاوزا. وتسمى في بعض الجهات نُوْبِيَّه.

صَابِيَة: ومهبها بين الصبا والشمال. وتسمى نَسْرِيَّه في نواحي نجد لأنها تهب من مطلع النسر الطائر. وهي في الغالب شديدة البرودة غير محمودة قال دغيم الظلماوي:

ياكليب شِبّ النار ياكليب شِبّه
عليك شَبَّه والحطب لك يجاب
بنَسْرِيَّةٍ ياكليب صلفٍ مهبّه
لى هب نِسْنَاسَه تِقِل سِمّ داب

وتسمى في منطقة القنفذة وما حولها أبو شْتَيَّه.

جِرْبِيَاء: ومهبها بين الشمال والدبور. وهي باردة غير محمودة خاصة إذا هبت في غب المطر. وقد تسمى في نجد غَرْبِيّة في حين تسمى التي تهب من مغرب الشمس وقت الاعتدال قِبْلِيّه، وهي معروفة بأنها تكنس السحاب وتمزقه. وفي بادية الشمال يطلقون عليها النكباء.

هَيْف: ومهبها بين الجنوب والدبور، وهي ريح حارة يهيف منها الشجر، أي يسقط ورقه. وهي مضرة بالزرع لذا يكثرون سقيه أيام هبوبها إذا هبت في الأيام الحارة. وقد ذكر بعضهم أن أحد كبار السن عندما هبت الهيف في إحدى الليالي قال لابنه أو لصديق له: هب الهيف وسرى هو على زرعك ذرى. وإلا ما عليه ذرى؟ فأجابه عليه ذرى أوي ذرى! ولد إلى ناموا العيال سرى وأربع بكار ماهن بعشرا». يقصد الحادي وحيوانات السواني. وإنه سوف يسقي الزرع إذا هبت الهيف فلا يلحقه عطش والسقيا هنا هي المقصودة بالذرى. قال الشاعر:

وبدلت والدهر ذو تبدل
هيفا دبورا بالصبا والشمأل

وقال آخر:

وصَوَّح البقل نأجٌ تجيء به
هَيْفٌ يمانية في مرِّها نَكَبُ

فجعلها النكباء التي تلي الجنوب. وقد جمع بعضهم مهاب الريح في قوله:

صبا ودبور والجنوب وشمأل
وشرق وغرب والتيمن والضد
ومن بينها النكباء أزيب جربيا
وصابية والهيف خاتمة العد

ويلاحظ أن عامة بادية نجد والمنطقة الجنوبية وشمر سكان النفود تبني بيوت الشعر بصفة عامة باتجاه الشرق والغرب وذلك حتى توفر أكبر منطقة من الظل تحته وقد ينحرف مبناها شيئاً قليلاً حسب



اتجاه الرياح خلال الفصول المتعاقبة وحتى لا يتطاير الشرر والدخان من الموقد الذي عادةً ما يكون في الجزء الجنوبي الغربي من بيت الشعر حيث مجلس الرجال ومجلس النساء في الجزء الغربي من البيت.

أما في المنطقة الشمالية وحيث الرياح عادةً ما تكون غربية وباردة لذلك يلاحظ أن الرولة والشرارات وغيرهم من سكان تلك المناطق تبني بيوتها بصفة عامة جنوب شمال ويكون موقد النار في الجهة الشمالية حيث مجلس الرجال، ومجلس النساء في الجهة الجنوبية ربما لأن الرياح الغربية والشرقية باردة في فصل الشتاء، وعلاوة على ما لاتجاه بناء بيت الشعر من أهمية في توفير الدفء وحماية البيت من شرر النار الذي قد يتطاير مع هبوب الريح، فإن لحماية الإبل والغنم وتوفير مكان ذار أهميته، فإذا كانت الرياح غربية وضعت الحيوانات في الجهة الشرقية خلف البيت وإذا كانت شرقية وضعت في الجهة الغربية.

وفي المنطقة الجنوبية يتعمدون وضع واجهات بيوتهم الحجرية شرقاً طمعاً في ضوء الشمس ودفئها، وابتعاداً عن مواجهة هبوب الرياح لأنها نشطة طوال العام تقريباً، ولأصحاب بيوت الشعر من البدو هناك تجارب جعلتهم يضعون قوساً فوق بيوتهم التي تبنى في السفوح ليكون مجرى للسيل حتى لا يداهم البيوت ويسمونه النيَّ لأنه يجعل البيوت في منأى عن خطر السيول. يقول شاعرهم:

لقيت النيَّ قبل السيل ينفع
وبَرم الشور قبل الحادثات

سرعة الرياح. صنفت العرب الرياح حسب سرعتها وشدة هبوبها إلى قسمين هما: الرياح السهلة، اللينة الهبوب وتسمى النوّد، والريح الشديدة الهوجاء. فالرياح السهلة اللينة الهبوب يقال لها رخاء رَهَاء وسَوْم ونَسِيْم ورَيْدَة وخَائِرَة ودَرُوْج. كما يقال أَمْعَجَت الرياح إذا استمرت في هبوب سهل متتابع.

وتسمى عند العامة نِسْنَاس إن كانت ضعيفة لينة الهبوب وتحركت بعد سكون، ويقال ذِعْذَاع ويقال نَسِيْم. قال الشاعر:

برده يجي نِسْنَاس
ياسهيل ياالجنوبي

وقال راكان بن حثلين:

واهني من نَسْنَسْ على راسه الهوا
وتنشق من اعواد الخزامى فنودها



والهبوب الريح الباردة. ويطلق عادة على اللين المحمود من الرياح وعلى الشديد منها. قال الشاعر:

هَبَّت هَبُوْبٍ تَالِيَ الليل نَسْنَاس
لا هي بزوَّاغه ولا هي بقويه

أما الريح الشديدة الهوجاء فيقال لها إذا كانت متصلة شديدة الهبوب: زعزع وخيفق وعاصف، كما يقال ريح عاتية وريح صلفه. قال الشاعر:

ويعود بالأرطى إذا ما شفه
قطر وراحته بليل زعزع

كما يقال ريح زفزافة وحنون وخدوج إذا أصدرت صوتاً مع شدتها. وبالعامية يقال شِعْف للتيار الهوائي القوي خاصة المُحَمَّل بالأتربة. ويقال: إن الهوا صَلْف قال الشاعر:

قلبي كما عِيْدَانةٍ والهوا صَلْف
يُوْمِي كما يومي عَسِيْب الطِّويله

والمقصود بالعيدان هنا عجائز النخل الطوال التي تلعب الريح الشديدة بسعفها. وهَبَايِبْ تطلق على الرياح المتوسطة السرعة الباردة بشكل خاص. وفي تهامة يطلقون شِيْف على الرياح الشديدة مع مطر وبرد.

وقد كان العرب أهل تنقل وترحال خلف الكلأ والماء، أو خلف الصيد، أو تجارتهم وعامة شؤونهم. وحتى عندما يستوطنون في حواضرهم لم يكونوا بمعزل عن ظروف البيئة المحلية المحيطة بهم. ومن أهم عناصر هذه البيئة درجات الحرارة، وعلى وجه الخصوص حرارة الرياح التي تلفح وجوههم بسمومها وتسمى السموم وعادة ما تهب في القيظ حينما ترتفع حرارتها، أو تنفح عليهم من برد نسيمها حينما تنخفض حرارتها عن المعدلات المعتادة. فتركوا لنا في هذا الباب، شأنه شأن الأبواب الأخرى، ذخيرة واسعة من الألفاظ الدقيقة المعبرة عن لفحات الرياح ونفحاتها، بِحَرِّها وبردها وما يعتريها من عوالق وشوائب غبارية. فالرياح الباردة يطلقون على هبوبها عموماً نَفْح، فما كان من ريح من نفح فهو بَرْد. ويقال لها صرصر، وخريق وتسمى في الحجاز ريح خصره وغُرثه، إذا كانت شديدة تخرق البيوت ببردها، وتسمى في غامد وزهران بالقرّه والضريب لأنها تتلف المزروعات. والريح الباردة في الغالب شمالية لأنها تهب من مناطق باردة. أما خرجوج، وحرجف فإنها تطلق على الريح الباردة الجافة المتتابعة شديدة الهبوب. قال الفرزدق:

إذا اغبر آفاق السماء وهتكت
ستور بيوت الحي حمراء حرجف




والواضح من البيت أن الحرجف قد تكون مصحوبة بحمرة وغبار يحجب الرؤية ويشتت أشعة الشمس. وهذه الظاهرة غالباً مصاحبة للرياح الجافة. ويقال ريح أَلُوب إن كانت تسفي التراب وهي باردة. وإن كانت الريح الباردة ليس معها غبار، فإنه يطلق عليها العَرِيَّة كما يقال لها أيضاً الخَارِم إن كانت جافة. أما أمّ مِرْزَم فهي ريح الشمال الباردة. والبَيُوت التي تأتي ليلاً وتُبَيِّت الشيء ببردها. وتسمى في الحجاز جليد والنَّغُور هي التي تفاجئك ببرد وأنت بحر أو تفاجئك بحر وأنت في برد. ويقول العامة هَبَايِبْ الصِّفِري لرياح الخريف الباردة. والجُشْأَة هي هبوب الريح عند الفجر والقيظيه تهب في القيظ.

أما الرياح الحارة فيطلق على هبوبها عموماً لفح أو السموم، فما كان من لفح فهو حر. فيقال لفحته السموم، وهي الريح الحارة بالنهار وقد يطلق عليها السَّهَام. والبارح هي الريح الحارة الشديدة، وتطلق على ريح الشمال حيث تكون في الصيف حارة. وأكثر ما تهب بنجوم الميزان، وقد يطلق عليها السمائم وقد تكون مصحوبة بتراب. قال ذو الرمة:

لا بل هو الشوق من دار تَخَوَّنَها
مرّاً سحاب ومرّاً بَارِحٌ تَرِب

والعَكَّة الريح الحارة الشديدة مع اللَّثَقِ والسَّدَى ويقال يوم عَكِيْك. أنشد أبو زيد:

يوم عكيك يعصر الجلمودا
يترك حمران الرجال سودا

ويقال: احتدم علينا الحر وهو اشتداد الحر مع همود الريح. كما يقال: خدر النهار إذا لم يتحرك فيه ريح. ويقال في المنطقة الشرقية الذراي للهواء الذي يهب وقت حصاد الأرز، وإذا توقف توقفوا عن استخلاص المحصول حتى يهب.

والهبوة هي الريح بالغبرة، أو هي الغبرة ذاتها تراها في السماء. والمور، والهباء التراب الذي تطيره الريح. ومن العوالق الترابية الدقيقة يكون القَتَام الذي يحد من الرؤية، ويقال يوم ذو قتام وفي السماء قَتَمَة. قال ذو الرّمة:

وحيران مُلتَجٍّ كأن نجومه
وراء القَتَامِ العاصب الأعين الخزر

وقال أيضاً:

أَلَمَّتْ بنا والعيس تهوي كأنها
أَهِلَّة محل زال عنها قَتَامُهَا

والعامة بالإضافة للقتام يسمونه عَسَام ويقال عنه أيضاً غِتْه وكتام. والنجلة الريح



تحمل الرمال الدقيقة بكثافة تحجب نور الشمس. قال الشاعر:

يـاجِـبَـل حَـن مـن دونك عَـسَـامِ
لـيـت عيـنـي تـخـيل الـلـي وراه

و«حَنّ» هو جبل من جبال المدينة.

وقال الأمير خالد الفيصل:

فـكـري تـغـشـاه الـعـسـام
أمـسـيـت وفـكـري مـا ضـوى

وإذا أثارت الريح الغبار فذلك العجاج، فإذا اشتد فهو عجاج صلف أو قيامة عج إذا ثار فجأة. والمعجة والمنسفة والمنشبة هي الريح الشديدة التي تسوق التراب والعجاج والغبار. والمؤتفكة والسهيك والسهيج والدروج هي التي تحمل معها التراب والرمل وتقلب وجه الأرض. ويقال: أعصفت الريح وسحلت الريح، إذا حملت التراب. والريح لا تلبث أن تلقي ما تحمله عندما تضعف طاقتها عن حمله فترمس به الآثار فتسمى الروامس والسوافن والسوافي وهي التي تسفي التراب. وعندما تغطي أي شيء بطبقة رقيقة من الرمل أو التراب يقولون: سِفَتْ عليه السَّوَافِي.

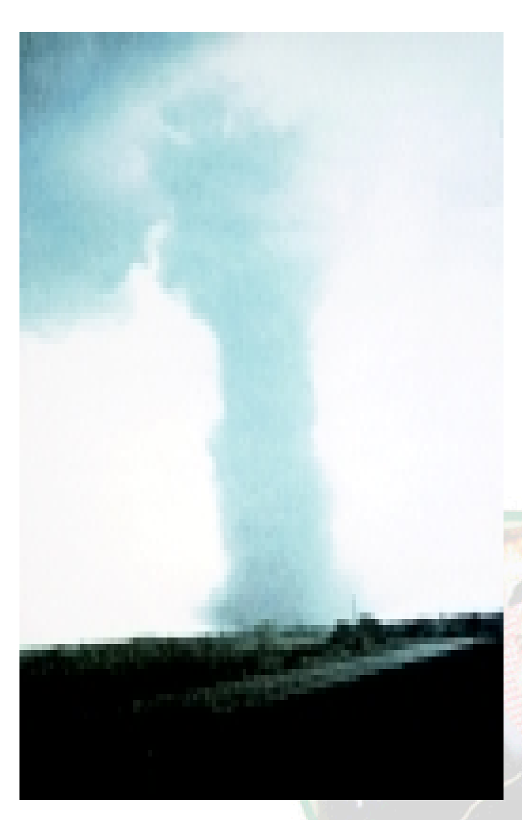
ويقال: ريح حاصب وجيلان للتي تقشر الحصى عن وجه الأرض، كما يقال كثحته الريح إذا سفت عليه التراب والحصى أو سلبته ثيابه. ويقال للريح التي تحمل التراب من الأرض «النسافة»، واستخدم ابن سينا هذا المصطلح للدلالة على أثر الريح في التشكل الأرضي. وشعف الهواء تيار ريحي قوي في مقدمة السحابة الممطرة مصحوب بالغبار وقد يكون معه قطرات من الماء.

أما الزوابع والزوبعة فهي الريح تثير الغبار تديره في الأرض حتى ترفعه في الهواء، وهي التي تدور في الأرض ولا تقصد وجهاً واحداً. وصبيان الأعراب يكنون الإعصار أبا زوبعة. وجاء في المحكم أنه رئيس من رؤساء الجن ومنه سمي الإعصار زوبعة وقيل: أم زوبعة. وقد سمى ابن شهيد الأندلسي رسالته المشهورة رسالة التوابع والزوابع مستفيداً من هذه الفكرة. والعِصَار هو الغبار الشديد؛ لذا فالرياح التي تهب من الأرض متعامدة نحو السماء يطلق عليها أعاصير لما تحمله من غبار شديد. وتسمى في بعض المناطق عَافُوْر. قال ابن منظور: عَفَّره إذا دَسَّه في التراب والعَفَرَة هي الغَبَرَة المشوبة بحمرة ويطلق عليها مِعْصِيْر أو مِعْصَار. وفي الجنوب يطلقون عليها معصار وجمعها معاصير وتعتقد العامة هناك أن القوي منها يحدث بفعل الجن. وتسمى في نجد عاصوف إبليس،




فإذا رأوها قالوا: عطونا السكين والملح، ويعتقدون أنهم بهذا القول يطردونها كما تسمى عجة جن. وقد تسمى إبليس في بعض مناطق وادي الدواسر، ويقولون عنها إن هذا إبليس يلحق بزوجته. وإذا أقبل عليهم فإنهم يتنحنحون ويكبرون لكي يذهب. ومن الشائع عنها أيضاً أن من وقف في وسطها وألقى ملحاً قائلاً: عشاكم ملح، فإن الجن يرفعونه معهم إلى أعلى فإن قال: بسم الله، أسقطوه إلى الأرض. ويقال أيضاً إنك إذا ألقيت فيها ملحاً ورماداً فإنه يأتي في عيون الشياطين فيتفرقون وتتلاشى الزوبعة. ومما يقال أيضاً إن عمود الرياح الذي يُرى هم الشياطين، يقفون على أكتاف بعضهم في محاولة لاستراق السمع من السماء. والملاحظ أن جميع هذه الأقاويل التي لا أصل لها تربط هذه الزوابع بالجن والشياطين وفي بعضها نلمح أثر الإيمان بما ورد عن استراق السمع. وعادة ما تهب هذه الزوابع في فصل الصيف وخاصة في كنة الثريا لذلك يوصف الإنسان سريع الاستثارة وسريع الرضا بمعصير كنه.

ويذكر الناس سنة لوفة التي ثارت فيها دوامات هوائية وأعاصير شديدة أعقبتها رياح لمدة سبعة أيام أهلكت الزروع



إعصار على شكل دوامة، ممتلئ بالأتربة والعوالق

والمواشي في حوالي شتاء سنة ١٣٤٠هـ والبادية يسمونها المخليه لأنها أخلتهم من مواشيهم.

ويقال ريح خَرْقَاء ورياح حَوَاشِك ومُشْتَكِرة ومُتَذَئِّبَة إذا كانت متقلبة في وجهتها. كما يقال تشغربت الريح إذا التوت في هبوبها.

الرطوبة

يطلق العرب على الرياح الرطبة عدة أسماء فيقال: البَلِيْل والصّراد، للتي فيها



بَرْد وندى. والنَضيْضَة الـتي تنض بالماء فيسيل. والمعصرات التي تأتي بالمطر قال تعالى ﴿وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجا﴾ (النبـأ: ١٤). والشفان والهلاب الـريح الباردة مع المطر. والدَّمَق الثلج مع الريح. والنِفْيَان هو الرذاذ المتطاير مع الريـح إذا اشتد المطر. وتختلف درجة رطوبة الرياح اختلافاً كبيراً، فأحياناً يكون الهواء رطباً ندياً لدرجة نستطيع أن ندركها بحواسنا حيث يمكنـنا أن نميز الهواء الرطب من الهواء الجاف برائحـته وبما يتركه الهواء الرطـب من أثـر علـى سطـح الأرض وأشجارها وأسطح الأجسام التي تتعرض له. وهذه الرطوبة فـي الهواء مصدرها الرئيسي البحار والمحيطات والمسطحات المائية التي ينطلق منها بخار الماء، فتنقله الرياح التـي تمر عليها إلى حـيث يشاء الله. وتختلف كمية البخار التي في الهواء من مكان إلى آخـر حسب عدة عوامل منها درجة القرب والبعد عن المسطحات المائية، واتجـاه الرياح وسرعتها ودرجـة حرارتـها. فالـهواء، شأنـه شأن المواد الأخرى، يـتمـدد بالحرارة ويـنكـمش بالـبرودة وتـتغير كثـافته طـبقاً لـذلك فتنـخفض إذا ارتفعـت حرارته وتمدد، وترتفع إذا انخفضت حرارته وانكمش. ويتيح تمدد الهواء وتباعد جزيئاته بعضها عن بعض مجالاً لعدد أكبر من جزيئات الماء المتبخرة لكي تتخلل فيما بينها. لذا فالهواء الحار له قدرة أكبر من الهواء البارد على حمل بخار الماء.

والهـواء عرضة للـتغيـر في درجة حرارته. فإن حدث أن كتلة مـن الهواء الدافـىء المحمل ببـخار الماء تـعرضت لانخفاض فـي درجة حرارتها، نتـيجة لتحركها إلى مناطق باردة، أو لأي سبب آخر فإنها تبرد وتبدأ بالانكماش فتتقارب جزيئات الهواء فيها، وتطرد ما بينها من جزيئات بخار الماء التي تأخذ في التجمع والتكاثف حول نويات من العوالق الهوائية الدقيـقة أو على أسطـح الأجسام التي تلامسها بأشكال مختلفة. فقد تظهر على شكل قطرات من الندى أو على شـكل ضباب بالـقرب من سطح الأرض، أو على شكل سحب أكثر ارتفاعاً لا تلبث، عندما تصبح الظروف مواتية، أن تسقط مطراً.

الندى. وهو قطرات دقيـقة من الماء تتكـاثف على أسطـح الأجسام الباردة الصقيلة مثل أوراق الأشجار والصخور والسيارات والزجاج وما شابهها. تحدث هذه الظاهرة في الصباح الباكر بعد ليالي الصحـو حيث تقل السـحب والعوالق الهوائية التي تحفظ على الأرض حرارتها




خلال الليـل، مما يؤدي إلـى انخفاض درجة حـرارة سطح الأرض بالإشـعاع حيث تبلغ أدنى مستوى لها قبيل طلوع الشمس. فإذا لم تكن هناك رياح شديدة فإن الطبقة السفلى من الهواء، مع طول ملامستها لسطح الأرض، تبرد في ذلك الوقت. فإذا انخفـضت درجة حرارتها إلى ما دون نقطة تكوّن الندى، فإن بخار الماء المحمول فيها يبدأ بالتكاثف والتجمع في قطرات من الماء على أسطح الأجسام التي يلامسها.

ولا يتـكون الـندى فـي كل ليـلة تنخفـض فيها درجات الحرارة، ولـكن تَكُّونه يعتمد على مقدار الانخفاض في درجة حرارة الهواء وعلى رطوبته النسبية، أي على كمـية بخار الماء التي يحـملها الهواء فعلاً مـنسوبة إلى الكمية الكـلية التي يمكنه حملها عند هذه الـدرجة من الحرارة ويطلق على زيادة رطوبة الـهواء اللدونة واللقونة والوغرة. فالهواء عندما ترتفع حرارته يتمدد، وتزداد السعة المتاحة فيه لحمل بخار الماء، وعندما يبرد يحصل عكس ذلك. هذه السـعة المتاحة قد لا تكون مملوءة ببخار الماء بكاملها، بل أحياناً بنصفها فـقط، وحينئذ نقول إن رطوبة الهواء النسبية = ٥٠٪ وقد تكون أقل من ذلك أو أكثر. ويعني هذا أن الهواء يحمل فقط نصف كمية بخار الماء التي يمكنه أن يحملها عند درجة حرارته التي هو عليها. أي أن السعة المتاحة في الهواء مملوء نصفها ببخار الماء، والنصف الباقي خِلْو. فعندما يبرد الهواء تبدأ السعة المتاحة فيه لحـمل بخار الماء بالتناقص بسبب انكماش حجمه وتقارب جزيئاته. فإن كانت هذه السعة مملوءة بكاملها ببخار الماء تكون الرطوبة النسبية ١٠٠٪ ويكون الهواء حينئذ مشبعاً بـبـخار الماء. وأي انخـفاض في درجة حرارتـه بعد ذلك سـيؤدي حتـماً إلى حدوث التكاثف. أما إن كانت الرطوبة النسبية للهواء أقل من ١٠٠٪ فإن هـذا يعني أن الهـواء يمكن أن يحتمل مزيداً من البخار، ولكي يحدث التكاثف لابد أن تنـخفض درجـة الحرارة انـخفاضـاً ينكمش به الهواء فلا يقوى على حـمل البخار فيبـدأ بالتكاثف. وفي كثير مـن الأحيان تكون السـعة المتاحة في الهواء مملـوءة جزئيـاً ببخار المـاء، ولا يكون انخفاض درجـات الحرارة كبيراً بدرجة تكفي لحدوث التكاثف وتكوّن الندى.

وفي بـعض الحالات تـنخـفض درجة الحرارة إلى ما دون مستوى التجمد قبل أن يبدأ البخار بالتكاثف، فيتكون الصقيع الناتج عن ظاهرة التسامي وهو تحول بخار الماء مباشـرة إلى ثلج دون مروره علـى





قطرات الندى على النبات في الصباح الباكر

الحالة السائلة، كما أنه يمكن أن تتجمد قطرات الندى بعد تجمعها على أوراق النبات.

ولمّا كان الندى ناتجاً عن ملامسة الهواء الرطب لسطح بارد، فإنه يكثر فقط في الطبقة الدنيا من الهواء القريبة من سطح الأرض. لذلك نلاحظه على العشب والأوراق السفلى من الأشجار أكثر من الأجزاء العلوية من الأشجار الكبيرة والأسطح المرتفعة مثلاً. قال أبو تمام:

من كل زاهرة ترقرق بالندى
فكأنما عين عليه تحدَّرُ
تبدو ويحجبها الجميم كأنها
عذراء تبدو تارةً وتخفَّرُ
صنع الذي لولا بدائع لطفه
ما عاد أصفرَ بعد إذ هو أخضرُ

والعرب تقول إن العلة في الريح والثلج والجليد والمطر واحدة، وهي أن الشمس إذا مرت بموضع نديّ أثارت بخاراً بحرارة مرورها. فإذا كَثر ذلك البخار وتباعدت الشمس عن ذلك الموضع الذي ثار منه البخار استقبل ذلك البخار البرد الذي هو فوق الأرض فرده إلى الأرض فتكاثف بالعصر فصار ماء فانحدر. فإن كان ذلك المنحدر شيئاً يسيراً صغير الأجزاء سمي ندى، لذلك تكون الأنداء في الشتاء وفي الليل أكثر لكثرة برودة الهواء وضغطها البخار الرطب إلى




الأرض. وإن كان المنحدر كثيراً سمي مطراً. فالفرق بين الندى والمطر أن الندى بخار انحدر إلى الأرض من دون السحاب وأن المطر انحدر من السحاب. وإن كان الذي يصعد من البخار يسيراً، وكان الذي هجم عليه من فوق شديداً جداً صير ذلك البخار جليداً. وإن كان ذلك البخار كثيراً وكان الذي هجم عليه شديداً جداً صار ذلك البخار ثلجاً. ففرق ما بين الجليد (الصقيع) والثلج (البرد) خصلتان؛ إحداهما كثرة البخار وقلته كما بين المطر والندى. والخصلة الأخرى أن الجليد إنما هو بخار جمد في الهواء لا في السحاب والثلج بخار جمد في السحاب (الأصفهاني د.ت. ج٢: ١١٢).

والطل هو أثر الندى في الأرض أو هو الندى الذي يخرج من عروق الشجر إلى غصونها. وقيل إن الطل أخف المطر وأضعفه وهو فوق الندى. قال الشاعر:

مثل النقا لبده ضرب الطلل

ويتكون الطل إذا تصاعدت بخارات من الموضع السفلي فغلظت من البرودة ينزل الشيء الذي يغلظ لما فيه من الثقل. والضريب والصقيع والجليد والسقيط، تخرج من سماء جرداء لا غيم فيها. ويقال «غمق يومنا» إذا كثر نداه، و«يوم خدر» إذا كان نديّا. ويقال «يوم ثئد» لأن الثأد هو الندى عندهم. والخضل كل شيء يترشرش نداه. والسّدى هو الندى أول الليل. قال ابن منظور: السدى: ندى الليل وهو حياة الزرع. وسَديَت الأرض إذا كثر نداها من السماء كان أو من الأرض. وقلما يوصف به النهار، وقيل السدى والندى واحد. والدمق يكون إذا جمد الطل بالبرودة وهو يتكون من جمود بخار الماء قبل أن يتجمع فيصير ماء (ظاهرة التسامي). والسبب في بياض الدمق ما يداخله من الهواء. قيل لأعرابي: ما أشد البَرْد؟ قال: إذا كانت السماء نقية، والأرض ندية، والريح شامية. وتسمى الليالي التي يحدث فيها ذلك عند أهل البوادي «جِرْد». وقيل لآخر: ما أشد البرد؟ قال: إذا صفت الخضراء، ونديت الدقعاء، وهبت الجربياء. والخضراء هي السماء، والدقعاء هي الأرض، والجربياء الريح التي مهبها من الشمال والدبور.

والعامة اليوم يعرفونه باسمه ندى، وقد يقال له «طُفَل» بتفخيم اللام. ولعل من أطرف التسميات له «حليب نجوم»، وفي هذه التسمية إشارة إلى أنه يحدث في ليالي الصحو التي ترى فيها نجوم السماء حيث تنخفض درجة حرارة سطح



الأرض بالتبريد الإشعاعي طوال الليل، فتكون أبرد ما تكون في الصباح الباكر قبيل شروق الشمس. فتبرد طبقة الهواء الملامسة لسطح الأرض لدرجة تسمح بحدوث التكاثف على شكل ندى. وهو يحدث أكثر ما يحدث بعد المطر، وترتفع نسبة الرطوبة في الهواء.

ويتفاءل الناس بالندى ويرون أنه أنفع للنبات من السيل لأنه يرطب النبات ويرطب الأرض ولا يقشرها. وإذا انخفضت درجة الحرارة إلى ما دون مستوى التجمد، فقد يتكون الندى متجمداً أو يتجمد بعد تكونه، وهو ما يعرف بالدمق ويسميه العامة حَلِيْت وسِقِيْط وفي بعض المناطق يسمى ضِرِيْب، ومنه ما يسمى في عسير المليحاء وهي طبقة بيضاء من الندى المتجمد تكسو سطح التربة صباحاً، ويسمى في غامد وزهران جليداً.

الضباب. يتكون الضباب في الطبقة السفلى من الهواء القريب من سطح الأرض بما لا يتعدى ارتفاعه من ١٠-٣٠م فوق سطح الأرض. وهو ناتج عن العوامل نفسها التي يحدث بسببها الندى. فيحدث في الليالي الصحو التي يبرد فيها سطح الأرض كثيراً، فيبرد بذلك الهواء الملامس له. وبخلاف الندى الذي يستلزم حدوثه سكوناً تاماً للتيارات الريحية، يتطلب حدوث الضباب غالباً رياحاً خفيفة لا تتعدى سرعتها ٣م في الثانية بحيث تكفي لتحريك طبقة الهواء البارد الملامس لسطح الأرض مباشرة ونقل البرودة إلى ما فوق السطح ببضع عشرات من الأمتار. وإذا ازدادت سرعة الرياح عن ذلك، فإن الهواء لا يمكث قرب السطح الفترة الكافية لانخفاض درجة حرارته وحدوث التكاثف وتكون الضباب. وأكثر ما يحدث الضباب في المناطق المنخفضة والأودية حيث ينساب الهواء البارد الكثيف من التلال المحيطة إلى أسفل الوادي حيث حركة الرياح أضعف ما تكون.

وقد يحدث الضباب نتيجة لتحرك كتل هوائية باردة أو دافئة فوق أراض دافئة أو باردة. ولا يلبث الضباب أن يتشتت بعد شروق الشمس بالتبخر حين تبدأ درجة حرارة سطح الأرض بالارتفاع التدريجي، وبالتالي ترتفع درجة الهواء الملامس لها. ولا يتأخر تشتته بعد شروق الشمس طويلاً إلا في حالات الضباب شديد الكثافة. والعرب تقول: إذا علا البخار الرطب وبلغ إلى الموضع البارد والجبال، دفعه البرد إلى أسفل فاحتقن هناك، وصارت الجبال القريبة منه كالمغارات وتكاثفت



الضباب

أجزاؤه فيتكون منه السحاب والضباب والندى على قدر اختلاف البخار الذي يصعد (الأصفهاني د.ت. ج٢:٦:١٠٦).

وجاء في المخصص أن الضباب ندى كالغيم، وقيل هو السحاب الرقيق يغطي السماء وقد أضب الغيم وأضبت السماء. والضبب تغطية الشيء، ومنه اشتقاق الضباب لتغطيته الأفق.

ويكنيه العامة في بعض نواحي نجد أبو قُبَيع أو أبو قْبَيس بسكون القاف وتفخيم الباء. وهم يستبشرون برؤيته ويعتبرونه من دلائل الخير، ويقولون في المثل: إذا قَبّعَت رَبَّعَت. كما يكنى أبو رَابِض وأبو صُوَاب. قال الشاعر خضير الصعيليك الشمري:

ما ينفع العطشان طار الرواوي
ولا ذكر أبو رابض يروّى النجوع

وفي البوادي قد يسمى البقيع. كما يكنى في المنطقة الشرقية بومريخ وأبو رغاب، وفي تهامة يسمى حَيِّر ربما لأنه يتكون في الليالي التي يسكن فيها الهواء وتضعف حركته. وهم يدركون أنه لا يأتي إلا حيث ترتفع نسبة الرطوبة في الهواء عقب الأمطار، وأنه ينقشع بعد ارتفاع الشمس. والطفل: هو السحاب الذي ينزل إلى الأرض بعد المطر الغزير أما في الشمال فإن الطفل يطلق على الطل. يقول علي بن سالم الهويملي:

لى نزعنا بها من ديرةٍ صوب ديره
حيرانها مثل الطفل في نحورها



وقد لاحظوا أنه إذا كان الضباب كثيفاً فإنه قد يرتفع بعد طلوع الشمس مكوناً طبقة من سحاب خفيف يسمى جفيل قال الشاعر:

أصبحت حلم الليل مثل الجِفِيْلِ
تقطّعه شمس الضحى لو تَعَلاّه

وقبائل الرولة يرون الضباب يكثر في المنخَفِض من الأرض من الأودية ونحوها فيظنونه من عمل الجن ويصيحون به «ياباقباس عنك الثعلب» معتقدين أنه يتفرق عند تخويفه بالثعلب. وفي جبال الحجاز (السروات) يكثر الضباب في موسم الشتاء ويسمى بالرابضة لأنه يربض على الأرض ويسمى أيضاً بالضريبة والعَامِيَة لأنه يحد من الرؤية ويبلغ مداه في المرتفعات المطلة على تهامة والمسماة الشعاف التي تكثر فيها أشجار العرعر والزيتون.

السحاب. وهي شكل من أشكال التكاثف التي تحدث بعيداً عن سطح الأرض نتيجة لارتفاع الهواء المحمل ببخار الماء، ومن ثم انخفاض درجة حرارته إلى الحد الذي يسمح بتكاثف بخار الماء حول نويات التكاثف من الهباء المتطاير في الهواء.

ولسكان شبه الجزيرة العربية في وصف السحاب وتشبيهه والتغني به باع طويل، ورصيد تراثي غزير متداول في الحواضر والبوادي يمتاز بالفصاحة والبلاغة والسهولة. روي عن رسول **الله** ﷺ أنه كان يوماً جالساً مع أصحابه إذ نشأت سحابة، فقالوا: يارسول **الله** هذه سحابة، فقال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها! قال: وكيف ترون رحاها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها! قال: فكيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استقامتها! قال: كيف ترون برقها: أوميضاً أم خفواً، أم يشق شقاً؟ قالوا: بل يشق شقاً، قال: الحيا. فقالوا: يارسول **الله** ما رأينا الذي هو أفصح منك، فقال: وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني، لسان عربي مبين.

وحفلت اللّغة العربية بأسماء متعددة للسحب وصفاتها، والسحاب واحدته سحابة، والغيم جمعه غيوم والغمام واحدته غمامة، وهي الغراء البيضاء. قال الشاعر:

والغيم كالثوب في الآفاق منتشر
من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمتا لا فتق فيه فإن
سالت عواليه قلت الثوب منفتق
إن معمع الرعد فيه قلت ينخرق
أو لألأ البرق فيه قلت يحترق




والمزن وواحدته مزنة، ومنها الغماء وهي السحابة السوداء، ريا بالماء. وتسود السحابة لكثافتها فتمنع مرور أشعة الشمس من خلالها وكلما ازدادت كثافة زادت سواداً والعكس صحيح فتزيد بياضاً كلما قلت كثافتها إلا الأطراف المقابلة لأشعة الشمس فتكون بيضاء حتى وإن زادت كثافة فترى البياض في السحابة صباحاً جهة الغرب وعصراً جهة الشرق، وتسمى الأجزاء البيضاء المرتفعة كأنها الجبال من السحابة النُصوب ومفردها نصب.

وأول ما ينشأ السحاب فهو النشء ويسمى عند العامة النشا (بالمد) والنشو وإذا ظهر في السماء قيل أنشت. قال الشاعر:

يالله اليوم يامنشي رزين الغمام
ربٍّ ترجع لدارٍ قد عوى ذيبها

والقنوف من أسماء السحاب العظام. يذكره محسن المسعري في قصيدة عن مطر غزير وجد الرواد أثره في الهجال:

دارٍ من الوسمي تملّت هجالها
لفوهم طوفهم عقب ما دوّجوا بها
لفوهم وقادوهم وينقاد نوّهم
على ديرةٍ طوّافهم قد مشوا بها
تزبّر من المنشا قنوفه وحدّرت
تكاشف بروقه والرعد في عقابها



منشأ السّحاب



فإن اعترض في الأفق فهو العارض: ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ (الأحقاف: ٢٣). والجلب أبعد وأضيق من العارض وهو إلى السواد. فإن سد الأفق فهو السد فإذا أظل الأرض فهو الدَّجْن. وقال طرفة بن العبد:

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الخباء المعمد

ويسمى أيضاً خيال وهو من قولهم سحابة مخيلة، ويقال خيَّلت السماء. وقال الشاعر عبدالله الثميري:

ياسحابٍ على المشقر مخاييله
عل يسقي غروسٍ ناشفٍ ماها
كود يفرح به الفلاح والعيله
ويجتمع شمل الاسره عقب فرقاها

ويسمى رايح. قال الشاعر:

ياالله اني طالبك رايح
من حقوق المزن تنشي به

وقال آخر:

يالله انا طالبك من رايحٍ تالي
سيله على محمل العارض يخيلونه

ويسمى نَوّ من النوء، خاصة إذا كان ممطراً. قال الشاعر عبدالله بن غصاب:

هاض ابن غصاب برقٍ له رعود
نازيٍ نوِّه وغادٍ لَّه ضباب

وقال آخر:

ياالله بْنَوٍّ مِظْلِمٍ كِنّه الليل
تضحك مقاديمه وتبكي عقابه
يسقي ديار اللي عبا المسك والهيل
اللي مضيّعه الطغا في شبابه

ولمحسن الهزاني:

ياالله بنوٍّ مدلهم الخيالا
مقدم سحابه فيه مثل المها الزرق

وقد يقال للسحابة الصغيرة نوة.

والعرب تقول لأول نشء السحاب إذا كان صغاراً متفرقاً يتطاير في السماء الطخارير، كما يسمى القزع، ففي صحيح البخاري «ما نرى في السماء من قزعة». والعامة تقول عنها قزعة أو نداير سحب، ويقال له النشو كما يسمى السدا. فإن كانت كثيرة متدان بعضها من بعض فهي النمرة، وتقول البادية خيال رخيل، وهي من علامات الغيث. ومن أقوال العرب المأثورة: أرِنها نَمِرَة أُرِكْهَا مَطَرَة. ومثله ما يردده الناس اليوم: إلى رَقّطت نَقّطت. ويقولون «نداير السحب» لقطع السحاب المتفرقة، واليعاليل: قطع بيض من السحاب. والسماحيق مثلها إلا أنها رقاق ممتدة. أما الغيم الأحمر في الأفق فيسمى العصب، والناس يسمونه اليوم الكرار. والبرص: فتوق في الغيم يرى منها أديم السماء والبادية تسميه فتوق. وإذا تجمع السحاب وتراكب بعضه فوق






فتوق في السّحاب



خشوم المزن

بعض تسميه العرب المكفهر، فإن كان ثخيناً متراكماً فهو الكَنَهْور. قال الأصمعي: هو قطع من السحاب البيض أمثال الجبال. فإن خالط لونه سواد أو حمرة فهو محمومي، والمزن مثله قاعدته منخفضة قريبة من الأرض وأعاليه شديدة الارتفاع شديدة البياض يظهر في السماء قطعاً أو مجموعات مرتبط بعضها ببعض، ثخين غزير المطر بإذن الله، له بروزات ونتوءات في أطرافه تسميها العامة «خشوم المزن». قال ابن شريم:

يوم استوى للبرق مثل الذخاير
وأصبح لمزنه عقب سيله صبير

والصبير هو الحافة والحد. وقال آخر:

كريم يابرقٍ سرى يشعل اشعال
بالمزنة اللي قام يرزم رعدها

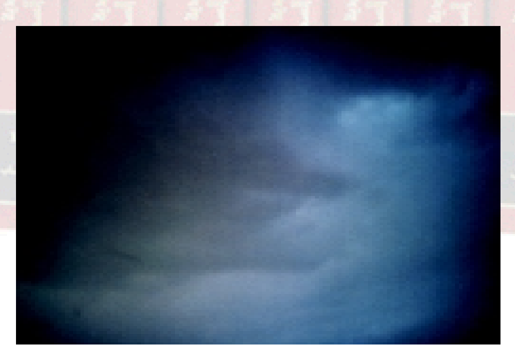
وصف البرق هنا بالإشعال، ووصف الرعد بالإرزام. والإرزام في لسان العرب هو صوت الرعد إذا اشتد. وفي معلقة لبيد:

من كل سارية وغاد مدجن
وعشية متجاوب إرزامها

وإذا كان السحاب داكناً فهو الأدهم ويقال له: المظلم وإذا كان كثيفاً أسود متراكماً مترابطاً قيل عنه مدلهم. قال الشاعر:

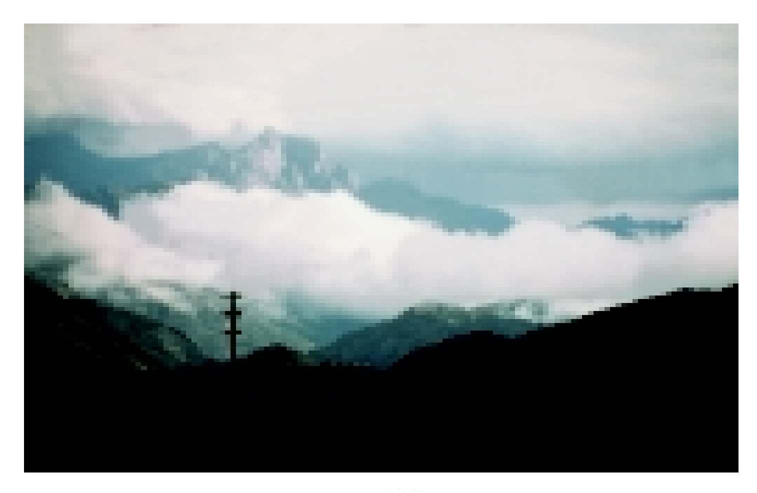
يالله يا محيي الهشيم
من مدلهمات المزون

وقال آخر:



سحاب مدلهم





سحب طوال بيض (النشاص)

سقاها الـولي من مدلهم الـى انجالى
ربابـه كمـا وصف المـغاتيـر مركـيه

ومنـه الغمام (يـنطق عنـد العامة بتفخيـم الميم). والنشاص هو الطوال البيض المرتفع بعضه فوق بعض. قال الشاعر:

بل الـبرق يبـدو في ذرى مـن دفائه
يضـيء نشاصا مـكفـهر الـغوارب

وقال آخر:

فـلـما رأونا بـالـنـسار كـأنـنا
نـشاص الـثريـا هيـجتـه جـنوبـها

وقد ذكر الشاعـر محمد بن لعبون أسماء السحاب في صورة بديعة:

يِـفْتَـلّ نـدّاف الطـهـا من طـبـوقه
مـثـل الـنـعـام ان ذيّـره زول تـقّاق
تـرفا مـريـضات الـنسايم فْـتـوقه
لجـبٍ عسـى ما فـي نويّـه بتـعيـاق
يـسوقـه الـغـربي والآخـر يـعوقـه
مـترادفٍ مـبـنـاه طاقٍ عـلـى طـاق

وقال شاعر شعبي:

يا مـرقبٍ جاك من الامـطار همالـي
نصـوب صيفٍ من المـنشا يـهل بهـا

والمقصود بالمنشا هنا منشأ السحاب المطر وهو القبلة والعرب تسميها العين. والسحـاب الكثير الماء يـسمى الحَمَل. ويقال لـه مُسْجَهِرّ إذا كان يـترقرق منه الماء. والسحابة الخَلـوج، الكثيرة الماء. والخسيف سحاب يـنشأ في القبلة كثير الماء. وإن كان السحاب عالياً فهو معنونك ومستقل. وإن كان منخفضاً فهو حَبِيّ. وهيدب السحاب هو ما يتدلى منه مثل هدب القطيفة فتراه يتسلسل منه ودقا إلى الأرض. وعثنون السحاب هيدبه إذا جر الغبار وأفانينه أوائله.



نصوب سحاب

والسحاب الذي لا ماء فيه يطلق عليه الجَهَام والجَفَل، والنفيض وهو سحاب خفيف سريع يرى غالباً بعد السيول، ويستدل به على وقوع المطر في الجهة التي جاء منها. ولأنه أسرع من السحاب في حركته، ولأنه يتحرك باتجاه معاكس لاتجاه السحاب فإنهم يقولون إنه سحاب أفرغ ماءه ويعود بسرعة ليتزود بالماء لذا يسمى أحياناً الروّايات، وقد يسمى الحُوْم فيقال في المثل: إذا عقَبَ الحوم الحوم بَشِّرْ العامل بالنوم، لأنهم يعتبرونه من دلائل سقوط المطر فلا يحتاج عامل المزرعة أن يسقيها. ويقولون في المثل: فلان مثل سحاب الحوم. قال الشاعر:

سقى دارهم نَوٌّ من الحوم
تَمَلَّتْ منازلهم هجالِ

وقد يتكون منه ما يعرف عند العامة بالقِرّ وهي قطع صغار تأتي في غب المطر، وقد تكون مصحوبة ببرد شديد. ومنه السّدى وهو سحاب خفيف شفاف يرى غالباً فوق السحاب، وقد يحجب جزءاً من ضوء الشمس إذا كان كثيفاً. وقال ابن منظور إنه ندى السماء. وأحياناً يرى فوق المزن فيستدل به على المطر. والهزمة والجلب والصرار والهف والسيِّق كلها سحاب خفيف لا ماء فيه تسوقه الريح وتقول البادية أفهى السحاب أي تفرق. وهناك فرق بين الهزمة والهزيم وهو السحاب الذي لرعده صوت شديد. قال الشاعر:

سقى نجدا وساكنه هزيم
حثيث الودق منسكب يماني



والرَّبَاب والعامة ينطقونها الرُّباب (بتفخيم الباء) هي قطع بيضاء أو سوداء تكون تحت السحاب ويستدل بها على المطر. قال الشاعر:

كأن الرباب دوين السحاب
نعام تعلق بالأرجل

وقال شاعر شعبي:

لين امطرت ذي ساق ذي ارعدت ذي
سنا ذي لهذي غارق به ربابها

ويقابله الغِفَارة وهو السحاب فوق السحاب. كما يطلق على السحاب الغسام والغطاط والغطلس وهو السحاب المترابط الذي يحجب السماء. والحقوق هي السحابة الممطرة وبرقها كاشف ورعدها له حنين وقوة. قال عبدالعزيز السويح:

ضحوكٍ حشوكٍ غَمْض الى ناض بالدجا
عريضٍ مريضٍ فوق نايف ضلوعها
حقوقٍ صدوقٍ كن تكاشف بروقه
قناديل مكه يوم شبت شموعها
لكن حنين الرعد في مدلهمّه
خلجٍ تبي حيرانها في وقوعها
ولكن ربابه حين ما ينشر السدا
ريلان جقّلها الونس من تلوعها
نهاره يشادي ليل في مظلم الدجا
وليله نهارٍ من تكاشف لموعها

وقال محسن الهزاني:

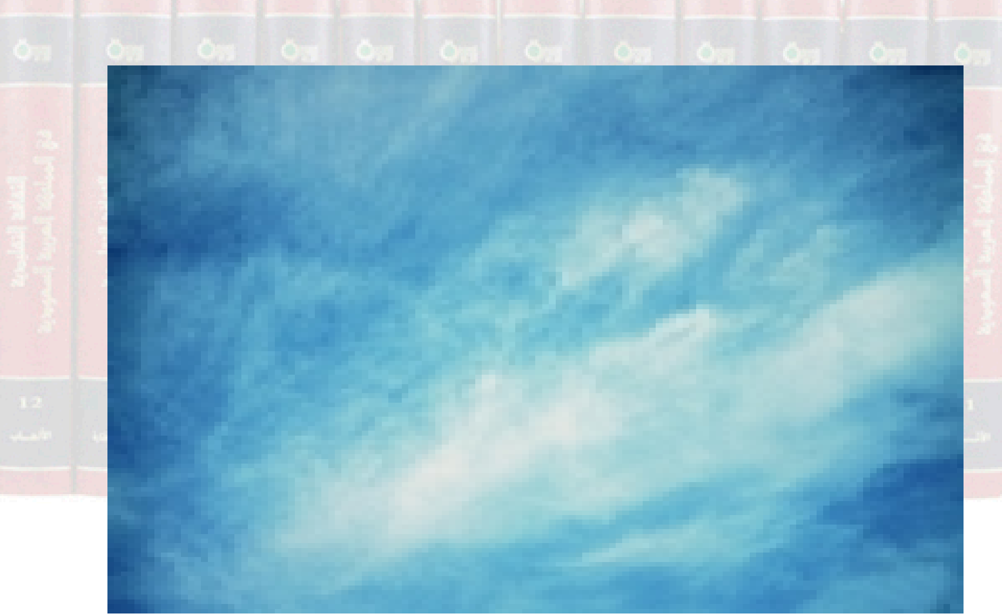
سقاها الحيا في ليلةٍ بعد ليله
من المزن هتّانٍ حقوق الروامع

وقد استغاث الشاعر المشهور محسن الهزاني بأبيات وصف فيها أنواع السحب والأمطار؛ ومنها قوله:

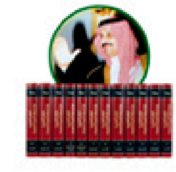
يامجيب الدّعا يامتمّ الرّجا
اسألك بالذي ياإلهي نزل
واسألك غادي مادي كلمّا
لجّ فيه الرّعد حلّ فينا الوجل
وادقٍ صادقٍ غادقٍ ضاحكٍ
باكيٍ كلما ضحك مزنه هطل
المحثّ المرثّ المحنّ المرنّ
هاميٍ ساميٍ آنيٍ متصل
به يحطّ الحصا بالوطا من علا
منحوٍ بالرفا والغثا بالشّلل
اسألك بعد ذا عارضٍ رايحٍ
كنّ طقة مثاني سحابه طبل
كنّ مزنه إلى ما ارتدم وارتكم
في مثاني السّدا دامرات الحلل
ناشيٍ غاشيٍ سداه فوق السها
كنّ مقدم سحابه يجرجر عجل
مدهشٍ مرهشٍ مرعشٍ منعشٍ
كنّ لمع برقه سيوف هند تسل
دايرٍ حايرٍ عارضٍ رايحٍ
كل من شاف برقه تخاطف جفل
أدهمٍ مظلمٍ موجفٍ مركمٍ
جور مائه يعمّ الوعر والسّهل

كـلّمـا اختـفق واصـطفـق واندفـق
استـهل وانـتهـل وانهـمل بـالهـلل
حـينـمـا استـوى وارتـوى واقتـوى
واسـتقـلّ وانتـقل اضـمحـلّ المحل
والفياض اخصبت والريـاض اعشبت
والركـايا ارجـعت والمقلّ اسـفهـل
والحـزوم ربعـت والجـوازى سـعت
والطـيور سْجـعت فوق زهـر النّفل
كن وصف اختلاف الزهر في الرياض
تـخـالـف فـرش زوالـى تـفـل
بـعـد ذا عـلـهـا مـرهـش قـالـط
ربـو شهـر سقـى راسيـات النـخل

وعلى الرغم مما يبدو من التنوع غير المحدود في أنـواع السحب فـإنه يمكن تصنيفها حسب ارتفاعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية، هي: سحب عالية وتعلو قاعدتها عن سطح الأرض بستة أكيال أو أكثر. وهي مكونة من البلورات الثلجية. وأنواع السحب التي تحدث عند هذه الارتفاعات هي الـسمحـاق والسـمحاق الـطبقـي والسمحاق الركامي. وسحب متوسطة الارتفاع وتعلو قاعدتها عن سطح الأرض بمسافـة تتراوح بين كيـلين وستة أكيـال والأنواع الـرئيسيـة فيهـا هي الركـامي المتوسـط والطبقـي المتوسط. وسحـب منخفضة ولا يـزيد ارتفاع قاعدتها عن سطـح الأرض بأكثـر من كيـلين ومن أنواعها الطبقي والطبقي الركامي والمزن الطبقي. وهناك أنواع من السحب ذات بناء رأسي بحيث تكون قاعدتها منخفضة



سحاب سمحاق



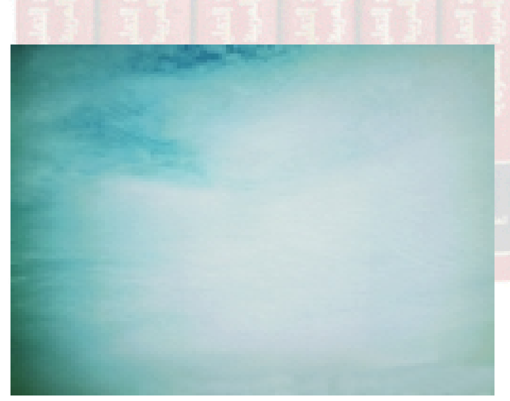
الارتفاع وتمتد قممها إلى ارتفاعات عالية أو متوسطة. ومن هذه الأنواع المزن الركامي والسحب الركامية عموماً. وسنستعرض فيما يلي خصائص وصفات كل نوع من هذه الأنواع:

فالسمحاق هي سحب رقيقة بيضاء ليفية الشكل قليلة السماكة في الغالب حتى إنه يمكن من خلالها رؤية النجوم وزرقة السماء، وأحياناً ترى فيها هالة حول القمر. ويتركب السمحاق من بلورات ثلجية عمودية البناء عادة، درجة الحرارة في الغالب أقل من ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر. ويتكون هذا النوع من السحب في الهواء عندما يرتفع بشكل منتظم مستمر لكن ببطء (١٠-١٥ سم/ثانية) فوق مناطق واسعة، ويحدث هذا غالباً عند تقدم الجبهات التي يلتقي فيها هواء دافئ بهواء بارد فيرتفع الهواء الدافىء، الأقل كثافة، إلى أعلى.

أما السمحاق الركامي فهو سحب بيضاء رقيقة كثيبية الشكل يمكن أن يرى فيها تموجات صغيرة ورقائق قشرية منفصلة، وأحياناً نثائل كروية صغيرة. ويمكن تمييزها عن السحب الركامية المتوسطة برقتها وصغر عناصرها، ويمكن رؤية النجوم والسماء من خلالها. ويتكون السمحاق الركامي في العادة مع السمحاق والسمحاق الطبقي، ويتركب من بلورات ثلجية عمودية أو منشورية البناء ذات درجة حرارة أقل عادة من ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر.

والسمحاق الطبقي صفائح من سحب بيضاء تميل إلى الزرقة، ليفية في بعض الأحيان، يمكن رؤية الشمس والقمر والنجوم الساطعة من خلالها، وتمتاز عن السحب الطبقية المتوسطة برقتها وحدوث هالة حول القمر فيها. ويتركب من بلورات ثلجية على شكل مكعبات أو صفائح. ودرجة الحرارة عادة أقل من ٢٥ درجة مئوية تحت الصفر، ويتكون في الظروف نفسها التي يتكون فيها السمحاق الركامي وهو غالباً يعقبه في تكونه.

والركامي المتوسط الارتفاع هو سحاب أبيض أو رمادي اللون، على شكل كرات كبيرة مفلطحة تفصل بينها زرقة السماء



سمحاق ركامي

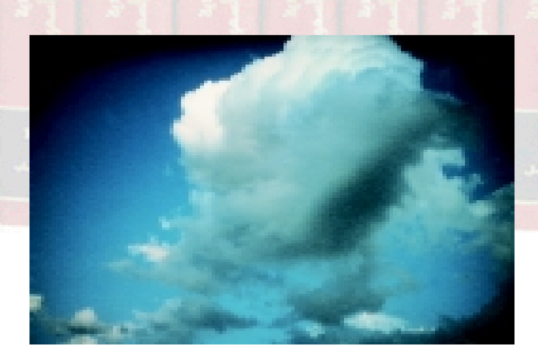




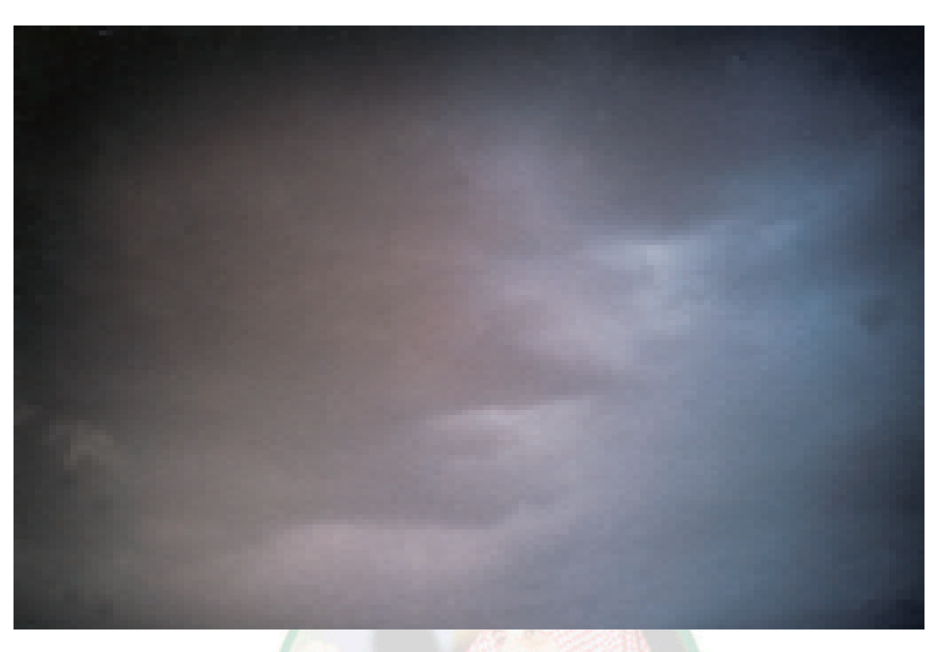
سمحاق طبقي

وقد تكون علـى شكل عدسات. وهذه الكرات غالباً منتظمـة على شكل سطور وموجات، وحينما تخترقها أشعة الشمس أو ضوء الـقمر تـنعكس حولـها هالـة مستديـرة. وهي خليط من قطـرات الماء وقليل من البلورات الثلجية الصفائحية، تتراوح درجة الحـرارة فيه من ٢٥ درجة تحت الصفر إلى الصفر المئوي. ويـتكون هذا النوع تحت الظروف نفسها التي يتكون فيها السمحاق الركامي.

والطبقي المتوسط الارتفاع غطاءات منتظمة من السحب ذات البناء الليفي أو الطبقي، واللون الرمادي المشوب بزرقة، ولا يصل التساقط من هذه السحب عادة إلى سـطح الأرض، ويحـجب قرص الشمس والقمر وإن كان ضوؤهما يخترق هذه السحب. وهو خـليط من قطرات الماء والبـلورات الثلـجية. ويوجـد في الأجزاء السفلى غالباً قطرات المطر والثلج القطني، ويتكون في الهواء الذي يتعرض


سحاب ركامي متوسط





سحاب طبقي متوسط الارتفاع

للرفع البطيء فوق مناطق واسعة. وهو يحدث غالباً في أنظمة السحب المصاحبة للجبهات بين السمحاق الركامي العالي والمزن الطبقي المنخفض.

والطبقي يشبه الضباب إلا أنه أعلى من سطح الأرض، يتكون من طبقات



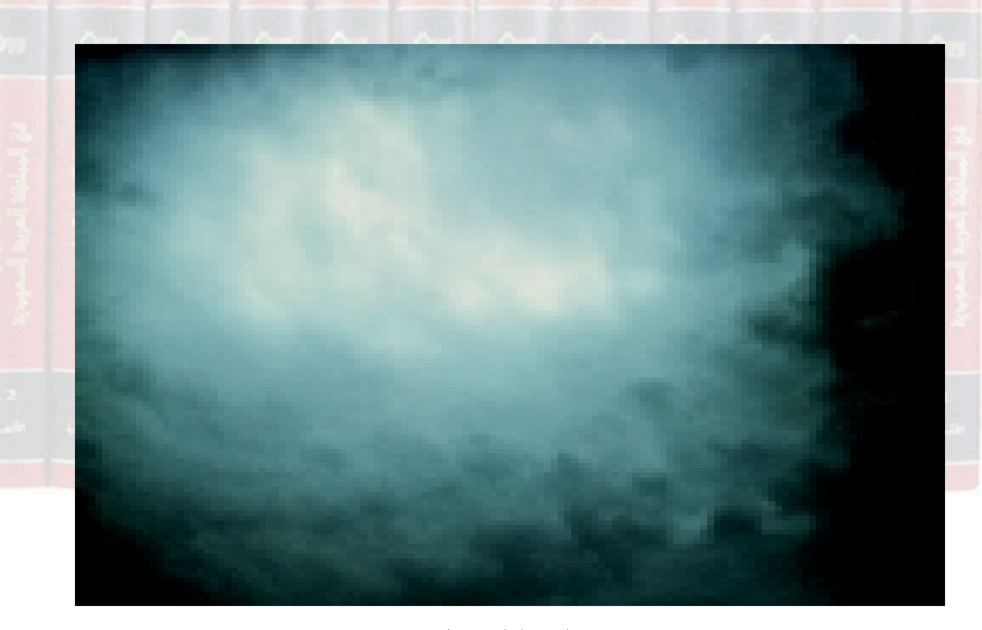
سحاب طبقي

رمادية متصلة لا تأخذ شكلاً مميزاً. ويمكن تمييزها عن المزن الركامي بأنها غير ممطرة، وبالظلال الرمادية الخفيفة التي تعتريها. ويحدث هذا النوع في العادة قريباً من سطح الأرض، ويحجب الشمس والقمر. ويتكون في معظمه من قطرات من الماء، يندر وجود بلورات ثلجية فيه، ودرجة الحرارة عادة أعلى من خمس درجات مئوية تحت الصفر، ويتكون نتيجة تحرك رأسي لطبقات غير عميقة من الهواء الرطب قرب سطح الأرض. وقد يساعد التبريد الإشعاعي لسطح الأرض ليلاً على تكون هذا النوع من السحب في كثير من الأحيان.

والركامي الطبقي سحب رمادية على شكل كتل ممتدة أو كرات ضخمة، وعندما تتصل هذه الكتل ببعضها يبدو السطح السفلي لها مموجاً. يمكن رؤية الشمس والقمر فقط في مناطق الضعف والتحام الكتل بعضها ببعض حيث تكون سماكة السحب خفيفة، غير ممطرة في الغالب، تتكون من قطرات مائية، ويندر وجود بلورات ثلجية فيها. ودرجة الحرارة أعلى من خمس درجات مئوية تحت الصفر. ويتكون الركام الطبقي نتيجة اختلاط غير منتظم للهواء فوق مناطق واسعة يتسبب عن ارتفاع تيارات هوائية صاعدة بطيئة سرعتها حوالي ١٠ سم/ ثانية.

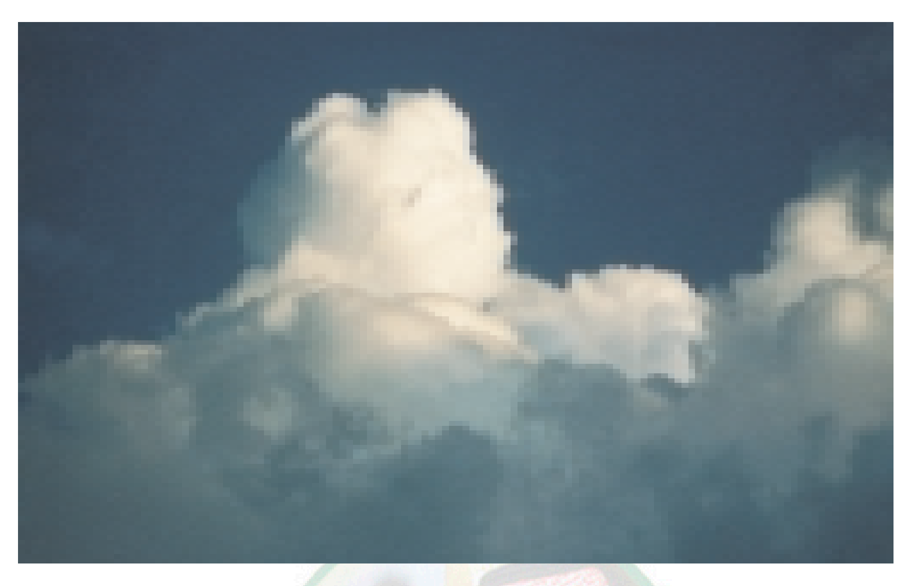
والركامي هو سحاب ذو بناء رأسي كثيف، له قاعدة منبسطة رمادية اللون وقمم قبابية بيضاء اللون، تبدو في شكل كتل منفصلة قريبة بعضها من بعض، تحجب الشمس تماماً، قاعدتها منخفضة الارتفاع بينما قممها عالية الارتفاع. ويتركب من قطرات مائية، وينتج عن ارتفاع خلايا من الهواء الدافىء بسرعة تصل إلى خمسة أمتار في الثانية داخل السحاب ومن متر إلى ثلاثة أمتار في الثانية تحت قاعدة السحاب.

والمزن الطبقي سحب رمادية غامقة اللون ليس لها شكل معين، قاعدتها منخفضة جداً مصحوبة بتساقط مستمر غير كثيف لكنه ثابت في كميته. قاعدتها



سحاب ركامي طبقي





سحاب ركامي

في الغالب شعثاء غير منتظمة. وهي خليط من قطرات الماء والبلورات الثلجية. وينتج هذا السحاب عن ارتفاع منتظم للهواء بسرعة ٢٠سم/ ثانية فوق مناطق واسعة، ويكون مصاحباً لنظم الجبهات الناتجة عن التقاء الهواء الدافىء بالهواء البارد.



سحاب المزن الطبقي

والمزن الركامي هو سحب كثيفة بيضاء ذات بناء رأسي شاهق، قاعدتها غامقة، وأعاليها على شكل أبراج، وقد تكون ليفية الشكل أحياناً. والتساقط منها على شكل زخات مطرية كثيفة مصحوبة أحياناً بثلج أو برد وعواصف رعدية. قاعدتها منخفضة وقممها عالية جداً.

ويتركب المزن الركامي من قطرات مائية في الأجزاء السفلى وبلورات ثلجية في الأجزاء العليا مكونة من خليط من الثلج والبرد. وتكوين هذا النوع من السحب مرتبط بتيارات رفع هوائية قوية سرعتها تصل إلى ١٥متراً في الثانية وأحياناً تتعدى ٣٠متراً في الثانية في الأجزاء العليا من السحابة. وقد تتكون






سحب المزن الرّكامي

على شكل كتل منفردة أو في مجموعات.

ويتردد ذكر المزن الممطرة على ألسنة الشعراء. قال الشاعر محمد بن لعبون:

سقى صوب الحيا مزنٍ تهامى
على قبرٍ بتلعات الحجازِ

وقال مبارك العقيلي الخالدي:

سقى ربعك المانوس من طيّب الحيا
مزونٍ تهاما بالمواهب غوادها

المطر

إن كل السحب تحتوي على الماء، ولكن بعضها يتساقط منه المطر وبعضها الآخر يمر بلا تساقط. وقد ظل السبب وراء تلك الظاهرة مجهولاً لسنين طويلة إلى أن عرف أن السحب مكونة من قطيرات مائية دقيقة جداً متوسط قطر الواحدة منها ٢٠ ميكرومتراً أي ٠,٠٢ ملم. (للمقارنة قطر الشعرة من شعر رأس الإنسان ٧٥ ميكرومتراً). وبسبب دقة حجمها وخفة وزنها فإن هذه القطيرات تسقط نحو الأرض ببطء شديد جداً حتى إن أي تيارات هوائية مهما كانت ضعيفة ترفعها وتبقيها معلقة في الفضاء. ولو فرضنا أن قطيرة بهذه الدقة تسقط نحو سطح الأرض من سحابة ارتفاع قاعدتها ١٠٠٠م، فإنها ستستغرق على الأقل ٤٨ ساعة لكي تصل إلى سطح الأرض. وهذا يعني أنها لن تصل أبداً إليها لأنها حتماً ستتبخر



علـى بعد بـضعة أمتـار أسفل قـاعدة السحابة. ولكي تصل مثل هذه القطيرات إلى سطح الأرض لابد أن يكون حجمها أكبر كثـيراً مما هي عليه، فـقطرة المطر المتـوسطة يـصل قـطرها إلـى ٢٠٠٠ ميكرومتر (مليمترين). وتتكون السحابة من عدة مئات إلى عدة آلاف من البلايين من الـقطرات الصـغيرة (٣٠٠-٥٠٠ قطرة في كل سم٣)، تتنافس كل مـنها للحصول على مزيد من بخار الماء المتاح ليتكاثف حولها، إلا أن نموها بالتكاثف يظل بطيئاً جداً. وقد لوحظ أن السحب يمكن أن تتكون وتبدأ بالتساقط في غضون سـاعة واحـدة، وبما أن قـطرة المـطـر الواحدة، لكي تصل إلى سطح الأرض قبل أن تتبخر بكاملها، يجب أن تحتوي على كمية من المياه أكبر بكثير جداً من تلك التي تحتويها قطيرات التكاثف المكونة للـسحب، لـذلك فإنـه يلزم لحـدوث التـساقط اندمـاج عدد هائـل من هذه القطيرات يكفـي لتكوين قطرات كبيرة من المطـر يمكنهـا أن تصل إلى سـطح الأرض قبل أن تتبخر. وهناك نظريتان تفسران الآلية التي يمكن أن تتجمع بها هذه الملايين من الـقطيرات في قطرات ساقطة مـن المطر، هما: نظـرية النمو البلوري الثلجي التي تنبني على حقيقة أنه في كثير من الحالات تكون الأجزاء العليا مـن السحب مكونة من بلورات ثلجية بينما تظل الأجزاء السفلى سائلة غير متجمدة عـلى الرغم من أن درجة حرارتها أدنى مـن الصفر. وفي وسط السحـابة منطـقة التقاء، تـتلاقى فيهـا البلورات الثـلجية مع قطيرات الماء في المستوى نفسه حيث تساعد بعض التيارات الهوائية داخل السحاب على اتساع نطاق هذا التلاقي. وتأخذ البلـورات الثلجية في النـمو داخل منطـقة التلاقي عـلى حساب القطيرات المائية غير المتـجمدة. وذلك نتيجة لحقيقة فيزيائية هي أن ضغط التشبع حول قطيرات الماء غير المتجمدة أعلـى منه حول الـبلورات الـثلجيـة. وتسمى هذه العملية عملية برجرون نسبة إلى عالم الأرصاد السويدي الذي طورها من أفكار العالم الألماني المعروف فيجنر. وبناء علـى ذلك تستمر هذه البـلورات الثلجية في النمو إلى أن يـكبر حجمها ويثـقل وزنهـا فتـساقط نـحو سطح الأرض. وأحيانـاً تصطدم بغـيرها من البلورات المتجمدة فـتنكسر إلى أحجام صغيرة تأخـذ في النمو من جديد إلى بلورات كبيـرة. وهكذا تتزايد أعدادها وتكبر أحجـامها ويثقل وزنها فيتـسارع تسـاقطهـا نحو سـطح الأرض، وفي




الغالب تذوب مرة أخرى قبل أن تصل إلى سطح الأرض على شكل قطرات من المطر.

وقد سادت هذه النظرية سنوات عديدة بين العلماء على أساس أنها الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يحدث بها التساقط من السحب. إلا أنه لوحظ فيما بعد أن هناك أمطاراً غزيرة تسقط من سحب منخفضة إلى ما دون مستوى التجمد، وبشكل خاص في المناطق المدارية الدفيئة من العالم، مثل مناطق جنوب شرق آسيا ووسط أفريقيا وشمالها وأمريكا الجنوبية والمملكة، مما قاد إلى ظهور النظرية الثانية في عملية التساقط وهي النظرية القائمة على عملية الاصطدام والالتحام بين قطيرات الماء السائل.

والحق أن أول من أشار إلى هذه العملية هم مجموعة من علماء المسلمين يعرفون بإخوان الصفا. وتنص هذه النظرية على أن التكاثف قد يحدث مباشرة حول نويات التكاثف المتباينة الحجم، فمنها الكبار ومنها الصغار التي لا يتعدى متوسط قطرها ٢,٠ من الميكرومتر. ثم إن منها ما هو جاذب لبخار الماء بدرجة أكثر من غيره مثل النويات الملحية. ويبدأ التكاثف حول النويات كبيرة الحجم نسبياً الجاذبة لبخار الماء قبل غيرها، فتنمو في حجمها بدرجة أسرع من غيرها. ونظراً لأن سرعة التساقط تتناسب طردياً مع الحجم، فإن القطرات التكاثفية الكبيرة تتجه نحو سطح الأرض بسرعة أكبر من قطرات التكاثف الأصغر في حجمها المحيطة بها مما يعطيها فرصة أكبر لأن تصطدم بعدد كبير منها وتحتويها فيتزايد حجمها بسرعة إلى أن تبلغ الحد الذي تصل معه إلى سطح الأرض قبل أن تتبخر. وفي كثير من الحالات يكبر حجمها بسرعة كبيرة حتى تصل مثلاً إلى ٥ ملم في قطرها فتسقط نحو الأرض بسرعة حوالي ٣٠كم في الساعة؛ في هذه الحالة لا تصمد قوة الترابط البيني بين جزيئات الماء أمام القوة الناشئة عن الاحتكاك بالهواء، فتنقسم القطرة إلى عدة قطيرات تبدأ كل منها دورة النمو بالاصطدام والالتحام من جديد.

ونظراً للعدد الكبير من مرات الاصطدام والالتحام التي يتوقع أن تحدث لقطيرات التكاثف المكونة للسحب قبل أن تصل إلى الحجم المطلوب للتساقط المطري، فإن هذه العملية أفضل ما تحدث في السحب الكثيفة ذات البناء الرأسي العالي والرطوبة العالية. وتستغرق قطيرة



تكاثف كبيرة نسبياً (٢٠٠ ميكرومتر) ١٢ دقيقة لتقطع سحابة سمكها ٥٠٠م وساعة كاملة إذا كان سمك السحابة ٢٥٠٠م. ويزيد وجود التيارات الهوائية داخل السحابة من طول هذه المدة مما يزيد فرصة نمو هذه القطيرات إلى أحجام أكبر. ولا يتعدى سمك السحب الطبقية الدفيئة عادة ٥٠٠م، والتيارات الصاعدة فيها غالباً خفيفة لا تتعدى عشرة سنتيمترات في الثانية، مما يتيح للقطيرات الساقطة أن تبقى في السحابة لفترة قصيرة تكفي لأن ينمو حجمها إلى حوالي ٢٠٠ ميكرومتر فقط قبل أن تخرج من السحابة ساقطة باتجاه سطح الأرض. وإذا كان ارتفاع السحابة منخفضاً والرطوبة في طبقات الهواء التي بين السحابة وسطح الأرض مرتفعة فإن قطرات بهذا الحجم يمكن أن تصل إلى سطح الأرض رذاذاً وإلا فإنها ستتبخر تماماً قبل أن تصل إلى سطح الأرض.

الاستدلال على الغيث. يقوم المختصون في علم الأرصاد الجوية اليوم بدراسة وتحليل البيانات الواردة إليهم من محطات الارصاد المختلفة وتحليلها بعد توقيعها على الخرائط. وتشتمل هذه البيانات على سرعة الرياح واتجاهها، ودرجة الحرارة، ودرجة الندى، والضغط الجوي، واتجاه الضغط الجوي، هل يزيد أو ينقص، ومعلومات أخرى عن السماء والسحب والتساقط، يتم تجميعها على خرائط على فترات زمنية متتالية طوال اليوم والليلة من عدة محطات تغطي المنطقة بكاملها، ويتم ربطها ببعضها، وبمعلومات أخرى عن طبقات الجو العليا. وبناء عليها يتم تحديد خلايا الضغط المنخفض، ومراحل تطور هذه الخلايا وتحركها، والجبهات المصاحبة لها، إن وجدت، وعمق هذه النظم وسرعة تحركها واتجاهها. ومن حركة التيارات النفاثة في طبقات الجو العليا يمكن التنبؤ، بدرجة كبيرة من الدقة، بالتغيرات المحتملة في طقس المناطق التي يتوقع أن تمر عليها هذه المنخفضات الجوية، أو تتعرض لبعض تأثيراتها الجانبية. ومع ذلك فدقة هذه التوقعات وصدقها تعتمد على عدد من العوامل، أهمها طول الفترة الزمنية للتنبؤ. ففي حين يمكن توقع الطقس المحتمل في منطقة من المناطق خلال الاثنتي عشرة ساعة القادمة بدرجة كبيرة من الدقة، ترتفع نسبة الخطأ في التنبؤات كلما طالت المدة. وذلك ناتج عن أن البيانات التي تبنى عليها التنبؤات هي عرضة للتغير والتبدل السريع. وكذلك عدد محطات الرصد المناخي في

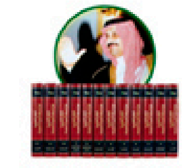



الإقليم أو المنطقة، ومدى شمولية بياناتها وانتشارها المكاني من العوامل المهمة في دقة التنبؤات بالطقس المحتمل.

وقد ساعد تقدم تقنيات الاتصالات على سهولة تجميع عدد كبير من البيانات، تغطي مساحات واسعة من سطح الكرة الأرضية لعدة فترات خلال اليوم والليلة. كما ساعد استخدام صور الأقمار الصناعية كثيراً في عمليات التحليل والمراقبة والتعويض عن نقص البيانات في المناطق التي لا تنتشر فيها محطات الرصد انتشاراً كافياً، مثل البحار والمحيطات والمناطق الصحراوية ونحوها.

ولم يتوافر لدى العرب الأوائل في جاهليتهم وفي عصر صدر الإسلام وما تبعه من عصور، وسائل القياس والاتصال المتوافرة في المراصد الحديثة اليوم. وكانت وسيلتهم في التنبؤ بالمطر بعث الرواد لجس الأراضي ومخايلة السحب. وقد برعوا في تمييز السحب الحَرِيّة بالمطر من غيرها بمراقبة لونها وشكلها وسرعتها وارتفاعها وبرقها. كما ميزوا بين الأماكن المختلفة، وربطوا أمطارها بأوقات السنة. فأدركوا أن بلاد اليمن مثلاً مطرها صيفي، وأن بلاد الشام غالب أمطارها شتوية. وأن نجداً يمكن أن تسقط بها الأمطار في أي وقت من السنة عدا الصيف.

ولما كانت الأرض فراشهم والسماء لحافهم فقد تأملوا في مطالع النجوم ومغاربها، ومنازل القمر بها فجعلوها مواقيت لهم حددوا بها وقت الخروج إلى البوادي، ووقت العودة إلى الحواضر والموارد، وعرفوا بها مواسم المطر وأوقات السنة التي هي مظنة سقوطه من غيرها، والأوقات التي يحمد فيها سقوطه للعشب والكلأ. وقد نمت هذه المعارف على الملاحظة والتجربة والربط والاستنتاج وتوارثتها الأجيال وصقلها مر السنين وتكرار التجارب. ولما امتدت الفتوحات الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وترجمت كتب الأمم والحضارات السابقة إلى اللغة العربية، احتك بهم العرب وعرفوا ما عندهم من علوم. فامتزجت خبراتهم ببعضها، وظهر كثير من المؤلفات عن الرياح والسحب والأمطار والنجوم ومنازل القمر. ورصد الكثير من التراث المتوارث في هذه المجالات في مؤلفات وصل بعضها إلينا والكثير لم يصل. وقد ظل العرب على عادتهم يتوارثون هذا التراث مشافهة جيلاً بعد جيل، فالرعاة في بواديهم، والزراع في مزارعهم يتعلمون من آبائهم بالممارسة والتطبيق،



يتطلعون إلى السماء كل يوم بنجومها وغيومها ورياحها لمعرفة مواعيد النجعة والتبدي ومواعيد البذر والحصاد ومواسم المطر والكلأ والربيع.

ولم تسلم الثروة الفكرية الضخمة التي بنيت على هذه المعرفة، سواء أكانت منظومات أم قصائد أم أمثالاً من بعض الشوائب كلما خبت جذوة العلم وانقطعت الاتصالات وتقوقع الناس. وقد كان شائعاً نسبة الأمطار إلى الأنواء، والاعتقاد بأن سقوط النجوم وطلوع رقائبها هو المسبب للأمطار والرياح، مما ورد في الحديث الشريف إبطاله والنهي عنه. وعلى الرغم من أنهم كانوا يترقبون المطر ويستبشرون به، إلا أنه كانت هناك أوقات وأنواء محمودة عندهم، وأنواء يتشاءمون بها ويعتقدون أنهم إذا مطروا فيها فإن بقية العام ستكون قحطاً. ومن الأوقات التي كانوا يتشاءمون بها في كل شيء، غير المطر، وقت سرار الشهر وهي آخر ليلة أو ليلتين من الشهر. قال الشاعر في امرأة تزوجها ولم يوفق:

أتوني بها قبل المحاق بليلة
فكان محاقا كله ذلك الشهر

كما يروى أن أيام السرار أيام موحشة عند الرولة، ربما لظلمتها وكثرة اللصوص فيها. والعرب لم تحمد سرار الشهر بشيء إلا في المطر، فإنه إذا كان في سرار الشهر رجوا غزارته والكلأ به. قال الشاعر:

تلقى نوءهن سرار شهر
وخير النوء ما لقي السرار

وقال الشاعر:

هاجت له من جنوح الليل رايحة
لا الضب ممتنع منها ولا الورل
في ليلة مطلع الجوزاء أولها
دهماء لا قارح فيها ولا رجل

ولما كان الضب والورل يجعلان جحورهما في مناطق مرتفعة بمنأى عن السيل، فقد أشار الشاعر إلى غزارة المطر ببلوغه الأماكن المرتفعة. وهو يصف ليلة من ليالي الشتاء لأن الجوزاء تطلع في الشتاء من المشرق أول الليل، فإذا كانت في كبد السماء عند غروب الشمس فهو أشد البرد. ومن تنبؤاتهم أنهم كانوا إذا سبق الندى والمطر البرد استحبوا ذلك واعتبروه من علامات الحيا، وأن ذلك العام عام خصب. أما إذا سبق البرد المطر فإنهم يخشون أن يكون ذلك العام عام جدب. ومما لا أصل له أنهم كانوا ينظرون إلى الحرم فإن كان المطر بالباب الذي جهة الشام فإن الخصب ذلك العام سيكون بالشام، وإن كان المطر جهة العراق كان الخصب




بالعراق. وإن كان جهة اليمن كان الخصب ذلك العام باليمن، وإن كان المطر في جميع جهات البيت اعتقدوا أن الخصب سيكون عاماً في جميع البلاد.

وبادية نجد في العادة لا تتفاءل ببدء سقوط أمطار الوسم على تهامة إذ يقول قائلهم:

ياويل نجد من ربيع تهامه

فرد عليه الآخر:

نجد الى اخطاه الخريف يصاف

كما أنهم وبادية الشمال لا يتفاءلون بسقوط المطر في الخريف فإذا سقط المطر قالوا «أصعدت» لأنهم لا يتوقعون سقوط مطر الوسم بعده، والعشب سينبت ويحمس وهو صغير قبل برودة الجو. أما في المرتفعات الجنوبية التي لا تعرف الحر الشديد (٢٠٠٠-٢٥٠٠م) فوق سطح البحر فإنهم يتفاءلون بمطر الخريف ويقولون في أمثالهم «مطر الخريف شحم وريف».

وكان حبهم للمطر وحرصهم عليه مرتبطاً بمصالحهم، لذلك كانوا لا يفضلونه في الأوقات التي يتعارض فيها مع هذه المصالح، أو ينتج عنه فيها ضرر معين، مثل وقت نضج ثمار النخيل عند المزارعين. ومن أطرف ما قيل في هذا المجال قول الشاعر عبدالله اللويحان:

عسى الله يجيب الجراد ولا يجيب المطر
ما دام عندي صليبٍ ما يطقطق سماه
من حد جده الى سيف البحر
راعي المعزا يدوّج ما يحصّل عشاه

والسبب أن لويحان هذا أشار عليه بعض أصحابه أن يستثمر أمواله. فكانت بضاعته من صلائب الحشائش، وهي حشائش تحصد وتجدل في جدائل طوال تسمى صلايب تقتات بها المواشي إلى أن يحين موسم الربيع التالي. ولكن موسم الأمطار والربيع أقبل مبكراً في ذلك العام، ولم يزل عند لويحان الكثير من بضاعته لم يبعها، وهو يعلم أن نزول المطر يعني انصراف الناس عن شرائها إلى رعي أنعامهم في مراعي عشب الربيع الطري، لذلك تمنى تلك الأمنية. إلا أن هذه الحالة وما شابهها تعتبر شاذة، فهم دائماً يسألون الله الغيث ويترقبون المطر ويستبشرون به خيراً. قال الشاعر تركي بن حميد:

يالله يالمطلوب يارايف الحال
يامن له الشكوى على كل حالِ
طالبك نوٍّ تالي الليل هَمَّال
يسقي الرغاب ويمتلن الهجالي
يصبح بها راعي الدِّبشَ طيب الفال
والعسر والمكروه عنه استحالي



وقال آخر:

كـريم يـــابـارقٍ يـنـــوض حـدرى
الـلي سـرى بالـغداري يـقتـدي به
إلـــى وطـا واديٍ خـــلاه يـجـــري
خلـىّ جمـيع الـقبـايل تـرتعـي به

وقال آخر:

يـامـزنةٍ غـرا مـن الـوسـم مـبدار
الـلي جـذبـني مـن بعـيـدٍ رفيـفـه

وقال الـشاعـر حامـد آل مسـاعد الغامدي:

يـالله من مُـزْنـةٍ هـبّت هـبـايـبهـا
فيـها زكـيم الرعـود وبَرْقَـها يْلالَـي
تسـقي بـطون الجبـال مع جـوانبهـا
حتـى يخلي الحـيا والعـشب ميّـالي

وقد استدل العرب على المطر بالرياح، إذ تتـقدمه عـادة رياح مبـشرات يـطول هبوبهـا. قال تعالى ﴿وهو الذي يـرسل الريـاح بشـرى بين يـدى رحمـته...﴾ (الأعراف: ٥٧). وعند أكثـر العرب أن الجنوب من دون غيرها هي الملقحة للمطر. والشمال عندهم تأتي بالبرد وتقشع الغيم وتمحوه، لذا يسمونها محوة. والواقع أن هذا يتفق كـثيراً مع ما نعرفه مـن طبيعة أمطار شبه الجزيرة العربية اليوم، وبشكل خاص الأجزاء الوسطى والشمالية.

كما يستدلون على المطر برائحته التي تأتي بها الريح من بعيـد حتى لو لم ير السحاب ويسمـونه الغثير. قال خضير الدوسري:

شد الـشداد وبار مـنبوز مـن القرى
لوسـميـةٍ جا مـن حيـاها غـثيـرها

كما تمكن العرب من الاستدلال على المطر عن طريق مـخايلة السحب. فإذا نشأ الـسحاب قبلة فـهو حريٌّ بالمطر، وتسمى العين فيقال «إذا نشأت السحابة من قبل العين فهي أحرى بالمطر» ويسميها العامة المَنْشَا. قال الشاعر:

كـريم يـــابـرق مــزونـه تَـبــنِّـي
أقـبل مـن المـنـشـا تشـاعـل بروقـه

وإذا رؤيت طـلائع الـسـحب في القبلة قيل أنْشَت. والسحابة المخيلة هي الحَرية بالمطر، ويقال تخيلت السماء إذا تهيأت لـلمطر. وهم يستدلـون بلون السحاب وبشكلـه، فإن كانت قواعد السحابة سوداء فهو دليل الغيث، كما في الحديث «أجون أم غير ذلك فقالوا: جون فـقال: جاءكـم الحيـا» والجون الداكنة السـوداء اللون. وقال الشاعر أبو ذؤيب الهذلي:

سـقـى أم عمـرو كـل آخـر لـيلـة
حـنـاتم سـود مـــاؤهـن ثـجـيـج

وقال آخر:

إذا شمـت من برق الـعقيـق عقيـقة
فلا تـنتجـع دون الجفون الـسحائـبا




ويطلق على السحاب الأسود المظل أبو شخوط. وإذا كان السحاب من المزن الركامي الأبيض الأعالي فهو غني بالماء، قال الشاعر:

يـامـزنـة غَـرَّا نـشـت مـدلـهـمَّـهْ
تمطـر علـى روس الهضـاب حقوق

قيل لأعرابي: أي السحاب أمطر؟ فقال: إذا رأيتها كـأنها بطن أتان قمراء فهي أمطر ما تكون. وهم عادة يفرقون بين البياض والصهبة. فإذا كان السحاب أصهب إلى البياض، أي أن بياضه مشوب بحمرة فذاك دليل على أنه لا ماء فـيه. قال الشاعر:

صهب الشمال أتين الـتين عن عرض
يـزجين غـيمـا قلـيلاً مـاؤه شـبمـا

أما إذا كانت السحابة بيضاء صافية، عالية البناء شديدة بياض الأعالي، تبرق بضوء تسطع له جوانبها وأعاليها، فـهي أحـرى ما تـكون بـالمطـر. وهم عـادة يستبشرون بالـقزع، وهو القطع المتفرقة الصـغار من الـسحاب فـي بداية أنواء الوسمي. أما النَّمِرَة، وهي القطع الصغار المتدانية من السحاب، فهي عندهم دليل المطر. وإذا دنا السحاب من الأرض وكان منخفض الارتفاع فـهو الحبي تشبيهاً له بالصبـي حين يحبو وصدره قـريب من الأرض. قال امرؤ القيس:

أصـاحِ ترى بـرقـاً أريـك وميـضـه
كـلمـع اليـدين فـي حبـيٍّ مـكللـل

ومتى مـا رأيت السحاب عـن بعد يتدلى منه مـا يشبه الهدب إلى الأرض فذلك المطـر. والسحاب عادة مع هذه الصـفات يكون بـطيء الحركة ثـقيلاً، ويسـتدلـون بذلك عـلى كـثرة مائـه. ويسمـونه في بعـض النواحي همـلول وهماليل وشخاتير وثعول. قال الشاعر سمير الهرشاني:

قالوا الـبرق في ذيك المـزون الثقيـله
وش تبي فيه يفرح فيه راعي الحلالي

والخطيـطه ما يهطـل من المطر من سحابة أثناء سيرها على هيئة خط طويل من المطر سواء كان عريضاً أم رفيعاً.

ومن علامات الغيث الحمرة الشديدة في السحاب في أفق المغرب عند غروب الشمس، وتسمى الندأة. قال الشاعر:

حـتى إذا المـنظـر الغـربي حـار دما
من حمرة الـشمس لما اغتالـها الأفق

وسبب هذه الحمرة فيزيائياً أنّ أشعة الشمس تشتتها العوالق الهوائية عموماً. وقدرة هذه العوالق الصغيرة الحجم كبيرة في تشتيت أشعة الشمس المرئية قـصيرة الموجة. أما الأشعة ذات الموجات الأطول (الصفراء والبرتقالية والحمراء) فإن تشتتها يكون أقل كثيراً. وإذا زادت نسبة بخار



الماء أو قطيرات التكاثف في الغلاف الغازي أو في السحب، فإن نسبة الأشعة الحمراء طويلة الموجة التي تصل إلى أعيننا تكون أكبر من غيرها. لذا يبدو الأفق محمراً شديد الحمرة في السحب الغنية بالماء، أو حيث ترتفع نسبة بخار الماء في الغلاف الغازي عند شروق الشمس وغروبها. ومن علامات الغيث المرتبطة بذلك رؤية القمر والكواكب يحيط بها لون يخالف لون السماء، وهي الهالة التي تبدو واضحة حول القمر، خاصة مع السحب الرقيقة.

مواسم الأمطار. شبه جزيرة العرب منطقة جافة عموماً ذات مصادر مائية محدودة، فليس بها أنهار دائمة الجريان، ولا بحيرات يتخذها الأهالي موارد لهم ولأنعامهم. لذلك أعطى ساكنو هذه البقاع اهتماماً خاصاً للمطر باعتباره أساساً للحياة في هذه الأراضي. فمنه تمتلىء موارد الشرب لهم ولأنعامهم، وبه ينبت العشب والكلأ في المراعي بإذن الله، فيسود الرخاء ويقل العناء. وبانقطاعه تجف الموارد وتمحل الأرض وتموت الأنعام. وما نبع اهتمام العرب بالرياح وأنواعها وأوصافها، وبالسحب وأنواعها وأوصافها، إلا من اهتمامهم بالمطر وحرصهم على معرفة مواسمه وترقب علاماته ومعرفة أماكن سقوطه. وكما هي عادتهم إذا صرفوا اهتمامهم لشيء يمس حياتهم فطنوا لكل تفاصيله، وحرصوا على الدقة والبلاغة في وصفه. فميزوا بين الأمطار لوقت هطولها من السنة، ومدى فائدتها للأرض، فقسموا شهور السنة إلى أقسام ميزوا بينها من حيث احتمال هطول المطر وكثرته وقلته ونفعه وضرره في كل موسم. كما ميزوا بين الأمطار من ناحية القوة والضعف وضخامة قَطْرِها وصغرها. ولهم مصطلحات معروفة في وصف المطر تتناول مدة بقائه وانقشاعه.

والمطر عند العرب هو ماء السماء أو ماء السحاب، ويسمى الغيث والصيِّب والودق وكلها واردة في القرآن الكريم. وأمطار السنة ثمانية، هي: الوسمي، والولي، والشتي، والدفيء، والصيفي، والحميم، والقيظ (رمضي، خرفي).

ولكل من هذه الأنواع الثمانية وقت محدد عرفته العرب بمنازل القمر الثمانية والعشرين. والسنة عندهم نصفان، الشتاء والصيف وهم يبدؤون عادة بالشتاء الذي يدخل عندهم بحلول الشمس في برج الجدي في أبعد مطالعها جنوباً حيث يصل النهار منتهاه في القصر، ويأخذ في الزيادة. ويستمر



الوقت شتاء عندهم إلى أن يبلغ النهار منتهاه في الطول، ويبدأ بالنقصان بحلول الشمس في برج السرطان في أقصى مطالعها شمالاً. ولكل من هذين الفصلين أربع عشرة منزلة من منازل القمر. وقد قسموا الشتاء نصفين والصيف نصفين، وحددوا منتصف كل منهما حيث يستوي الليل والنهار. ويسمى ربع الشتاء الأول الفصل الشتوي، ويبدأ من حلول الشمس ببرج الجدي إلى حلولها ببرج الحمل حيث يستوي الليل والنهار في الطول. ويسمى الربع الثاني الفصل الربيعي، ويبدأ من حلول الشمس برج الحمل إلى حلولها برج السرطان. أما الربع الأول من الصيف فيسمى الفصل الصيفي وموعده من حلول الشمس برج السرطان إلى حلولها ببرج الميزان. كما يسمى الربع الثاني من الصيف الفصل الخريفي، وهو القيظ، ويبدأ من حلول الشمس برج الميزان إلى حلولها برج الجدي. وكل ربع من فصول السنة مدته ثلاثة بروج، وكل برج منزلتان وثلث من منازل القمر. فيصبح لكل فصل سبع منازل من القمر. وقد نظمها بعضهم فقال:

والدهر فاعلم كله أرباع
لكل ربع واحد أسباع
وكل سبع لطلوع كوكب
إلى طلوع ما يليه أربع
من الليالي ثم تسع تتبع

وكل منزلة من منازل القمر ١٣ يوماً، عدا الجبهة فهي ١٤ يوماً. وبذا تتم أيام السنة ٣٦٥ يوماً (السنة الشمسية ٢٥، ٣٦٥ يوماً) وفي السنة الكبيسة يكون سعد السعود ١٤ يوماً.

وهناك تفاوت بين أمطار السنة الثمانية في فائدتها للأرض والنبات.

والوسمي، عند عامة العرب، هو أول ما يأتي من المطر عند إقبال الشتاء، وَسُمِّي وسميا لأنه يسم الأرض بالنباتات. وقال بعضهم أن الصفري هو أول المطر عند إقبال الشتاء في الخريف وصرام النخيل ما بين طلوع الشعرى إلى غروب العرقوتين المؤخرتين من الدلو. قال الشاعر:

تتيح لنا أرماحنا كل عازب
من الصفري سوقه قد تدلت

وأنواء الوسمي خمسة أنجم، هي: فرغ الدلو المؤخر، والرشاء (بطن الحوت) والشرطان، والبطين، والثريا.

والولي، هو المطر الثاني الذي يأتي بعد الوسمي ويسمى وليا لموالاته الوسمي. قال الشاعر:

راحت له بين صيفي وأولية
من الربيع سحاب المغرب الهضب



وأنواؤه الدبران والهقعة. ولا ينفع الوسمي، بأمر الله، إلا بالولي لأن أول الوسمي يقع في الحر، فإن لم يتبعه الولي جف النبات. لذا فإنهم في البادية إذا سقط مطر الوسمي يتباركون ويتباشرون به في مجالسهم، ويسألون الله أن يتبعه بالولي قائلين: عسى الله يتبّع له. والولي عند البادية كل مطر جاء بعد سيل بشرط أن تصل مياهه (ثراه) إلى الثرى والذي قد يكون قد نزل عن مستوى سطح الأرض هذا هو مفهوم الولي في نجد والحجاز والجنوب، أما الولي في مفهوم بادية المنطقة الشمالية فهو إشارة إلى كمية المطر الذي قد يتعمق في التربة إلى مقدار الكف وقد ينبت عنه الباذر ولكنه ييبس إذا لم يأته مطر مرة أخرى.

والشتيّ، وهو الذي يلي الولي، هو بداية ظهور الربيع. وأنواؤه الهنعة والذراع والنثرة والطرفة. ويطلق عليه عند البادية النقضان. والدفيء، وسمي بذلك لأنه يأتي في دبر الشتاء وبداية الدفء، ويقال لأمطاره أيضاً الدثية أو اللفام واللثام وأنواؤه الجبهة والزبرة والصرفة.

والصيِّف، وهو مطر الصيف. ويقولون في المثل: تمام الربيع الصيِّف. وأنواؤه العواء والسماك والغفر والزباني والإكليل. وفي المثل: الصيفي لحق الربعي، ويقال المثل إذا فقد أحدهم شيئاً عزيزاً ثم لم يوفق أيضاً في الذي يليه. ذلك أنهم إذا لم يمطروا في الوسم رجوا مطر الصيف، فإذا لم يمطروا في الصيف أيضاً قالوا إن «الصيفي لحق الربعي». وفي المثل الشعبي: يا الله صيفيه نرعى بها حولين، والاّ وسميّة نرعى بها شتوية.

والحميم، وسمي حميماً لأن أمطاره تجيء وقد تحرك الحر، وماؤه حار وأنواؤه القلب والشولة. والقيظ، وأمطاره سبعة أنواء الأربعة الأولى منها تسمى رِمضِيَّة، وذلك لشدة الحر وسطوع الشمس فيها، والثلاثة الباقية خِرْفِية لأنها تأتي أيام خراف الثمار. وأنواء الرمضية هي: النعايم ثم البلدة وسعد الذابح وسعد بلع. وأنواء الخرفية سعد السعود وسعد الأخبية والفرغ المقدم.

وينبغي أن يلاحظ هنا أن النوء عند العرب لسقوط النجم لا لطلوعه، خلافاً للشائع بين الناس اليوم. فهم عندما يلهجون بنوء الثريا فلأن سقوطها مع الفجر وظهور رقيبها يكون، بأمر الله، في نهاية الخريف وبداية الشتاء حيث المطر أنفع ما يكون للأرض والنبات. فدرجات الحرارة معتدلة فوق مستوى التجمد،




ومعدلات التبخر منخفضة. ويسمى المطر المؤثر عند أهل السراة والذي يهطل والثريا ماثلة للغروب فجراً بالثروي وهو أفضل ما تمطر به الأرض هناك.

وابتدع أهل الحرث والحساب في وقتنا الحاضر طريقة أكثر دقَّة وتناسباً مع طول السنة الشمسية. فقسموا السنة الشمسية إلى مواسم معينة، وبدؤوا سنتهم بطلوع نجم سهيل، الذي يصادف أول حلول الشمس في برج السنبلة في وسط شبه الجزيرة العربية على خط عرض مدار السرطان، ورتبوا المواسم مع ظهور مجاميع النجوم بعدد الأيام من ظهور سهيل تباعاً.

والمتتبع للتراث الشعبي في شبه الجزيرة العربية يجزم جزماً قاطعاً بأن عرب البادية في شبه الجزيرة العربية، وعلى الأخص في أواسطها، هم الذين أوجدوا هذا الحساب. وممن اهتم بهذا الحساب ونقله شعراً راشد الخلاوي ومحمد بن شهوان ومحمد بن عبدالله القاضي.

إن مراجعة بسيطة لحساب النجوم في دالية الخلاوي، وقصيدة محمد بن عبدالله القاضي في الأنواء والنجوم، ومنظومة البروج والنجوم للشيخ محمد بن شهوان ومتفرقات الخلاوي وغيره من الشعراء في الأنواء والنجوم مع حساب الأنواء لدى العرب الأقدمين، الذين يعتبرون كل ١٣ يوماً من أيام السنة نوءاً معيناً، تدل دلالة واضحة على الصلة الوثيقة بها. إلا أن العرب الأقدمين يعتدون بسقوط النجم وليس بطلوعه كما يفعل أهل الحساب في الوقت الحاضر الذين يمثلهم الخلاوي والقاضي والشهوان وغيرهم كثير. وبمقارنة بسيطة للجدول الذي وضعه ابن قتيبة للنجوم ووقت أنوائها بالتاريخ الميلادي والجدول الذي ابتدعته العامة وبدأوه بطلوع نجم سهيل، والجدول الذي وضعه العمار، والمبني على حساب الخلاوي يدل دلالة واضحة بأن تسلسل المواسم ورتابتها بالنسبة لعدد أيام كل موسم مبنية على طول الأنواء عند العرب، وهي ١٣ يوماً، إذ إن طول المواسم عند أهل الحساب في الوقت الراهن هي مضاعفات هذا العدد، فهي ٢٦ أو ٣٩ أو ٥٢ يوماً، لا سيما إذا عرفنا أن بعضاً منهم قد يجمع موسمين ليكونا ٢٦ يوماً مثل الثريا مع التويبع، والجوزاء الأولى مع الثانية. وربما تكون المواسم التي عدد أيامها من مضاعفات أيام الأنواء هي عدة مواسم جمعت في فصل واحد، ويدل على ذلك سياق هذه المضاعفات.



وسهيل الذي تبدأ به السنة لدى العامة بوسط المملكة يظهر في ٢٤ أغسطس، يحسب لأربعة أنجم هي: الطرف والجبهة والزبرة والصرفة، ويطلق على النجمين الأخيرين منهما هرفاً، وتسقط فيه بعض الأمطار، بإذن الله، في بعض السنوات. قال عبدالعزيز السويح:

سقاها الحيا هرفي ووسمي وعلها
من الصيف هطال يسقّي زروعها

وجملة هذه النجوم اثنان وخمسون يوماً. وتمثل جزءاً من القيظ والخريف عند العامة. وآخر نجم من نجوم سهيل يطلق عليه العامة في نجد بطيح ويعده بعضهم وسمي وفيه يزرع الشعير. وتطلق عليه البادية قلايد الوسم وإذا نزل به المطر كان مثل مطر الوسم. كما أن مطر هذه الأنواء الأربعة في المنطقة الجنوبية تسمى الخريف حيث إن المنطقة الجنوبية ابتداءاً من درجة عرض ٢٢ْ شمالاً غالب أمطارها صيف وخريف.

ويصف الشاعر محسن بن سلطان المسعري رحيل البدو إلى المواطن التي جاءها مطر غزير:

سقتها قنوف الصيف من رايح المطر
حقوقٍ غثا سيله يغبي سرابها
تكاشف بروقه تعجب اللي يخيلها
عطية سريع المد لى الله نوى بها
لى انشت قنوفه تنثر سحابها
هماليل صيفٍ والمعلم حكى بها
غثيره يبشرهم صباحية المطر
جذبهم على دار يفزّون صابها

وبعد ذلك يدخل الوسمي في ١٦ أكتوبر، وأنجمه هي العواء والسماك والغفر والزبانا، وجملته ٥٢ يوماً وتشمل من فصول السنة الجزء المتبقي في الخريف أو الصّفِري كما يسميه العامة. وبالوسمي تخصب الأرض، بإذن الله، وبه تنبت الكمأة (الفقع). ومطره ألين وأبلغ وأروى للأرض من وابل الصيف، وقد أدرك الناس ذلك منذ القدم. قال الشاعر:

وشقْح تِدَرَّجْ بالفياض النعيمه
وَسْميّةٍ وَبْل الثّريّا يِعِلّه
إلى تغشماها من الوَسْم دِيمه
لا ثَوَّروا جَلّ الهراجيف كلّه

وأول نجوم الوسمي العواء وتعرف بثريا الوسمي وتطلع في ١٦ أكتوبر الموافق ٢٤ من برج الميزان، وهو من الأنواء المطرة، والنجم الثاني السماك ويطلع في ٣٠ أكتوبر الموافق ٧ من برج العقرب وهو غزير المطر ويسمى الولي. أما إن أخلف السماك فهذا يعني مزيداً من الجهد لمن يستقي بالسواني ويقولون:

عزي لسواق السواني من السرى
لى صار هطال السماك عجاج




ثم الغفر في ١٢ نوفمبر الموافق ٢٠ من برج العقرب، وهو من المنازل الخيرة عند العرب ومطره ينبت الكمأة. ثم الزبانا في ٢٥ نوفمبر الموافق ٣ من برج القوس، وبانتهائه ينتهي الخريف ويدخل الشتاء، وهو من الأنواء الممطرة والباردة.

ويلي الوسمي المربعانية ومدتها أربعون يوماً وأنجمها ثلاثة أولها الإكليل ويبدأ في ٧ ديسمبر الموافق ١٦ من برج القوس وفيه يشتد البرد ويهطل المطر في المنطقة الوسطى من المملكة شمال درجة عرض ٢٢ْ شمالاً. ثم القلب ويبدأ في ٢٠ ديسمبر الموافق ٢٩ من برج القوس، وفيه يصل الليل أطول مدى له والنهار أقصر مدى. ثم الشولة في ٢ يناير الموافق ١٢ الجدي، وتمثل الشولة آخر أربعانية الشتاء.

ويلي المربعانية الشبط وهي نجمان مدتها ٢٦ يوماً، أولهما النعايم من ١٥ يناير الموافق ٢٥ الجدي، وهي أشد أيام السنة برودة، وتسمى عند العامة شباط الأول. وثانيهما البلدة في ٢٨ يناير الموافق ٩ من برج الدلو، فيها تتزاوج الطيور وتظهر الخطاطيف. ومطرها محمود قلما يخلف بإذن الله. ويسمى عند العامة شباط الثاني.

ثم العقارب وعدد أيامها ٣٩ يوماً، وهي ثلاثة أنجم أولها سعد الذابح يبدأ في ١٠ فبراير الموافق ٢١ الدلو، ويعرف عند عامة أهل الحرث بالعقرب الأولى من نجوم الراعي. وثانيها سعد بلع في ٢٣ فبراير الموافق ٤ الحوت، ويسمى العقرب الثانية وتكثر فيه الأمطار. وأخيراً سعد السعود ويعرف عند عامة أهل الحرث بنوء العقرب الثالثة ويبدأ في ٨ مارس الموافق ١٧ الحوت. وتكثر فيه الكمأة. وتقول العامة عن العقرب أولها سم لبرودته، وثانيها دم لأن الماء يجري في العروق، وثالثها دسم لكثرة الزبد والحليب. ويقال في المثل الشعبي: إلى دخلت العقارب ترى الخير قارب.

وبعد العقارب يأتي الحميمين ومدته ستة وعشرون يوماً وأنجمه اثنان أولهما سعد الأخبية يبدأ في ٢١ مارس الموافق الأول من برج الحمل، ومن خصائصه اشتداد طلب الأرض للماء، ويعرف عند العامة بالحميم الأول، وفيه يتساوى الليل والنهار. وتقول العامة في أمثالها: إلى طلع أباذار (آذار) أبرضت الأشجار وأفرخت الأطيار، وتواسى (تساوى) الليل والنهار وتعلل الجار مع الجار. وتكثر فيه الروائح وهي السحائب تنشأ وتمطر



سريعاً وما تلبث أن يكف المطر وينقشع السحاب. وثاني أنجمه -وهو الأخير- المقدم، ويبدأ في ٣ أبريل الموافق ١٤ الحمل ويعرف عند العامة بالحميم الثاني. ومن خصائصه برودته المهلكة للزرع، وفي ذلك تقول العامة: لولا برد الحميم كان كلٍّ زرع حتى الحريم، ويدعون بقولهم: يارب ياكريم اكفنا شر برد الحميم.

ويأتي بعد ذلك الذراعان ومدته ستة وعشرون يوماً وأنجمه اثنان: الفرغ المؤخر والرشا. فالفرغ المؤخر يبدأ في ١٦ أبريل الموافق ٢٧ الحمل وأمطاره محمودة بإذن الله، ويعرف عند العامة بالذراع الأول. أما الرشا فيبدأ في ٢٩ أبريل الموافق ٩ الثور وتسميه العامة الذراع الثاني، وهو غزير المطر قلما يخلف بإذن الله، ومن خصائصه المناخية انتهاء فترة المطر في وسط نجد إلا ما ندر.

ويلي ذلك الشرطان، وهو نجم واحد مدته ١٣ يوماً يبدأ في ١٢ مايو الموافق ٢٢ الثور، وتسميه عامة أهل الحرث ثريا القيظ. وتقول العرب: إذا طلع الشرطان اعتدل الزمان وأخضرت الأوطان وتهادت الجيران وبات الفقير في كل مكان. ثم البطين وهو نجم واحد مدته ١٣ يوماً من ٢٥ مايو الموافق ٤ الجوزاء، قالوا: إنه أقل الأنواء مطراً، ثم الثريا وهي نجم واحد مدته ١٣ يوماً من ٧ يونيو الموافق ١٧ الجوزاء، وهو بداية فصل الصيف في وسط المملكة ويعرف عند أهل الحرث بالجوزاء والعرب تسميه الثريا، ثم التويبع وهو نجم واحد من ٢٠ يونيو الموافق ٣٠ الجوزاء وتسميه العرب الدبران وتقول: إذا طلع الدبران يبست الغدران وتوقدت الحزان وكرهت النيران واستعرت الذبان، وهو أول الحر ونهاية قصر الليل وطول النهار، قال الشاعر راشد الخلاوي:

التويبع راعي بروق ومخايل
وما ذكر وادٍ في التويبع سال

وبنهاية التويبع ينتهي موسم الأمطار بوسط وشمال وشرق وجنوب شرق المملكة.

أما أمطار المنطقة الجنوبية فغالب أمطارها في الصيف والخريف مع أن المرتفعات تسقط عليها الأمطار في الشتاء أيضاً.

ويختلف حساب العامة في الحجاز للأنواء عن حساب العامة بوسطها كما يختلف الحسابون في الحجاز فيما بينهم في بداية دخول النجوم أو في تسميات الفصول ويوضح جدول حساب الأنواء



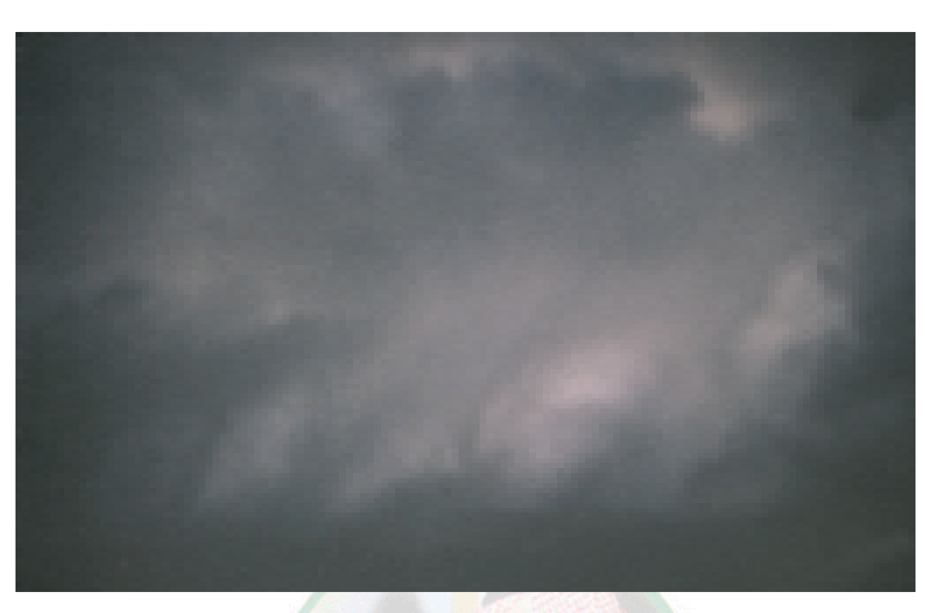

والذي نشره محمد بن سعد بن الحميدي نـقلاً عـن الشـيـخ عبـدالرحـيم بـن عبدالرحمن بن زائر الحميدي تقسيمات السنة وأنواءها وفصولها وبه أوضح دخول كل نـوء بالأشهر الـهجريـة الشمـسية والأشهر الميلادية.

ويتفق هذا الحساب مع حساب آخر يصدره سنوياً عبدالملك بن عميره الذويبي في أسماء الأنـواء ومدتها باستثـناء نوع الدلو عند الحميـدي فابن عميره يسميه الثريا غير أنهما يختلفان في تحديد بداية دخول كل نوء وفـي تسميات الفصـول ففصول السنة عند الحميدي هي: الشتاء الأول، والـشتـاء الآخـر، والثـروى، والإسـدية، ونـهايـة الربـيع، وبـداية الصيـف، والفضة، والكنـة، والحميم (القيظ) ونهاية الصيف. أما ابن عميره ففصول السنة عنده هي: الخريف وينقسم إلى قـسمـين همـا: الخضر والـغبـر. والشتاء، والربيع وينقسم إلى ثلاثة أقسام هـي: الونـث، والأسديـة والذكـور، والصيف، والقيظ. ويلاحظ أن أسماء الأنواء تتكرر مرتين في السنة كما يلاحظ أن عدد الأنـواء في الحسابـين ٣٠ نوءاً ومدة كـل نوء ١٢ يوماً، عـدا الجبهة فمدتها ١٤ يوماً وبهذا تكون جملة أيام السنة عندهم ٣٦٤ يوماً أي بنقص يـوم واحد وربـع اليوم عن الـسنة المـيلادية والهجـرية الشمـسية ولذلك كـل أربع سنوات يتم إضافة خمسة أيام لجبر هذا النقص وفي هذه الحالة يقول العامة «كسر ابن عميره». وتجدر الإشارة إلى أن تقويم ابن عميرة معتمد عند معظم عامة أهل الحجاز من الباحة وحتى جنوب المدينة.

البرق والـرعد. البرق هو شـحنات كهربائية تتدفق داخل السحابة الواحدة، أو بين السحابة وسحابة أخرى، أو بين السـحابة والهـواء المحيط بهـا، أو بين السحابة والأرض. ويـحدث البرق في نطاقات ذات شحنـات كهربائية متنافرة في سحاب المزن الـركامي. ويعتقد أن هذا التنافر ينتج عن انتقال الإلكترونات من البلورات الثلجية وقطيرات التكاثف إلى كتل البَرَد مما يؤدي إلى تكوين نطاق كهربي موجب الشحنة في أعلى السحابة ونطاق آخر سالب الشحنة في أسفلها، ونطاق ثالث ضيق موجب الشحنة عند قاعدة السحابة ناتج عن ذوبان البلورات الثلجية قبيل سقوطها مطراً.

ومثلما يشيم العرب السحاب، فإنهم يشيمون البرق ويرقبونه ويستدلون به على المطر. ويـفرقون بين البـرق المصحوب بالمطر والخلب الذي لا مـطر معه. قال الشاعر:





البرق (الخفو)

يـابـرقُ طـالِـع مــنـزلا بـالأبـرق
واحْـدُ الـسـحابَ لـها حِـدَاءَ الأَنْيُـقِ

وقال الشاعر سمير الهرشاني:

من هو اللي يشوف البرق أبقعد واخيله
هو من الشـرق والا بارقه من شمالِ
صلبونـي على العمـدان حالـي نحيله
كود لـى شفـت براقـه يربع لحـالي
قالـوا البـرق في ذيك المزون الثقيلـه
وش تبي فيه يـفرح فيه راعي الحلالِ
قلـت جعلـه على ديرة طويل الجديله
يـاخذ ايـام فـيهـا والمـناقـع سبالِ

وكان راكان بـن حثلين فـي سجن الأتراك فرأى ذات ليلة برقاً فقال لسجانه حمزة: ما تخيل البرق؟ فقال: زي بعضه ياراكان ما لنا فيه حاجة. فعند ذلك قال:

انا اخـيل ياحـمزه سنـا ضوح بارق
يبـوج من الظلـما حناديـس سودها
علـى ديرةٍ رفرف لهـا الوسم واقتـدا
سـقـاه مـن نو الـثـريـا حـشـودهـا

وقال الشاعر:

كـريم يـابـرقٍ سـرى بـارقـه لاح
شـبه الـقـمر والاَّ سـراج الـقيـامـا

ومنـه الخفو الذي يـرى ضوؤه من داخل السحابة ولا تـرى خطوطه. قال الشاعر:

هاضـني بـرقٍ تحدر عـلى الصمان
قالـوا تخيـله قلت يـالربع اباخيلـه

ومنه ما يشق من أعلى السحابة إلى أسفلـها، أو ما هو عقـيقة يتطلق من جوانب الـسحابة إلى الأرض ويـسبب

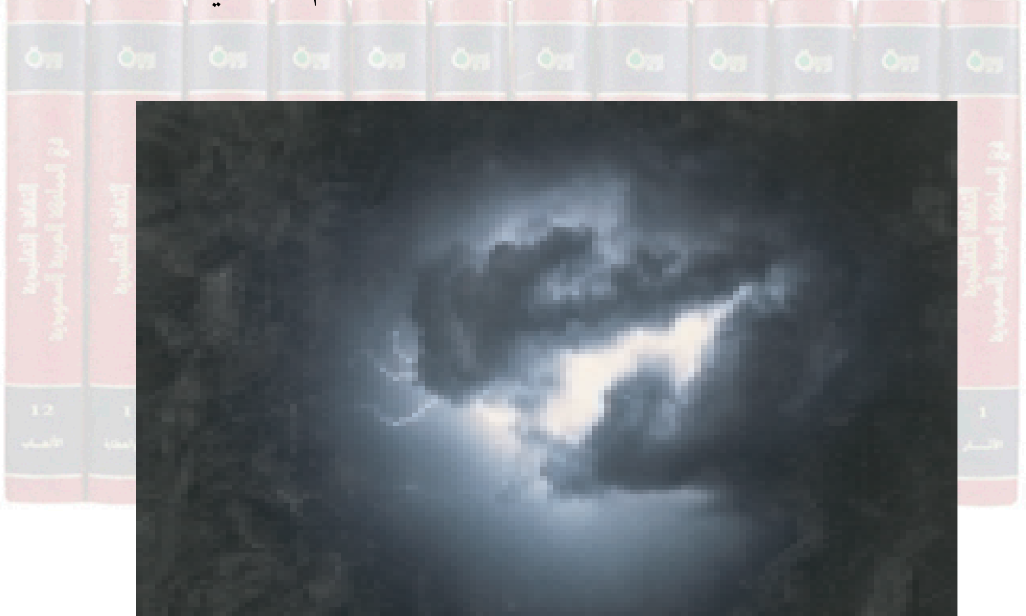



الصواعق وهو دليل على المطر، ويسمى في الأفلاج ووادي الدواسر ونواحيهما سيف الرعدة. ومن أسمائها في الجنوب الصاقعة والبرقة أما إذا كان يلمع لمعتين لمعتين، فإنه الوليف ويثقوا بالمطر معه. ويبيتون الليل يشيمون البرق عن بعد فإذا لمعت سبعين لمعة ارتحلوا ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر الغزير. والحيا الذي يرتحل إليه يوضحه قول الأعرابي «ليس الحيا بالسُحَيِّبَه تتبع أذناب أعاصير الريح ولكن كل ليلة مسبل رواقها منقطع نطاقها تبيت آذان ضأنها تنطف حتى الصباح». وترى البادية أن البرق إذا كان عروضاً في السحاب أي لا ترتكز صواعقه في الأرض فإن مطره يكون ديماً سبار أما إذا تركزت صواعقه ونزلت للأرض فإن مطره يكون وبلاً تسيل منه الأرض ويسمونه قنيف.

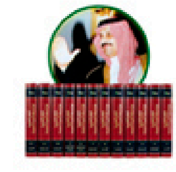
وإذا رأوا البرق فإنهم يقولون: عزك ياعزيز الوجه أو: عز واليك. قال الشاعر محمد السديري:

شاقني بارقٍ برقه سرى
غارقٍ ضوح برقه في طهاه
عز واليك يابرقٍ سرى
خلت برقه وانا ما ذقت ماه

كما يقال في الجنوب عند تتابع البرق: عَزّ واليك عالم ما فيك، ويقولون: يا الله كِنّنا في كنك، أي احمنا في حماك والكِنّ هو الاختفاء يقولون كنّت الثريا إذا لم ترى في السماء.



البرق العقربي



ويوصف البرق عند العامة بأنه عقربي ومعقرب إذا امتد طويلاً وتشعب كالشجرة. قال الشاعر المهادي من قحطان:

سقاها الولي من مزنةٍ عقربيه
سرت تنثر الما في مثاني سحابها

وقال آخر:

السيل ياسدرة الغرمول يسقيك
من مزنةٍ هلت الما عقربيّه

كما يوصف باللمع فيقال تلامع بروقه. وإذا اشتد ضوؤه يقال يلعج كما يقال يوضي وينوض قال الشاعر:

ثمان سنين ما هوى نجد قطره
ولا هب نسناسٍ ولا ناض بارق

وقال آخر:

وما ناض برقٍ في غمام أو اهمل
مثانيه بالما بعد ما فاض فاضحه

وقال آخر:

كريم ياباراقٍ ينوض ناشي
عساه بامر الولي ينثر غديره

ويوصف البرق أحياناً بالكرم لما يبشر به من رحمة الله من الغيث والحياة للأرض، قال الشاعر:

كريم يابرقٍ سرى هجعة الناس
عيني تخيله والخلايق رقود

ويوصف بالسرى وهو السير ليلاً، قال الشاعر:

سرى البارق اللي له زمانين ما سرى
صدوق المخايل بارقه يجذب الساري

ومن فرط عشقهم له واستبشارهم به، فإنهم دائماً يشبهونه بالحبيب أو يشبهون الحبيب به. قال الشاعر:

خده كما برقٍ لمع برعود
عذب السجايا ترف الابداني

وقال الشاعر:

كريم يانوٍّ بروقه تلالا
نوٍّ ورا نوٍّ وبرقٍ ورا برقْ
برقه تلالا قلت عز الجلالا
واثره جبين حبيبي واحسبه بَرقْ

ومن المعروف علمياً أن شعاع البرق يسخِّن الهواء الذي يمر خلاله ويرفع درجة حرارته بسرعة إلى درجات عالية جداً تصل إلى ٣٠٠٠٠ْ مئوية. وينتج عن هذا التسخين الشديد تمدد سريع (انفجاري) للهواء مسبباً موجة صوتية قوية -الرعد- تندفع هذه الموجة خارجة في جميع الاتجاهات من منطقة الاضطراب. ولأن الضوء ينتقل بسرعة كبيرة جداً (٢٩٩٧٩٢,٥كم/ ثانية) فإن البرق يصل إلى عين الرائي حال حدوثه تقريباً. ولكن الصوت الذي ينتقل بسرعة أقل (٣٣٠م/ ثانية) يستغرق وقتاً أطول للوصول إلى أذن السامع. لذا نسمع الرعد بعد رؤية ضوء البرق الذي سبقه

بثوان. والتردد الـذي يسمع في صوت الرعد ناتج عـن صدوره من مستويـات مختلفة من السحابة على طول خط البرق ووصول صوته تباعـاً إلى أذن السامع. أما إذا حدث البرق قريباً فإن صوته يصبح طقطقة شديدة يتبعها دوي عنيف. قال محسن الهزاني:

حـين يبـدى مقـدمـه غادٍ صـفوف
بـارقه خـطرٍ عـلى مـن له يـشوف
وان صعق بالرعد جـا بالقلب خوف
تجـتـول منـه الـعـقول الـذاهـنـات

والحقيقة أن الخوف من الرعد وارد وذلك لأن الـصواعـق قد تصـل إلى الأرض وتقتـل من تصيـبه وقد تدمر الأشجـار أو تصيـب جدران البـيوت بشروخ ويطلـق العامة على الصواعق لفظ صـعقة. والمصرقـعة، كما يقـال للرعـد الشديد المـوجف. وكانوا فـي جنوب المملكة وخاصةً سكان السروات إذا رأوا البرق يضعون الفـأس المصنوع من الحديد على عتبة الدار حتى لا تلج الصواعق إلى الداخل، وهذه الوسيلـة فعالة لأن الشحنة الكهربائية ستتجه إليها وتتـفرغ بهـا. وقد خوف اللـه وأنذر بالصواعق. قال تعالـى ﴿يسبح الرعد بحمده والملائـكة من خيفته، ويرسـل الصــواعق فيـصيـب بها مــن يشاء﴾ (الرعد: ١٣). ومن السُّنة أن يقال عند سماع الرعد: سبحان الذي سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. والناس إذا سمعـوا الرعد قالوا أرعـدت، يعنون السماء أو الســحابة. وإذا اشتد صوته قيل: يـهز الأرض، ويقال عنـه هزيم الرعد وينز نزير. قال الشاعر:

كـــريم يـــابــــارقٍ ســــرى
مـا احـلـى نــزيـز الـرعـد فـيـه
يـاحـلـو عـشـبـه إلى اخـضـرا
والــبــلِّ تـرعــى مــفـــالــيـه

وقال آخر:

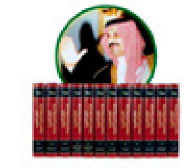
انا هاضني برقٍ ينوض علـى الصمان
لزيز الرعد ومعقرب البرق يوضي له
تحـدر خشوم المزن حـصى حـوران
على ضـليع مارق طامنـات هماليلـه

ويقال: معمـع الرعد وأرزم وزمزم إذا اشتد صوته واتصل. قال الشاعر:

أهـلاً وسهـلاً ياغـضـيض الـنهـد
عـدّ الأنـام وعـدّ سـجـع الحـمـامِ
وعـْدَادْ مـا زمــزم لـزيـز الـرَّعَـد
وعـداد مـا روضٍ سـقـاه الـغـمـامِ

كما يوصف الرعـد بأنه محنّ مرنّ إذا اشتد صـوته واستمـر وقد يقال إنه يطّحن.

ومن المظاهـر المرتبطة بالمـطر قوس قزح. وهو أقواس ضوئية ملونة تنعكس



خلال السماء من قطرات المطر والضباب إذا كانت الشمس خلف الرائي. وهو ناتج عن الانكسار التفاضلي للموجات الضوئية داخل قطرة المطر. ويسمى في بعض المناطق قوس الرحمة وسيف الرحمة وخط الحيا، ومنهم من يسميه التنعومه والجنة والنار. وفي بادية الشمال يسمى سيف المطر ويدل ظهوره عندهم على قرب انتهاء المطر وفيه المثل القائل: ليا سيَّفَت كيَّفت.

تصنيف الأمطار. العهاد هي الأمطار البواكر التي تأتي في أول وقت الحاجة إليها. والهلل أول المطر، فيقال: استهلت السماء، ويتغنى الصبية أول سقوط المطر قائلين استهلت وأمطرت. ويردد الصبية في جنوب المملكة أهزوجة المطر قائلين: المطر جانا.. طَلّ مِعْزانا.. وأصبحت ولّدٍ في معَشَّاها. قال الشاعر:

خَدَّها كِنَّه البَرَد في مستهله
مزنةٍ من حقوق السحب فيها قتامي
كيف أنا بالبحر والتَّرْف نَجْدٍ مَحَلّه
حيل بيني وبينه وارمِسَنَّ العلامي

وهناك أسماء عامة تطلق على المطر ضعيفه وشديده، منها: المطر، والغيث، والصيِّب، والقطر، والحيا، والعهد، والرحمة، والرزق، والذهاب. قال الشاعر:

ألا يا طير سلم لي وبلغ راعي الجودا
وخصَّهْ بالتحية لي بترحيبٍ وتسليما
عدد ما هلّ هطال وعدد ما اخضر من عودا
يساقيه الحيا واحياه من سحبٍ ومن ديما

وأضعف المطر وأخفه الطل. والنضيضة المطر القليل، وأصغر المطر وأوله يسمى القطقط، وقطره صغار كأنه شذر، ويسمى عند عامة أهل نجد التنقيط، ويقولون: الريح تكتب والسماء تنَقِّط، وفي القنفذة يسمى وشيل. ثم الطش أو الرذاذ. قال الشاعر محمد الأحمد السديري:

ليته على خدي هميله وطشّه
واشرب غريفه كانْ هُو بالهَلَل جادْ

ويسمى في الأحساء نميلي وفي المثل عندهم: نميلي يخبق الدور، أي يهدمها. والرش فوق الرذاذ. وإذا سئل أحدهم عن المطر، وكان الذي أصابهم رش فقط، يقول: جانا رش ولا عند الله مدٍّ زهيد. والخفيف منه قد يقال له داشِن في بعض المناطق. والزخة القصيرة الخفيفة قد يقال لها رَهَّاشِيَّة. والنضح مثل الطش مع ريح، فإن زاد عن ذلك فهو البغش، ويسمى في منطقة القصيم الغبش. والدث هو المطر الخفيف، يرطب الأرض ولا يكون منه سيل ومثله الركاك والهتيف. والضرب فوق ذلك قليلاً،




فإن زاد فهــو الهطل، وهو تتــابع المطر المتفرق العظيم القطر، فإن زاد عن ذلك فهو الهتلان والتهتان، ومنه الأهاضيب وهي زخات متتابعة تمطر ثم تفتر. والديمة مطرها لين دائــم لا رعد فيه ولا برق، وأقلها ثلث النهار أو الليل. وتسمى في غامــد وزهران بالــهتان ومن أمــثالهم المأخوذة عن هذه الحالــة قولهم: وصل القطّار السافلة، بمعنى أن الماء قد اخترق سقف الدور العــلوي ثم اخترق سقف الدور الأرضي من البيوت المبنية من الحجر المسقوفة بالخشب وقد غدا هذا مثلاً في وصف المشكلات المتصاعدة بمرور الزمن. وأشد مــنها الرهــمة. ومنهــا الهميــمة والرثاث، وهي الزخات المتقاربة أقل ما بينها ساعة، وأكثر ما بــينها يوم وليلة. وفي المــثل: إن ديمــوا جاد وإن جــادوا هطــل، والجود الذي يروي وهــو فوق الديمة، ثم الــوابل يقال للمطر الــشديد ضخم القطر، ومنه يكون السيل. ومثله الهثهاث وهو المطر السريع العظيم القطر الذي لوقعه صوت. قال كثير عزة:

نجـاء الــثــريــا كــل آخــر لــيــلــة
تجــوِّدهــا جـــودا وتــردفــهــا وبــلا

والسَّجَّة تقال للمطر الكثير العظيم القــطر. ويــقال «مطــر صيــف على صواني»، كما يقال: سحابة صيف، للشيء يبدأ قوياً وسريعاً ثم لا يلبث أن يفتر. وفي عسير يقال عن المطر الشديد صب قرب. وفي سراة غامد وزهران وبني مالك يقال للمطر الشديد: كأنه صب قــرب، أو حاشر، مــن الحشر ويقال أيضاً: غزر النو. أما المطر الخفيف فيقال له رش وللمستمر دِيْمة. ووصف أعرابي مطراً شديداً أصابهم فقال: مطرنا بعراقي الدلاء وهي ملاء. قال الثعالبي: سحابة صيف، يــضرب مثلاً لمن يقل لبثه ويخف مكثه. وفي الكتاب المبهج «إقبال الدنــيا كإلمامة طيــف، أو زيارة ضيف، أو سحابة صــيــف». وسحابة الصيف تســير ممطرة مسرعة كما أنــها تمطر في مسارها ثم تكف ثم تمطر في منطقة أخرى. وما فوق الهثهاث فهو الحلبــة والضبية أو الــشحذة والحفشة والحشكة، وكلها تقال للمطرة القوية. والبــعاق الــذي لا شيء أشــد منــه، والمرثعــن يقال للــمسترسل الــسائل، والسح والمنهمر هو المتواصل الذي لا يتبــين قطره من شــدة تقاربه. ويقــال هطلت السماء وهملت. وإذا دام مطرها سمــي الخبطة. ويــقال: أدجن المــطر وأثجم وألظ وألث إذا دام أياماً لا يقلع. والطوفــان هو الغرق الــعام. قال أبو ذؤيب الهذلي:



بقرار قيعان سقاها وابل
واه فأثجم برهة لا يقلع

وقال آخر:

منازل أنس من ربائب مازن
ألثَّ رباب المزن فيهن ساكب

والسحابة الداجنة هي الماطرة المطبقة التي لا تترك بقعة من الأرض إلا أمطرتها. قال الشاعر:

بريح الخزامى خالطتها وخبطة
من الطل أنفاس الرياح اللواغب

والسَّبَل والعضانين هي المطر بين السحاب والأرض. والرَّصْدَة هي أول المطر الذي يرجى بعده مطر. واليعاليل تقال للمطر بعد المطر وتسميه البادية ولي. فإذا أقلع المطر قيل: أنجم وأنجى وأفصى وأفصم. فإن تفرق السحاب قيل: أصحت وأقشعت وأنجمت. ويقال: أرض مجوبة ومقوبة إذا أصاب المطر بعض أجزائها ولم يصب الأخرى. ويقال للمطر الذي يصيب القطعة من الأرض ويخطئ القطعة النفضة، وتسمى عند البادية المضخة. وهو عند الرولة وعند غيرهم من أبناء البادية هملول قال الشاعر:

سقاك الله يادارٍ من الوسمي هماليله
هماليلٍ تَغَرْيَفْ عشبها الزاهي تغرْيَافي

وإذا سارت السحابة ممطرة على منطقة ضيقة فقد يسميها العامة شخط أو خطيطه. ويلاحظ أنهم في البادية يستخدمون الفعل ضرب غالباً مع سقوط المطر من السحاب فيقال: شخط ضرب منطقة كذا أو سحابة ضربت منطقة كذا وكذا. ويقولون: أرض مضروبة كما قد يُستخدم الفعل طاح بدلاً من سقط. قال الشاعر بخيت بن ماعز:

حتى الى زان الحيا والمطر طاح
وظعوننا وظعونهم جت تبارا

كما يقال له الشؤبوب إذا كان شديداً، فإن كان ضعيفاً قيل له: العرض. فإن كان وقع المطر قوياً بحيث يخرج الهوام والحيوانات من جحورها سمي جَارَّ الضبع.

أما تصنيف المطر عند البادية المعاصرين من حيث القوة والضعف فهناك اختلاف بين سكان المناطق الرملية والسهول، ففي المناطق الرملية يكون الأخبار عن أمطارها بالحفر في الرمل حتى يلحق الثرى فيقال حفر كف ويسمى شد وطي، وحفر معصم، حفر ملحم الذراع وهو نصف الذراع، حفر كرسوع، حفر زند، وحفر توسد وهو الذي يحفر حتى يتوسد ولا يصل إلى الماء ولا حفر له (ما له حفر).



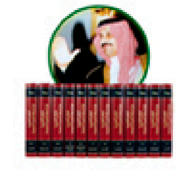
شواهد المطر

أما سكـان المناطق السهـلية فالمطـر عنـدهم: رش وهـو أول المطر والمـطر القليل. وماسّ الأرض: المطر الخفيف. دفن جره: وهو المطـر الذي يطمي آثار الأقدام. وسواد مطر ويعادل قدر طول أصبع فـي المناطق الـرملية وهـو يسوّد التربة. بياض أو بيض: وهو المطر الذي يمحى أثره بعد فـترة بسيطة وهو يعادل الكف في المناطق الرملية ويمكن تسميته واكف. شاهد: وهو أن يسيـل الماء في الأرض لمسافة قـصيرة ويترك أثره على وجه التربة فهو كأنه يشهد على نفسه. شاهد (قوي، أو حاد، أو حديد) وهو أقوى وأغزر من الشاهد. قشع: وهو ما يسيل التلاع والشعاب الصغيرة. سيل: وهو الذي تـسيل منـه الأودية الكبـيرة ويسمى رجع.

وفي بلاد غامد وزهران يطلق على المطـر الغزير الـذي تسيـل منه الأودية «السيل» وفي هـذا المعنى يقول الشاعر محمد بن ثامره:

يا سلامي عدد سيل كثير المخايل والفَسُوق
بعد جَرّت حلاحيله وعل البدو والحاضرينا
راعده في البحر والسيل من كل مخْنى دار

البَرَد. البـرد هو تساقط المطـر على شكل كتل كروية صلبة غير منتظمة من

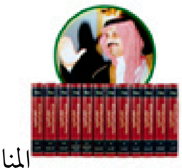


الثلج. وعند فحص هذه الكتل يتضح أنها مكونة من طبقات قشرية متراكبة تتباين فيما بينها في كثافتها ودرجة شفافيتها. ويكون قطر كتل البرد في معظم الحالات حوالي سنتيمتر واحد، ولكنها تتفاوت عادة في حجمها من ٥ملم إلى حوالي ١٠سم أو أكثر. وقد يسبب سقوط البرد آثاراً تدميرية شديدة يعرفها الفلاحون، خاصة الذين يمكن أن يشهدوا تدمير محاصيلهم في غضون دقائق معدودة. ومطر البرد غير محبب لذلك كما أنه قد يتسبب في قتل الحيوانات خاصة الصغيرة منها، فقد حدث سنة ١٣٦٧هـ أن أصاب البرد مدينة عنيزة ودق زروعها وقتل بعض الأغنام والنخيل. وقد صور الشاعر عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي هذه الحادثة في قصيدة نورد منها ما يختص بوصفه للسحابة وما رافقها من رياح إذ قال:

أنْشَتْ كَما الضِّلْعَان تَسْمَعْ رزِيِه
تَبْرِقْ وبرقه غَارِقٍ في طَها الغيم
وَهَبْ الصَّبَا لِيْن الْقِحِةْ مِنْ نَسِيْمِهْ
لَمَا غَدَتْ مِثْل الجِبَالْ الشَّخَارِيمْ
وَصَاحْ الْمَلَكْ فِيهَا وَجَتْنَا هَمِيمِه
وَتَوَصَّطَتْنَا بَالْقِدَرْ وَالْمَقَاسِيم
ونقرْ لَها الْغَرْبِي بريح عَقِيمهْ
وِمْنَ الْبَرَدْ مَا عَبَّرَنْ الْمَرَازِيمْ
وَالشّعِفْ يَسْهَجْ وَالْبَرَدْ لِهْ صِرِيمِه
لَمَا غَدَا فُوقْ النَّوَابِتْ عَرَاكِيم
الصِّبْحِ كِل ازْرُوعُهُمْ مِسْتِقِيمه
وَتَالِي النَّهَارْ أَمْسَى عَلَى مَنْبِتِه نِيم
وَصَارَتْ عَلَى الْعَالَم نْقُوصٍ وخِيمِه
بَعْض الغَنَمْ وَالْغِين أَمْسَتْ جَوَاثِيم

وقد يهدم البيوت الطينية كما حدث في ملهم عام ١٣٧٠هـ حينما تداعت بيوتها ونجا أهلها بأنفسهم إلى الجبال. وفي سروات الجنوب يحبذون سقوط البرد على المرتفعات والأكام لأنه يشكل روافد لتغذية الآبار.

ويتساقط البرد من سحب المزن الركامي فحسب، حيث تكون التيارات الهوائية الصاعدة داخل السحابة قوية. فترتفع أولاً قطرات المطر إلى ما فوق مستوى التجمد في أعلى السحابة، فتتجمد وتأخذ بالنمو بواسطة تجمع المياه المتكاثفة حولها أثناء سقوطها عبر السحابة. فإذا واجهتها تيارات صاعدة فقد تسبب صعودها مرة ثانية إلى أعلى السحابة حيث تبدأ دورة تجميعية أخرى، وكلما ارتفعت إلى ما فوق مستوى التجمد تكونت حولها طبقة جديدة من المياه المتجمدة. وفي بعض الأحيان يحدث التطبق القشري للبرد نتيجة لاختلاف معدل تجمع قطيرات




التكاثف وتجمدها حول النواة الثلجية المتجمدة للبرَد أثناء سقوطها إلى الأسفل عبر طبقات السحابة. لذلك فإن الحجم النهائي للبرد يعتمد على عدة عوامل، منها قوة تيارات الحمل الصاعدة، وارتفاع تركيز قطيرات التكاثف التي تحت مستوى التجمد، وطول مسارها داخل السحابة، وطول المسار بين قاعدة السحابة وسطح الأرض وظروفه.

يقول العرب للسحابة بَرِدَة إذا كانت ذات بَرَد، أما اليوم فيقول عنها العامة بْرِديّه فيقال: ضربتهم برديه ويقال: انْهَمَّ البَرَد إذا ذاب. وفي المخصص «يضحكن عن كالبرد المنهم». أما ما يذوب منه من الماء فيقال له الهمام. وقد ميزوا بين البرد من حيث الحجم بمسميات خاصة. فالكبير منه يطلق عليه برد، والمتوسط إلى الصغير الحجم يسمونه شبوب أو غْزيِّل أو غزلان. أما الصغار جداً التي لا تلبث أن تذوب بعد سقوطها على الأرض فيقال لها ضِيْق ماء. قال الشاعر ابن سبيل:

والى ضحك باللِّي كما ضيق هملول
أو قحويانٍ في مدامث غراميل

وله أيضاً:

راعي ثمانٍ كنهن ضيق الامطار
والى عطاني رَيعْ عِلْمٍ قراني

ويقال لها في الجنوب أبريراً.

ومن نقاوته وعذوبته وشدة بياضه فإنه دائماً يشبه به في شعر الغزل. من ذلك قول ابن داود الدمشقي:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت
ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال الشاعر:

يابو ثمان بِرَّدٍ مثل البرد وحسان
لي حاجةٍ ودي بها قال الحبيِّب تهون

وقال الشاعر جار الله الزهراني:

والثغر مثل اْلبَرَدْ وعيون عَوّام ع الما
وقايد الصيد م العدوان يحميه ربّه

الاستسقاء. كان العرب في الجاهلية مقرين بتوحيد المعرفة والإثبات (الربوبية) لكنهم جاحدون بتوحيد العبادة المتمثل في إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة (الألوهية). حيث يجعلون بينهم وبين الله وسائط وشفعاء من مخلوقاته يصرفون لها بعض أنواع العبادة تقرباً إلى الله وغُلواً. ولما كان هذا عملهم في جميع شؤونهم، فإنهم كانوا إذا انقطع القطر واشتد الجدب يعمدون إلى ما قدروا عليه من البقر يعقدون في مآخيرها السلع والعشر ويصعدون بها على جبل ويشعلون النار فيها، فتضج البقر من ذلك ويأخذون بالدعاء والتضرع طلباً للغيث. فلما بعث الله رسوله محمداً



ﷺ بعقيدة التوحيد الخالصة لله، أصبح المسلمون يتوجهون لدى الأزمات واشتداد الحاجة إلى الله، يستسقونه وحده في سنين الجدب وحده لا شريك له.

قال الشاعر الورل الطائي:

لادرَّ دَرُّ رجالٍ خابَ سعيُهُمُ
يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة
ذريعة لك بين الله والمطر

ومن الأمثال المضروبة في الاستسقاء «لا تكن كوفد عاد». وقصته كما رواها ابن كثير أن عاداً قحطوا ثلاث سنين بعد تكذيبهم، فبعثوا من قومهم وفداً إلى مكة ليستسقوا كما هي عادة العرب، وأرسلوا عليهم رجلاً يقال له قِيْل بن عنق. وكان أهل مكة إذ ذاك العماليق وسيدهم معاوية بن بكر، وكانت أمه من قوم عاد. فمر الوفد بمعاوية وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر، وتغنيهم قينتان لمعاوية، ونسوا ما جاؤوا من أجله، فقال معاوية شعراً يذكرهم فيه بقومهم وأمر القينتين أن تغنياهم منه:

الا ياقيلُ ويحك قم فهينم
لعل الله يمنحنا غماما

فيسقي أرض عاد إنّ عاداً
قد امسوا لا يُبِينون الكلاما

من العطش الشديد فليس نرجو
به الشيخ الكبير ولا الغلاما

وقد كانت نساؤهم بخير
فقد أمست نساؤهم أيامى

وإن الوحش يأتيهم جهارا
ولا يخشى لعاديٍّ سهاما

وأنتم ههنا فيما اشتهيتم
نهاركم وليلكم تماما

فَقُبِّحَ وفدكم من وفد قوم
ولا لُقُّوا التحية والسلاما

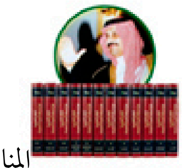
فتنبه الوفد، ونهض إلى الحرم، ودعا بهذا الدعاء «اللهم إنك تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفديه، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه» فاختار لهم سحابة سوداء كان فيها فناؤهم بأمر الله عز وجل.

ومن ذلك أيضاً ما ذكر عن بنيات قبائل الرولة في ذلك الحين، فإنهن إذا تأخر المطر كن يتنقلن بين بيوت الظاعنين تقودهن إحداهن وهن ينشرن فوق رؤوسهن عباءة وينشدن:

يام الغيث غيثينا
بلّي بشيت راعينا

يام الغيث غيثينا
من المطر ازّينا

يام الغيث غيثينا
من مدّ الله مدّينا




يــام الــغـيـــث غــيـــثـيــنـــا
مـــن الـــوبـــل انـــطـــيــنـــا
يــام الــغـيـــث غــيـــثـيــنـــا
دايم شـــرك بـــالـــيـــنـــا
يــام الــغـيـــث غــيـــثـيــنـــا
دايم عـــجٍّ عـــامـــيـــنـــا
يــام الــغـيـــث غــيـــثـيــنـــا
وحـــي المحـــل يـــتـــلـــيـــنـــا

وكلـما مررن ببـيت من البـيـوت تعطيهـن صاحبـة البيـت شيئاً ثم يختلين في خيمة صغـيرة أعدت لهذا الغرض ليقتسمن ما حصلن عليه وهن يرددن:

الـلـي تـعـطـيـنـا بـالـغـربـال
جـــعـــل ولـــيـــده خـــيـــال
الـلـي تـعـطـيـنـا بـالمـنـخـل
جـــعـــل ولـــيـــده يـــدخـــل
الـلـــي تـعـطـيـــنـا بـالحـفـنـه
عـــسـى عـــدوتـــه لـــلـــدفـــنـــه
الـلـي تـعـطـينـا بـالـكـمـشـه
جـعــل عــيــونــهــا الــرمــشــه

وفي المنطـقة الجنوبية وقبـل انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان أهل القرى عندما تقل الأمطار يبتاعون ثوراً ويـقوده أحدهم ويـتبعه الأطـفال الصغار مرددين أناشيد الاستمطار وعند وصولهم إلى قرب المصلى الذي يسمى المرحّم يقوم رجال القرية بذبحه وتوزيع لحمه على الأهالي بـالتساوي ويسمونه التَسْقِيَة.

ومن الأهازيج التي يرددها الأطفال في بعض القرى النجدية عند هطول المطر قولهم:

يـــالله مـــطـــر يـــالله ســـيـــل
طـــاحـــت زبـــودت حـــســـين
فـــي ذاك المـــنـــقـــع الـــزيـــن

وفي رواية أخرى:

يـــالله مـطـــر يـــالـلـــه ســـيـل
حـــتـــى تـــزعـــل أم حـــســـين
ونـــاكـــل تمـــرهـــا الـــزيـــن
ونـــخـــلـــي تمـــرهـــا الـــشـــين



الميــــاه

اهتم العرب بموارد المياه اهتماماً كبيراً، مصدره افتقار البيئة التي يعيشون فيها لهذا العنصر. لذلك عنوا عند بدء حركة التدوين في القرنين الثاني والثالث الهجريين بدراسة ما يتعلق بموارد المياه، فأفردوا في معاجمهم، التي وضعت على طريقة الموضوعات، أبواباً للبئر وآلاتها (العسكري ١٣٥٢، ج٢: ٤٤٠-٤٤٨؛ الثعالبي ١٣١٨: ١٨٢-١٨٣؛ ابن سيده ١٣١٨، ج١٠: ٣٤-٤٨). ويعتبر ابن الأعرابي -فيما نعلم- صاحب أول كتاب مستقل عن البئر، جمع فيه الألفاظ التي توصف بها الآبار في حفرها، واستخراج المياه منها، وقلة تلك المياه وكثرتها، وأجزاء البئر وأنواعها وأسماء كل نوع، وأنواع المياه الخارجة منها، وآلات استخراج المياه من الآبار كالبكرة، والحبال، والدلو وما إلى ذلك (ابن الأعرابي ١٩٧٠: ٦). كما عُني العرب بوسائل استنباط المياه الخفية أو الجوفية، واستدلوا على وجود المياه بعلامات يعرفونها على وجه الأرض تتمثل في لون الأرض ونوع الأحجار وتوفر أنواع معينة من النبات، كما اخترعوا الآلات اللازمة لاستخراجها. وبيَّنوا أن من لم يعرف على وجه الأرض علامات المياه الخفية كان ناقصاً في صناعته (الكرخي ١٣٥٩: ١٣).

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب المواضع الواردة في كتب الشعر والمعاجم العربية المتعلقة بجزيرة العرب، هي في الواقع أسماء لموارد المياه. وما أكثر ما يتكرر في معجمي البكري وياقوت الحموي قولهما بعد ذكر اسم الموضع: وهو ماء لبني فلان. كما أن أسماء تلك المياه غالباً ما تكون ذات دلالة تشكِّل أرضية ظاهرة، كالعُمق أو التَّلَجُف أو الاتساع أو مقدار المياه وغير ذلك.



ويمكن تصنيف المياه إلى قسمين هما: المياه الجوفية والمياه السطحية.

المياه الجوفية

وقد صنفها العرب في ثلاثة أنواع هي:

المياه الأصلية. أي الساكنة في جوف الأرض لا تزيد بزيادة الأمطار ولا تنقص بنقصانها ولا تتغير حالها إلا بشيء قليل، قد غمرت أكثر جرم الأرض بحسب وجود الخلل والمنافذ فيه. ولا يقل هذا الماء في فصول الجفاف وسنوات الجدب... وإذا كانت الأرض مختلفة التربة ذات موانع صلبة وحواجز حابسة للماء، صار هذا الماء في موضع في قعر قريب وفي آخر في قعر بعيد (الكرخي ١٣٥٩: ١٥-١٦)، أي أنه في حالة وجود طبقة غير منفذة تعلو مستوى الماء الباطني، تقوم تلك الطبقة بتكوين مستوى ثانوي للماء الباطني يعلو المستوى الأساسي. وقد يوهم هذا الوصف أن المقصود بالماء الأصلي هو المياه المطمورة أو الحفرية fossil؛ أي تلك المياه التي بقيت خلال الصخور الرسوبية إبّان تكوينها. فمثل هذه المياه، وإن كانت لا تتأثر بالتغيرات الفصلية وسنوات الجدب، إلا أنها تتأثر على مر الزمن بالاستغلال



المستوى الثانوي، والمستوى الأساسي للماء الباطني



حيث يعتبر استثمارها عملية تعدينية. فالاسم ربما كان منطبقاً فعلاً على المياه الحفرية إذا ما افترضنا ضآلة استثمار تلك المياه قديماً.

المياه المتحولة. وهي ما تكون مادتها استحالة الهواء (أي ما به من بخار) إلى الماء في بطن الأرض ويدوم جريه ما بقي السبب الذي به يستحيل الهواء إلى ماء (الكرخي ١٣٥٩: ١٦). وقد فَصَّل الكندي القول عن هذا الماء، وبيَّن أن ذلك يرجع إلى تكثف بخار الماء المحتبس في باطن الأرض حين يتصل بالجو الخارجي عند حفر بعض الآبار، قال «فإذا استحال الهواء بارداً، وعدم الحرارة، صار عنصراً بارداً رطباً، وهذا هو الماء. وقد يعرض في القُلُب البعيدة العمق مثل ذلك، فإنه إذا صادف الحفر موضعاً عذباً أو حجرياً غير مستحيل الكيفية أو الشبوية أو ما أشبه ذلك من الكيفيات الدالَّة على الحرارة، أو انتهى إلى طينة عذبة حُرة، واشتَّد برد الموضع الذي انتهى إليه الحفر، استحال الهواء الذي فيه ماء» (الكندي ١٩٥٣، ج٢: ١١٤).

المياه الجوية (ماء التوأب). ومادة هذا الماء من ذوبان الثلوج والأمطار وأكثر عمارة الأرض به، لأنه أصل الأودية العظام والعيون والقُنِيّ. وهذا الماء يفيض في خلاء الأرض حتى يبلغ حاجزاً مسطحاً فيقف هناك، فإذا أنشئ فوق ذلك المانع مجرى، جرى الماء على قدر قوته، وهذا الماء يسميه أهل الصناعة ماء التوأب. ولا يتغير طعمه كما يتغير طعم مياه البحار والعيون الواقفة والمستنقعات على وجه الأرض، لأن الماء الظاهر تأخذ الشمس عذوبته ورقته فَيَتَخَثَّر ويتغير طعمه، وفي بطن الأرض لا يَعْرِض له ذلك (الكرخي ١٣٥٩: ٧).

وميز العرب بين الأرضين التي يحتمل وجود الماء بها عن غيرها من الأرضين الجافة أو القليلة الماء، بمجموعة من العلامات (الكرخي ١٣٥٩: ١٢-١٣) منها أن كل أرض متعلقة بأصول الجبال الموصوفة فهي ذات ماء. والمقصود هنا هو منطقة أقدام الجبال، وإذا اتصل بأصول تلك الجبال صحاري فأكثرها ماء هو ما قرب من المركز، أي أن المناطق المنخفضة يُنَال الماء فيها في قَعْر قريب، وخصوصاً إذا كان الخلل في تربتها كثيراً، فإذا تشابهت تربة تلك الصحاري المذكورة كان الماء في جميعها على صفة واحدة أو في مستوى واحد لا تتفاضل إلا قليلاً، وأقربها إلى المركز أقلها عمقاً. ويدل وجود النبات الطبيعي وكثرته على قرب الماء، بخاصة إذا وجد




على الـنبات نداوة وطل بـالغدوات، وكذلك إذا كان على الأحجار نبات. وبَيَّن الكـرخي في مكان آخر أن ظل الأشجار على الأرض يحميها من حرارة الشمس. كما أن رؤية مسايل السيول ظاهـرة على وجـه الأرض، متصـلة بشعاب الجبال والأمكنة المـرتفعة عنها وليس لها منها مخارج، يدل على وجود الماء بها. وكذلك رؤيـة البخار الكثير على وجه الأرض صباحاً، أو الضباب أو النداوة. والحجر الأسود إذا كان ذا أطباق في الصحاري والجبال. وكذلك الحجـر المختلـف الكثـير المتـبدد في وجهـها، والحجر الأبـيض المتـفرق، والصخور القائمة كأنها ناتئة.

موارد المياه الجوفية

ويرتبط بالمياه الجوفـية أربعة أشكال تضاريسـية تردد ذكرها كثـيراً في كتب العرب لـكونها مـن الظواهر الأرضـية المهمة، ولها ارتباطها الوثيق بحياة الناس ومعـاشهم، وهـي: العيـون والأفلاج والدحلان والآبار.

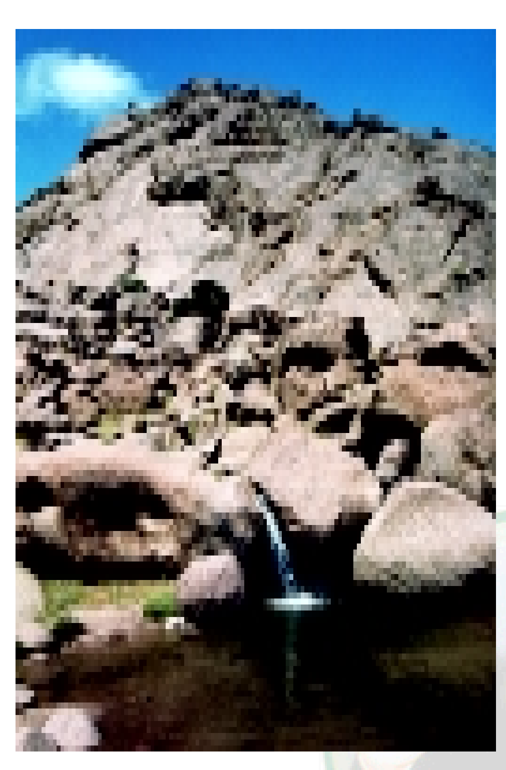
العيون. واحدتها العين التي يجري ماؤها. ذكر الـكندي أن بطون الأرض تقبل الماء على وجهين (الكندي ١٩٥٣، ج٢: ١١٢-١١٣): أولهما الماء النازل من الـعلـو والواصـل إلى بـطون الأرض بالـنَّشَف، والـثاني الـداخل من وجـه الأرض من خُـروق المغارات الـتي في بطـونها، أي الأوديـة التي فـي بطون الأرض. ويكون خروج تلك المـياه إلى سطح الأرض لمعنيين اثنين، إمَّا بالرَّشْح أو الانفجار. وهنا فرَّق الكندي بين نمطين من العيون، أولهما العيون المُتَوشِّلة، وهي التي يسمـيها أصحاب اللغة الأَوْشَال، وهي أن ترشح المياه إلـى بركة ظاهرة. أما إذا كانت باطنة، فانتهى الحـفر إليها سميت قَليبا، وإن كـان ظهور الماء فيها رَشْحاً نزّاً سُمِّيت حَسْيَا، والحَسْيُ ما قرب من وجه الأرض. أما ما بعد عنه فيسمى رَكِيَّا. وسوائل هذه الرُّشوح -أي الباطنة- تسمى عيُناً بالاسم المستعار. أما الـنمط الثانـي فهو العـيون المتفـجرة. وتكون بانفجار المـياه طبيعياً من بطون الأرض فتسيل وتـسيح على وجهها وهي الـتي تسمى في اللغة الـعيون والينابيع بمعنى واحـد. وفـي الكتاب العزيز ﴿... حتى تـفـجر لـنـا مـن الأرض ينـبـوعـا﴾ (الإسراء: ٩٠)، وجـمع الـعين أَعْـيُن وعُيُون.

فالـعيون المـتوشلـة أو الأوشال، واحدها الوَشَل بالتحريك أي الماء القليل يَتَحلَّب من جبل أو صخـرة يقطر منه



قليلاً قليـلاً لا يتصل قطره، وقيل لا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل، وقيل هو ماء يخـرج من بين الصخر قلـيلاً قليـلاً والجمع أَوْشَال. ومن الأسـماء المرادفة للأوشال أيضاً المَذْوعُ والفَزِيز. فالمَذْع كمـا ذكر ابن منظور في لـسان العرب هو سيـلان العيون التي تكون في شَعَفَات الجبال. وهو البذْع أيضاً – بالباء– ويطلق على قطر حُبٍّ الماء. أما الفزيز فقد جاء في لسان العرب بمعنى الوَشَل في مادة «وشل» ولم يفسر في مادة «فز» إلا أن يكون بمعنى فَزَّ الجرح يَفِزُّ فَزيزا إذا سَال بما فيه والفزيز سيلان العـيون مـن الجبـال. والأوْشَال مـن الأضْدَاد، فكما تطلق على الماء القليل الذي يقطـر قطرة قطرة، تطلـق أيضاً على الماء الكثـير الذي يستفاد منه في الزراعة. فقد جـاء عن أبي حنيفة أن الأوشال مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع.

وتكثر الأوشال في غرب شبه الجزيرة العربية في وسط جبال الحجاز وجنوبها. ويؤكد عَرَّام بن الأصبَغ السُّلَمي في رحلته ما ذهب إليـه أبو حنيفة، مـن أن المياه التي يعـتمد عليها سـكان إقليم تهامـة والحجاز هي عيون أو أوْشَال أو بُثُور أو قِلاَت. وذكر أن الوَشَل ماء يخرج من



الوشل

شَاهـقة لا يـطورها أحد ولا يـعرف مُتَفَـجَّرها، وتوجد تـلك الأوشَال في جبـلي رَضْوَى وعَزْوَر، وهـما جبلان شاهقان منيعان لا يرومهما أحد، بينهما قدر شوط فرس، ويـقعان شرقي يَنْبع البحـر، وترى كتلة جـبل رضوى من مسافة بعيـدة. كما توجد الأوشال في جبل وَرِقَان وفيـه أيضاً عُيون وقِلاَت، وكذلك الحال فـي معظم جبال السَّـراة (السلـمي ١٣٧٣، ج٥: ٤٢). ويقول الحموي إنه توجد أوشال في دَماخ من جبال حِمَى ضَرِيَّة.


النّباع (نبع أبو قاطور – حوطة سدير)

والوَشَل أيضاً عَلَمٌ على عدة جبال في جزيرة العرب، وربما سُمِّي الموضع باسم الجنس وهو جبل عظيم بناحية تهامة، والوشل ماء لبني سلول بن عامر بن صعصعة في جبل يقال له الضُّمْر، والوشل ماء قريب من غَضْور ورُمَّان، شرقي سَمِيراء، وفيه قال أبو القَمْقَام الأسدي:

اقرأ على الوَشَلِ السَّلاَم وقُل لَهُ
كُلُّ المَشَارِبِ مُذْ هُجِرَت ذَمِيمُ
جَبَلٌ يَزِيدُ عَلَى الجِبَال إذا بَدَا
بَيْنَ الرَّبَايِعِ والجُثُومِ مُقِيمُ

والوطل: ماء ينطف بقطرات قليلة ودائمة–أي نضاح ويكون له حوض صغير يستقر فيه ترد عليه الطيور والحيوانات وقد يجد فيه القانص ما يكفيه وإذا كان كثيراً فقد يملأ منه القربة ويكون في صدور الجبال والهضاب وهو كثير في جبل ثهلان والسرف ماء يتسرب من الجبل في مجرى منحدر بصفة دائمة ولا يبلغ حد الجريان لضحالته وهو موجود في هضب الدواسر وثهلان. والنباع ماء ينبع بين الصخور ويكون على قطرات قليلة ودائمة وهو كثير في جبل ثهلان (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢٨).

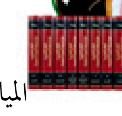
أما العيون المتفجرة فقد ميز الكندي بين نوعين منها هما العيون الفَوَّارة وتكون بانفجار الخروق من الأرض، وفَوَران



الماء أي جَيَشانه من العين (الأزهري، ١٩٦٤، ج١٥: ٢٤٧). والعيون الخَرَّارة، وهو ما انحط من مياه العيون من أعلى إلى أسفل، فكان لجريه صوت خريري وهذا أبلغ العيون. وذلك لشدة حركته وجريه. والخَرَّارة في كلام العرب عين الماء الشديدة الجريان، سميت خَرَّارة لخرير مياهها وهو صوته. والعيون المتفجرة هي التي سَمَّاها ابن سينا بالعيون السَّيَّالة التي تنبعث من أبخرة كثيرة قوية الاندفاع كثيرة المادة تُفَجِّر الأرض بقوة انفجارها ثم لا تزال تفيض مستتبعة موادها. وميز بينها وبين مياه العيون الراكدة التي لم يبلغ من قوتها وكثرة مادتها أن يطرد تاليها سابقها طرداً ويدفعه ويسيحه (ابن سينا ١٩٦٥: ١٣). ويمكن القول إن النوع الأول من العيون قد انتهى نتيجة انخفاض مستوى المياه الباطنية بعد حفر الآبار الأرتوازية والزيادة في استغلال المياه. أما العيون في الأماكن المرتفعة كما في السراة فلا تزال غنية بالمياه. أما النوع الثاني فيتمثل في عيون الأفلاج في الإقليم المسمى بذلك الاسم جنوب الخَرْج.

وتعتبر المنطقة الشرقية من المناطق التي تكثر بها العيون الطبيعية. وتوجد تلك العيون في واحتي الأحساء والقطيف، حيث تتفجر من طبقات الجير الرملي (النيوجين) التي تعلو الخزان المائي الأيوسيني. وتتميز هذه الطبقات بعدم الاستمرار في خواصها الصخرية وأعماقها وخواصها الفيزيائية من حيث الكثافة. وينعكس ذلك على المياه الجوفية التي تحملها هذه الطبقات، ومن المتعذر تحديد التدرج المائي والكيميائي لتلك الطبقة، لتباينها من حيث الطاقة المائية ودرجة الملوحة والضغط من منطقة لأخرى. وتستثمر هذه الطبقة المائية على نطاق واسع من واحة الأحساء بواسطة آبار السبر، حيث تتميز بالتدفق وقلة الملوحة نسبياً (١٤٠٠ ملليجرام في اللتر)، ويعتقد بأنها مصدر أكثر الينابيع السائدة في المنطقة المذكورة. أما في واحة القطيف فاستثمارها على نطاق ضيق لعدم تدفقها وزيادة ملوحتها (٣٠٠٠ ملليجرام في اللتر)، ولتوافر طبقات مائية أعمق ذات مواصفات أفضل.

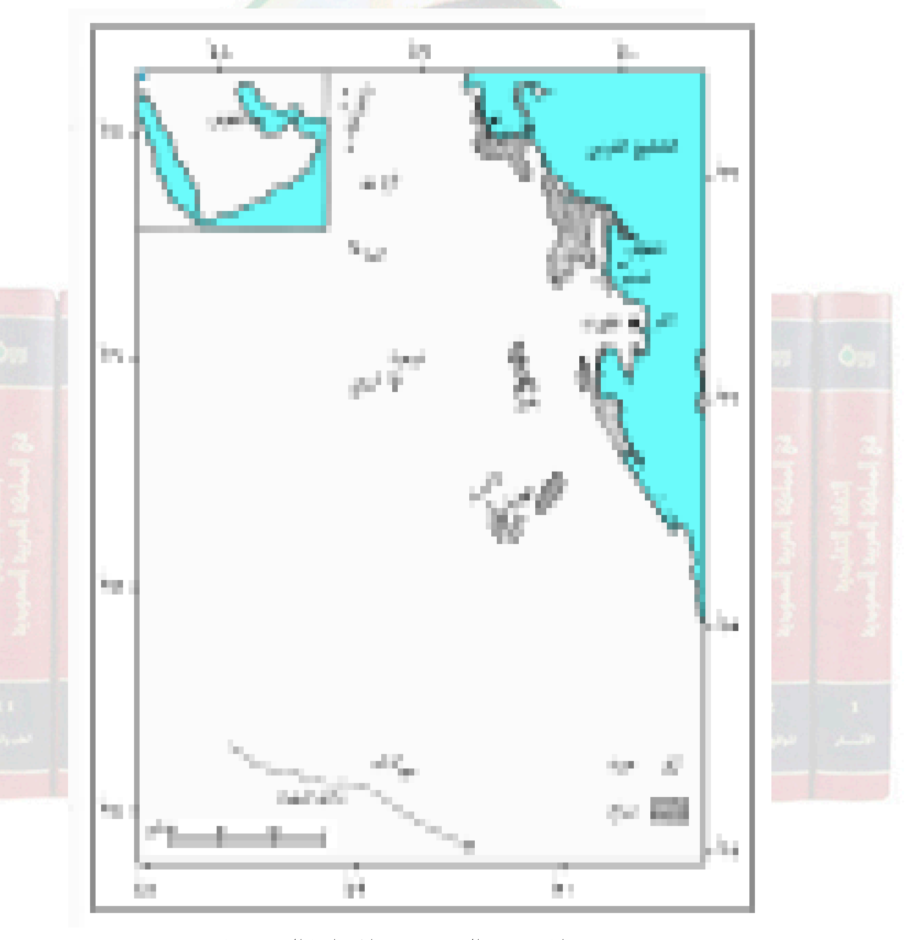
ويطلق على العيون والينابيع الحارة التي تنبثق من جوف الأرض الحمّة جمعها الحمّات. وتصل درجة حرارتها إلى ما يقرب من ٦٠ درجة مئوية، وقد تحتوي على مواد مذابة وعالقة، ويغتسل بمائها طلباً للاستشفاء.



فـفي الأحـساء عـين نجم ولـعل تسمـيتها ترجع إلـى الظن أنها كانـت موضع مـسقط لنيزك، فـهي في هوة منخـفضة من الأرض، ماؤها يـجري تحت سطح الأرض، وهو شديد الحرارة بحيث يهابه المرء حتى ينغـمر فيه شيئاً فشيئاً، ومع شدة حرارة الماء وبعد منبعه يوجد فيه آثار لا تكون إلا على سطح الأرض، كبعر الحيوانات أو ما أشبهه.

ويتخذ أهـل الأحساء من حرارة تلك الـعين عـلاجـاً لبـعـض أمراضـهـم ويستحمون فيها.

ولـهذه الـعـين ذكر فـي تـاريـخ الأحساء، ففي سنة ١٢٥٥ عين محمد أفندي أميراً للأحساء من قبل خورشيد باشا وخالد بن سعود، وقد طلب محمد أفندي من أحد أعيان الأحـساء من آل ملحم أن يزوجه ابنته فاعتذر بحجة أنها



خريطة توزيع العيون في المنطقة الشرقية



معقود عليها لابن عمها المسافر إلى الهند. فلم يقبل محمد أفندي عذرهم بل أرادها منهم جبراً، فكمن له ثلاثة رجال وهو عائد من عين نجم بعد المغرب ومعه خمسة من الفرسان يحرسونه، فلما وصل إلى عين أم خريسان أطلق الكمين النار عليه دفعة واحدة فأردوه قتيلاً.

ولعلماء الأحساء مساجلات شعرية في هذه العين، من ذلك قول أحدهم:

يا عين نجم فُقْتِ آبار الحسا
بحرارة وبخار ماء يصعد

وتقع العين في براح من الأرض، كانت البادية تنزل إلى جانبها في الصيف، كما يرتادها الناس للنزهة (الجاسر ١٤٠١، ج٣: ١٢٣٦-١٢٣٧).

وفيها عين أم سبعة التي سميت بهذا الاسم لأن ماءها يجري في سبعة أنهر، وتحيطها الرمال من الشمال والغرب، والنخيل من الشرق والجنوب. وماؤها عذب صاف، وهو شديد الحرارة لا سيما في أيام الشتاء، يفد إليها الناس للاغتسال والنزهة. ويعتقد حمد الجاسر أنها هي نهر محلم.

وينص الهمداني على أن محلما هو نهر البحرين، وأن هذا النهر بأرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم (الهمداني ١٩٧٤: ٣٤٣-٣٤٥). وفيها يقول الشاعر:

رعى الله يوماً قد طوينا نهاره
بكثبان رمل زينتها الجداول
تجود عليها دائماً أم سبعة
بماء كبلور جلته الصياقل

(الجاسر ١٤٠١، ج٣: ١٢١٤).

وعين الجوهرية من أقوى عيون الأحساء وأعذبها وأصفاها ماء، وتقع بقرب قرية البطالية. قال فيها ابن المقرّب:

فخير لعمري من بساتين مرغم
على ذي المجاري طلح نجد وشوعها
ومن ماء نهر الجوهرية لو صفا
ذبابة حسي لا يرجَّى نبوعها

ومرغم محلة في الأحساء، وذبابة الشيء بقيته.

ويتفرع من الجوهرية عدد من المجاري تسقي البطالية والكلابية وجليجلة والشعبة (الجاسر ١٤٠١، ج٣: ١٢١٤).

وعين حَنِيذ تقع شرقي الضُّبْطية إلى الغرب من الأحساء، وعليها بيوت ومزارع (ابن بليهد ١٩٧٢، ج٣: ١٢٦). قال عنها الأزهري: وقد رأيت بوادي الستارين من ديار بني سعد عين ماء عليه نخل زين عامر، وقصور من قصور مياه العرب، يقال لذلك الماء حَنِيذ. وكان نَشِيلُه حاراً




فإذا حُقِن في السّقاء، وعُلِّق في الهواء حتى يبرد وتضربه الريح عذب وطاب.

وهناك أيضاً عين خُدَد التي وصفها ياقوت بأنها عين بهجر، والأصل فيه خُدَّة، وهو الشَّق في الأرض. وهي من أكبر العيون الفَوَّارة المعروفة بالأحساء، وتسمى اليوم بالخُدود. وتتفجر المياه من عمق يصل إلى ما يقرب من ١٥٠م خلال طبقة الجير الرملي (النيوجين). وكان يبلغ تصريف العين عند أقصى حد للمنسوب حوالي خمسة أمتار مكعبة في الثانية الواحدة، أي ما يعادل ٣٦٠ ألف مليون جالون في السنة. ويبلغ تصريفها عند خفض المنسوب حوالي ٣ أمتار مكعبة في الثانية، بما يعادل حوالي ٢٥٠ ألف مليون جالون في السنة. وتنصرف مياه عيون الأحساء بعد استغلالها في الري قديماً إلى شرقي الواحة في بحيرة قَدّر الأزهري مساحتها بثلاثة أميال في مثلها (نحو ٢٤كم٢). قال: ولا يَفِيض ماؤها، وماؤها راكد زعاق.

وفي القطيف عين الكعيبة وهي من أشهر عيون سيهات تبعد عن قرية الجشة نصف كيل. وعين أم الفرسان تنبع في قرية تاروت، من تحت آثار قلعة قديمة ومجراها مطوي بصخور. أما عين أم المجالس فتقع بين قريتي القديح والعوامية وتروي أراضي القديح.



إحدى عيون الخرج



وبالقرب من مدينة صفوى تقع عين داروش، وهي أكبر عيونها وتروي أراضيها.

وفي نجد تكثر العيون في منطقة الأفلاج والخرج والسر وغيرها. ولا شك أن تعاقب سنوات الجدب وكثرة حفر الآبار الارتوازية قد أثر على مستوى الماء في هذه العيون فتوقف جريان معظمها، وأصبح ماؤها يستخرج بالمضخات، وبعضها نضب تماماً وانمحت معالمه.

ومن أهم هذه العيون في منطقة الخرج عين دغرة أو خفس دغرة، ماؤها تحت الأرض ويستخرج بالمضخات. وعين الضلع وهي أكبر عيون الخرج، وقد انخفض مستوى الماء بها ويستخرج الآن بالمضخات. وعين فرزان وقد اندرست تماماً.

وهناك عيون في منطقة نجد اندرست منها عين خشم الحصان قرب رغبة، وعين ضرما القريبة منها. وفي القصيم عين ابن رميح وعين ابن هذال وعين الحمزة وعين العقيلي. أما عيون السر فكانت عامرة وكان أهلها يسقون منها النخيل والمزروعات، غير أنها الآن أهملت واعتيض عنها بآبار ارتوازية. ومن أهمها عين الصوينع، وهي نبع من أرض طينية سهلة عذبة المياه شمال غرب هجرة الأرطاوي وغرب روضة مطربة،



قناة فرزان

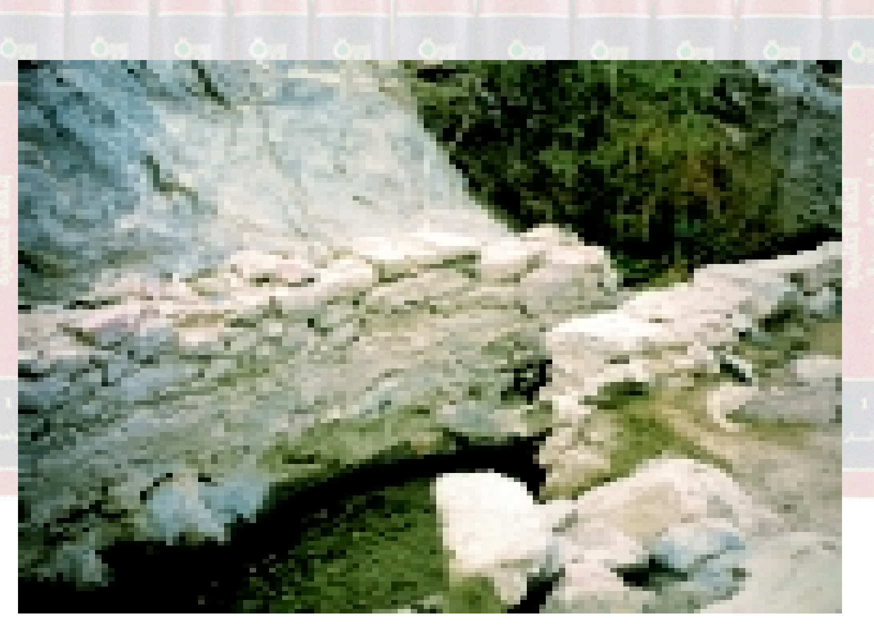



وقد توقفت. وعين ابن قنّور، والبعض يسمي هذه العين الجنيفاء وكانت تسمى عين ابن سرحان، كما تدعى أم الظلة، والظلة صيهد رمل يضفي ظله عليها وتنبع من جانب أسفل وادي القرنة من الشرق. ومن العيون الأخرى في السر عين الروسانية والريشية وصعيبات وغيرها.

وفي مكة المكرمة عين زبيدة التي تنحدر من نعمان إلى مكة، وقد قامت زبيدة زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمهما الله بإيصالها إلى عرفات ومزدلفة وقرب منى، وجعلت لها في هذه المشاعر بركاً كبيرة وأقنية بنهايتها بركة عظيمة حول منى، قال عنها بعض المؤرخين إنها من الأبنية المهولة، وعين الزيمة. وفي الطائف عين المثناة، وعين الوهط والوهيط، وعين شبرا، وعين أم قرون تمر بسوق عكاظ، وعين الحوش وغيرها في تبوك عين السيكر وعين أم سبعة.

ومن عيون المنطقة الجنوبية العين الحارة في بلاد بني مالك وماؤها معدني، وأخرى بالاسم نفسه وتعرف أيضاً بالبزاة على طريق جازان العارضة، والحارة أيضاً في جهة الخوبة من بلاد بني الحرث، والعقدة تنبع في غرب جزيرة فرسان (العقيلي ١٣٩٩: ٣٠٣).

ويصف الناس المياه بأوصاف تدل على حالته واستساغتهم له مثل: عذب وقراح، أو الهماج بين العذب والمالح



عين الزيمة



وللمالح أقرب والدمج ماء أقل ملوحة من الهماج.

ويوجد عدد من العيون في سراة غامد وزهران من أهمها: ذي عين في منتصف عقبة الباحة وعين ابن الطويل وعين الخلي في عقبة بني حده وعين المزرعة في بني كبير.

الأفْلاج. الأفلاج جمع فَلَج، بالتحريك، وهو الماء الجاري من العين. وبه سمي إقليم الأفلاج الذي يعد من أشهر أقاليم نجد الجنوبية، وعاصمته مدينة ليلى. وجاء في المخصص: الفَلَج هي الساقية التي تجري إلى جميع الحائط أي بستان النخيل. وقال الهمداني: الفَلَج من العروض ويسمى فَلجا لانفلاجه بالماء أي انفتاحه (الهمداني ١٩٧٤: ٣٠٤). وحَدَّه أبو عبيد البكري بقوله «ووراء المَجَازةِ فَلَج الأَفْلاَج، وهو ما بين العارض (جبال طويق) ومطلع الشمس، تصب فيه أودية العارض وتنتهي إليه سيولها، وليس باليمامة ملك لقوم خلصوا به مثلها، وهو أربعة فراسخ طولاً وعرضاً مستديرة. ويقول الكلابي إن سبب تسميته بِفَلَج الأفلاج أنه أفلاج كثيرة وأعظمها هذا الفلج، لأنه أكثرها نخلاً ومزارع وسيوحاً جارية، وعدَّ ستة أفلاج أخرى، ثم فسر المراد بكلمة فَلَج، فذكر أن كل ما يجري سَيْحا من عين فهو فَلَج، وكل جدول شُقّ من عين على وجه الأرض فهو فَلَج. وأما البحور والسيول فلا تسمى أفلاجاً. وقد أسهب الهمداني (١٩٧٤: ٣٠٤)، في الحديث عن هذه المنطقة، قراها وأوديتها وعيونها، ويبدو أن المقصود من قرية الفَلَج، التي أشار إليها الأصفهاني بأنها قرية عظيمة بها نخيل ومزارع وأنهار، مدينة ليلى القريبة من العيون. ويدل على ذلك وصفه لإحدى العيون هناك وهي عين الذَّبَّا التي يخرج منها -على ما ذكر- سبعة عشر نهراً، وهي شبه خَسْفة في الأرض وهي في غَضْراء (الأصفهاني ١٩٦٨: ٢٢١-٢٢٢). والغضراء كما جاء في لسان العرب هي الأرض السهلة الطيبة التربة العذبة الماء. وقيل الغضراء المكان ذو الطين فيها النخل حتى تحفر، وأعلاها كذانٌ أبيض، والكذان الحجارة التي ليست بصلبة. وقيل حجارة رخوة إلى البياض. وهي صفة للصخور الطينية أو الجيرية المنفذة للماء. وتنطق عند العامة بالثاء.

ومن النصوص السابقة يمكن القول إن القدماء قد أحسنوا وصف هذه المنطقة وعيونها، وأن المقصود بِفَلَج الأفلاج




المنطقة القريبة من مدينة ليلى حيث توجد أكبر عيون الأفلاج، وتتألف من مجموعة من العيون عددها حوالي ١٧ عيناً أهمها عين الراس المعروفة قديماً بعين الناقة وتبلغ مساحتها حوالي (٢٨٠,٠٠٠م٢ ومتوسط عمقها ٢٨م وأعمق نقطة قيست فيها ٤٢م). ومنها عين أم هيب وسمحه وأم برج وغيرها. وعيون الأفلاج ليست عيوناً فوارة، كما هو الحال في المنطقة الشرقية، بل أشبه ما تكون بالبحيرات الراكدة، ويحيط بها نباتات النَّصي والحَلْفاء، وتقع في منخفض من الأرض وسط تكوينات من الكلس والحجر الجيري. وقول الأصفهاني عن إحدى العيون إنها شبه خَسْفَة في الأرض صحيح، لأنها في الواقع ظاهرة كارستية كان لقرب المياه الجوفية من السطح أثره في ظهورها على النحو المذكور، ويؤكد ذلك وجود انهيارات مستمرة لحافات تلك البحيرات. وتبدأ تلك الانهيارات على شكل شقوق فوق سطح الجروف المحيطة بها، خصوصاً من جهتها الشرقية حيث يصل عرض بعض تلك الشقوق إلى حوالي نصف متر. وليس هناك أي تناقض في تفسير القدماء للسبب الذي من أجله سميت الأفلاج بذلك الاسم، فقد تفرد الهمداني بقوله «إن الفَلَج سُمِّي فَلَجاً لانفلاجِه بالماء» وهو وجه في تفسير



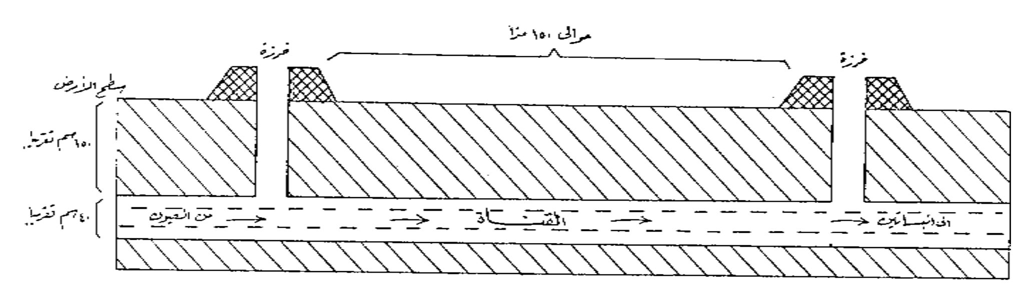
إحدى عيون الأفلاج



تلك التسمية، أما الوجه الآخر الذي عليه عامة أهل اللغة، فهو قولهم إن الفلج هو الماء الجاري من العين. وهذا هو أصل التسمية إذ أطلقت على تلك القنوات السفلية التي تنقل مياه العيون إلى البساتين القريبة. والأصل فيها القناة أو الساقية الرئيسية التي تجري إلى بساتين النخيل، كما قال ابن سيده. وتدعى تلك القنوات السفلية بالأفلاج في أكثر من منطقة من شبه الجزيرة العربية، إذ توجد في شمال القصيم في منطقة الأسياح، ولعل إطلاق الاسم على المنطقة سببه كثرة الأفلاج بها، ويكفي ما قاله الأصفهاني إن ما يخرج من عين الذَّبَّا فقط سبعة عشر نهراً.

ومن عيون الأفلاج المذكورة (البرج، أم هيب، سمحة) تجري ثمانية أفلاج لتسقي أربعة منها بساتين السَّيْح الجنوبي،

خريطة عيون الأفلاج



رسم تخطيطي للفلج

وأربعة أخرى هي: بساتين السيح الشمالي، ويبعدان عن العيون نحو خمسة أكيال. وتوجد بجانب تلك العيون مجار عميقة مكشوفة، يبدو أنها تستخدم للصرف. أما الأفلاج المستعملة، فهي قنوات محفورة على عمق متر تقريباً من سطح الأرض، بقطر يبلغ نحو ٤٠سم. وتوجد على طول القناة فتحات رأسية تسمى الخَرَز تستخدم في تنظيف المجرى في حالة انسداده، وهي في هذا تشبه الكِظَامة وجمعها كَظَائم، وهي كما جاء في لسان العرب آبار مُتَنَاسقة تُحْفَر ويباعد



فتحة المراقبة للتنظيف في إحدى الخرزات

ما بينها ثم يُخْرق ما بين كل بئرين بقناة تؤدي من الأولى إلى التي تليها تحت الأرض فتتجمع مياهها جارية ثم تخرج عند منتهاها فتسح على وجه الأرض. وهي في هذا تشبه الأفلاج.

ومن المؤسف أن الإسراف في استنزاف المياه الجوفية وحفر الآبار الارتوازية قد أثر على مستوى مياه هذه العيون الآن فاختفى بعضها تماماً وانخفض منسوب مياه بعضها الآخر انخفاضاً كبيراً جداً.

الدحول. والدُّحْلاَن والدِّحال والدَّحَائِل والأَدْحَال، كلها جمع دَحْل، وهو نقَب في الأرض ضيق فمه متسع أسفله، أو هوة تكون في الأرض وفي أسافل الأودية منها ضيق ثم تتسع حتى يمكن المشي فيه، وقد ينبت الشجر في داخلها. والدحول تجاويف في باطن الأرض تفيض فيها مياه الأمطار أو السيول، ويتم الدخول إلى الماء من الفوهة



التي نزل فيها السيل وقد يمتد المجرى ويتعرج ويتسع ويضيق بحيث يستطيع الداخل الجلوس فيه وأحياناً لا يدخل إلا زحفاً (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦٧٣-٦٧٤). وهو ضرب من الأشكال الأرضية الناتجة عن الإذابة فوق سطح الحجر الجيري أو الطباشيري أو الحَمَاد. وتتراوح أشكالها بين منخفضات طبقية الشكل، يصل قطرها عدة أكيال وعمقها بضعة أمتار، وحفر ضحلة لا يتعدى قطرها بضعة أمتار. والمصطلح المستخدم للدلالة على هذه الظاهرة اليوم هو الحفر البالوعية ترجمة لكلمة Sinkholes. وهو تعبير غير دقيق، فالبَالُوعة أو البَلُّوعة -لغتان- عند العرب كما جاء في لسان العرب بئر أو حفرة تحفر في وسط الدار، ويضيق رأسها، يجري فيها ماء المطر ونحوه. وتنتشر ظاهرة الحفر هذه بأعداد كبيرة في إقليم الصمان في شرق المملكة، خاصة بالقرب من معقلة، حيث يزيد عدد الدُّحلان، بين صغير وكبير، على مائة دَحْل في مساحة لا تتجاوز ١٠٠كم٢.

وقد ورد اسم الدحل على لسان عدد من الشعراء الأقدمين، كامرىء القيس والنابغة الذبياني وزهير بن أبي سُلْمَى وغيرهم، وأفضل من شرح معناه من اللغويين الأزهري -كما جاء في معجم البلدان- الذي مَرَّ بتلك الدحول ودخلها ووصفها بقوله «وقد رأيت بالخلصاء ونواحي الدهناء دحلانا كثيرة، وقد دخلت غير دحل منها، وهي خلائق (أي حفر) خلقها الله تحت الأرض، يذهب الدَّحْلُ منها سَكَّاً في الأرض قامة أو قامتين أو أكثر من ذلك، ثم يَتَلَجَّف (تنهدم جوانبه) يميناً أو شمالاً، فمرة يضيق ومرة يتسع في صَفَاة مَلْساء لا تحيك فيها المَعَاولُ المُحَدَّدة لصلابتها. وقد دخلت منها دحلا فلما انتهيت إلى الماء، إذا جو من الماء الراكد فيه لم أقف على سعته وعمقه وكثرته لإظلام الدحل تحت الأرض، فاستقيت أنا وأصحابي من مائه، لأنه من ماء السماء يسيل إليه من فوق ويجتمع فيه».

ومن نص الأزهري نستنتج أن لفظ الدَّحْل ينصرف إلى تلك الحفر المتعمقة في طبقات الحجر الجيري، بسبب مياه الأمطار التي تسربت خلال الشقوق والمفاصل حتى وصلت إلى الطبقات الخازنة للمياه وأذابت المادة الجيرية بما تحتويه من غاز ثاني أكسيد الكربون. وبتوالي عمليات النحت السفلي بتأثير المياه الجوفية وتغلغل مياه الأمطار من السطح تتسع مسارب المياه ويتكون ما




يشبه المغارات التي تنتهي غالباً إلى مستوى الماء الباطني. ونظراً لطبيعة تكوينه فإن الدحل يتلجف ويتجه يميناً أو شمالاً تبعاً لطبيعة الصخر. ويتوقف امتداد الدحل على قوة عامل النحت وهو المياه «فمنها ما يكون سبعين بوعاً ومائة بوع تحت الأرض وأقل وأكثر» (الهمداني ١٩٧٤: ٢٨١).

وقد ذكر الشعراء وأصحاب المعاجم وكتب البلدان دُحلاناً كثيرة، منها دحول هَبالة ودَحْل العِيص ودحل السَّمُرات ودحل فِتاخ وأدحال دَبَّاب ودحل خُرَيشيم وغيرها. وأغلب هذه الدحلان موجودة في الصمان. وأشار الهمداني إلى أن تلك الدحلان هي موارد المياه في الصُّمان. وهي شقوق عميقة مُخَرَّقَة في جَلَد الأرض يكون فيها الماء (الهمداني ١٩٧٤: ٢٨١، ٣٣٣). وتقع معظم الدحلان في هذه المنطقة عند جوانب المنخفضات التي ترصع سطح الصَّمان والتي تبدو في حجم الروضات. والفرق بين الروضات التي تنتشر أيضاً في هذه المنطقة، وبين تلك المنخفضات هو تريِّض الماء في الروضة ومُكْثِه بعد سقوط المطر، مما يعمل على ازدهار الحياة النباتية فيها. أما منخفضات الدحلان فينصرف فيها الماء سريعاً نحو فتحة الدحل ويغور فيها.

وعلى هذا ربما كانت تلك الرِّياض والخَبْرات المنتشرة فوق سطح الصَّمان الجيري مرحلة من مراحل تكوين الدَّحل. وفي الحقيقة فإن الدُّحُول موجودة في معظم أجزاء هضبة الصُّمَّان شمال وادي السَّهْبَاء، ولكنها تتركز في هضبة الصُّلْب.

وتشغل هضبة الصُّلْب أكبر جزء من هضبة الصُّمَّان، وهو الجزء الأوسط منها. وهي هضبة ذات سطح متموج شاسع يتكون من صخور فتاتية قارية من العصور المايوسينية والبلايوسينية، وسطح الهضبة كثير التلال المتطامنة التي تتكون من حجر أم رَضَمَة الجيري شديد الكارستية والقابلية للذوبان وظاهرة الكارستية هذه موجودة تحت السطح وسطح المنطقة أصبح وعراً من كثرة الحفر المتعمقة ذات الكهوف التي تسمى دحولاً. وهذه الدُّحُول بعضها مفتوح إلى أعماق تزيد على خمسين متراً، كما توجد دحول ذات كهوف أفقية على أعماق متنوعة مثل دحل أبو مروة.

ومن أشهر الدحلان القريبة من معقلة اليوم أبو طَقَّة ويقع شمالي معقلة بحوالي كيل واحد وكان من مصادر المياه. وقد اندفنت فوهته إلا أن المياه تتسرب إليه من خلال مسام الرمال التي



تغطيها. ويرى عبدالله بن خميس أن اسمه أبو طِقَّه بكسر الطاء وتشديد القاف المفتوحة، والطقة الفتحة الفرعية غير الباب الرئيسي ومنه طقة الجربوع (نافقائه) وتدعى بالعامية قصعه ونطاقة وهو الباب المخفي الذي يعده للطوارىء. ودحل الهِشَامي وهو من الدُّحلان الكبيرة، ويقع جنوب غربي مَعْقَلة، وكان حتى وقت قريب من مصادر المياه المهمة. ودحل فِتَاخ الذي يقع جنوب معقلة بحوالي ثلاثين كيلاً وهو من مياه العرب المعروفة قديماً، ذكره ذو الرُّمة وقَرَنه بِحُزْوَى في قوله:

لمية إذ مي مغان تحلها
فتاخ فحزوى في الخليط المجاور

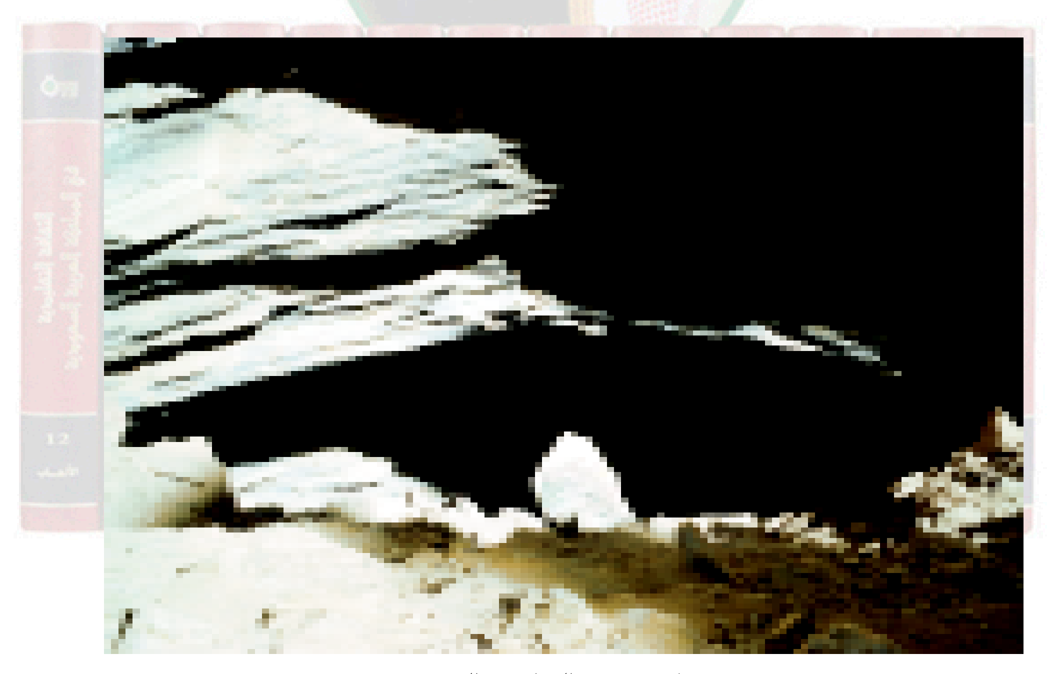
وحُزْوى عُريق من الرمل إلى الشمال من فِتَاخ يرى بالعين من عنده. وبالقرب من فتاخ بضعة دحلان، يبدو أنها جميعاً متصلة الأسافل مع فتاخ ويبدو أن معظم دحلان المنطقة متصلة بعضها ببعض عن طريق المياه الجوفية، التي تسير تبعاً للانحدار العام لسطح شبه الجزيرة العربية والطبقات الرسوبية نحو الشرق والشمال الشرقي في هذه المنطقة.

ويلاحظ صلابة جوانب فوهات بعض الدحلان ونعومة ملمسها حتى تبدو كالرخام كما هو الحال في فوهة دحل فتاخ المذكور. وقد أثبت التحليل المعملي لقطاع رقيق من فوهة ذلك الدحل أن كبر حجم البلورات وتمام بلورتها يرجع إلى حدوث عملية تعرف بإعادة التبلور بعد تمام عمليات الترسيب، وأن الحجر الجيري لتلك المنطقة قد تعرض لمحاليل دافئة أدت إلى بلورة مكونات الصخر من جديد، فيما يعرف بتغيرات ما بعد الترسيب. وربما كانت هذه المحاليل الدافئة، التي أدت إلى صنع ذلك الشكل، ناشئة عن صعود المياه على شكل فوارات أو عيون من فوهات تلك الدحلان في أزمنة سابقة، مما يوحي بوفرة مياه المنطقة قديماً، أو أن يكون ذلك نتيجة تكرار انسكاب بعض المياه المستخرجة من الدحل على جوانب الفوهة، ويؤكد الظن الأخير وجود آثار الأرشية واضحة على جوانب دحل فتاخ الذي أخذت منه العينة.

وفي غير هذه المنطقة دحلان أخرى تختلف في شكلها -إلى حد ما- عن الدحلان السابقة مع كونها أكبر حجما.

ويعدّ دحل هيت من أكبر الدحول وأشهرها، ويقع جنوب شرق مدينة الرياض بحوالي ثلاثين كيلاً، وهو على شكل كهف عظيم متعمق في جبل هيت، وهو جال ممتد من الشمال الغربي

إلى الجنوب الشرقي. ومن المحتمل أن دحل هيت يماثل الخسف الذي حدث في أواخر عام ١٩٦٢ في محافظة المذنب في منطقة القصيم. ويظن أنه تجويف حدث بسبب إذابة المياه الجوفية للكلس في هذه البقعة، وتبع ذلك انهيار السقف انهياراً تاماً عند المدخل وانهياراً جزئياً في سائر الخسف فوق هذا الجزء المذاب. ولابد أن كثرة الفواصل المتقاطعة في هذا الكلس وجيوب الجبس التي تتخلله هما العاملان اللذان أدَّيا الدور الأول في إحداث هذا الخَسْف (Abul-Haggag 1963:266). ومن واقع الدراسة المقارنة التي قام بها أبو الحجاج للخسوف الأخرى الموجودة في منطقة المذنب، اتضح له أن خسف عين العقيلي الواقع على بعد نحو كيل واحد إلى الشمال من المذنب، لا يفترق عن خسف المذنب إلا في أن السقف هنا قد انهار انهياراً تاماً، وأن الخسف ربما زاد اتساعاً بعد مدة عن اتساعه الأصلي. ورجَّح أن خسف المذنب المائل سيتخذ شكل هذا الخسف القديم نفسه في المستقبل حتى يصبح حوضاً مفتوحاً تماماً (Abul-Haggag 1963:272-275). وقد ألقى ذلك البحث الضوء على أصل الظواهر المماثلة الأخرى الموجودة في هضبة نجد مثل دحل هيت وعيون الخرج والأفلاج. ويبدو أن



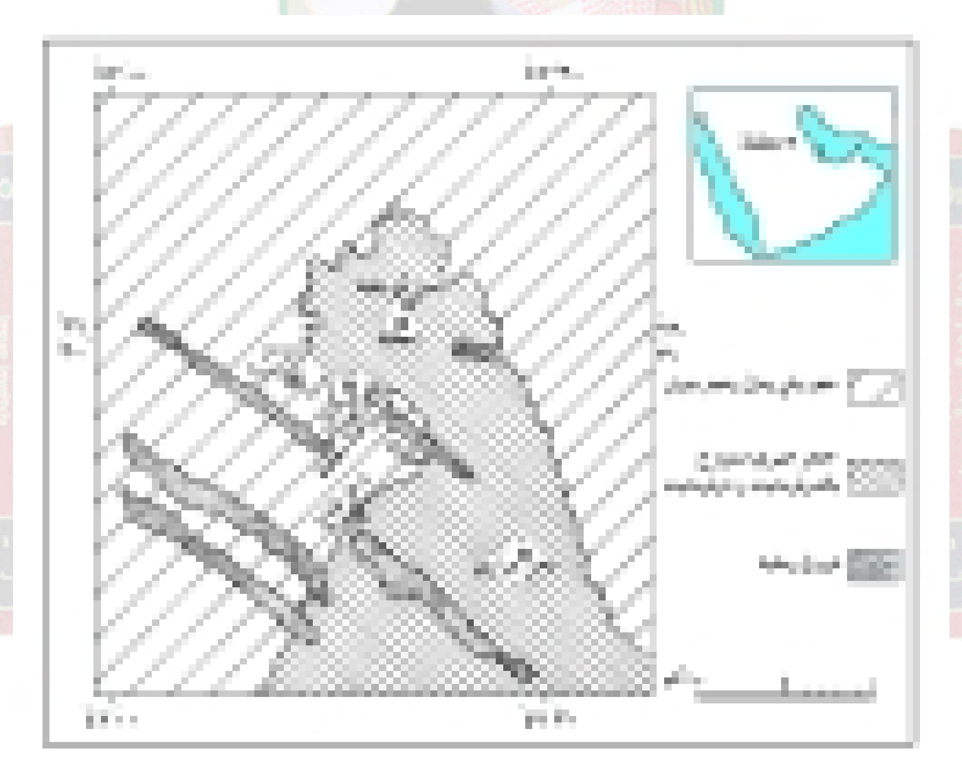
دحل هيت بين الرياض والخرج



قصد الأصفهاني عند حديثه عن عيون الأفلاج، وأنها شبه خَسْفَة في الأرض، مقارنتها بعيون الخرج التي تسمى اليوم الخفوس ولعل التسمية قلب لكلمة الخُسُوف وتستعمل الكلمتان في اللهجة الدارجة بمعنى واحد. وكانت الدحول مصدراً رئيسياً من مصادر المياه في المناطق التي توجد بها وخصوصاً الصمان حيث تقل أو تعدم الأبار في بعض أنحائها. قال الشاعر الشعبي:

ياوجودي عليهم وجد من فاطرٍ له
غره القيد منها في فروع المضامي
فوقها قربته وشداد مع مزهب له
وأصبحت جرة القشرا غطاها العسامي
في الحتيفه خلاوي والدحل ما يدله
ولا حواليه من يعطيه حمض العلامي

أما اليوم فقد هجرت معظم الدحلان، ولم تعد مورداً للمياه كما كان عليه الحال قديماً، فقد استعاض الناس بمياه الآبار التي تستخرج بآلات الضخ الحديثة لخطورة النزول في تلك المغارات والحفر، ولا يزال سكان معقلة يحكون القصص الكثيرة عن أولئك الذين تاهوا عند نزولهم في تلك الدحلان.



خريطة توزيع الدّحلان في منطقة معقلة

قال النابلسي في الرحلة الكبرى «وكان ممن حضر هناك في المجلس رجل من الثقات المعتمدين اسمه الحاج عبد الرحمن بن أحمد فواز، أخبرنا عن رجل يعرفه أنه أخبره أنه كان سائراً مع رفيق له في البراري التي بين الحساء والقصيم، بالقاف والصاد المهملة، وتلك البراري تسمى بالحِجَرة بكسر الحاء المهملة وفتح الجيم في نواحي أرض العراق والبصرة وهجر بالتحريك، وهذه الأراضي غالبها مفازات، ماؤها قليل، وحرها شديد، ويوجد في هذه الأراضي حُفَر على طريقة الآبار، لها أفواه متعددة، مغطاة بالأحجار تسمى هذه الآبار الدَّحُول بفتح الدَّال وضم الحاء المهملة على ما هو المشهور بينهم، وبين كل فم وفم نحو يوم أو يومين أو أكثر أو أقل، يتفاوت النزول إلى هذه الآبار، بعضها يُنْزَل إليه بثلاثين باعا، وبعضها بأربعين وخمسين وثمانين وتسعين وأكثر وأقل، فأخبرنا أنهما كانا سائرين في هذه الأراضي، فحصل لهما عطش شديد فرأيا رجلاً من عرب تلك الأراضي دَلَّهما على فم من الأفواه المذكورة، فأدليا حبلاً ونزل واحد منهما لأجل الماء، وهذا المكان في غاية الاتساع، فمكث نحو يوم تحت الأرض في هذا البئر فتحقق رفيقه الذي في الخارج أنه تاه عن فم البئر، وكان للرجل الذي نزل ناقة فذبحها، وأخذ مصرانها ووصله بقطع من جلدها، قَدَّه سيوراً إلى أن صار في غاية الطول، ثم تدلى بذلك الحبل الذي تدلى به الأول، وأخذ معه الحبل الطويل الذي قَدَّه من جلد الناقة ومصرانها، ووصله بالحبل الذي تدلى به، ثم ذهب تحت تلك الأراضي، وهو ماسك الحبل بيده لخوف الضياع، عن فم البئر، ومشى كثيراً يُمْنَة ويُسْرَة، وأخبر أن في داخل تلك الأراضي مياه ورمال وأشجار قصار من الطلح والسلم وغير ذلك، ولم يجد رفيقه وأخذ معه من دهن تلك الناقة، وأسرجه لأجل الضوء، ومكث نحو يوم، ثم عجز عن لقياه، فخرج وسار على حاله.

وكان في مجلسنا رجل آخر فأخبرنا بنظير هذه القصة وهو مما يؤيدها، أنه في سنة ألف ومئة وواحد، جاء ركب من البصرة إلى الحج فمروا بهذه الأراضي المذكورة، وكان بهم عطش شديد، فمروا فَمَاً من أفواه هذه الآبار، فنزل رجل منهم، وأدلوه بحبل نحو تسعين ذراعاً، حتى تاه تحت الأرض، ولم يعرف الطريق



إلى فم البئر، ثم إن أصحابه في الخارج رأوا رجلاً من عرب تلك الأراضي، فاستأجروه لينزل ويفتش عن رفيقه بعشرة قروش، فنزل من بكرة النهار إلى العشاء حتى إنه أخرج ذلك الرجل، وأخرج لهم ماء وشربوا منه، ثم ذهبوا» (الجاسر، ١٤٠٠: ٦٧٦-٦٧٧).

وذكر عبدالله بن خميس قصة له مع واحد من هذه الدُّحُول فقال «وقد ألممت ببعض هذه الدُّحُول ودخلت واحداً منها هو دَحْل الهِشَامي مررنا به مع رفقة، ومعنا ماء كافٍ ولكنه قليل العذوبة، فأردنا أن نأخذ ماء عذباً من الدَّحَل ظَانِّيْن أن ماءه قريبٌ، وأن مَأخَذَه يسير، فانحدرت فيه مع ثلاثة من رفقتي هم: منصور أبا الديبان السبيعي، وسعد الحطيم الدَّوْسِري، ومحمد بن حشر القحطاني، وأنا. فأما نحن الثلاثة فقد وردنا الماء واستقينا كل واحد منا تَلَّببَ قربة، ولكنها تعرضت لنواتىء صخرية كأنها السكاكين في جوف الدحل، فمزقتها إلا واحدة، وأما صاحبنا الرابع فقد ضل ولم يخرج إلا بعد لأْيٍ، ولقد أخذت جوانب الدحل ونواتئه الحادَّة من ظهورنا وجنوبنا ما أخذ النَّجار من خشبته، وعدنا بالخروج وبالدماء فما أصعبه مورداً وما أقساه، وما أغلى شرابه وأندره. وقد قلت يومئذ:

وردتُك أستقِي فكَلَمْت جسمي
فما أقسَاك يادحل الهِشَامي
تُقاضِي الوارِدين دمَاً بماء
رمَاك بشاقِب الأفلاك رامِي

وقد ورد ذكر دحل أبو مروه في شعر الشاعر الشعبي راشد الخلاوي حيث أخفى فيه بندقيته عندما علاه المشيب، وذكر مكان البندقية بطريقة وصفية لابنه حيث قال:

عن طلحة الجودي تواقيم روحه
عليها شمالي النسور يغيب
وعنها مهب الهيف رجم وفيضه
وحروری إن كان الدليل نجيب

ولما كبر الابن وروي له شعر أبيه ذهب إلى المكان وأخذ البندقية وقال ليته قال:

وترى دليله مروةٍ فوق جاله
خيمة شريفٍ في مراح غريب

(الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦٨١-٦٨٢).

أما الدحلة فهي أرض واسعة بطرف الجبل أو تجويف فيه، مثل: دحلة الحروب ودحلة الموارعة في مكة. وقد يطلقون اسم الدحلة على الأرض عامة، فتسمع من يقول لخصمه: كل من الدحلة: أي من الأرض، وقد تطلق على الشعب المنبسطة دون الوادي. وقال عبدالله بن شيحان عن الدحل:



يا وجودي وجد من في الدحل خلّي
تـاه مع مـتـياهـه وانـقـطع سـربـه
لا سـمـع حـس المـنادي ولا دلـي
يا وجـودي مثـل وجده عـلى دربـه

الآبار. نظراً لتذبذب كميات الأمطار الساقطة وعدم انتظامها في شبه الجزيرة العربـية، وانعدام أنـهار دائمة الجـريان وجفاف الغدران في الصيف، كان لابد من حفر الآبـار للوصول إلى الطبقـات التي تتجمع عندها مياه السيول المتسربة إلى باطن التربة. فإذا حفر أحدهم قليبا ووصل إلى الماء قيل أنبط، وتقول العامة اموه فإن كان المـاء عذبا قيل قَرَاح وإلا فهو هَمَاج. قال الشاعر:

ياعـود موزٍ ربا فـي وسط مقـصوره
شـربه قـراحٍ علـى مطـوية الجـالي

والقليـب حفرة تحفر في الأرض تكون فـي الغالب مـستديرة، ويمـتدُّ عمقها إلـى أن يظهر الماء. يستخـرج منها الماء بالغروب التي ترفعها حيوانات السواني أو بالدلاء، وتـستخدم غالباً للزراعة. وعادة تطوى جوانبها بالحجارة وقد تطـوى بالخشب. ويقـوم بطيها بطريقة فنية شخص متخصص يطـلق علـيه ستـاد، ويكون معـه عدد من العاملين يـساعدونه في عملية إعـداد الحجارة وإنزالها، بينما يقوم هو بعملية البناء والرصف.



القليب: الطي بالحجارة لمنع تهدم القليب





الجّبُ

وإن لم تطو البئر سميت الجب. ولا يطلق عليها الركية إلا إن كان فيها ماء، وقد تكون أكثر ماء من البئر وربما جاء اسمها من ارتكائها لحاجة الناس من الماء. وفيها المثل المشهور «جال الركيه ولا جال ابن غنام» وقصته أنه كان لابن غنام عبد مملوك، وكان قد وعده بالعتق، إلا أنه لحاجته إليه في أعمال المزرعة أخذ يماطل في وعده، فإذا زرعوا زرع الصيف قال له: عند زرع الشتاء، وإذا جاء الشتاء قال له: في الصيف. ولما ضاق الرقيق ذرعاً ويئس من الوعود والأماني الكاذبة رمى نفسه في البئر قائلاً «جال الركية ولا جال ابن غنام» فذهبت مثلاً. ولهذه القصة ما يماثلها في السراة عندما سأل عبد سيّده قائلاً: ما بعد الصيف؟ قال الخريف. سأل وما بعد الخريف؟. قال: الصيف وعند ذلك رمى نفسه في البئر وهو يقول «هذي طريقي وطريق من ساعد الله» وكأنه لا يطيق تتابع فصول السنة المليئة بالتعب. وقد يأكل الماء جانب الحوض أو البئر ويصير كالكهف ويسمى اللجف والجمع أجاف. وقد ورد ذكر الركية في أبيات من شعر الحكمة في قصيدة الشاعر المعروف ابن شريم وهو يوصي ابنه فقال:






الركية

اليا جفـوك أهـل الوطـن واستَخَفُّوك
شَلِّـع غريـسك ثـم هدِّم ركايـــاك
والا انت لو تمشي على الرجل صعلوك
أطيب مـن اللي تلـتجي له ويـاطاك

وتسمى القليب أو البئر إذا تهدمت جوانبها وكانت عظيمة السعة هباة.

والرَّسُّ هي البئر الكبيرة أو القديمة المطوية بالحجارة، والرِس: نضاح ماء يأتي في سفح الجبل أوَ داخل الهضاب يتجمع في مكان منخـفض كلما نزح ماؤه عاد، وهو مورد قليل الماء يسقي قليلاً من الناس ولكنه لا يكفي لإرواء الماشية يستخرج منه الماء بالدلاء. ومن الرسوس رس أبو حيـشة ورس نملان يقع غرباً من جبل عقب ورس حطابه بالقرب من المجمعة ورس نملان أيضاً قرب رغبا.

أما العد فهي كل بئـر غزيرة المياه يستــخرج منها الماء بـالدلاء، وقيل: العد موضع يتخذه الناس يجتمع فيـه ماء كثير. وروي عن الأصمعي قوله: العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له مثل ماء العين وماء البئر وهـو ماء الأرض الغـزير. والعـد ما نبـع من الأرض ويقابله الكرع وهو ما نزل من السماء، ويقـال: أمن الـعد هـذا أم من مـاء السماء؟ وماء كل ركية عد. قال المهادي من قحطان:



والاجواد مثل العد من ورده ارتوى
والانذال لا تسقي ولا ينسقى بها
عليك بعين العد لى جيت وارد
وخل الخباري فان ماها هبابها

ولسليمان بن شريم:

مقياظها عدٍّ تراجس بياره
فيضة ربيع ومشربه شط وانهار

ومن أمثلة العدود: مُرَّان: ماءٌ قديم، عدّ وفير الماء وهو من أطيب موارد البادية وأشهرها، وقد أكثروا من ذكره في أشعارهم وهو واقع في الناحية الجنوبية لحرة كشب. قال بخيت بن ماعز العطاوي الروقي العتيبي:

ميرادنا عدٌّ به الجمّ فيّاحْ
مرَّانْ عِدَّ مَشْرَهبات العْشَارا

وقال محمد بن بليهد:

ذبَّنْ غروب الشمس مع خشم الاصفَرْ
اصفر عَفِيفْ وجنبن الخضاره
ويرْدِنْ عدّ ياردهْ كلٍّ من مر
مرّان جعل المزن يسقي حراره

وقال فهيد بن سكران:

ذا قول من هو للشّعاعير ما قر
عِدّ الى صَكّوا بهْ الورد طاشِ
عِدٍّ مصاديره على الحيد الاسمر
مَرّان بَهَّاجَ الكبود العطَاشِ

(ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ١١٦٤-١١٧٠).

ودلقان عدٌّ مُرٌّ قديم يقع شرق القويعية في مجذم النفود في حد رمل نفود السر من ناحية الشرق. فيه يقول الشاعر:

عسى الحيا يزِّي الاوطان
يزِّي الرفايع وحمروره
واليا تحدر وطا دلقان
يمطر على جو وقصوره

(ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٥٢٤-٥٢٨).

وميقوع عِدّ قديم من موارد البادية الشهيرة، آباره كثيرة وماؤه حلو في خبب رملية بين صرائم تنبت الغضا والضمران. وتدعى هذه الصرائم قصائم ميقوع، وتبرز بينها كثبان رملية متسنمة. يقع في طرف وادي السرحان الشرقي غرب دومة الجندل على بعد مائة كيل غرب نفود الغوطة، وفيه يقول الشاعر الشعبي منزل العرمان الشراري:

عسى الحيا يسقي مواريد ميقوع
ويسقي القليب وماقفه مع مردّه
حيثه يجمع لي مخاليق ونجوع
وكل يقلط له محاله وعدّه

وقال آخر:

إن مت حطوني على جال ميقوع
صوب القليب اللي عشيري وطاها

ويمر بميقوع طريق السيارات الذاهب من الجوف إلى تيماء ثم إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة ويلتقي بطريق المدينة المسفلت عند مركز يقال له القليبة (ابن جنيدل ١٤٠١ : ١٧٥).

والرويقي عد شمال حصاة آل حويل والرويلية ماء عد في ناحية كشب الشمالية الشرقية والريانية ماءٌ عد يقع في شمال الفرشة من بلاد الدواسر وغيرها كثير.

أما الجُب فهو البئر أو القليب التي لم تطو، وقيل لا تكون جبا حتى تكون مما وجد لا مما حفره الناس. والجابية هي الحوض التي ينزح فيها الماء.

وقد ورد ذكر الجب في الآيتين (١٠، ١٥) من سورة (يوسف) قال تعالى ﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلينَ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب...﴾.

أما الجفر والحفر فتطلق على تلك الحفر الواسعة غير المطوية ولا يجذب منها الماء بالدلاء وإنما يحمل باليد.

وتتأثر مياه هذه الآبار عموماً بالأمطار مباشرة، لذلك لا يلبث أن ينخفض فيها مستوى الماء إذا تأخر المطر عن موسمه السنوي، كما قد ينخفض ماؤها بسبب ازدياد النشاط الزراعي في المنطقة وزيادة أعداد القلبان في الطبقة الأرضية. وتُعَمَّق الآبار كلما انخفض مستوى الماء فيها إلى أن يصل الحفر إلى الطبقة الصخرية الصماء، فيقولون أصْفَت. والبئر البعيدة الماء يقال لها عيلم. قال الشاعر مخلد القثامي:

تقفي وتقبل به طوال المجاذيب
في عيلمٍ طوله ثمانين بحساب

وقال الشاعر:

يا ونتي ونة معاويد ابو ضرس
عقب الشحم حبل المجرة طواها
ما كنها الا يوم هي تسقي الغرس
من عيلمٍ ما يلحق الشوف ماها

وقال آخر:

يا تل قلبي من علو المعاليق
تل المعيد اللي طويلٍ رشاها
لى تلته من بين عوج الزرانيق
من عيلمٍ ما يلحق الشوف ماها

وقال حميدان الشويعر:

محا الله من يزرع على غير عيلم
ومن كان يبني بالهيار جدار

وله أيضاً:

الا يانخلاتٍ لي على جال عيلم
حدايق غلبٍ شوفهن يروع

وكان الماء يستخرج قديماً من هذه الآبار، لأغراض الري الزراعي، عن طريق



السواني التي تجرها الحيوانات من الجمال أو الحمير أو الأبقار. قال زهير بن أبي سلمى يصف حيوانات السواني:

وخلفها سائق يحدو إذا خشيت
منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

وقال سويلم السهلي:

واوجْد من صَدَّر على اربع محاحيل
لها ليا غاب الرقيب معلومي

وقال الشاعر عبد العزيز السكران:

الصاحب اللي جَرَّح القلب تجريح
زودٍ على تجريحه اقفى يتله
تل الدلي من فوق ملحٍ مدابيح
على قليبٍ وردها ما تمله

وقال زيد الخشيم:

سمّيت واركبت المحاله على البير
ما فوقي إلا نايفاتٍ هياف

وله أيضاً:

للغرس ندني من ضرايب جماله
حيلٍ شتا غاوى الشحم في ظهوره
تجذب دليٍّ مبهمات حباله
من فوق مطويٍّ تساعل بكوره

أما إن سحب المرء الدلو المملوء بالماء إلى أعلى بجهده فقد زعبه وفعله الزعب.

والحسي أو الكر: بئر تحفر في التربة الرملية، وهي قريبة القعر قد لا يتجاوز عمقها خمسة أمتار. وغالباً ما تكون حفرها دائرية، وكلما نزحت منها دلواً



لحسي




جمت أخرى. وهم يقولون إنه ماء المطر يغوص في الرمل قليلاً ثم يصير إلى الصلابة فيقف فيحفر عنه فيشرب. قال ابن منظور: الحسي الرمل المتراكم أسفله جبل صلد فإذا أمطر الرمل نشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء، ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء، فإذا اشتد الحر نبث وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً عذباً. وفي اللهجة الدارجة تبدل الياء واواً فيقولون الحسو ويجمع على الحساوه. قال الأزهري: وقد رأيت بالبادية أحساء كثيرة على هذه الصفة، منها أحساء بني سعد بحذاء هجر وقراها. قال: ومنها أحساء خرشاف وأحساء القطيف. ومن الأحساء حسو وادي دقلة، والحسيّ في الشمال الشرقي من الصرار. وفي منطقة القصيم يطلقون كلمة حِسِو على بئر أصغر من القليب تكون في المساجد والمنازل يستخرج منها الماء للوضوء والاستخدام اليومي لأهل البيت. وفي الجنوب يطلق الكر على نوعين أحدهما هو الأقل ماءً من البئر والآخر حفرة يأتي إليها الماء من بئر بواسطة السواني ثم يستخرج منه -في نفس الوقت- بواسطتها حتى يوصل الماء إلى المزارع التي تعلو البئر الأساسية.

والثمد: الماء القليل، والثماد هي الحفر يكون فيها ماء المطر، وهي تجف في الصيف. قال ابن منظور: الثماد الحفر يكون فيها الماء القليل. والثمد أن يعمد إلى موضع يلزم ماء السماء يجعله صنعاً، وهو المكان يجتمع فيه الماء وله مسايل من الماء ويحفر في نواحيه ركايا فيملؤها من ذلك الماء، فيشرب الناس الماء الظاهر حتى يجف. فهي إذن حُفَر من عمل الإنسان في مناطق تربتها صماء غير منفذة للماء، يعدل إليها ماء السيل. ومثله السحل والوشل والثميلة. قال ابن سيده: الثملة نحو السملة والنزفة، الماء القليل. والثملة ما يبقى في الحوض من الماء الصافي لا ترى قاع الحوض من ورائه. وقيل هي البقية من الماء في الصخرة وفي الوادي، والجمع ثَمِيل: والثَّمِيل: جمع ثميلة وهي بقية الماء في القَلْتِ أي النُّقْرَة التي تمسك الماء في الجبل. وقيل إن الثَّمِيْلَة مثل المشاش، وتجمع على ثَمَايِل، وتصغيره ثُمَيِّلة، إلا أنها لا تستمر طويلاً، ولا تكون إلا في بطحاء الأودية. والثميلة حفرة يحفرها الناس مثل القليب، إلا أنها أقل عمقاً حيث لا تتجاوز ٣ أمتار. إلا أنها في مجرى الوادي في الغالب أو أي مكان يجتمع فيه السيل مثل الروضة والقلتة ونحوها وليس لها عدة لاستخراج



الماء بل يستخرج الماء منها بالأواني أو باليد. قال الشاعر:

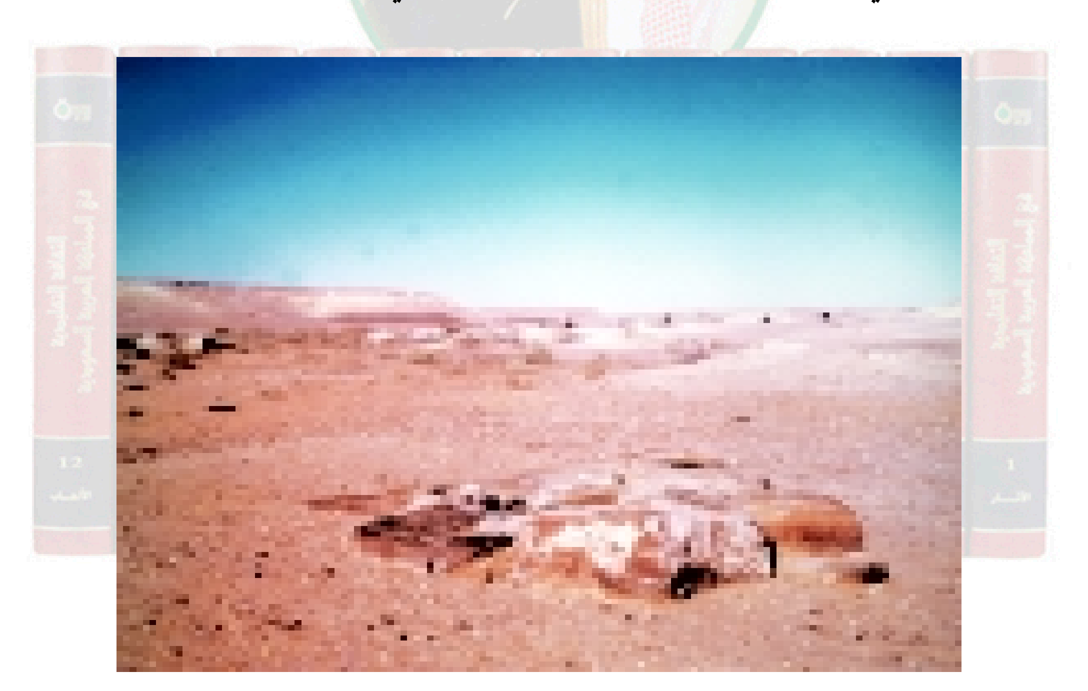
من الثميله ديار الشوق يمسنه
وان روحن بالوصايف جول غزلان

ومما ينسب لجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله:

واهني الترف منسوع الجديله
ما غطاه الليل دون مغرّزاتي
رَوَّحَنْ مثل القطا صوب الثميله
ضمَّرٍ تضفي عليهن العباة
وردّوهن هيت واخطاه الدّليله
والموارد غير هيت مقضباتي

والعقلة: أصغر من الثميلة، وهي ماء ضحل في منخفض من الأرض قريب من وجهها ليس بعيد الغور. والعقل في اصطلاح أهل العصر البئر القريبة الماء، ولعلها سميت بهذا لكونها يتناول ماؤها بعقال الإبل لقربه فلا يحتاج إلى رشاء طويل، ويكثر هذا النوع في الرمال ومنها عقل الزلفي وعقل في شرق المملكة منها عقلة فرهود وعقلة المناصير وعقلة الرمث.

والْمُشَاشُ: حفرة في واد يتجمع فيها الماء، قال ابن منظور: المشاشة أرض رخوة لا تبلغ أن تكون حجراً. يجتمع فيها ماء السماء وفوقها رمل يحجز الشمس عن الماء. وتمنع المشاشة الماء أن يتسرب في الأرض، فكلما استقيت منها



الثميلة




دلواً جمَّت أخرى ولعلهــا سبب تسمية بلــدة المشــاش إحدى بــلدان الــوشم. والمشــاشة جــوف الأرض وإنما الأرض مَسَك (طبقات) فمسكة كــذَّانة (حجارة غير متماسكة) ومسكة حجارة غليظــة، ومسكة لــينة وإنما الأرض طرائق فــكل طريقة مسكة، والمشاشة هي الطريقة التي هي حجارة خَوَّارة وتراب وهو في لغــة أهل العصر من أبناء البادية الحْسُي القليل الماء الذي يتمَشّشُ ماؤه؛ أي يؤخذ قليلاً كل ما جم ويجمع على أمِشَّةٍ. وتوجد في مناطق المملكة أعداد كبيرة من المشاش منها مشاش القصب، ومشاش المراطيب ومشاش الشكرة ومشاش رغوان ومشاش العضيان ومشاش أبو العكرش ومشاش النقــيرة ومشاش جرود ومــشاش العود ومشاش المنخلي وغيرها.

وهناك بعض التسميات المحلية للآبار بحسب اختــلاف حجمها وغور مائها، ومن ذلك البِدْع والبديع والمبيدع ويطلق على البئر المحفورة حديثاً، أما إذا كانت قديمــة ثم أعيد حــفرها فــتسمى بــعيثــة ورجيع. وقد أطلقت مسميات الآبار هذه على عدد من القرى في المملكة، فهناك قليب المروب، وقليب الشلقان، وقليب صقر، ومن البدائع بدائع القصيم، وبدائع نقبين، وبدائع السبعان، ومن البدع قرية البدع في وادي الــسرحان، وقرية البدع التابعة لإمارة ضــبا شرق خليج العقبة، وبدع ابن حــويط. ومن المبــيدع مبيــدع الغريسي، ومبيدع حسين وهما قرب حائل والبديع في الأفلاج.

أما الآبار فقد اشتهر منها بئر هداج التي تقع وسط مدينة تيماء القديمة وتحيط بها النخــيل، وهي من أشهر الآبار في شبه الجزيرة العربية، ويطلق عليها شيخ الجوية أي شيخ الآبار، وكان يطلق على الرجل الكريم الجواد هداج تيماء. وهذه البئر كانت مورداً لكثير من قوافل الجمال وقطعان الماشية، وكانت الواحات الزراعية المجاورة تروى من مياه هذه البئر. ونظراً لاتساعها فإنه يمــكن -كما يقول فلبي- أن يسنى عليها بتسعة وتسعين جملاً دفعة واحدة أثناء فصل الصيف القائظ، وتنقل المياه من البئر بواسطة قنوات يبلغ عددها إحدى وثلاثين قناة معمولة من الحجارة (التيمائي ١٤١١: ٥٤).

وفي الجنوب بــئر القَلْت، وهي بئــر عميقة، ومع ذلك ماؤها على وجه الأرض على الدوام. ويقول العارفون إن هذه البئر طبيعية إذ لم يقم أحدٌ بحفرها، وربما كانت بفعل نجــم أو بركان. وتقع أسفل وادي خيرة في مبدأ وادي جُدَر، وموقعها بالنسبة لبلدة خيرة غربي قرية البريقع إحدى قرى



البلدة، وهي مورد ماء للماشية (الزهراني ١٤٠١: ٥٢).

ومن الآبار ما يسمى بالطوال قد يصل طولها إلى تسعين متراً، وهي ليست كثيرة الأعداد. فمنها طوال النتيفات والطويلة جنوب وادي الدواسر وطوال آل مرة. ومن أشهرهن وأقدمهن القرعاء واللصافة واللهابة ويسمين الشاجنة وسمين بالطوال لبعد قعرهن كما يسمين حالياً طوال مطير.

وتقع القرعاء جنوب اللهابة في مفيض واد يدعى وادي السدير. يقول أبو المقدم الضبي:



بئر عميقة قرب الحيانية وسط النفود

بكى فَلَكُ القرعاء من لدم ربها
وما قابلتها من ثنايا الموارد

واللّصَافَةُ، وكانت تعرف قديماً باسم لصاف، وهي من أطيب المناهل وأشهرها لتوسط موقعها في المراتع المفضلة عند أبناء البادية في الصمان وشرق الدهناء.

قال جرير:

وأَجَرّ مُطَّرِد الْكُعُوبِ كَأَنّهُ
مَسَدٌ يُنَازِعُ من لصاف جَرُوْرَا

الإجرار: أن تطعن الرجل ثم تخلي الرمح فيه، والجرور: البئر البعيدة القعر التي تُسْنَى بالبعير، وسميت الجرور لأن دلوها يجر على شفيرها لبعد قعرها وتقع اللصافة في أعالي الشَّيِّطين، في مفيض شعيب فيصل، شمال القرعاء.

واللّهابة وتقع في أسفل الصمان في أعلى واد صغير يدعى دُمَيِّغ وكان يمر بها طريق من أشهر الطرق التي تخترق الصمان إلى شرق الجزيرة يدعى المبيحيص، وكانت اللهابة وما حولها ذات شأن عظيم في حياة البادية لكونها في أمكنة تألفها لطيب مراعيها فهي قريبة من الدهناء وأرقعه في الصلب وشرق الصمان ومن شعر راكان بن حثلين:

فَلاَح دوك النّو نقّضْ ربابهْ
يازيْن برقهْ شارْقٍ في رفاياهْ




جِعْلهْ عـلى الصّلْبَ الْحَـمر واللّهابَه

وعـلى جـوَيّات الْـهـمَلْ نَـاْثـرٍ ماه

(الجـاســـر ١٤٠٦، ج٤: ١٤٠٣، ١٥٣٢ ، ١٥٥١).

ومنهن آبار رُمَاح وأشهرهن خمس هي: الجبـرية، والزيدي، والـسيّاريّة، وبطيحان، وكُتلان. ومن أشهرهن ماء الزيدي فهم يقولون «من أشبعته الدهناء ارواه الزيدي» وكذلك بئر الجبرية يضرب بها المثل فيقال «كانك على جال الجبريه» ويبلغ عمـق هذه الآبار خمسة وثلاثين باعـاً ولعمـق هذه الآبار. يـقول أحد الشعراء الشعبيين:

يا تل قلبي تل دلو رماح وسط القليب

صار العوض منها العراقي والدلو ما كفاه

(ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٤٧٦-٤٧٧).

وماء هذا النوع من الآبار أغزر من الآبار الأخرى، ويسد حاجة الـبدو من الماء في فصل القيظ. ولعبدالله بن سبيل قصيدة جاء فيها:

يـا تلّ قـلـبـي تلـتـين من اقـصـاه

تـلّ الـوراد الـلّـي حـيـام وروده

يم الـطّـوال الـلـي عدوده مـطـوّاه

يـروع جـذّابـه مـجـاذب عـدوده

عـلى قـعـودٍ مـا يسـانـع بمـشـاه

مسـتـصـعـبٍ مـا يتـبع الـلّي يـقوده

إنه لمن الصعـب جداً على من نشأ وعاش في هـذه الفترة، التـي أصبحنا نشـرب فيها مـن مياه البـحر المحلاة، ونسقي زروعنا بالـري المحوري من آبار ارتوازية عـميقة بقيـت فيها المياه آلاف السنين بين طبقات القشرة الأرضية، أن يتصور حجـم المعاناة التي كان يعيشـها الآباء والأجداد في كدهم للحصول على الماء لهم ولمزارعهم ولأنعامهم. فقد كانوا يحفرون الآبار في الطبقة السطحية القريبة بحثاً عن الماء. ومياه هذه الطبقات عادة ضحلـة قليلة تـتأثر مباشـرة بالتسـاقط المطري، فـلا تلبث أن تجـف في سني القحـط وانقطاع المـطر. وكانوا يـبنون السـدود من التراب والحـجارة وتعرف عنـدهم بالـعقوم فـي مجاري الأوديـة والشعاب التي يتقاسم الجيران مياهها كلٌّ له شِرْب معلوم. وفي الوقت نفسه كانوا يتتبعون محاجر المياه الطبيعية على السطح مـن عـيـون، ونواقـيـط، وغـدران، وخرابيب، وقلات ويـردونها بأنعامهم ويروون منـها لحوائجهـم. وقد أدركوا اختـلاف مناسيـب الماء البـاطني تحت السطح، وأن مستواه في بعـض المناطق قد يكون أعلى من مستوى سطح الأرض في مناطق أخـرى قريبة. وقامت على ذلك مشروعات ري تعتبر متقدمة بالنسبة



للـوقت الذي قامـت فيه والإمـكانات المتاحة. فـهناك مشروع عين زبـيدة في مكة المكرمة، ومثله، بشكل مصغر، قناة فرزان وخرزاتها في الخرج وكـلها تقوم على استغلال قرب مستوى الماء الباطني من السطح في مناطق مرتفعة نسبياً، ونقله عبر قنوات إلى المناطق الزراعية أو السكنية القـريبة. ومثـل ذلك يقال عـن عيون الأفلاج وخرزاتها والتي كان يخرج منها عشـر سواقي تسـقي السيـح الشمالـي والسيح الجنوبي والسويداء.

ومثلما يستدلون علـى مواقع موارد الميـاه في الفـلاة بالنـجوم والعـلامات والطيور، فإن لهم في الأماكـن المناسبة لحفر الآبار والخليقة بكثرة الماء وقربه من السطح فراسة ودلائل، منها نوع النبات النامي ومنها نوع التربة، وطبيعة المنطقة المحيطة، وأين تنصرف مياهها. وهناك من يستخدم سيخين من نحاس يرفعهما في يديه ويسير فإذا مر على مجاري الماء الباطنـي تخالف رأسا هذيـن السيخين والتفـا حول عنقـه. ويظل يتـتبع هذه المجاري واحداً واحداً إلى أن تتجمع في مكان يكون هو الأنسب للحفر. ومنهم من ينظر إلى انعكاس أشعة الشمس عند الغروب فإن رأى تشتت هذه الأشعة في منطقة دون المناطق الأخرى علم أن الماء الباطني فيها أقرب إلى السطح لأن تشتت الأشعة ناتج عن ارتفاع كميات من بخار الماء من سطح التربـة. ولا يرتفع بخار الماء من التربة إلا إذا كانت طبقاتها القريبة من السـطح رطبة مما يدل عـلى ارتفاع مسـتوى الماء البـاطني فيـها وقربه مـن السطـح. وفي الجنوب مـختصون فـي الكشف عن المياه في باطن الأرض يدعى الواحد منهم مهندساً أو مبصراً لكن هذه المهنة لا تستند إلى حقائق علمية.

المياه السطحية

وهي المـياه التي تـكون على وجـه الأرض وتتـخلف عـلى إثر الأمطـار، كالسيول والغدران والقلات.

السيول. السيل هو الماء الكثير المتجمع من المطر الجاري في الأودية، فحين تهطل مياه الأمطار علـى سطح الأرض، منها ما يتبخر مرة ثانية، ومنها ما تستقبله أوراق النـبات، ومنـها ما يـصل إلى الأرض ويتجمع في مسـتنقعات أو يجري على السطح أو يتسرب خلال طبقات التربة. والتربة التي تكسو سطح الأرض، سواء أكانت مكونة من مفتتات طينية، أم طمية ناعمة، أم رمال، أم حصى وحصباء، أم خليط من هذه المواد جميعاً، فإنها تتشرب الماء بمعدلات محدودة، تتغير بتغير نوع




التربة بل إنها تتغير في نوع التربة حسب درجة رطوبتها. ويرتبط ذلك بمدى اتساع المسام الموجودة بين الحبيبات المكونة للتربة (مسامية التـربة). فالتربة الرملية مثلاً، لها معدلات تشرب عالية لأن مساميتها عالية ونفاذيـتها عالية، لذا يتسرب الماء خلالها بسرعة كبيرة. بينما التربة الطينية الناعمة نفـاذيتها للماء منخفـضة لضيق المسام الموجودة بـين حبيباتها، لذا فهـي ممسكة للماء. وأكـثر منها إمساكاً للماء الأسطح الصخرية الصلبة.

وإذا ابتلت التـربة بالماء فسرى فيها الندى قـيل: أرض ثرية. قـال الشاعر محمد السديري:

عــز والـــيــك يــابــرق ســرى
خــلــت بــرقــه وانــا مــا ذقــت ماه
يــنــبــت الــورد عــقــبــه بــالــثــرى
وان نــزل وبــل ديمـــه مــن ســمــاه

فإن اشتد الندى في التربة حتى يلزم بعضها بعـضا، فهو الثرى الجعد، فإذا زاد فهو كباب، وإن زاد عـن ذلك فهو الثرى العمد، وإذا كان عمق الثرى في الأرض مقـدار راحة اليد فـهو المرحي ويسمى مسـكه. وإن كان إلى مستحل الذراع فوق مفصل الكتف فهو الرسغ، المنبـت النافع بـإذن الله. وإذا كان إلى المرفق فهو الجود ويسمى كوع وهو يجزي الأرض شهراً. قال الأصمعي: إذا التقى الثريان فهـو الجود، يعني ندى السطـح وندى الباطن والعامة تقول: لحق الثري الثرى. فإذا بلغ نصف العضد إلى المنكب فهو الحيا ويسمى معجر. فإن ذهبت يد الحافر كلها حتى يمس الأرض بإذنه فهو الجدا.

ويتأثر تشرب التربة للماء أو تسربه خلالـها بعدد مـن العوامل الأخـرى، بالإضافة إلى درجة مساميتها، من أهمها كمـية الرطـوبة الموجودة فـي فراغات التربة. فـإذا كانت التربة جافـة، فإنها تتشرب الماء بكميات أكبر نسبياً. وكلما امتلأت الفراغات قـرب السطح بالماء، انخفض معدل التشرب، حيث تتسرب قطرات الماء ببطء من سـطح التربة إلى الأسفل عبر ممرات ضيقة من الفراغ البيني لحبيبات التربة مما يعيق وصول الماء بسرعة إلى الطبقات السفلية. كما يتأثر مـعدل التشرب بوجود الغطاء النباتي حيث تعمل جذور النبات على تشقيق التربة، وتسهيل تسرب الماء خلالها إلى الطبقات التحتية. وكـذلك نجـد أن انتـشـار الحشـائش والأعشاب الصغيـرة على سطح التربة يقلل من سرعة تدفق المياه، مما يتيح لها وقتاً أكبر للتسرب خلال التربة. وبالمقابل فإن سرعة المياه تزداد فوق الأسطح العارية



شديدة الانحدار، مما يقلل من فرص تسرب الماء خلال تربتها لسرعة جريانه فوقها وعدم توافر الوقت اللازم لتسربه خلالها.

وإذا كان معدل التساقط (كثافة المطر) أقل من معدل تسرب الماء خلال التربة فإن الماء المتساقط جميعه تتشربه التربة. ولا يحدث جريان سطحي (سيول) إلا إذا استمر المطر لفترة طويلة وانخفض معدل التشرب إلى معدلات أقل من معدل سقوط المطر، حيث تتشرب التربة جزءاً فقط من ماء المطر الساقط عليها بينما يبقى الفائض على السطح متجمعاً في البداية في التعرجات والمنخفضات الصغيرة. ومتى امتلأت هذه المنخفضات بالماء، بدأ بالجريان تحت تأثير الجاذبية الأرضية تبعاً لاتجاه انحدار سطح الأرض نحو الشعاب والأودية. أما إذا كانت كثافة التساقط المطري أعلى من معدل التشرب من البداية، فإن الفائض يبدأ بالجريان بعد امتلاء تعرجات ومنخفضات سطح التربة فور بداية المطر. كما يحدث في الزخات المطرية الصيفية القوية قصيرة الأمد.

يصل الماء إلى مجاري الشعاب والأودية من الأمطار التي تسقط عليها مباشرة، أو من المياه التي تجري على سطح التربة منحدرة إليها، أو من المياه التي تتسرب خلال التربة وتظهر في بطن المجرى بعد تشبع الطبقات التحتية من التربة وامتلاء فراغاتها بالماء، مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى الماء القاعدي إلى ما فوق مستوى قاع الوادي.

ويرتبط الماء، الذي يصل إلى المجاري المائية عن طريق الجريان السطحي، بالزخات المطرية ويتوقف بعد سقوط المطر. ولأنه يجري على السطح بتأثير الجاذبية الأرضية فهو سريع الجريان، مقارنة بالماء المتسرب من باطن التربة. لذا فالسيول التي تحدث من الجريان السطحي قد تكون سريعة قوية مدمرة أحياناً، لكنها لا تلبث أن تتوقف بعد توقف المطر. أما إذا استمر التساقط فترة تكفي لتشبع طبقات التربة بالماء وارتفاع مستوى الماء القاعدي إلى ما فوق مستوى قيعان الأودية، فإنه بالإضافة إلى مياه الجريان السطحي ينضح الماء في مجاري الأودية والشعاب من الطبقات السفلية المشبعة بالماء، وهذه الطبقات لها طاقة تخزينية عالية، ويتسرب الماء خلالها ببطء لذا فالسيول التي تجري منها إلى الأودية تكون أقل تذبذباً وقد تدوم أياماً أو أسابيع بعد توقف المطر.




وتعتمد سرعة تدفق الماء خلال الرواسب على مساميتها، وعلى معامل انحدار مستوى الماء القاعدي. ولأن الرواسب تتكوَّن عادة من طبقات غير متجانسة، تختلف نفاذيتها للماء اختلافاً كبيراً. فمنها طبقات ذات نفاذية عالية للماء، ومنها متوسطة النفاذية، ومنها المنفذة للماء. وتعاقب مثل هذه الطبقات مهم جداً في تحديد نوع الظواهر المائية. فإن كانت الطبقة السطحية صماء غير منفذة، أو قليلة النفاذية للماء فإن مياه الأمطار التي تسقط عليها لن تتمكن من التسرب إلى باطن التربة بل ستنصرف على سطحها إلى مجاري الشعاب والأودية المنتشرة على السطح. وبالمقابل فإنه إذا كانت الطبقات التحتية غير منفذة للماء فإن المياه تتسرب من سطح التربة إلى أن تصل إلى الطبقة غير المنفذة للماء فتتجمع على سطحها. ثم تبدأ بالتدفق مع اتجاه انحدار الطبقات. وقد تظهر هذه المياه على السطح مرة أخرى على شكل ينابيع أو عيون أو قد تتجمع في المحاجر المائية عند ثنيات الطبقات فتستخرج من الآبار والارتوازيات.

وقد تجمع من اهتمام العرب الشديد بالمياه والسيول ذخيرة ضخمة من المصطلحات، منها ما يرتبط بمجاري المياه



سيل ضعيف



وأوصافها في الكبر والصغر؛ ومنها ما يرتبط بالمياه وكثرتها واندفاعها في المجاري، ومنها ما يرتبط بما يحمله السيل من مواد مختلفة من زبد ورواسب، بالإضافة إلى التسميات المرتبطة بها.

فعندما يسيل ماء المطر في الوادي ويكون ضعيفاً يجري متعرجاً بين صخور رواسب القاع، فهو سريب ويقال «يسورب» والدافق الرافق الذي لا يجرح الأرض. فإن سال بقوة فهو سيل راعب، ويقال حاشر وزاعب إذا ملأ الوادي. فإن فاض عن مجراه فهو غرق. فإن وصل السيل إلى منطقة لم يسقط بها مطر قيل سال الوادي دُرءاً.

وعامة أهل نجد يبدلون الهمزة واواً فيقولون «جانا السيل دَرُو»، وفي منطقة الحوطة ووادي الدواسر يقال قرو ويقال عوير وعاير، وفي مناطق أخرى يطلقون عليه جذيب. قال ابن منظور: درأ علينا فلان دروءا إذا خرج مفاجأة، وجاء السيل دَرءا ودُرءا إذا اندرأ من مكان لا يعلم به فيه، وقيل جاء الوادي درءا إذا سال بمطر واد آخر. وقيل جاء درءا أي من بلد بعيد. وهذا النوع من السيول من أخطر أنواع السيول على الناس وكان، ولا يزال، يهلك الكثير منهم ومن ممتلكاتهم كل سنة، خاصة إذا جاء ليلاً.



سيل جارف–وادي المشقر

وللسيل من قوة اندفاعه حميل وزبد، وهو ما يطفو عليه من غُثاء وجُفاء من الهالك البالي من ورق الشجر، وما يبس من المرعى، وما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء. فإذا بدأ مستوى الماء ينخفض في الوادي وينحسر عن جوانبه، فإن ما يتركه وينحسر عنه من الغثاء يسمى الحث. أما ما يحمله من طين ورواسب فإنه يقال له طميم. قال الشاعر:

قيلي كما سيلٍ تَحَدَّر طِمِيْمه
في ديرة رب الملا مرجعٍ له

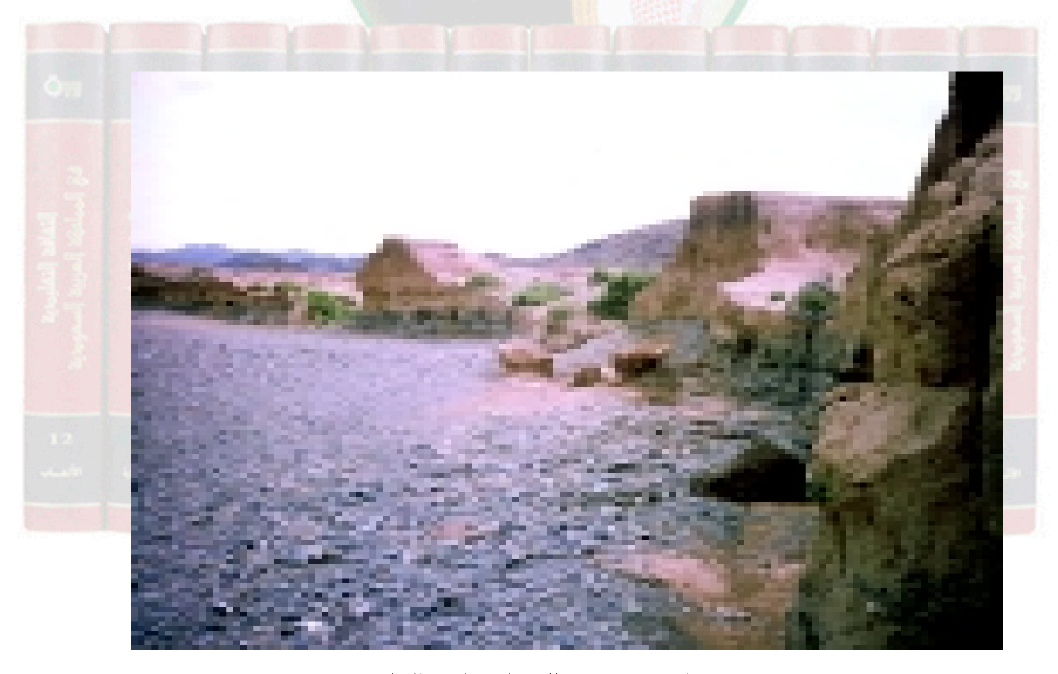
قال ابن منظور: طم الماء يطم طما وطموما: علا وغمر. وجاء السيل فطم ركية آل فلان إذا دفنها وسوَّاها. قال الشاعر:

فَصَبَّحَتْ والطير لم تكلم
خابية طُمَّت بسيل مفعم

وإن حفر السيل جوانب الوادي عند منحنياته قيل: جاخ السيل الوادي. والعامة تقول لأثره حينئذ مجخّ سيل إذا لغف جانب مجراه من الأسفل وبقيت الطبقة السطحية بارزة. فإن انهدم من الأعلى إلى الأسفل سمي ثلم.

وفي وصف السيل القوي المدمر قال الشاعر محمد بن ثامره:

بالله على سيلٍ
ورود الفيحه مَدّوى



مجخ سيل حيث حفر السيل جانب الوادي





الغيل – الحائر – السيح: يلاحظ صفاء الماء ونقاوته، خلافاً لماء السيل

لا دّقل جوف المحاني ما لقي
من حيث ما ينصا حَبَّ
والعقائم داسها حتى غدت
ع الزراع ادْمَرا
شال من في جُرّته
واللي بعيدٌ يتناوله

وفي الجنوب يطلق على ما يخلفه السيل من رمل ناعم في المزارع التي يمر بها الربح وهو جيد للزراعة وأفضل من التربة الأصلية.

وأحياناً يكون في منخفضات الصخور الجيرية حفر تحفظ الماء، وربما كانت في القيعان والرياض يملؤها ماء السيل ويبقى فيها دهراً لأن أسفلها صلب يمسك الماء، وتسمى حوايا واحدتها حويه، ومنها جاء اسم الحويه البلدة المشهورة قرب مطار الطائف.

وسيل ما بين كل تلعتين هو المذنب أو الذناب، ويقال له أيضاً ذنب التلعة، والمذنب أيضاً كهيئة الجدول يسيل عن الروضة ماؤها إلى غيرها فيتفرق فيها، ويقال له مذنب الروضة.

وفي بعض مناطق المملكة يطلق المربخ على حضن الرمل الذي تغمره مياه السيول، أما مسايل الوديان فهي المناطق التي ينصرف إليها سيلها.

وإن رشح الماء من باطن الأرض على وجهها واستنقع فهو النز أو الحاير.






الغيل – الحائر

والحاير المكان الذي يحير فيه السيل ولا يجد له فيه طريقاً. قال الشاعر:

يـامـا حـلا لايـح الـبـرق
والـسـيـل لا حـار حـيـاره

فإن سال سمي الغيل أو الغلل خاصة إن كان يظهر تارة ويختفي تارة. ويسمى النجل، والسيح إن كان الماء جارياً على وجه الأرض. ويوجد كثير من الغيول في تهامة بشكل خاص، وتسمى النضية.

الغدران. جمع غدير وهو –كما جاء في لسان العرب– ما يتبقى من مياه السيل الحديث بعد ذهابه. ويسمى غديراً لأن السيل غادره أو لأنه يغدر بأهله عند الحاجة إليه لانقطاعه في الحر. وهو أخدود تحتفره المسايل من علٍ فيمضي السيل عنه، ويبقى الماء فيه فتصفقه الرياح فيصفو ويبرد ويكون في أحد جانبي الوادي. قال الليث: الغدير مستنقع ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً، غير أنه لا يبقى إلى القيظ. وقال بعض أهل اللغة: الغدير فَعِيل من الغدر، وذاك أن الإنسان يمر به وفيه ماء، فربما جاء ثانياً فإذا جاء وجده يابساً فيموت عطشاً، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي.

ومن الغدران ما يمكث شهوراً بعد انقطاع السيل وذهاب موسمه فيصبح





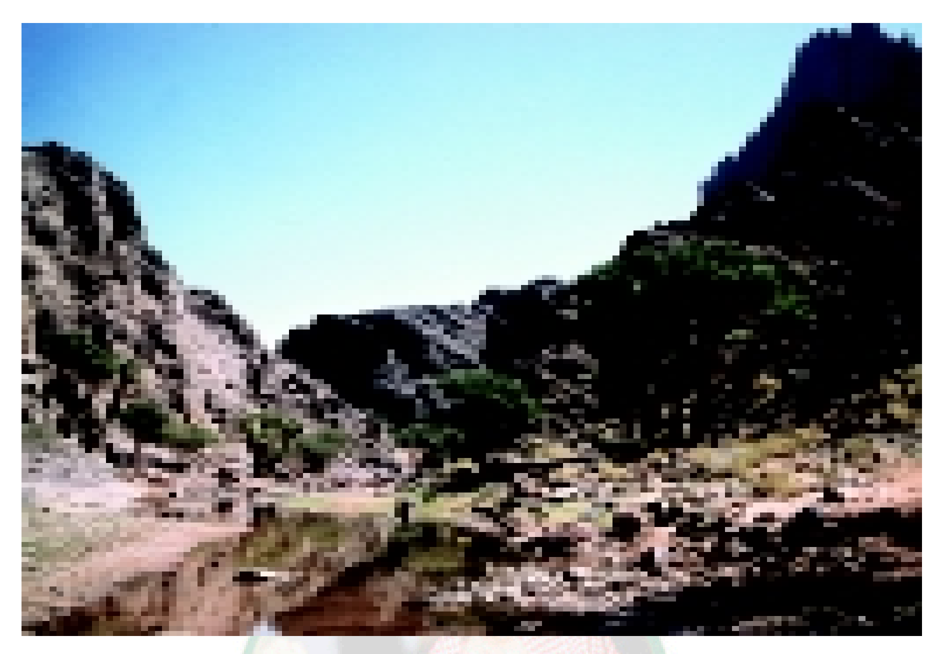
الغدير

مورداً للرحل ومواشيهم من البادية والحاضرة، ومن أمثلتها غدير الشماس المعروف على طريق الحاج من نجد قرب حرة كشب. ويسمى الغدير أحياناً النهي، والأضاة ومنه أضاة بني غفار على بعد عشرة أميال من مكة. وأصغر منه ما يسمى عند العامة النِّقْعة وقد يقال مَنْقَع وحُوْره. قال الشاعر:

قالوا البرق في ذيك المزون الثقيله
وش تبي فيه يفرح فيه راعي الحلالِ
قلت جعله على ديرة طويل الجديله
ياخذ ايام فيها والمناقع سبالي

ويقال للرواسب الطينية اللزجة في قيعان المستنقعات والأودية والسدود غِرْيَن. قال ابن منظور: غرين: ما بقي في أسفل الحوض والغدير من الماء والطين. وقيل: هو الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطباً أو يابساً وقد يرى رقيقاً متشققاً على وجه الأرض. وهي تنطق عند العامة غَرِيْن بفتح الغين المعجمة وتحريك الراء المهملَة. وتطلق في الغالب على ما يترسب في قاع مياه السيول الراكدة من مواد طينية وطميية لزجة. وقد يقال له غريف وبخاصة إذا كان رطباً.

وإن كان المستنقع في ظل يبرد ماؤه فهو الثَّغَب، خاصة إن كان في الحصى كأن يكون في ظل جبل



غدير في قراقر

ونحوه وفي المثل الشعبي : جنة حمار ثغب وثيل. أما ما يعرف في منطقة القصيم بالجِرْبُوْب فهو تجمع مائي في منخفض طبيعي في مجرى الوادي أو الشعيب، غالباً طيني الرواسب، حوافه من الحصى والحصباء. وقد يطول به الزمن بعد توقف الوادي فتنمو حوله بعض النباتات، وقد تزرع النباتات المثمرة على حوافه أحياناً.

قال الشاعر:

المِكَرَّه داثره والحيل واني
وانجر الجربوب والجربوب عيًّا

ومن الغدران المعروفة غدير الحصان، وغدران الشوكي، وغدير الوريكي. يقول فيه حويد العضياني الروقي:

وملاَّ خباري الشبرم اللي وطا به
وملاَّ الوريكي والغدير الحرامي

وفي الطائف غدير البنات من أشهر الغدران يوجد حيث ينحدر وادي ليه من قمة جبل السروات من بين جبال شاهقة يتعرج هنالك ويخلف منحنيات وغُدُر من بينها هذا الغدير.

وهناك غدير أبا الحيران يقع في بطن الجرير، ويقال إنه سمي بهذا الاسم لأنه حينما يمتلئ بمياه الأمطار وترده الإبل فإن حيران الإبل حين تنزلق فيه تغرق في مياهه لسعته وعمق مياهه، وهو الذي





الثغب

ذكرته الشاعرة مرسى العطاوية الروقية حين قالت:

ومبهل وابا الحيران متوسطٍ فيه
مرتاع بدو ما تلاهم شواوي

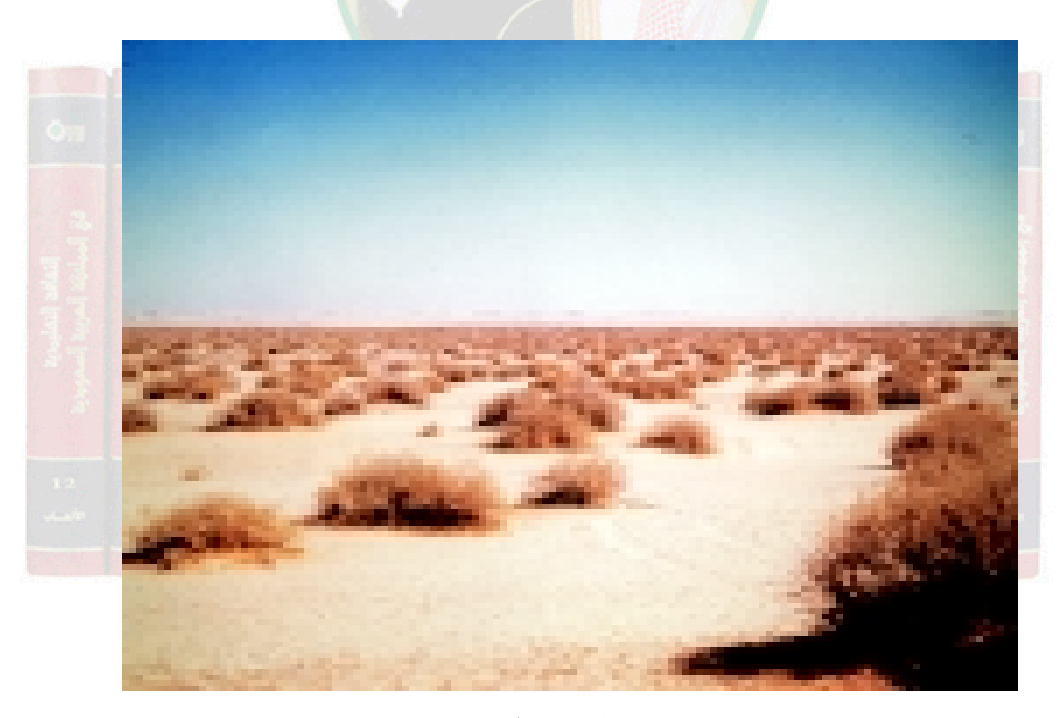
ومن غدران المنطقة الجنوبية غدير الخَرْق، غدير ماء بوادي المزرعة بجبل عيسان وهو عميق جداً ولا ينقطع، ويبعد عن بلدة بني سار بمسافة ساعة للماشي راجلاً، ويقدر طول هذا الغدير بعشرين متراً طولاً في عرض عشرة أمتار، وتكثر فيه الأسماك، وهو مورد ماء لبادية الزهران من غامد. وغدير دبّاج وغدير أبو منام وغدير الخرّاره وغدير جَحْوَشة. (الزهراني ١٤٠١: ٩١).

وفي قيعان المنخفضات الجيرية حفر ضيقة متعمقة يطلق عليها المعي وجمعها الأمعاء. قال الأزهري «وقد رأيت بالصمان في قيعانها مساكات للماء، وإخاذاً متحوية تسمى الأمعاء وتسمى الحوايا، وهي شبه الغدران غير أنها متضايقة لا عرض لها. وربما ذهبت في القاع غلوة».

الخباري. جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي الخَبِرَةُ والخَبْرَاء وجمعها خَبِرٌ وخَبَارٌ وخَبْرَات من المنخفضات الصغيرة التي تنتشر في المناطق الجيرية وغير الجيرية على السواء، وهي تحمل في لفظها معنى الانخفاض أيضاً




والخبراء اسمٌ لكل مستقر ماء من مياه الأمطار سواء كبـرت وغزرت وأنبتت السدر والعضاه، وطال مكثُ الماء بها أم ما دون ذلك، وتجمع على خبـاري وخبراوات وخُبُرُ، ويدخل في مفهوم الخباري بعض الرياض، ومستقرات المياه التي تستقـبل مياه السيول وتمكث بها مدداً طويلة مثل خبراء الخفيسة، وحيراء العـصل والمجمع وغـيرها. قـال ابن الأعرابي عن الخَبِيرَات: هي خَبْراوات بالصَّلْعَاء، صلعاء مَاوِيَّة، وإنمـا سمين خَبِيرات لأنهن خَبَرْنَ في الأرض بمعنى انخفضن واطمأنَـنَّ فيها. والخَبَار كما يقول ابـن منظور ما لان مـن الأرض واسترخى، وفي الحديث: فدفعنا في خبَـار من الأرض، أي سهـلة لينـة. والخَبِرة تحـمل بعض خصائـص القاع وبعـض خصائص الـروضة، ويمكـن الاستدلال على ذلك من قول الحموي نقلا عن الأصمعي «الخَبِرَة والخَبْراء القاع ينبت السِّدر». فالخَبِرة تـشبه القاع في إمساكها الماء، إذ يمكث فيها الماء أحيانا إلى وقت القيـظ وتردها البادية لسقيا مواشيهـا وإبلها حتى تجـف فيستقون حيـنها لمـواشيهـم من الآبار. يـقول الشاعر:



خبرا في صفاقة





خبرا يحيط بها السّدر

تملَّتْ خباري الصلب وين انت ياالعطشان
ثمـان الخباري تـاسعتهـن كحيـليلـه

وقال ساكر الخمشي:

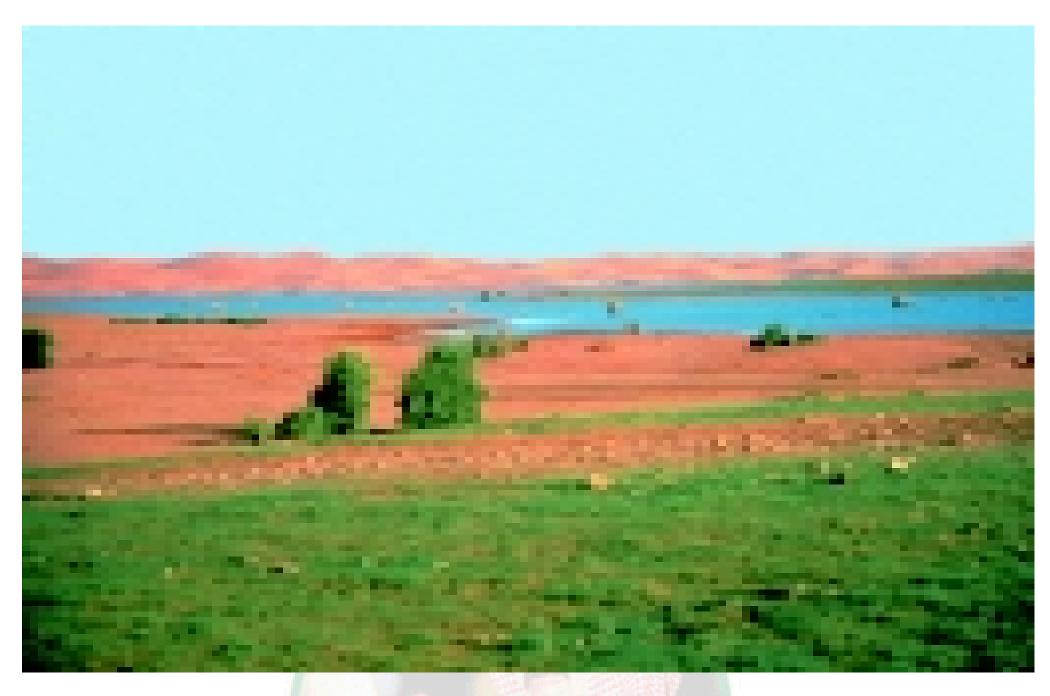
أخاف اموت ان ما حصل لي ولا شي
دغـلوب خـبرا نـاشفٍ مـيهـا ناش

ومن أمثـال غامد وزهران: يا اللـه سيل بُوا يسد خبايره، وفي موضع آخر يقال: يا لله سيل برحا يسد أخبارها.

ويكون -كما جاء في لسان العرب- سطح الخَبِرة مُشَقَّـقا بعد جفافها، تماماً كالـقاع، وهي أيضـاً مستـديرة مثلـه. وتخـتلف الخبـرة عن القـاع في صغر مساحتها إذ يُحاط بأرجائها بمجرد النظر، وهي غير مستوية كالقاع إذ تبدو سطحاً مقعراً واضح المعالم، يتراوح عمقها عن السطح المحيط بها بين متر ومترين.

وأخذت الخَبِرة من الـروضة خاصة الإنبات، وتسمي العرب مـنابت السِّدر الخَبْـراوات (الحربي ١٩٦٨: ٥٨٣)، إذ يكثر فيها السِّدر. قال الليث: وفيها يَنْبَت الخَبْرُ وهو -كما ورد في لسان العرب- شجر السِّدر والأرَاك، وحواليها عُشـب كثير. وليس شرطاً أن يكون بالخبرة السِّدر أو الأرَاك، إذ إن بعض الخبـارى خالية من النبات تماماً، مثل خبرة الجرذاوية في القصيم.



خبرا–محير – منقع

وتنتشر الخَبْراوات بشكل خاص في إقليم الصَّمان الكارستي، حيث تنشط إذابة الصخور الجيرية في موسم الأمطار، ثم تحمل الرياح مخلفات تلك العمليات، ويساند عملية الإذابة عامل هام هو العامل الأحيائي، إذ تنتشر بالمئات أجْحَار الضِّباب والجُرذان واليرابيع وبيوت النمل وغيرها من الأحياء التي تأوى إلى مواقع الخَبِرات ومناقع المياه التماسا للرطوبة في فصل الصيف الحار، فإذا ما نزلت الأمطار خَلْخَلت تلك الغيران وهدمتها ومهدت نقل فتاتها بالرياح. ومن هنا جاء قول العرب كما جاء في لسان العرب لابن منظور «الخَبَار أرض لينة فيها جِحَرَة» وهي جمع جُحْر، وجِحَرَة الجُرذان واحدته خُبَارة. وفي المثل: من تجنب الخبار أمن العثار. وقد تغير مفهوم الخبرة في عصر ياقوت، فأصبح يطلق على الغدير. قال ياقوت «فأما عرب هذا العصر فإن الخَبْراء عندهم الماء المحتقن كالغدير يردون إليه، ولا أصل له عند العرب». غير أن الغدير لا يمكُث مُكْثَ الخَبِرة.

ويمكن اعتبار الخبرة والغدير المرحلة الأولى في تكوين الروضة، أو أنهما



منخفضات جنينية، ويبدو ذلك واضحاً في المناطق الجيرية التي تطَّرد فيها عملية التخفيض بسرعة أكبر نتيجة لتضافر عمليتي الإذابة والتَّذرية.

والمراض: (وتجمع على المرائض أو المراضات) مأخوذة من استراضة الماء واستنقاعه فيها، والأرض سهلة لا تمسك الماء لكن أسفلها صلب يمسك الماء، ومتى احتاج الناس إلى الماء حفروا الأرض واستقوا من تلك المياه إن كانت عذبة. ويسمى ذلك المورد عندئذ الأحساء.

والجدير بالذكر أن روضة مَعْقُلة ذكرها العرب في عداد الخَبرات. قال الأزهري «وبالدَّهناء خَبْراء يقال لها معقلة، قلت: وقد رأيتها وفيها حوايا كثيرة تمسك ماء السماء دهرا طويلا، وإنما سميت معقلة لإمساكها الماء». وفي نص ياقوت عن الأزهري «وفيها خَباري كثيرة تُمْسِك المَاء». ومن عبارة الأزهري نستنتج أن روضة معقلة الحالية كانت مجموعة من المنخفضات الصغيرة أو الخبرات التي التَحَم بعضها ببعض مكونة منخفضاً أوسع.

ولا يمكن إغفال أثر العامل البشري في عملية التخفيض، إذ يوجه الرعاة أغنامهم نحو هذه المناطق فتثير سطح التربة وتقلع الأعشاب من جذورها - وهي المثبت للتربة في المناطق الصحراوية- فتتفكك وتسهل عملية تذريتها. ومن جهة أخرى فإن زراعة الإنسان للروضات تعمل على حفظ مستوى المنخفض، بل يردمه الإنسان أحيانا بالرمال القريبة من أجل تحسين مستوى التربة.

والهجلة، خبراء واسعة بطنها عميق تدفع فيها أودية ويلبث ماء السيول فيها مدة طويلة، مثل الهجلة الواقعة شرق جبل ذقان وإياها عَنَى الشاعر الشعبي إبراهيم بن جعيثن بقوله:

وانزل من الهجله إلى النير وبحار
ووادي سدير وكل حلاوي ثماره

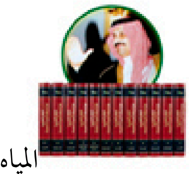
وفي القاموس: الهجل: المطمئن من الأرض.

والنقعة: مستنقع مائي راكد.

والخفق: خبراء عظيمة يكون بطنها عميقاً تجتمع فيها السيول مثل خفق الشلوي الواقع غرب النير، وجمعه خفقان. قال شاعر من عتيبة:

ياذيب ابا الفوس والخفقان والنير
عان العشا في جراديح الصمود

ويبدو أنهم اشتقوه من الخفوق بمعنى أنه يغيب من يقع فيه لعمقه وسعته. (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢٦). ومنها خفق سرابه في هريسان جنوب الخرج في بلاد الدواسر يدفع بها وادي العجرمي.




أما المقر فمنخفض صغير ليس له شفة بارزة ولا يكون عميقاً، ويكون في صحراء غير منحدرة يستقر فيها ماء المطر، وهو أصغر من الخبراء وأقل عمقاً. وفي القاموس: القرار والقرارة ما قرّ فيه، والمطمئن من الأرض، وفي شعر عنترة:

جادت عليه كل بكر حرة
فتركن كل قرارةٍ كالدرهم

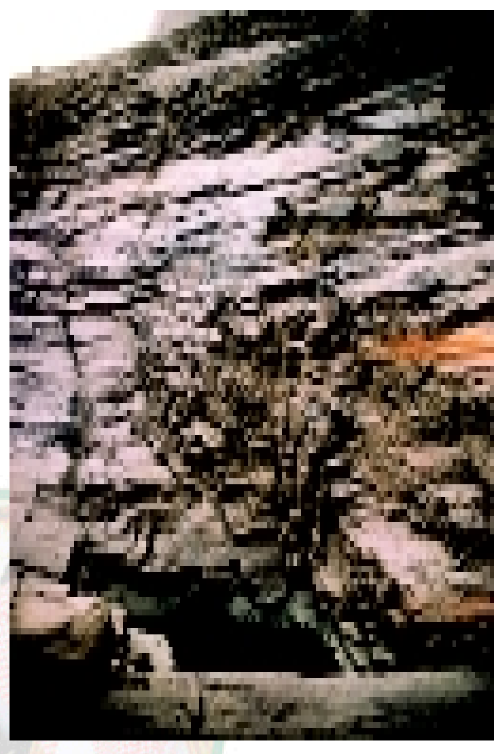
والحاجر: موضع يكون له شفة تحجز ماء المطر، ويكون في الصحراء ذات الانحدار اليسير وتكون شفته غالباً على شكل هلالي، ويكون الحاجر خلف الآخر، فإذا زاد فيه الماء فاض منه إلى الذي يليه. وبطن الحاجر غير عميق. وفي القاموس: الحاجر الأرض المرتفعة ووسطها منخفض وما يمسك الماء من شفة الوادي كالحاجور ومنبت الرمث.

والمحفل: مجتمع الماء حيث ينتهي سيل الوادي ويقال: حفل الوادي بالسيل واحتفل جاء يملء جنبيه.

والمحير: هو منتهى تجمع سيل الوادي الكبير.

القِلاَت. ومفردها قَلْت، وورد ذكرها في المخصص بأنها منخفضات تحدث عادة في الأسطح المكشوفة نسبياً، المستوية أو اللطيفة الانحدار في صخور الجرانيت والحجر الرملي وأنماط صخرية أخرى. ويختلف شكل هذه الحفر باختلاف المسطحات التي توجد فوقها. وهي في الغالب مستديرة أو بيضاوية فوق المسطحات المستوية، وغير متناظرة فوق المسطحات المائلة. وقد يصل قطر الحفرة إلى حوالي خمسة عشر متراً، أما العمق فيصل أحياناً إلى أربعة أمتار، وهي في العادة ذات قيعان مستوية أو مُقَعرة بحواف رأسية أو ناتئة. وقد أطلقت العرب على هذه الظاهرة عدة تسميات منها الرِّدَاه، واحدها رَدْهَة، والخَلاَئق، واحدها خَلِيقَة، والوِجَاذ، واحدها وَجْذ وغير ذلك. والردهة تدل على الحفر الشبيهة بالقلات. قال الأصمعي: الردهة النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء. وذكر ابن سيده أن الردهة حفيرة في القف تحفر أو تكون خلقة فيه. فهي هنا بخلاف القلات والخلائق التي تكون ظاهرة طبيعية محضة. وإذا أحيطت الصفاة بالحجارة واجتمع فيها ماء المطر فهي المسطح وجمعها مساطح. غير أنهم استخدموا كلمة القِلات أكثر من غيرها للدلالة على هذه الظاهرة، وهذه الكلمة ماتزال مستخدمة في شبه الجزيرة العربية وكذلك في صحراء مصر الشرقية.





قلتة بمجامع الهضب في جبل بدوة

وتدل الكلمة عند العرب على أنواع مختلفة من الحفر مختلفة الأصول. ومن خلال المادة التي أوردها الأزهري عن القلات يمكن أن نُميّز بين نمطين منها؛ النمط الأول هو القلات الناتجة عن التجوية في الصخور الجرانيتية، وهي التي وصفها الأزهري بأنها «كالنقرة تكون في الجبل يَسْتَنْقع فيها الماء، والوَقْبُ نحو منه»، وهذا هو النمط الشائع، وينشأ عادة فوق الأسطح العليا للجرانيت المُتَصَفِّح وتكون القلات فيه عادة مستوية القيعان قليلة العمق.

ويكثر هذا النوع من الحفر في فرائد الجبال الجرانيتية في منطقة القصيم، وفي الكتل الجبلية في شمر، وسلسلة جبال الحجاز. ومن أمثلتها قلات جبل الشَّلالات الواقع جنوبي بلدة ضَرِيَّة، وتقع القلات فيه عند سفحه، حيث يستطيع سكان تلك المنطقة الاستفادة منها عقب الفترات المطرة. كما توجد قلات أخرى في جبل اللَّجَأَة (تسمى الآن اللِّجَاه بحذف الهمزة) شمال غربي بلدة مِسْكة. ولا يزيد عمق هذه القلات عن نصف متر وقطرها عن ثلاثة أمتار. وتختلف قلات الشلالات واللَّجَأَه عن قلات جبل الجيب الواقع جنوب غربي جبل سلمى، يفصل بينهما وادي ذِيخين، فالأولى منقورة في مسطحات الجرانيت في فرائد الجبال القبابية الشكل، أما قلات جبل الجيب فتقع في التلاع تحت مدافع المياه منها، فهي تتأثر أساساً بحفر المياه المنحدرة إليها من عل، وتكون التجوية الكيميائية تالية للنحت الميكانيكي، ولهذا سُمِّيت القلت العُليا الشلالة ويدل الاسم على فعل المياه. ثم إن مياه تلك القلت تظل تنحدر مع التلاع صانعة قِلاتا أخرى يصل عددها لنحو عشر قلات صغيرة الحجم.



ويبدو -كما يقول ياقوت الحموي- أن تلك المنخفضات تنشأ عن التحطيم التفاضلي الذي يتركز في نقاط الضعف وعلى طول المفاصل. وعندما تنشأ الحفر وتتجمع فيها المياه، تتعرض صخورها لعمليات التغير الكيميائي، بخاصة عملية التميؤ التي تتم باتحاد بعض المعادن في هذه الصخور مع الماء حيث تتكون المعادن المائية، وتُفْقَد المواد المتبقية بالسَّفي أو التطاير المتكرر. وترجع الجدران الناتئة إلى بقاء الماء في الجزء الأسفل من الحفر فترة أطول من الجزء الأعلى. ويمكن القول أيضاً إنه مما يساعد على إتمام هذه العملية في الصخور الجرانيتية تباين المعادن التي تتألف منها هذه الصخور في استجاباتها لعمليات التجوية. فبعضها لا يتأثر بعمليات التجوية الكيميائية، ولكن تحدث لها عمليات تفتيت، وبعضها يتأثر بعملية التميؤ مكوناً الكاولين الذي يتكربن مكوناً كربونات البوتاسيوم، أو الصوديوم أو الكالسيوم. وبعضها لا يتأثر بالتجوية الكيميائية، ويتفتت إلى صفائح رقيقة، وبعضها يتأثر بعمليات التميؤ الكيميائية مكوناً أكاسيد الحديد. ويعني هذا أن نواتج التجوية للصخور الجرانيتية يمكن أن تكون خليطاً من الرمل والحجر والكاولين وأكاسيد الحديد وغيرها. وإلى بعض هذه المفتتات وبقايا التجوية كانت إشارة الأزهري عند ذكره للحُفَن واحدها حُفْنَةٌ، وأنها قَلْتَات يحتفرها الماء كهيئة البرك، وفي أسفلها حصى وتراب.

والحفنة: قلتة تكون في بطون أودية الجبال الداخلية، تدفع فيها السيول، ويمكث بها الماء طويلاً، ويردها الناس.

والنمط الثاني هو القلات الناتجة عن الإذابة في الصخور الجيرية التي أشار إليها ياقوت الحموي نقلا عن الأزهري عند كلامه عن قلات الصَّمان حيث قال «وهي نُقَر في رُؤوس قِفَافها يملؤها ماء السماء في الشتاء، وقد وردتها مرة وهي مُفْعَمَة فوجدت القَلْت منها يأخذ ملء راوية وأقل وأكثر، وهي حُفَر خَلَقَها الله في الصخور الصم. ولما كانت الصَّمان من أهم النطاقات الجيرية في الجزيرة، فإن العملية الرئيسية التي تساهم في تشكيل قِلاَت الصَّمان هي عملية الإذابة التي سبق أن ذكرنا أنها تؤدي إلى تكوين الدحلان.

وقلات الصمان ذكرها ذو الرمة في شعره إذ قال:

أمن دمنةٍ بين القلات وشارعٍ
تصابيت حتى ظلت العين تدمع



وقال:

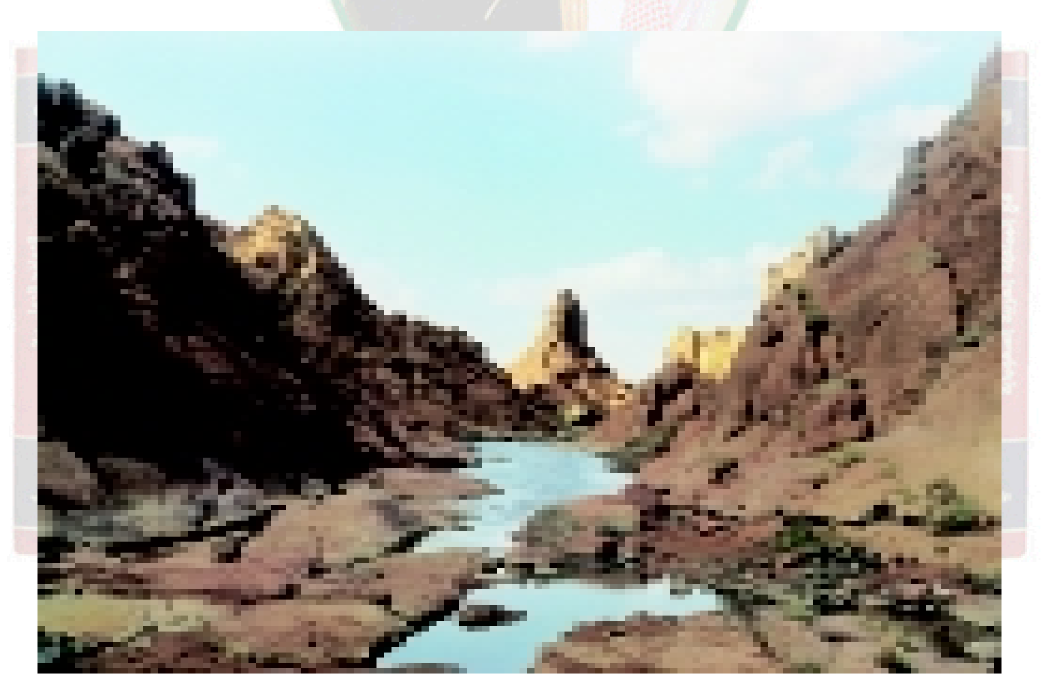
ألا ليت أيام القلات وشارعٍ
رجعن لنا ثم انقضى العيش أجمع

وقال:

خلْيليّ عُوْجَا عَوْجَةً ناقتيكما
على طللٍ بين القلات وشارعٍ

ويضاف إلى هذا النمط ما ذكره الحموي نقلاً عن الأزهري عن الليث في وصف القَلْت بأنها حفرة يحفرها ماء وَاشِل يَقْطُر من سقف كَهْف على حَجَر أَيِّر صُلْب فَيُوقِب فيه على مَرِّ الأحقاب وَقْبَةً مستديرة. ويبدو من هذا الوصف أنه قريب من الشكل المعروف بالتافوني Tafoni الذي يتشكل في أنواع مختلفة من الصخور، كالجرانيت والصخور الرملية والجيرية وغيرها. ويتراوح قطر ذلك الكهف من سنتيمترات قليلة إلى عدة أمتار.

والقلات بصفة عامة تتكون في أضيق مسارات الأودية وأشدها انحداراً إلى مصباتها بين الصخور التي تكون في الجانب العلوي من القلتة لذلك فلا يمكن الوصول للقلت إلا مع أسفل الوادي أي من حيث مصبه، والقلتة عادة تحفظ المياه فترة طويلة حيث تغذيها المياه المتسربة بين الصخور، وموقعها يكون



الوقيط




فيما يسمى العجمة، والعجمة أضيق منطقة في الوادي ولا يمكن للإنسان الصعود منها إلا بشق الأنفس إما لوجود صخور كبيرة كما في جبال الحجاز أو لكون الصخور منكسرة ومرتفعة كما في قلات العارض.

ومن مسميات القلات الواردة في التراث الركوة، وهي القلتة تكون في الجبل، وتمتلىء بمياه الأمطار. والوقيط: المكان الصلب الذي يستنقع فيه الماء، فيمكث فيه، ويعرف عند بعض البادية باسم الوقر، ويختلف عن القلتة بأنه ليس في بطن الوادي وإنما في الأصفية. ولا يتغذى ماءه فما استنزف منه لا يعوض، ومنه الصغير والكبير الذي يصل قطره إلى ستة أمتار وعمقه إلى أربعة أمتار وتسمى في الشمال القصعة. قال ابن دويرج:

ما نسيت الصاحب اللي بالموده والهوى صافي لي

جا لي اصفا من غدير الوقر واحلا من حليب الناقه

وفي جبلي شدا الأعلى والأسفل بمنطقة الباحة توجد حفر في الصخور المرتفعة تسمى واحدتها الوقر تحتفظ بمياه الأمطار لمدة طويلة، ومنها ما هو لشرب الناس وهو العالي منها، ومنها ما هو لشرب الحيوان في المناطق المختلفة وأحياناً يسمى الوقر وكراً.

والبربك: حوض صغير على شكل حفرة في الأرض وعادة ما يكون في بطون الخباري تطؤه الإبل بأخفافها فيكون ملزماً للماء، ولا يستخدم هذا الاسم بربك إلا في الصمان، وكانت البادية فيما سبق تعتني به وتحفره لتجتمع فيه المياه فترة أطول (الشبانات ١٤١٨، ج١: ٩٤).

والمُقُوْرُ جمع مقر؛ وهي حفر عميقة في أرض صلبة تتجمع فيها مياه الأمطار، وتبقى مدة تزيد عن السنة. وتقع المقور في جهة عرعر حيث تقل الآبار أو تعدم فتتخذ تلك المقور لحفظ مياه المطر لوقت الحاجة. والغمار برك الماء تمتلئ من ماء السماء مثل الحياض. والنظيم اسم لكل ما انتظم من أي شيء كالأشجار أو الخباري أو القلات المنتظمة في مجاري الأودية بظهور الجبال ومنحدراتها نحو السهول.

والطفطوف تجويف في صخر منبسط يمتلئ بماء المطر يكفي لشرب شخصين إلى ثلاثة.

وقال مخلد القثامي في وصف عيني محبوبته:

العين طفطوفٍ عذي المشاريب

في ماقعٍ عسرٍ على كل هيّاب

ماقع: موقع. ومن أسماء القلات: الوقران والوقب جمعه أوقاب وهي حفر في الصفا تشبه القلات.



الجبال

مظاهر جغرافية متعلقة بالجبال

هناك بعض المظاهر الجغرافية تتصل بالجبال، أدرك أهل شبه الجزيرة العربية التفاوت بينها، وميّزوا كلاًّ منها بأسماء وصفات خاصة به، وقد تكون بعض هذه الأسماء قديمة لدى أهل الجزيرة. ولبعض هذه المظاهر أسماء متعددة في مناطق مختلفة. ومن هذه المظاهر:

الثنايا: الرؤوس البارزة المستدقة فوق الجبال، وقد يُعْكَس الأمر فيسمون الثلم في الجبل ثنيّة؛ وقيل الثنية طريق العقبة، ومنه قولهم: فلان طلاع الثنايا إذا كان سامياً لمعالي الأمور؛ والثنية الطريق في الجبل كالنقب، وقيل هي العقبة، وقيل هي الجبل نفسه؛ وهي أيضاً ريع بين جبلين. وأغلب أهل الحجاز لا يسمونها ثنية إلا أن تكون بين حرتين، كثنية عسفان.

الجبجب (وجمعه جباجب): أضلع خارجها جبلي وداخلها عش طيني. ومن ذلك الجبجبة تقع إلى الشرق من عقيق غامد، وفي الطائف متنزهات على طريق الهدا تسمى جباجب جمع جبجبة.

الجبل: هيكل صخري مرتفع عال، وتسميه العرب اليوم الضلع، فيقولون جبل عرفات وضلع كرا، أي أن الاسمين مترادفان.

الجناب: سفح الجبل المرتفع. وجناب الوادي سفحه المرتفع عن بطنه. ويقال في بعض قرى السراة للمدرجات الزراعية الواقعة في سفوح الجبال «جنبا» ومفردها جناب.

الجُوبة (جمعها الجُوبات، الجُوب): وهي الحفرة الواسعة المستديرة مثل الحُفرة، والجُوبة أيضاً الفرجة في الجبال. ولهذا وصفت الدّارة أنها جوبة تحفها الجبال.

الحبيل: الحبيل والذاري كلاهما يطلق في جازان وما حولها على ظهر الجبل




المسنم المستطيل مثل حبيل المالكي، بقعة علـى تلك الـضفة شـمال شرق مركـز العارضة بأربعة أكيال. ومثله حبيل حسنة، بقعة في جبل حماد ببني الغازي، وحبيل آل حرادة، بقعة فـي جبل آل عبدل من فيفاء (العقيلي ١٣٩٩: ١٤٤).

الحشَّة: جـبل غير مـرتفع، سهـل المرتقى، وتارة جـبيلات متلاصقة وقد تكون واسعة يتـخللها طرق ومسالك، وتسمى أيضاً السـمرا مثل سمرا حلبان على طريق الرياض-الطائف السريع وهي مجـموعة حشـاش واسعة، والسـمارة جنوب غرب تثليث. وقد تطلق الحشة على الحزون المتـداخلة مثل حِشَّة رثمـة في غربي عرض الـقويعية. وإذا كانت الحشة معقدة وكبيرة، خفيفة المسالك قالوا لها حشة متداخلة (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج١: ٢٣). والحشة عادة سوداء اللون.

والمدرع حشة سوداء كبـيرة تقع في ضفة وادي جهام، وبالقرب منها غدير مشهور يـسمى غدير المدرع تقـع غرب الدوادمي بمسافة سبعين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج٣: ١٦١).

الحَيْد: هو الجبل وأصله طرف الجبل فأطلق على الجبل كله، أو الصخرة الكبيرة فيما تعـارف عليه عامة أهل نجد، مثـل حيد الردامي، والردامي سناف أشقر له متن بارز، يقع في أعلى وادي الأرطاوي شمال بلدة نفي، وبعضهم يقول الردامي دون إضافة حيد إليه. وقال منيّع القعود:

غطى حيد الردامي من عجاج الخيل عكنان

واهل جوره وضاخ ارجف بهم قاع الوطا كله

ولكن يلاحظ أن كلمة حيد كثيراً ما يطلق على الحجر بصفة عامة مهما كان حجمه عنـد البادية. ويطلق في بعض سراة الجنوب على الحجر الصلد. فيقال «اضرب راسـك في حـيد» فـي حالـة التحدي.

الدف: أرض سهـلة مرتفعة بـلبط الجبل، كـدف جمدان بخليـص، ودفة العرق ظهره.

الرجـد: عند البـادية هو الحـجارة المتراكمـة على بعضهـا سواء كان ذلك طبيعياً أو بفعل فاعل.

الرجـم: هو الحـجارة المـوضوعـة بعضها فوق بعض سواءً كانت في سهل أو على مرتفع من الأرض من جبلٍ أو نحوه. وهو على أشكال وأنواع، فمنـه رجم طبيعي من أصل تكوين الجبل مثل رجـم مغيرا وهـو يطـل عـلى وادي الضـحوى إلـى الجنوب الـشرقـي من الدوادمي على بعد ٧٠ كم. ومنه ما هو من صنع الإنسان يبنى عـلى مرتفع من الجبل مثل الرجمين اللذين على قمة جبل





الجذيية

ثَهْلان المطلين على بلدة الشَّعْرَاء؛ وهما رجمان متجاوران، تـراهما من الأرض صغيرين لارتفاع مكانهما، وإذا صعدت إليهما وجدت بنايتين كبيرتين من الحجارة المرصوصة ولهما سنون طويلة منذ بنيا. وللرجم تسميات منها: الجديرة (الزريبه) وهو بـناء دائـري مجـوف، وأكثـر ما يستعمل هذا لمراقبـة الصيد والتخفي له حتى يقرب من القـانص، أو لحماية ما حوله من مساكن للبادية ومراقبة الغزو. وثانيهما الجذيية وهي بناء من الحجر بطول الإنسان أو أطول يبنى على الجبل الصغير (الرجم)، وهو علامة على شيءٍ حوله. وسمي الجذيية من الجذب أي جذب النظر ولفته فقد يـكون إلى جانبه مورد ماء، وفي المـثل الدارج «رِجْمٍ عـلى غَيْرْقـا» يضرب مثلاً لبعض المَظاهر الخادعة، أو مغارة أو نحو ذلـك. ومن الأبنية التي تبنـى فوق الأمكنة المرتـفعة في القـرى والبلدان بناء يكاد يكون دائرياً في الغالب أو مربعاً، ويبنى من الحجارة أو الطين، وله سلم وسطح وفتحات للنظر مـنها؛ وهو لحماية البلد من مفاجأة الأعداء لها، ولمراقبة ماشية البلد في المرعى. وتسمى هذه الأبنية بالمرقب أو المرقاب. وقد تكون مبنية في سهل إذا لم يكن في البلد جبل يمكن البناء عليه.

والرجم مكان مناسب لتـفرُّد الشعراء الشعبيين، يرتقون إليه في أعالي الجبـال، لغرض الاستـقلال، واستلهام الـقصيد، ويسنِّدون عليه، أي يخاطبونه في أشعارهم، وكأنه كائن حي يسمع ما يقولون. ومن أمثلة تلك الأشعار قصيدة مشهورة تتغنى بلون السامري منها:




يارجـم ياالـلي بالخـلا نايـفٍ عالي
ما شـفت مـا عَيَّنـت مرُّوك طَـرقيَّه
ما شفـت ما عَيَّنـت الاضعان حوَّالِ
ما شـفت مـعهـم جادلٍ فيـه ماريَّـه
ماريِّـته وانْ حـط بالـساق خـلـخـالِ
ومـخـضّـبٍ زمـيِّـمه لـلـهـواويِّـه

ومثلها مطلع قصيدة للشاعر محمد الأحمد السديري يتخير فيه رجماً عالياً بعيـداً عن الناس ليخـلو بنفسـه يتذكر ويتأمل:

يـقول مـن عدّى عـلى راس عـالي
رجـمٍ طويـلٍ يـدهلـه كل قـرنـاس
فـي راس مرجـومٍ عـسيـر المنالـي
تلـعب به الأريـاح مع كـل نسنـاس
في مـهمـهٍ قفـرٍ من الـناس خـالي
يشتاق له من حس بـالقلب هوجاس
قـعـدت في راسـه وحـيـدٍ لحـالي
براسٍ طـويل مـلابقـه تقـل حراس
متـذكرٍ فـي مرقـبي وش جـرى لي
وصقّـقت بالكـفين ياس عـلى ياس
أخـذت اعـدّ ايـامـهـا والـليـالـي
دنيـا تقـلّب مـا عرفـنا لـهـا قـياس

الرَّدِيفَة: الجبل يقوم خلفه جبل يسمى ما بينهـما رديفة وجمعها ردائف. وقـد تطلـق البادية اسم الـرديفة على الموقـع القريب من مكان مشهور كروضة أو جو فهي بذلك تشبه الراكب الثاني على الدابة الذي يسمى رديف والرادفة الصخرة التي تكون في أعلى قمة الجبل وكذلك التي تكـون فوق صخـرة أخرى لا يعـلوها شيء. وفي اللسان: رَدِف الرجل وأردفه: ركب خلفه وارتدفه خَلفه على الدابة.

الركح: بـطن نتوء الجـبل الذي لا يمكن الوصول إليه ولا يصله الماء ولذلك تعشش فيه بعض الطيور.

الريش: الحزن يركب حزناً آخر فينقاد فوقه وقد يسمى طراقاً.

الريع: وهـو كل متسـع في الجبل يقسمه ويمضيه يرتفع السائر فيه إلى أعلى الريع ثم يهبط إلى الجهة الأخرى، جانباه مرتفعان، ومن أمثلته ريع المنقض وهو منطقة جبـلية بين وادي سقامة، الواقع في الجنوب الشرقي منها، ووادي يحر، الواقع في الشمال الـغربي، وتفصلهما عن بـعضهـا. وهي بين بـلدتي قـلوة والمخواة. وريع الـوداف أرض منبسطة بين بلـدتي شبرقة والـقوارير في سـراة زهـران. وتشـمـل تحت هـذا الاسـم الحصـحص وشعـب العرعـر والحنواء والبراقة. وحجارة هذه الأرض بيضاء. وريع الشُّغار عقبة صغيرة تفصل بين وادي الشعراء ووادي سَمَعَة وتصل بينهما. وقد فتح فيها طريق للسيارات يصل بين قلوة والحـجرة (الـزهرانـي ١٤٠١: ١١٦).





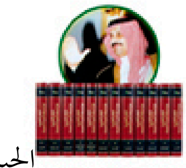
جانب من ريع السّلف الذي يخترق جبل أجا

والرهوة طريق بين جبلين مثل الريع إلا أنها صعبة وإذا كانت تختصر طريقاً أطول سميت المخصارة.

الزَّرِيْبَة: جمعها زرَائِب، وتصغيرها زُرَيِّبَة، وجمع التصغير زُرَيِّبَات، وهي نوعان كنوعي الرِّجم، وقد تكون مرادفة لكلمة رجم إلا أنها للرجوم الصغيرة الطبيعية وغير الطبيعية أكثر من غيرها. وقد تطلق الزريبة في بعض المناطق على البناء فهي لحماية الأغنام في الليل، أو في ظهر الجبل لمراقبة الأعداء أو مراقبة الصيد وهناك من يسميها جديرة.

السلع: السِّلع بالكسر في الجبل الشق كهيئة الصدع، ويفتح. والسلوع أربعة مواضع ثلاثة منها ببلاد بني باهلة، وهي سلع مرشوم، وسلع الكلدية، وسلع الستر، والرابع موضع ببلاد بني أسد بنجد.

وسلع الريان طريق ينفذ جبل ثهلان من الشرق إلى الغرب حافاً بماء الريان من الجنوب، وجبل الريان يكتنفه من الشمال جنوباً من بلدة الشعراء، وجنوباً منه يقع سلع آخر يدعى سلع مواجه وهو واقع في بلاد بني نمير، وبنو نمير يشاركون بني باهلة في بعض بلادهم. وفي سلع الريان يقول الشاعر عبدالله بن رمضان من أهالي الشعراء:




عسى شعيب الشبرميه يفايل
والسيل يبطي ناقعٍ في حوايله
والسلع والريان والضلع كله
تصافق تلاعه كالبحور متعايله
(ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٦٩٨-٦٩٩).

السَّلْع (السُّلُوع، الأَسْلاَع): هو الخط الفاصل بين تصريفين مائيين، ولم يُذكر هذا المعنى في معاجم اللغة، بل تفرد ياقوت بذكره، فقد جاء في معجم البلدان «يقول أبو زياد: الأسْلاع طرق في الجبال يسمى الواحد سلعا، وهو أن يصعد الإنسان في الشِّعب، وهو بين الجبلين، حتى يبلغ أعلى الوادي، ثم يمضي فيُسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر، يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه، ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء من الأرض، فذاك الرأس الذي أشرف من الواديين السلع، ولا يعلوه إلا راجل». وللسلع في شبه الجزيرة اليوم أكثر من مصطلح محلي، فهو الوَسَق عند الجُهَنيين في شمال الحجاز، ويقصد به أعلى الجبل، وتطلق عليه قبائل غامد وزهران اسم المَهَدُّ، لأن السيل يُهد على الناس من جهتين. وهناك من يسميه في منطقة شمر بالقرب من حائل اسم المَقْرن أو مقرن الشعبان جمع شعب أي المنطقة التي تقترب عندها رؤوس الشعاب في أعلى الجبل وتكاد تقترن. وعلى ذلك فإن كلمة السَّلْع ومرادفاتها المحلية أوفق بالاستعمال من الترجمة الحرفية للمصطلح المستخدمة حالياً في الكتب الجغرافية العربية، وهي المقسم المائي أو خط تقسيم المياه.

السناف: تكوين جبلي له ظهر، ومنه ما له متن مرتفع وعر المرتقى وفيه ما هو سهل متطرف على الأرض. ويماثله العرف وهو تكوين جبلي منخفض الارتفاع طوله أكثر بكثير من عرضه في أعلاه صخور مرتكزة كأنها الأسنان، ويطلق اسم السناف على الحزن الممتد المشرف. مثل أبو سنون، سناف أحمر تعلوه صخور تشبه الأسنان يقع إلى الشمال من نفي في ضفة وادي الأرطاوي الشمالية. والمسمى نفسه يطلق على سناف أشقر يعلوه صخور بارزة تشبه الأسنان يقع إلى الغرب من عفيف على مسافة أربعين كيلاً، كما يطلق الاسم نفسه على سناف ثالث أحمر يقع إلى الشمال من عروى ويبعد عن الدوادمي نحو ستين كيلاً. ومتون السنفان عموماً من أفقر الصحاري نباتاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢١، ٦٧، ٨٠).

ومن أمثلة السنفان الوعرة سناف الطراد، وهو سناف أسود قليل الارتفاع



يقع بين هضبة المعلّق وهضاب أم المشاعيب، شمال جبل النير يرى منها بالبصر شمال الطريق بين القاعية وعفيف، وترجع سبب تسميته بالطراد لوقوع معركة حربية فيه بين قبائل من البادية جرت فيها مطاردة على متون الخيل.

وهناك سناف آخر يحمل المسمى نفسه يقع جنوب بلدة الشعراء، شرق جبل ثهلان، وهو سناف أشقر له متن مرتفع، وسمي كذلك بسبب معركة بين قبائل عتيبة من ناحية وقحطان والدواسر من ناحية أخرى (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج٢:٧٠٨). وسناف العرفا الواقع إلى الشرق من مطار الطائف.

الشداد: الشداد هو الرحل الذي يوضع فوق ظهر الناقة لركوبها، ولهذا فهم يسمون الجبل الصغير المستوي الظهر مع ارتفاع جانبيه شدادا. فهو في الأصل وصف ولهذا تكثر الجبيلات التي يطلق عليها هذا الاسم، ومنها شداد جبل شرق روضة مبهلة في الصلب شرق الصمان، يحف به من الجنوب جبل برمة. وشداد أكمة غرب جبل أم الهشيم في الشمال الغربي من روضة أم العصافير، وفي الصلب أيضاً (الجاسر ١٣٩٩، ج٣: ٩١٧). وفي بلاد بني الحارث شمال منطقة الباحة جبل يسمى شداد كان يمر فيه الحجاج القادمون من الجنوب.

الشرفة: مسلك عسر بين جبلين أعلى من الريع، ويسميه عرب الشمال شرف، كشرف العمامة قرب خيبر. وقبلة شرف السيالة جنوب المدينة. وهو ما يسميه العسكريون السرج.

الشَّفَا: حافة الجال من أعلاه، ويطلق أيضاً على الجانب المطل على غور تهامة من جبال الحجاز. وقد يطلق الشفا على الأرض المرتفعة مثل شفا عبلة سجى.

الشّمَارِيْخ: الشِّمْـرَاخُ رأس مستدير طويل دقيق في أعلى الجبل. يقول الأصمعي «الشَّمارِيْخُ رؤوس الجبال وهي الشَّنَاخِيْبُ، واحدتها شُنْخُوبَة». ولا زالت تستخدم في نَجْد بهذا المعنى إذ تطلق على أنوف الجبال الدقيقة شبيهة الشِّمْرَاخ من طلع النخلة.

الصمد: حزم مرتفع مكسو بالحجارة الصغيرة السود، غالباً طيني الداخل لا ينبت ظهره شيئاً. والصمد في مفهوم البادية متعدد المعاني فهو الجبل الشاهق، والصخرة الصماء، وجانب الجبل يكون من صخرة واحدة لا فواصل فيها والصمد بصفة عامة جانب الجبال.

الصُّوْح: لفظ عربي قديم لا يزال يستخدم بكثرة للدلالة على وجه الحافة



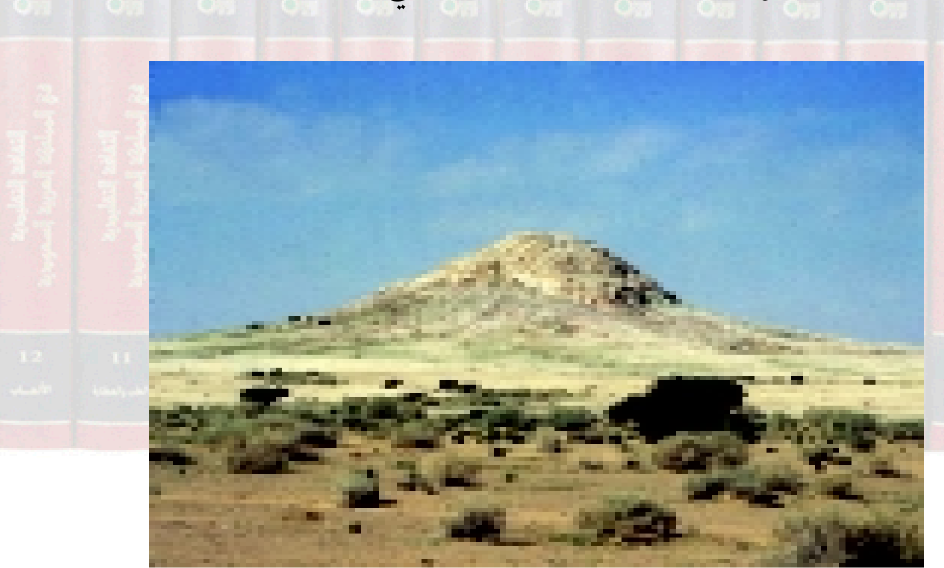

الجبلية، مثل صُوْح طُويْق شمال مَرَات.

والصَّوْحُ، بفتح الصاد الجانب من الرأس والجبل؛ ويقال صُوْحٌ لوجه الجبل القائم كأنه حائط، وهما لغتان صحيحتان؛ وصُوْحَا الوادي: حائطاه.

الضِّلَع (والجمع: الأضلاع): الضلع هو الجبل الصغير الذي ليس بالطويل، وقيل هو الجُبيل المنفرد. وهذا المصطلح ما يزال مستخدماً في شبه الجزيرة العربية للدلالة على هذا المعنى. وقد يطلق على الجبل الكبير.

الطود: جبل عال مشرف وعر المسالك مكسوٌ بالأشجار كطود الحجاز بين مكة والطائف، ومثله الطور عند عرب الشمال. والطور والطود هو الجبل العظيم الممتد لمسافة طويلة.

العَبَل: جبل أو حزن يتكون جميعه من المرو الأبيض، ويكون غالباً على هيئة قمة صغيرة منفردة أو جبل مدور ذي قمة وعرة المرتقى، كعبل معيقل الواقع جنوباً من الشعراء يرى منها بالبصر. له قمة مرتفعة يُرى من بعد، ويسميه البعض قديماً عبل الرياشي لأنه واقع في أعلى وادي الرياشي. كان هذا العبل من مزارات البادية يأتون إليه بمرضاهم ويطوفون حوله. وقد كتب جري الصميت إلى الشيخ عبدالله أبي بطين رسالة يسأله فيها عما يفعله جهلة البوادي حول هذا العبل وحكم ما يذبح عنده من القرابين وما يهدى له من الأطعمة والهدايا التي يضعونها فيه. وقد انقطعت هذه العادات القديمة في نجد فيما بعد.



العَبَل



وعبل ابن حميد جبل أبيض يتكون من حجارة المرو البيضاء، وابن حميد هو محمد بن هندي بن حميد شيخ قبيلة برقا من عتيبة. ويقع عبل ابن حميد في ضفة وادي الأرطاوي شمالاً شرقياً عن بلدة نفي، ويبعد عن الدوادمي ١٠٠كم تقريباً (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣:٩٠٨).

وعبل مَقْذَل، عبل أبيض بارز جميع حجارته بيضاء. يقع بين سجا وعفيف، جنوب خط السيارات الذاهب من عفيف إلى ظلم وهو شرق علو وادي الشبرم. يقول فيه الشاعر ذيخان العضياني الروقي:

وشريق في مربى البكار السّهايف
مدهال طايلة الخطا حسك الاوبار
يم العبل مدهال كل الطوايف
اللي تجي له حمَّ الاشعاف صدار

ويقول عبدالرحمن بن محمد العضياني الروقي:

فاطري مرعاك في زين المشاحي
من عبل مقذل إلى ضلع الدفينه

وقد اشتهر هذا العبل لوقوعه في بلاد طيبة المرعى ينتابها رعاة الإبل، وعند هذا العبل بئر ضحلة الماء تدعى عبلا لقبيلة المهادلة من الروقة ويبعد عن بلدة عفيف عشرين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ٩١٠-٩١١). وهناك جبل أبيض شرق وادي رنية قرب مركز جُرد يطلق عليه العبلاء وهو من المعادن القديمة عند العرب وله ذكر في كتب المعاجم، كما أن هناك جبلاً في الجنوب الشرقي لمدينة بيشة يكسوه البياض ويسمى الصايرة.



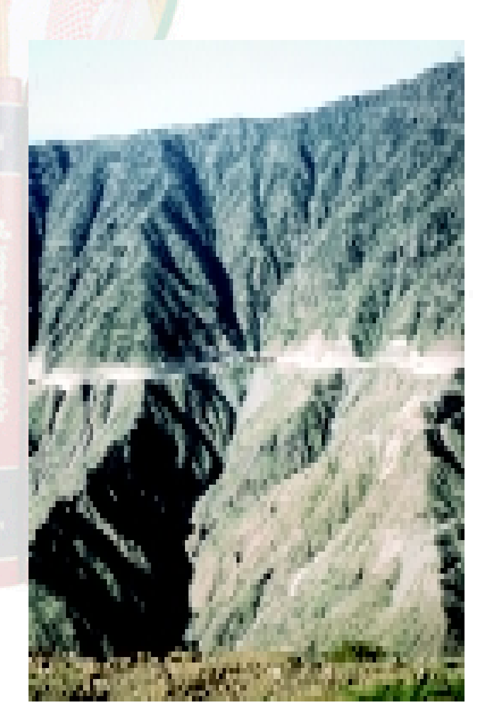
عبل الصاير




العبيد: عبيد تطلق على الجبل المفرد الأسود مثل عبيد خزه.

العُرْقُوب: وربما أطلق العرقوب على الطريق في عرض الجبل.

العـقبة: والجمـع عقب وعـقاب، وعقبات وهي المرقى الصعب من الجبال أو الطريق فـي أعلاها. وفي اصطلاح المعاصريـن هي الطريق الوعر الصـعب المرتقى له هويات سحيقة بين الجبال لا يعبره إلا الراجل أو الدابة وأكثر ما تكون العقاب في الطرق من السراة إلى تهامة ومنها عقبة الباحة وعقبة بني هلال وعقبة الأبنـاء، وحزنة، والـباحة، وهي فـي غامد، وعقبة الملك خالد، وسبة، وذي منعا التي نزل منها الصحابي أبو هريرة وصحبه في طريقه إلى المدينة المنورة وهذه في بلاد زهران.


عقبة الباحة

الغار: تجويف في الجبل ونحوه يأوى إلـيه مـن يطـلب الـظل أو الـدفء أو الاختباء. وتتفاوت في حجمها وارتفاع سقفها وهناك العديد من الغيران بالمملكة. ومنها غـار حراء الذي نزل فيه الـوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغار ثور الذي احتمى فيه هو وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بداية الهجرة إلى المدينة المنورة، وغار عُرَيض قرب الرياض. وغار بـنت الأمير قرب الدرعية وكان مما يعتقدون فيه قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويتباركون به، ويزعمون أن بنتاً لأمير في ذلك الزمان جاءها فسقة فراودوها عن نفسها، فانفلق لها هـذا الغار ولاذت به، وعاد والتـأم عليـها حتى ذهـب الفسقـة عنها (ابن خمـيس ١٤٠٠، ج٢: ٢٢٩-٢٣٠).

وقد خاطب الشعراء الغار، مثلما صنع صاهود بن طوالة:

يا سـاح ظل الـغار شـبيـت به نـار
وقلـطت محمـاس على شـف بالي
ابـنـشـدك يـاغـار يـاغـار يـاغـار
عن مـن قعـد بك من قـديم وتالـي





جانب من غار أبو ركزه بجبل حبران

ياما حضرت من القبايل والادوار
ويامـا مضى لـك من عداد الليالي
وياما حكوا في فيـتك فصل الاشوار
وخيلٍ تـربّط في جديد الحبالي

الغرق: تطلقه البادية على المنحدر الصعب في الجبل والهيال في العرق صعب المرتقى وصعب النزول. يقول الشاعر الشعبي الدندان:

رقيت رجمٍ ضحى في اعلى حجا طوقه
تصفق علاوي عروقه برد الانوادي

وقال ابن مقارح:

يبرى لها مبرية الساق شلواح
قبا قحومٍ للطرايد لحوقي
كن طمرها لى سمعت النق بصياح
طمر الفهد مع عاليات العروقي

الفاو: هو الطريق المنبسط بين جبلين، والمراد به الفج بين جبلين وأصله الفوة، فهذا الفج بين الجبلين بمثابة الفوة لهما، وقد يسمى فجاً. ويعرف بالعلمية إذا لم يكن بالمنطقة سواه، وقد يتعين بالإضافة. فمنها فاو قرية قرب السليل وفاو الهدار وفاو العتش وفاو الكظيمة.



الفاو

ودهو الممر الواسع الطويل بين مرتفعين وهو أصغر من الفاو.

الفَج (الفِجَاج): الطريق الواسع بين جبلين، وقيل في جبل أو في قُبل جبل، وهو أوسع من الشعب كفج الكريمي المطل على مر الظهران من الشمال مقابل الحديبية. وقيل هو الشعب الواسع أيضاً، ويكون طويلاً كثير العشب.

القُلَّة (القِلال): رأس الجبل، ويقال أيضاً قُنَّة الجبل وجمعها قُنَن وقِنان. وقيل القنة الجبل الصغير، وقيل الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض وقيل هو الجبل المنفرد المستطيل في السماء، ولا تكون القنة إلا سوداء.

القهب: تكوين جبلي يشبه السناف ذا المتن المرتفع. وقد يكون صغيراً غير أنه لا يكون منفرشاً في الأرض، ولا يكون القهب إلا أغبر أو أحمر عليه غبرة (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢١). مثل أبو نبطة قهب أحمر تعلو جانبه برقة، يقع شمالاً من هجرة الحيد شرق حمى ضرية ويبعد عن الدوادمي تسعين كيلاً تقريباً إلى جهة الشمال.

وأبو نبطة أيضاً قهب آخر أحمر مرتفع تعلو جانبه برقة، يقع صوب مطلع الشمس من هجرة عريفجان وشرقاً من منية الحمراء، وهو غير بعيد عن الذي قبله، وقد أخذ شهرته من موقعه حيث يقع في أطيب مراتع البادية وأحبها إليهم، وفيه يقول سليمان بن شريم:

ساعة قريت الخط والعلم لي بان
دنيت لي مسطورةٍ بنت مسطور
شيباً من الشيب الشلاهيب مقران
من كثر ما اقفت واقبلت تقل بابور
مرباعها بين الحنادر وبنبان
وما كفته حزوى عن العرق بحدور
ومقياظها بين النويع وجسران
ولها بابو نبطه معازيب ونشور

وقهاب ليف أحد جبال ضَرِيّا الواقعة غربي العقيق اكتشفت به معادن مؤخراً (الزهراني ١٤٠١: ٢٠٥). وقهاب ثراد في بادية بني كبير وقهب الحيران إلى الجنوب من عشيرة، وقهب النعيم غرب نفود البشارة في أقصى عبلة الحوميات ويبعد عن مركز الحوميات الواقع على طريق الرياض–الطائف السريع ٢٣ كم إلى الجنوب.

القويد: تكوين جبلي طبيعي يشكل امتداداً طبيعياً لجبل يمتد على اتجاه واحد، أو عدة هضاب تشكل صفاً منتظماً في اتجاه واحد. الفيروزبادي في القاموس: القائد من الجبل أنفه، وكل مستطيل من أرض أو جبل على وجه الأرض (ابن جنيدل ١٣٩٨،



ج١ :٢٢)، وهو شبيه بالسناف إلا أنه أكبر منه وأطـول وأكثر ارتفاعاً. وقد يطلق على القويد النظيم.

اللَّجف (والجمع الألجاف): واللجف في الجبال يكون في صوح الجبل الأعلى (طيرانه) كهوف صغيرة أو كبيرة وعـادة ما تعشش فيها الجوارح من الطيور.

المحالة: ثقب في الجبل.

المذروب: هو الجـبل أو الجبيـل له رأس واحد دقـيق مرتـفع، والصـخرة المنفردة الطويلة الـدقيقة في رأس الجبل وفي اللسان: الذرب كل شيء حاد ومن الجبال التي عُرفت بهذا الاسم مـذروب الذبحة إلى الشمال الشرقي من المجمعة.

المـرقاب: جـبل مـذروب صالـح للمراقبة، يصعد فيه من يتطلع إلى شيء يبحث عنه. وكذلك المرقب.

المزبان: كالحيد أو المـرقب مما يزبنه الإنسان ويلتجئ إليه.

المطراق: درب ضـيق كالزقاق بـين النخل أو في سفح الجبل.

المهـد: جبل متـوسط، فإذا صغـر صغروه فقالوا مهيد.

المَهدُّ: مـصطلح محلـي يطلق في عسير على السلع، أو المقسم المائي.

المِيْرَكة: ظـهر الجبل المتطامن تحـت جبل آخر.

النَّاب (الأنْيَاب): مسلات صخريـة تنـشأ في العـادة عن توسيـع المفاصـل الصخرية في صخـور الحجر الرملي أو الجيري، وهي تسمية محلية تستعمل في منطقة العلا في غرب شبه الجزيرة العربية وفي غامد وزهران تجمع على نيبان.

النَّفْنَف (وجمعها الـنَّفَانف): أسناد الجبال التي تعلوها وتهبط منها. ولا تنبت النفانف شيئاً لأنـها خشنة غليظة بعيدة من الأرض.

النقب: طريق شق في الجبل مصعداً عسر المـرقى ويطلق عـليه في الجنـوب النقبة.

الوَسَق (الوُسْقَان): مصطلح محلي يطلق في شمال الحجاز على السلع، أو المقسم المائي. والوسق لدى عامة البادية ظهر الجبل الذي يقع بين مرتفعين.

جبال الحجاز

تشمل جبال الحجاز في المملكة كل السلاسل الجبلية الممتدة من اليمن جنوباً حتى الحدود الأردنية شمالاً، بطول يزيد على ١٧٠٠كم. وقد تـباينت الأسماء لهذا الإقـليم الجبـلي تبايناً ظاهراً في الكتابات الحديثة نتيجة لطباعة عدد من الخرائط التي وردت فيـها أسماء محلية لها من دون الرجوع إلى التسميات الموثقة




في الكـتابات العـربية عند الجـغرافيين العرب. وكـان من أبرز الاختلاف فـي التسميات ما يتعلق بتحديد كل من الحجاز والسراة وعسير. وبالرجوع إلى الكتابات العربية نجد أن الحـجاز هي جبال تحجز بين تهامة ونجد، ويقال لأعلاها السراة.

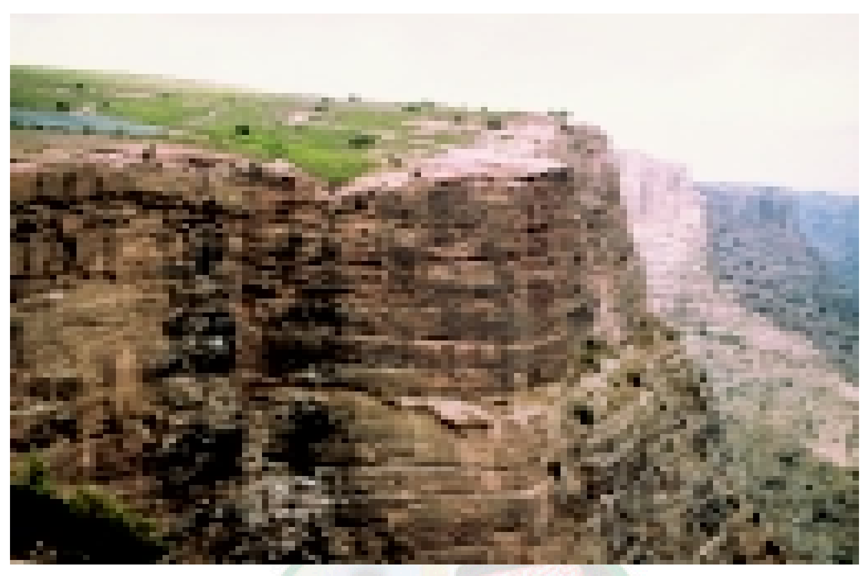
وإذا استعرضنا القطاع العرضي لهذه الجبال بدءاً من سهل تهامة في الغرب إلى الشرق، نجد أن ارتفاع سطح تهامة يزداد نحو الشرق تدريجياً لمسافة تختلف بين منطقة وأخرى حسب سعتها، إلا أنها تصـل إلى ارتفاعات تتـراوح بين ٢٠٠-٣٠٠م فـوق مسـتوى سـطح البحر. ثـم يليها نحـو الشرق الجبال التهامية، ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ -١٥٠٠م، وهي جـبال تأخـذ صفة الانفـراد أحيانـاً ولا تشكـل سلسـلة متصلة، بل هي كتل غير متجانسة من الصخور النارية الباطنية، تنحدر بشدة نحو تهامة. وتشكـل هذه الجبال كتل الانكسارات السلمية التي تسبق الانكسار الرئيسي في الشرق الذي يحـدد جبال السروات والحجاز. وأهم هذه الجـبال التـهاميـة: جبل فَـيْفَا، وجـبل شدا الأسـفل، وشـدا الأعـلى، وجـبـل كبكب، وبقية جبال مكـة الواقعة إلى الشرق منها.

وتتصاعد السفوح الجبلية خلف جبال تهامة تدريجياً حتى تصطدم بقاعدة الجرف الانكساري لجبال السروات، الذي يرتفع أحيانا إلى أكثر من ١٠٠٠م فوق تلك السفوح، إلا أنه يتلاشى بشكل تام إلى الشمال من دائرة عرض مكة المكرمة نتيجة لعوامل باطنية (تكتونية) وأخرى خارجية تمثلت بعمليات التعرية المختلفة.

وتنحدر سفوح جبال الحجاز تدريجياً نحو الشرق لتلتقي مع الهضاب الغربية، ولا تشكل هذه السفوح مناطق مسطحة إلا في أماكن محدودة منها. وقد استغلت هذه المناطق غـالباً للاستقرار البـشري، وهي بحد ذاتهـا تشكل خطوط تقسيم المياه بين الأودية المتجهة غرباً إلى البحر الأحمر، وتلك المتجهة شرقاً إلى داخل المملكـة. ويتراوح متوسط عرض هذه الجبال بين ١٠٠-٢٠٠كم.

وفـي جـبـال الـسراة الأشـعـاف والأصدار. وتطلق الأشـعاف في سراة الجنوب على القرى القريبة من السلسلة الجبلية المشرفة على تهامة. وهي حافات جبال السراة التي تُرى تهامة منها مناطق مرتفعة نسبياً باتجاه الغرب بحيث تواجه الرياح الغربية والجنوبية متميزة عن بقية الأقسام مما زاد نصيبها من الأمطار السنوية وزادها اعتـدالاً في الحرارة والرطـوبة،





الشّعف (الحبله)

فانتشرت فيها النباتات الدائمة الخضرة، لاسيما الأشجار كالعرعر والعتم والطلح والشث والعثرب وغيرها. ومن أمثلة هذه الأشعاف: شعف آل معافا، وشعف آل مروح، وشعف آل سودة، وشعف آل عضاه، وشعف الشرف، وشعف البنان، وشعف جارمه. وهذه الأشعاف تطل على تهامة وترتبط بها عن طريق العقبات التي من أشهرها عقبة ساقين وعقبة برمة (الشهري ١٤١٤: ١٩). وهناك شعف بلقرن، وشعف خثعم، وشعف غامد، وشعف زهران، وشعف بني مالك، وشعف بني سعد؛ وكلها مشرفة على تهامة ومنها عقبات للاستطراق. كما يطلق الشعف على حافة الجبل ذي الانكسار العميق كجبل الحبلة وما يحيط بحافاته يسمى شعف كشعف جارمة.

أما الأصدار فهي مناطق وسطية بين السراة وأغوار تهامة، عادة مما يلي مناطق الأشعاف من الغرب؛ وهي مناطق دافئة، لذلك كان أهالي السروات يقضون فيها فترة الشتاء كاملة ساكنين بصفة مؤقتة في بيوت صغيرة أو مجموعات سكنية متفرقة تعرف باسم الحِلال، جمع حِلَّة، حيث يحلون فيها بعض الوقت ثم يرتحلون عنها، ومعهم الأغنام والأبقار لوفرة المرعى في سفوح الجبال والأودية. ومن أصدار تنومة المعروفة الأربوعة وأوال ومخبطة وذا العرفين والحمة والدار والسودة وغيرها (الشهري ١٤١٤: ٢٠). وهناك من يسميها





أحد الأصدار ببلاد زهران

جبال التهم. وفي بلاد غامد وزهران من الأصدار المشهورة من الجنوب إلى الشمال: صدر الأبنـاء، صدر حُزنة، صـدر بني حدة، صدر ذات الجبل، صدر الباحة، صدر عبدالرحمن، صدر مَزْحَك، صدر نعاس، صدر آل حمامة، صدر برحرح، وكل هذه الأصدار مشهورة بكثرة مياهها، وبزراعة الموز والكادي والبن والليـمون، وإنتاج العسل الجيد. كما أن وسط الجبل العريـض المواجه للإنسـان يسمى صدر وتجمعها البادية صدور. ويطلق الصَّدْرُ عادة في نَجْد بشكل عام على منحدرات الأرض السهلة التي تقـع تحت الجبال أو الكثبان الرملية المستطيلة. وبادية النفود تطلقه على الجزء الشمالي من العرق.

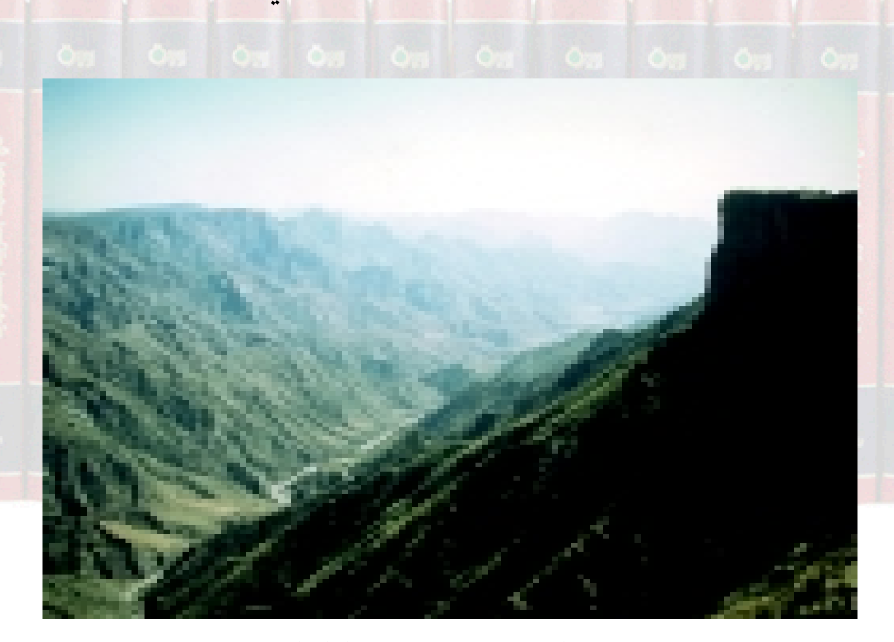
أما القطاع الـطولي لجبال الحجاز، فيتميـز بانحداره العام من الجنـوب إلى الشمال. ففي الجنوب يزيد ارتفاع بعض الجبال أحياناً إلى أكثر من ٣٠٠٠م، كما هو الحال في جبل السُّودة في سراة عسير (٣٠٢٥م). ويقل الارتفاع شمالاً ليصل إلى معدل ١٥٠٠-٢٠٠٠م فـي جبال الطائف، ويستمر كذلك حتى جبال مَدْيَن فـي أقصـى الشـمـال. إلا أن بعـض الانكسارات، سواء أكانت تلك الموازية للبحر الأحمـر أم المتعامدة عليه، أدت إلى ارتفاع بعض القمم عن المتوسط العام للجبال التي حولها، أو انخفـاضها عنه حيث يصل ارتفاع بعض جبال مدين في أقصى الشمال إلـى أكثر من ٢٥٠٠م،



كما في جبل اللَّوزْ المحاذي لخليج العقبة. وسنستعرض فيما يلي أهم سروات جبال الحجاز متجهين من الجنوب إلى الشمال.

سراة وادعة. تقع في أقصى جنوب المملكة. وقد سميت باسم قبيلة وادعة التي استوطنتها، شأنها في ذلك شأن بقية السروات. وتشكل هذه السراة منطقة تقسيم المياه بين الروافد المنحدرة غرباً إلى وادي بيش وتلك المتجهة شرقاً إلى وادي نجران. ويصل ارتفاع هذه السراة إلى ٢٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر، وتتوسطها مدينة ظهران الجنوب التي تقع إلى الشرق من خط الشِّعاف الشَّفا، مما يجعلها قليلة الأمطار لوقوعها في منطقة ظل المطر.

سراة قحطان. تقع إلى الشمال الغربي من سراة وادعة. وتنقسم إلى قسمين. أولهما سراة عَبيْدة التي تقع إلى الشمال الغربي مباشرة من سراة وادعة، وتحتل منطقة تقسيم المياه بين روافد وادي بيش غرباً وروافد وادي تثليث شرقاً حيث يعيش أفراد القبيلة في المجاري العليا للوادي الأخير. ونظراً لانحراف خط الشعاف نحو الغرب، فإن سراة عبيدة أكثر مطراً من سراة وادعة. وتعتبر مدينة سراة عبيدة (قرية البوطة سابقاً) العاصمة الإدارية لهذه المنطقة. والقسم الثاني هو سراة رُفيدَة التي تقع إلى الشمال الغربي من سراة عبيدة. وهي تشرف من الغرب على



سروات جبال الحجاز حيث المجاري العليا لوادي بيش




المجاري العليا لوادي بيش ووادي عِتْوِدْ من ارتفاع يصل إلى ٢٣٧٠م. وتقطع هذه السراة من الشرق المجاري العليا لوادي بيشة، وقد كان لانحراف خط الشعاف، ومقابلته للمؤثرات البحرية وقربه من البحر الأحمر أن أصبحت سراة رفيدة من أكثر المناطق مطراً في جنوب غرب المملكة، وهو ما أدى إلى انتشار الغابات فيها، كما هو الحال في غابة القَرْعاء وغابة تمْنية. وتعتبر قرية الكامل، التي تعرف حالياً باسم أَحَدْ رُفَيْدَة مقر محافظة المنطقة.

سراة عسير. تلي سراة رُفيدة حيث يتقدم خط الشعاف في سراة عسير إلى الغرب وإلى غرب الشمال الغربي من سراة رفيدة، وهي ميزة تضاف إلى المميزات الأخرى كالارتفاع الكبير والتضاريس المستوية التي أدت إلى زيادة الكثافة السكانية في سراة عسير التي تضم أعلى قمة في المملكة على الإطلاق وهي قمة السودة (٣٠٢٥م فوق مستوى سطح البحر)، مما يفسر الزيادة الكبيرة في معدل الأمطار الساقطة عليها. وتشرف سراة عسير من خط الشِّعاف غرباً على الروافد العليا لكل من وادي عتود ووادي حلي وشرقاً على المجاري العليا لوادي بِيشَة. وقد سكنت قبيلة عسير المناطق المرتفعة التي تلي السراة نحو الشرق، بينما جاورتها إلى الشرق قبيلة شهران التي تسكن عند المجاري العليا لوادي بيشة.



سراة عسير





جبل السّودة في سراة عسير

وكانت هذه السراة تعرف قديماً باسم سراة عَنْزْ إلا أن مسمى سراة عسير أصبح أكثر انتشاراً من الاسم السابق نتيجة لظروف تاريخية مرت بها المنطقة. وتعتبر مدينة أبها وخميس مشيط من أهم المراكز العمرانية في سراة عسير، ومن أكثر المناطق كثافة بالسكان، وهي تحتل يوما بعد يوم مكاناً مرموقاً نظراً لاهتمام الدولة بالمصايف والغابات المنتشرة في المنطقة.

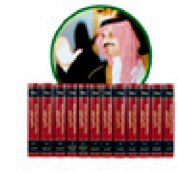
سراة الحجر. تلي سراة عسير؛ وهي تنتسب إلى حجر بن الهَنُوءْ من الأزد، ويسكنها قبائل بلَّحْمَر وبلَّسْمَر وبنو شَهْرْ وبنو عَمْرو، وكلها تنتسب إلى أبناء الحجر المذكور، وهي تسكن السراة من الجنوب إلى الشمال على الترتيب السابق ذكره. حيث تجاور بلَّحْمَر سراة عسير جنوباً كما يجاور بنو عمرو سراة بَلْقَرْن شمالاً. وتتجه سراة الحجر نحو الشمال الشرقي مما يقلل من تعرضها لمواجهة الرياح الممطرة مقارنة بسابقتيها سراة عسير وسراة قحطان. وعلى الرغم من الارتفاعات العالية لهذه السراة، التي تتراوح بين ٢٢٠٠ و٢٧٠٠م فوق مستوى سطح البحر، إلا أن بعض مناطقها، كما في النماص، تزيد فيها الأمطار لتضاهي أكثر مناطق المملكة مطراً. وتقطع منطقة تقسيم المياه في هذه السراة عدة أودية أهمها واديا صَلَحْلَحْ، وتَرْج اللذان يتجهان شمالاً ليصبا في وادي بيشة. وقد تأثر هذان الواديان مع عدد كبير من روافدهما بعمليات حت شديدة أدت إلى ضيق المساحات الأفقية اللازمة للاستقرار البشري في هذه المنطقة. أما من الغرب فيحد خط تقسيم المياه جرف الشعاف الذي يكاد يشكل جداراً قائماً إلا في المواقع التي استطاعت الأودية أن تصل إليه وتقلل من انحداره، وهي قليلة على أية حال، وتمثل المجاري العليا لوادي حلي. ويغلب طابع الريف والبداوة على سكان هذه السراة، حيث تكثر القرى وتقل المدن. وباستثناء بعض القرى التي اتخذت مراكز إدارية وأسواقاً، كما هو الحال في بلّسْمَر وتَنُومَهْ والنماص، فإن سراة الحجر تخلو من أية مدن حقيقية.

سروات بلقرن وشمران. تلي سراة الحجر. وقد سميت بأسماء القبائل




المستوطنة فيها كما في باقي السروات. وتتباين اتجاهات خط الشعاف في هذه المنطقة بين الشمال والغرب والشمال الغربي حسب عمليات النحت التراجعي التي تسببها الروافد العليا لوادي قَنُونَةْ، وقد أثرت تعرجات هذه السراة في تباين تعرضها للرياح الموسمية المطيرة مما أدى إلى تنوع المناخ فيها. كما أسهم انخفاض ارتفاعها إلى مستويات ٢٠٠٠-٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر وقد تنخفض أحياناً إلى ١٧٠٠م في أقصى الشمال في هذا التنوع، وظهرت فقيرة بالغطاء الغابي إذا ما قورنت بالسروات السابقة الواقعة إلى الجنوب منها، أو حتى تلك الواقعة إلى الشمال منها كسراة غامد وزهران. وتقطع منطقة تقسيم المياه في هذه السراة وادي تَبَالَة -المتجه شمالاً بشرق إلى وادي بيشة- ووادي شواصْ المتجه إلى وادي رَنْيَة شمالاً. ونظراً للظروف المناخية السالفة الذكر قلت كثافة السكان في هذه السروات، ومعظمهم من الريف والبادية. وتعتبر سبت العلايا المركز الإداري لبلاد بالقرن، وقرية قَرنْ ابن سَاهِرْ مركزاً لمنطقة باشوت، وشقيق شُمْرَان وشمران مركزين لهاتين المنطقتين. وقرية آل قادم مركزاً لقرى خَثْعَمْ.

سراة غَامِد وزَهْران. تمتد هذه السراة من بلاد خَثْعَمْ جنوباً حتى سراة بني مالك شمالاً. وذلك إلى الشمال من وادي تربة بعد انحرافه شرقاً قرب جبل إبراهيم. وتسكن هذه السراة قبيلتا غامد وزهران، وهما قبيلتان من الأزد سكنت الأولى القسم الجنوبي من السراة، بينما سكنت الثانية القسم الشمالي منها، حيث تمتد سراة غامد من بلاد خثعم جنوباً حتى شمال مدينة الباحة بحوالي خمسة أكيال. ويمتد خط الشعاف في المنطقة غرباً جنوبي وادي قِذَّانة (أحد روافد وادي رنية) ثم شمالاً ثم غرباً بزاوية قائمة حتى بلجرشي حيث يعود للاتجاه شمالاً حتى بني كَبِير ليتجه غرباً، ثم نحو الشمال الغربي حتى الباحة. ويفصل خط الشعاف، الذي يكوّن خط تقسيم المياه غالباً، بين الروافد العليا لوادي رَنْـيَة المتجهة نحو الشمال الشرقي وبين الروافد العليا لأودية قَنُونَة والمجاري العليا لوادي الأَحْسِبة، المتجهة نحو الغرب والجنوب الغربي. وقد قطعت الروافد العليا لوادي رنية السفوح الشمالية الشرقية للسراة، التي تتكون من هضبة تنحدر تدريجياً في الاتجاه نفسه، بينما تنحدر السفوح من الجهة الأخرى بشدة نحو الجبال التهامية، ويتم ذلك غالباً عن طريق جروف قائمة، كما هو الحال في شَفَا بلْجُرَشي أو في شَفَا الحُمْرَانْ أو شفا الباحة، ويقدر مدى الانحدار





سراة غامد وزهران بين الباحة والمخواة وتظهر في الصورة عقبة الباحة

بحوالي ١٠٠٠-١٤٠٠م في مسافة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أكيال.

ويتراوح ارتفاع سراة غامد بين ٢٠٠٠-٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر، إلا أنه تظهر بعض قمم خط الشعاف بارزة إلى ارتفاعات أعلى من ذلك، وأهمها من الجنوب إلى الشمال: جبل أثرب، وجبل حُزنَة، وجبال بني ظبيان وجبل الحميين وجبل جَعَادة. وقد أدى ارتفاع سراة غامد وانحراف خط الشعاف فيها نحو الشمال الغربي إلى أن أصبحت كثيرة الأمطار بحيث يزيد معدلها غالباً عن ٣٠٠ملم، ولكنها لا تلبث أن تقل سريعاً إلى الشرق بعد بضعة أكيال مما جعل الاختلاف واضحاً بين حزام الشعاف، الذي لا يخلو من الغابات، وبين السفوح الشرقية والشمالية الشرقية الجرداء. ومن أشهر الغابات في سراة غامد من الجنوب إلى الشمال: غابة ماطوه، والقمع، والعطفين، ومَوْطِف، والسكران، والهيجا، وخيْر، وبني هلال، والخالة، وشِكْران، وأم غيث، وشهبة، ورغدان. وغابات سراة غامد من أشهر الغابات في جبال الحجاز مما دفع حكومة المملكة إلى الاهتمام بها لأنها مناطق سياحية بشق طريق عقبة الباحة ضمن سلسلة من الأنفاق والجسور عالية التقنية لتربط بين مدينة الباحة والمخواة في تهامة.

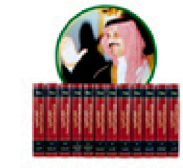
ونظراً للظروف الطبيعية الملائمة فقد ازدادت الكثافة السكانية في هذه السراة.




وتعتبر مدينتا بلجرشي والباحة من أهم مدنها، وقد تبادلتا دور مركز الإمارة، إلا أن مدينة الباحة أصبحت أخيراً مركزاً لإمارة منطقة الباحة التي تضم كلا من سراة غامد وسراة زهران. ويتبعها ست محافظات وعدد من المراكز في السراة وتهامة والبادية.

أما سراة زهران فتمتد من منطقة مستشفى الباحة إلى الشمال من المدينة بحوالي خمسة أكيال وحتى جبل إبراهيم، الذي يمثل الحد الفاصل بين بلاد زهران وبني مالك. وتمتد إلى أكثر من سبعين كيلاً نحو الشمال الغربي، وتمتد شرقاً إلى عشرة أكيال، وأكثر من ٤٥ كيلاً في الشمال. أما خط الشعاف فهو يبدأ من جبل بيضان (٢٥٣٠م) المشرف على غابة رَغْدان من الشرق، وجبل العرضة (٢٥٦٥م) وجبل الداية (٢٤٠٥م) المشرف على تهامة في الجنوب الشرقي. ويشكل خط تقسيم المياه بين وادي قَوْب، أحد روافد وادي رنية، ووادي الصَّدْر، أحد روافد وادي تربة. وعلى ذلك فإن سراة زهران تتميز بوجود خطين من القمم أحدهما يتفق مع خط الشعاف ثم يليها نحو الشرق وادي الصدر المتجه شمالاً موازياً لخط الشعاف، وثانيها خط القمم الممتدة إلى الشرق من وادي الصدر التي قد يزيد فيها الارتفاع عن خط الشعاف، وقد استغلها الطريق المتجه إلى الطائف عبر مناطق بني سار وبني حسن. وينخفض خط الشعاف اعتباراً من جبل بيضان (٢٥٣٠م) وبني هريرة (٢٤٠٠م) الواقعة في الجنوب الشرقي إلى المندق (٢٠٥٠م) في الشمال الغربي.

وقد كان لارتفاع سراة زهران واتجاه خط الشعاف فيها نحو الشمال الغربي، أن قابلت السراة الرياح الرطبة التي ساهمت في انتشار الغطاء النباتي وجودة نموه فيها. ويبلغ معدل الأمطار في المندق ٣٨٥ملم، خاصة أن الروافد العليا لوادي الشَّاقَة اليمانية ووادي دقة مهدت الطريق لوصول الرياح الرطبة إليها، فانتشرت الغابات والزراعة المطرية، وإن كانت الغابات أقل كثافة من جيرانها في سراة غامد. وأهم الغابات في سراة زهران من الجنوب إلى الشمال غابة الزرائب، والشاعر، والأنصب، والسنّوت، والعرنين، والعشباء، والعِشَوَة، والكاحلة، وظهر الفدا، وسيحان، وبرحرح. أما المناطق الداخلية من السراة، التي تقع إلى الشرق من وادي الصدر فهي، وإن زادت فيها الارتفاعات أحيانا عن خط الشعاف، إلا أن الغطاء النباتي فيها سرعان ما يتحول إلى غطاء عشبي



وشوكي كلما اتجهنا شرقاً. ويعود خط الشعاف إلى الارتفاع أحياناً والى الانخفاض أحياناً أخرى ليتراوح بين ٢٠٥٠ و ٢٢٥٠م حتى نهاية سراة زهران، كما في جبلي حَرْف وسيحان (٢٢٤٦م) اللذين يشكلان الحدود الشمالية لسراة زهران، إلا أن جبل إبراهيم (٢٦٣٠م) هو الحد الواضح لهذه السراة شمالاً.

وتضم سراة زهران ثلاث مناطق رئيسية هي: منطقة بني حَسَن والمَنْدَق وأهم مدنها أو قراها الرباع في بني حسن، والمندق، ومنطقة دُوس وبَرحْرَح، وتقع إلى الشمال الغربي من الأولى؛ وأهم مدنها برحرح، والمنطقة الثالثة القُرى وتقع إلى الشرق من خط الشعاف وأهم مدنها الأَطَاوِلَة.

ويطلق في الجنوب اسم البِيداء على الجبل ذي القمة الواسعة المستوية وهي أقل ارتفاعاً من بقية الجبال ومنها بيداء العقيق في منطقة الباحة؛ وقد أصبحت مطاراً للمنطقة، وبيداء صخوان ببادية بني كبير ولا تزال بكرا ولها مثيلات في مناطق أخرى.

سروات بني مالك وثقيف وبلحارث وبني سعد. تمتد من الحدود الشمالية لسراة زهران عند جبل إبراهيم حتى جنوب الطائف بطول يزيد على ١٠٠كم، ويتراوح عرضها بين ١٥-٢٥كم؛ ومع أن هذه السروات هي امتداد شمالي غربي للسروات الواقعة إلى الجنوب الشرقي منها، إلا أنها تختلف عنها في عدد من الخصائص الجيولوجية والصخرية حيث تسببت الانكسارات في ظهور هذه السروات بأشكالها الحالية، وساعدت بنية الصخور أيضا في سهولة تعرية خط الشعاف وتراجعه نحو الشرق بواسطة الأودية المتجهة نحو البحر الأحمر. ومن أهم هذه الأودية من الجنوب إلى الشمال: وادي الشَّاقَة اليمانية والشَّاقة الشامية، ووادي الليث، ووادي يلملم، ووادي إِدَام، حيث عملت هذه الأودية على تراجع الجرف الانكساري لخط الشعاف مسافة كبيرة نحو الشرق في عدة مواقع مما جعله كثير التعاريج، بل يتلاشى أحياناً أخرى نتيجة لشدة الحت التراجعي لهذه الأودية. أما السفوح الشرقية والشمالية الشرقية فقد تقطعت بالأودية الرافدة لكل من وادي تربة، بالدرجة الأولى، وروافد وادي بشيان المتجهة نحو الشمال الشرقي. وقد خفضت كل من الأودية التهامية والأودية الشرقية مناسيب خط الشعاف من ٢٢٠٠م إلى ١٧٥٠م مما أثر على كمية الأمطار الساقطة على هذه السروات التي تتعرض لكل من المؤثرات شبه الموسمية والمؤثرات المناخية المتوسطية. وقد



جبل كرا – طريق الطائف مكة عبر الهدا

أدى ذلك إلى حدوث تباين كبير في كمية الأمطار بين الحزام المتاخم لخط الشعاف والمناطق الداخلية، كما تتباين في خط الشعاف ذاته. فبينما تظهر بعض المناطق مغطاة بنطاق من الغطاء النباتي الذي يصل إلى حد الغابات، كما هو الحال في جبل الحَدَب الذي يفصل بين بني مالك وبني سَعْد، وغابة غَمْدَة، وغابة المُوَقر في سراة ثقيف، نجد مناطق أخرى عشبية المظهر كما في بني مالك، وأخرى صحراوية كما في بني سعد.

وينتهي خط الشعاف شمالاً عند بلدة الهَدَا إلى الشمال الغربي من الطائف حيث يتلاشى نهائياً بعد عدة كيلو مترات إلى الشمال منها. ويتغير أيضا مظهر الجبال التي تودع الخضرة نهائياً في الطائف التي تعتبر أحد المصايف الهامة للمملكة، خاصة لسكان مكة المكرمة وجدة.

جبال الحجاز الوسطى بين الطائف والمدينة المنورة. ينتهي خط الشعاف بالتحديد إلى الجنوب من خط عرض بلدة السَّيْل الكبير في المجرى الأعلى لوادي فاطمة. وإلى الشمال من ذلك تتغطى سلاسل جبال الحجاز الوسطى حتى المدينة المنورة بالأغشية البازلتية لحرَّة رُهاط. وتسمى قديماً بحرة بني سليم، والواقع أن حرة رهاط تشتمل على أسماء محلية عديدة حسب القبيلة التي تسكنها فهناك حرة العزاعزة، وحرة الروقة، وحرة مطير وحرة حرب. وتبرز بعض



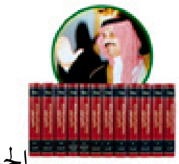


الالتواءات في تكوين وادي فاطمة البريكامبري

الجبال فوق مستوى الحرَّة إلى الشرق وإلى الغرب منها، إلا أنه يمكن القول إن سطح الحرة يمثل أعالي جبال الحجاز في هذه المنطقة الذي يماثل خط الشعاف في جبال السروات. ويقطع الحرة في اتجاه تهامة عدد من الأودية، أهمها من الجنوب إلى الشمال: المجرى الأعلى لوادي فاطمة، والمجرى الأعلى لوادي خليص، ووادي رابغ، ووادي الصفراء. وتبتعد حرَّة رُهاط في قسمها الشمالي عن القمم نحو الشرق لتغطي السفوح الشرقية من جبال الحجاز، تاركة في الغرب كتلة جبلية تتمثل في جبل صُبْح إلى الشرق من بَدْر حُنين. أما السفوح الشرقية فيحدها وادي العقيق الذي يجري في اتجاه الشمال حتى المدينة المنورة. وهذا القسم من جبال الحجاز من أكثر الأقسام انخفاضاً، ولا يزيد منسوبها فوق مستوى سطح البحر عن ١٢٠٠م إلا في مواقع محدودة. وهي جبال قاحلة إذا قورنت بجبال السروات جنوباً. وتتوزع الأمطار الساقطة على صخور البازلت في حرة رُهاط حسب



سفح جبل حراء





الانحدارت الطبوغرافية لسطحها. فيتجه القسم الأول منها نحو الأودية الساحلية، بينما يتجه القسم الثاني نحو الجوانب الشرقية للحرة مكونة مجموعة من السباخ تمتد من الجنوب إلى الشمال على حدود الحرة متضمنة وادي العقيق الذي يبدأ من شمال الطائف متجها شمالاً حتى المدينة المنورة. وقد أصبحت هذه السباخ المالحة مناطق مجدبة خلافاً للأودية الغربية التي استفادت من هذه المياه في الزراعة المنتشرة في بطونها.

جبال الحجاز الوسطى بين المدينة والوجه. تمتد من المدينة حتى جنوب الوجه حيث يحدها جنوباً وادي الصَّفْرَاء، الذي يصب غرب بدر، وشمالاً وادي الحَمْض، الذي يصب إلى الجنوب من الوجه. وفي هذه الجبال يقترب خط القمم من الساحل، كما تتقارب الجبال أيضاً بعضها من بعض لتلاصق خط الساحل عند مدينة أُمْ لُجْ. ويتراوح منسوبها بين ١٦٠٠م و١٧٥٠م فوق مستوى سطح البحر. وتتغطى معظم هذه القمم بالأغشية البازلتية لحرة لونيِّر. ويكاد يفصل وادي الفَرْعَة، الذي يصب جنوب ينبع، هذه الجبال إلى قسمين: جنوبي شرقي أقل ارتفاعاً، وشمالي غربي أكثر ارتفاعاً. ويصل ارتفاع بعض القمم إلى ١٨١٤م، كما هو الحال في جبل رَضْوى، إلى الشمال الشرقي من مدينة ينبع، الذي يتكون من انبثاق جرانيتي مُقاوم لعمليات التعرية، وجبل مشقق إلى الشمال الغربي منه، الذي يتوسط القسم الجنوبي لحرة لونير. أما السفوح الشرقية لهذه الجبال فيحدها وادي الحمض الذي يفصلها عن حرة خَيْبَر. ومع أن هذه الحرة تمثل امتداداً عرضياً لجبال الحجاز الوسطى في هذه المنطقة، إلا أن منسوبها أقل بكثير من الجبال الواقعة إلى الغرب إذ يتراوح بين ١٠٠٠ و١٢٠٠م فقط فوق مستوى سطح البحر.

جبال مدين (الحجاز الشمالي). تمتد بين مجرى وادي الحَمْض جنوباً والحدود السعودية الأردنية شمالاً، ويعرف هذا القسم بمنطقة مَدْيَن. وفي الجنوب من هذه الجبال انخفضت المنطقة الممتدة بين المجرى الرئيسي لوادي الحمض وروافده ومدينة العُلا. ومن أهم هذه الروافد وادي الجَزْل ورافده وادي مَطَران. وقد أسهم تركيب القشرة الأرضية من الصخور الهشة في هذا التخفيض كثيراً. وتعلو الأغشية البازلتية لحرة العُويرض وحرة الرَّحا قمم الجبال الممتدة من العُلا حتى جبال مَدْيَن إلى الجنوب الغربي من تبوك، وتتراوح الارتفاعات في هذا

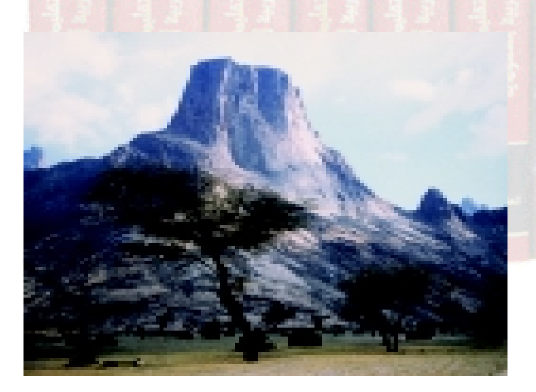




جبل رضوى

القسم من الجبال بين ١٢٠٠-١٤٠٠م. كما شق وادي الجَزْلْ مجراه شمالاً مما أدى إلى فصل الجبال هنا إلى سلسلتين: شرقية تعلوها صخور حرة العويرض، وغربية هي الامتداد الجنوبي لجبال مدين، ولكنها تعود سلسلة واحدة عند حرة الرَّحَا. وتتراوح المناسيب فيها بين ١٤٠٠-١٦٠٠م فوق مستوى سطح البحر. لكن بعض القمم يزيد ارتفاعها عن ذلك كجبل ثدرا (١٥٠٠م) في حرة العويرض، وجبل أم بَرَكَة (١٧٠٠م) في حرة الرَّحا. وقد تزيد ارتفاعات بعض القمم كثيراً كما في جبل الدُّبَغ (٢٣٥٠م) الذي يقع في جبال مدين إلى الغرب من حرة الرحا، وهو انبثاق من الصخور الجرانيتية الصلبة يشرف على هضبة حِسْمَى من الشرق، كما يشرف على قرية المُويلِح الساحلية في الغرب.

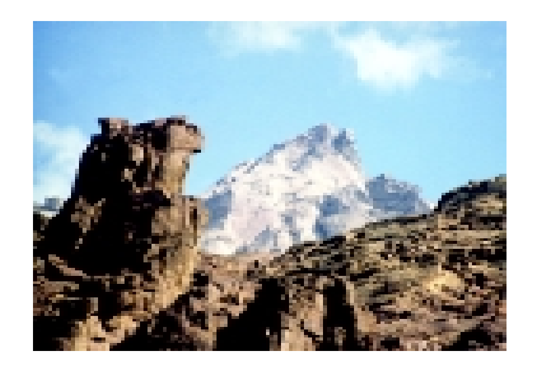
ومما يميز جبال مدين (كما هو الحال في الحجاز الوسطى) قلة تقطعها بالأودية



جبل الدبغ

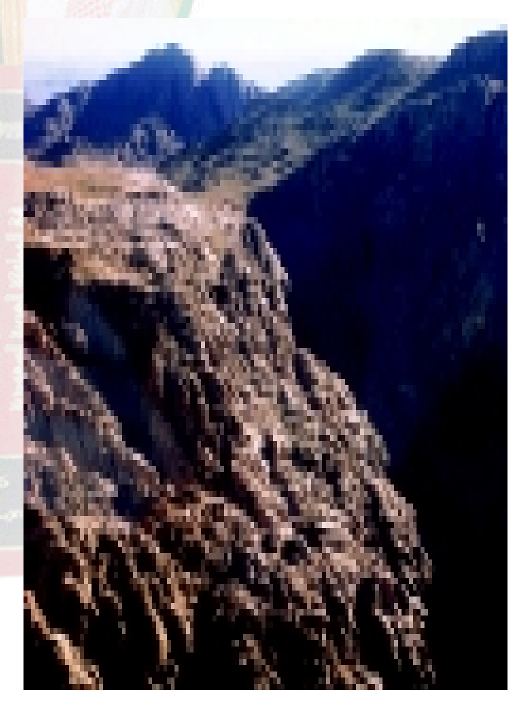




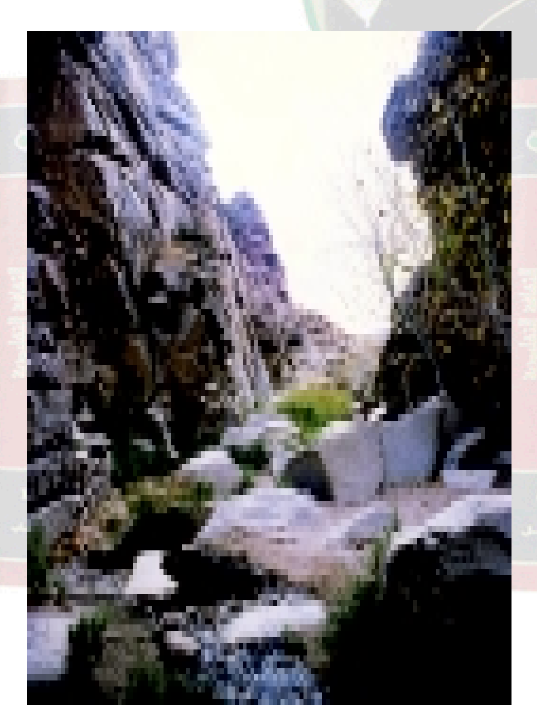


التعرية الجرانيتية بجبل الدبغ

من السفوح الشرقية خلافاً لما في السفوح الغربيــة. ففيما عدا وادي الــعلا (رافد وادي الجــزل-وادي الحــمــض) ووادي الأخضر الذي ينتهي في منخفض تبوك، تكــاد تخلو هــذه السفوح مــن أنظمــة تصريف أخرى. وربما كان السـبب في ذلك يعود لقلة الانحدار، حيث تنحدر السـفوح من أعالـى حرتي العـويرض والرحا بـصورة تدريجـية نحو الشـرق والشمال الشرقي. أما الـسفوح الغربية لهذه الجبال فهي مقطعة بشدة بعدد كبير من الأوديــة، أهمها مــن الجنوب إلى الشمال: روافد وادي الحمض، ووادي المــياه، ووادي زَرِيــب، ووادي ثلــبة، ووادي دُمَا، ووادي السِّر، ووادي الصدر التي تصب جميعــها في البحر الأحمر في الساحل الممتد بين جنوبي مدينة الوجه وجنوبي الشَّرمة.

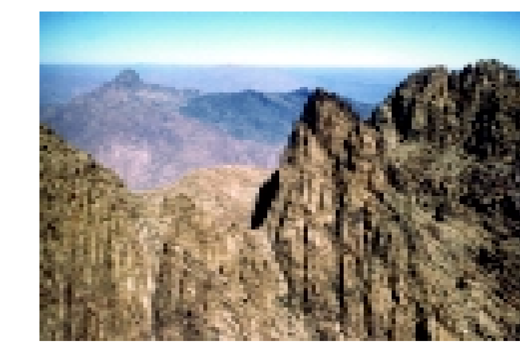


جبل اللوز بمنطقة تبوك



غدير بجبل اللوز وبه نباتات نادرة






جبال شمال الحجاز، ضروس نارية من الجرانيت

جبل تذرع، مثال للصخور الأرضية الهشة

وتمتد جبال مدين نحو الشمال حتى الحدود السعودية الأردنية، وتمثل نهاية امتداد جبال الحجاز نحو الشمال. وخلافاً لبقية جبال الحجاز، تتميز سفوح جبال مدين في هذه المنطقة بشدة انحدارها في معظم الاتجاهات. فهي تنحدر بشدة نحو خليج العقبة في الغرب، ونحو خليج الشرمة في الجنوب، ونحو هضبة حِسْمَى في الشرق. كما يظهر الجبل منها كتلة صخرية كبيرة. ووادي عِفَال من أهم الأودية التي تقطع هذه الجبال، إذا ما استثنينا بعض الأودية القصيرة المتجهة نحو خليج العقبة؛ وأهمها وادي أم جُرفَين عند مدينة حقل، فقد شق وادي عِفَال، الذي استغل انكساراً أخدودياً، هذه الجبال إلى سلسلتين: شرقية تسمى جبال الشفا وهي الأكثر ارتفاعاً حيث يصل ارتفاع قمة جبل اللَّوز فيها إلى ٢٤٠٣م. وغربية أقل ارتفاعاً ويتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠-١٤٠٠م، بينما يصل أعلى ارتفاع فيها في قمة جبل البَوارَة ١٨٧٥م فوق مستوى سطح البحر. ويصرف وادي عفال مياه السفوح الشرقية للسلسلة الغربية، والسفوح الغربية للسلسلة الشرقية ماراً بمدينة البِدْعْ ثم يصب جنوب قرية قُيَال في خليج الشرمة إلى الشرق من رأس الشيخ حميد.

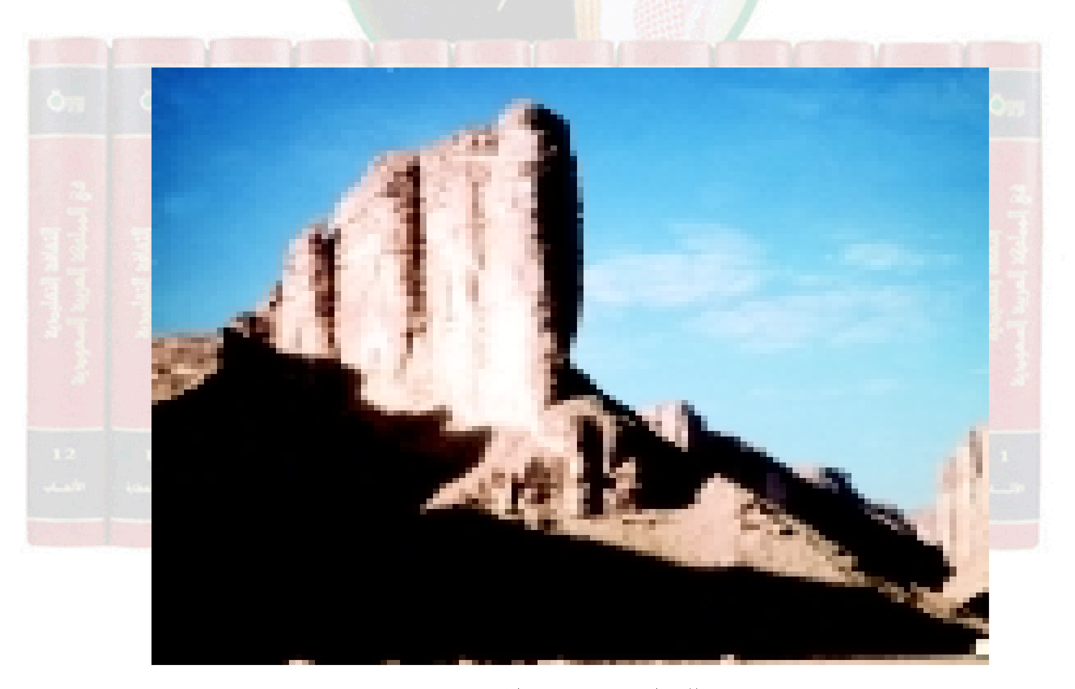
وجبال مدين من أكثر مناطق جبال الحجاز جفافاً. فهي على الرغم من تأثرها شتاء بالرياح الشمالية الغربية، إلا أن امتداد هذه الجبال في الاتجاه يجعلها موازية لهذه الرياح، ومن ثم تقل فرص تعرضها لها. كما أن وقوع هذه الجبال في ظل المطر، حيث تتقدمها مرتفعات جنوب سيناء ومرتفعات شمال مدين، قد زاد من جفافها. وعلى الرغم من أن ارتفاع بعض القمم قد أحدث زيادات كبيرة محلية في الأمطار، مما أدى إلى قيام بعض التجمعات البشرية في قرى

عدد من الأودية، إلا أنها تبقى جبالاً جرداء أقرب إلى أن تكون صحاري جبلية.

الحافات الجبلية في نجد

تقع نَجْد السفلى، أو سافلة نجد، إلى الشرق مباشرة من عالية نَجْد. وهي تتكون من الأحجار الجيرية والرملية والطفل، وتتميز المنطقة بحافات جبلية تواجه الغرب. ولذلك تسمى أحياناً بمنطقة الحافات أو الجيلان، والجال صفحة الجبل القائمة. وهو لفظ دارج في عموم شبه الجزيرة العربية يطلق على الجيلان المتوازية الممتدة شرقي شبه الجزيرة العربية ابتداء من العارض أو جبل طويق. ويطلق على الجانب اللطيف الانحدار الظهر، أما الجانب الوعر من الجال فيسمى بعدة أسماء منها الجرف والخرم والخشم. (كما يطلق الجال على جال الوادي وجال الركية أي الجانب).

أما الخشم فهو الطرف البارز من الجبل كالخشم (أنف الإنسان) بارزٌ في وجهه مثل خشم الحصان قرب رغبة، وخشم أبا الهيال وخشم أم الرحال وخشم العرنية في الغاط وخشم العان في الرياض وخشم عان شيبان إلى الشرق من مدينة نجران وخشم عاصم شرق وادي رنية وخشم المهاريس في جال خرطم وخشوم المغيب في صفراء حقيل.



جبال طويق عند حوطة بني تميم



وخشم الرعن؛ والرعن هو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً وذكره العوني في قصيدته المشهورة (الخلوج) إذ قال:

وابكي على دارٍ ربينا بربعها

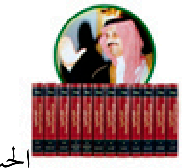
معلومةٍ خشم الرعن هو شمالها

والرعن هو الجبل الكبير. ويطلق هذا الاسم على عشرات الأعلام التي تتوزع في أطراف الجيلان في شبه الجزيرة العربية. والخشيم نعف الجبل الصغير إذا انقاد إلى السهل.

وتقوم الأودية القصيرة الشابة التي تنحدر من ظهور الجيلان عبر جروفها بتمزيق تلك الجروف وتقطيع صخورها مشكلة أراضي وعرة يصعب قطعها بالمركبات. وقد عبر القدماء عن تلك الأراضي بعدة تعريفات، منها الجُرْف والخَشْم والخَرْم. وقد فسر العرب الخرم بأنه جُبيلات وأنوف جبال، تماماً مثلما فسروا الخشم، وأطلقوا ذلك على الجوانب الوعرة من الجروف. ومن أمثلة ذلك قول الأزهري «الخَرْم بكاظمة جُبيلات وأنوف جبال» وقد قصد بذلك الجرف المطل على جون الكويت من مرتفعات المطلاع (جال الزور). ومن هذا الاسم اشتق لفظ آخر هو المَخْرم وجمعه المَخَارم، وقد سمت العرب الطرق في الجبال وأفواه الفِجاج المخارم.

والجيلان حافات ظاهرة للطبقات الرسوبية نتيجة الحت المتفاوت، تميل ميلاً طفيفاً متماثلاً ناحية الشرق ويبلغ متوسط عرض هذه المنطقة ٢٥٠كم. ومن المعلوم أن الرياح الحاملة للرمال تضع حملها أثناء مرورها بعوائق تقلل من قدرتها على حمل الرمال، ولهذا نجد أن الرياح تُرَسِّبُ كميات هائلة من الرمال بين هذه الحافات؛ فحيثما نجد حافة جبلية نجد أمامها غالباً رمالاً تزيد في الحجم، أو تقل حسب ارتفاع الحافة الجبلية واستمرارها وتوفر مصادر الإرساب. وإذا مررنا في نجد السفلى من الغرب إلى الشرق فإننا نصادف عدداً من الحافات أو الجيلان المسماة بأسماء محلية لا تشير إلى تركيبها الجيولوجي وهي:

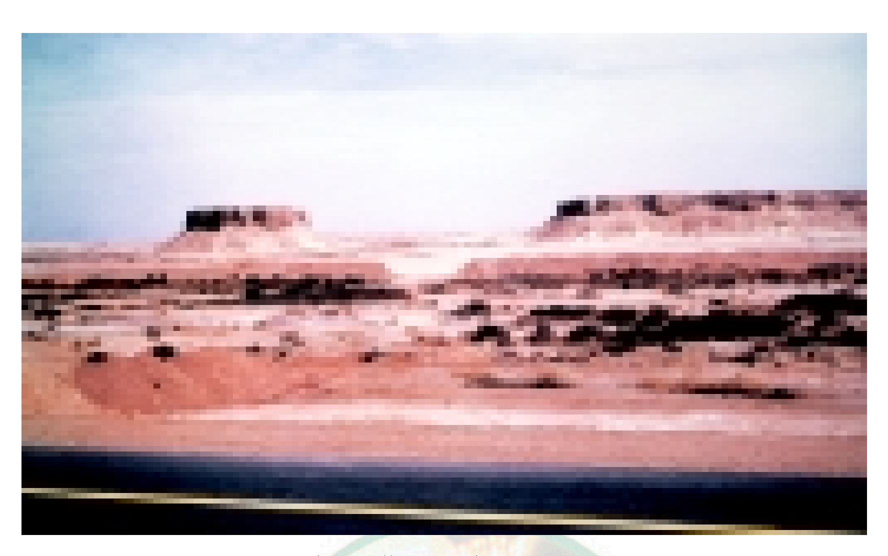
حافة العصودة وتوابعها. وهي حافة غير بارزة وغير متصلة. تبدأ عند ممر وادي الفُوَيْلِق باتجاه الشمال الشرقي، وتتخذ أسماء متعددة، منها جال العصودة ابتداء من دائرة العرض ٣٠َ ٢٦ْ شمالاً، ثم جال الطِّرَاق، ثم تقطعها الأودية والشعاب مثل وادي التِّرْمُس الذي يسيل من جبال حِبْشِي، والخِدَار في منطقة الدرع العربي إلى الغرب من بلدة العُظَيَم من قرى شمر بحوالي ١٠كم، ويتجه نحو الشرق ماراً بمدينة شَرِي وينتهي بمحير




التِّرْمُس غرب عرق المَظْهُور، ووادي أبا الكُرُوش، وساح أبو رِمْث، وشعيب السَّاقِيَة. ثم تظهر الحافة مرة أخرى باسم جال الساقية عند دائرة العرض ٢٧ ٢٧ شمالاً، بعد السهل الحصوي المعروف بالسِّعِيرَة. وبعد هذا يستمر تقطعها إلى فرائد جبلية تفصلها سهول حصوية. وبعد شعيب الصدر تظهر حافة أخرى باسم جال الزرقاء تستمر في اتجاه شمالي جنوبي حتى بقعاء في منطقة حائل. ونتيجة للصدوع الموجودة في هذه المنطقة، وللتعرية السيلية الشديدة، تقطعت الحافة في هذه المنطقة. فالصفراء المفترض وجودها خلف جال الزرقاء جرى نحتها إلى عدد من الجيلان المتوازية تنتمي كلها لتكوين تَبُوك.

حافة السِّر وتوابعها. وهي حافة جبلية طويلة تمتد شمالاً وجنوباً. وتعود هذه الحافة لتكوين خُفّ ذي الحجر الجيري. وفي شمال بريدة لا تظهر هذه الحافة متصلة ولكن على شكل جيلان محلية بسيطة الارتفاع. ففي أقصى الشمال عند دائرة العرض ١٥ ٢٧ شمالاً وخط الطول ٣٠ ٤٣ شرقاً نجد جال الخفيات، الذي يقع جنوب شري بالقصيم، يقطع اتصاله مع جال قُصَيْبَاء وادي الترمس. ثم تختفي الحافة لتظهر مرة أخرى عند غاف الجِوَاء مما يمكن تسميته بجال الجواء حتى قرية الشِّقَّة قرب مدينة بُرَيْدَة. وفي هذه المنطقة تنطمر الحافة تحت نفُود الغَمِيْس كما يخترقها وادي الرُّمَّة، ولكن عند مدينة عُنَيْزَة تظهر هذه الحافة مرة أخرى باسم صفراء عُنَيْزَة حتى دائرة العرض ٠٠ ٢٦ شمالاً، وبعده باسم صفراء المُربَّع حتى العَمَار على دائرة العرض ٣٣ ٢٥ شمالاً وخط الطول ١٨ ٤٤ شرقاً، وبعد ذلك تتخذ اسم صفراء السِّر. وتستمر نحو الجنوب الشرقي بدون انقطاع حتى دائرة العرض ٥٠ ٢٤ شمالاً وخط الطول ٣٤ ٤٤ شرقاً تقريباً حيث يخترقها وادي مَغِيْب أمام جبال غُرَّب، ومن هنا جنوباً يتحول اسم صفراء السِّر إلى اسم محلي هو صفراء حَقِيْل حتى دائرة العرض ٤٣ ٢٤ شمالاً حيث يخترقها وادي التَّسْرِير الذي يمر من خلاله طريق الحِجَاز القَديم ما بين شَقْراء والدَّوَادمي، ثم يتحول الاسم إلى صفراء الدُّمَيْثِيَّات. وبعد هذا جنوباً تتحول هذه الحافة إلى خشوم جبلية بارزة وجبال منفردة، منها جبال خُفّ التي قطعتها الشعاب والأودية التي تجري شرقاً، ومنها وادي العَبْسَة الذي يمر بين خشم العَبْسَة والظَّعَيْنَة، ووادي سُوفَة، ووادي الحَرْمَلِيَّة، ووادي القُوَيْعِيَّة. وتنتهي هذه



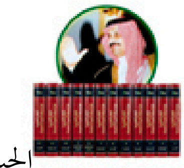


خشم منقطع في جال خرطم

الحافة عند دائرة العرض ٠٠َ ٢٣ْ شمالاً عند منطقة الهُوَّة. وهنا يلتف وادي العَمْق، الذي كان يجري باتجاه الجنوب الشرقي نحو وادي الرّكَا، يلتف حول نهاية الحافة قبل اتصاله بوادي الرّكَا، ثم يتجهان معاً نحو الشمال الشرقي إلى الغرب من نفُود الدِّحِي لينتهيا في منخفض كبير ذي سباخ متميزة.

جال خرطم وجال الوطاة. تقع إلى الشرق من صفراء عُنَيْزَة. وهي حافة متقطعة غير بارزة سوى في موضعين، هما جال خَرْطَم وجال الوُطَاة، وهما تابعان لطفل سُدَير. أما جال خَرْطَم فهو يمتد من شمال العَوسِجيَّة حتى ما وراء الطُّعميَّات بحوالي خمسة أكيال، ويفصل وادي الرُّمَّة بين جال خَرْطَم وجال الوُطَاة الذي يستمر باتجاه شمالي شرقي حتى دائرة العرض ٤٥َ ٢٦ْ شمالاً.

جال الأسْيَاح والشُّمَاسِيَّة وتوابعه. تقع إلى الشرق من نفُود السِّر ونفُود الطُّرْفِيَّة وصَعَافِيق، حيث تبدأ في الظهور حافة جبلية أخرى تكون في أبرز صورة لها على امتداد الربيعيَّة والشُّمَاسِيَّة وتوابعها. وهذه الحافة تتبع صخورها تكوين منطقة الجِلْه ذات الحجر الرملي والطميي وحجر الطفل الحديدي والجبسي، وهي تبدأ من جال مُدَرَّج في الشمال عند دائرة العرض ١٥َ ٢٧ْ شمالاً ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي. وعند دائرة العرض ٠٠َ ٢٧ْ شمالاً وخط الطول ٤٠َ ٤٣ْ شرقاً يصبح اسمها جال القَعْرَة حتى خشم الغَرَّة، ومن بعده يصبح اسمها جال الأسْيَاح



حتى تختفي عند مجرى وادي الرُّمَّة الذي يخترقها. كما أنّ نفوديّ الغَمِيْس والطَّرْفِيَّة يدفنان جزءاً منها في هذه المنطقة. ويبدأ ظهور الحافة مرة أخرى جنوب مجرى وادي الرُّمَّة ابتداء من الرُّبَيْعِيَّة وتستمر نحو الجنوب الشرقي باسم جال الشُّمَاسِيَّة. وتنقسم الحافة في هذا النطاق إلى حافتين، الأولى منخفضة سهلة الانحدار، والثانية مرتفعة شديدة الانحدار يمتلئ سطحها بحصى وجلاميد من الأحجار الرملية. وبجال الشُّمَاسِيَّة نتوءات عديدة تسمى خشوماً، لأنها تشبه الأنوف في بروزها من الوجه. ويقطعها عدد من الشعاب التي تجري بعكس الاتجاه العام للميل. ويقطع تتابع جال صفراء الأسْيَاح وجال الشُّمَاسِيَّة مجرى وادي الرُّمَّة، عبر فجوة يمر منها في اتجاهه نحو مصبه في الخليج العربي أثناء العصور المطيرة. وإلى الجنوب الشرقي من جال الشُّمَاسِيَّة بعد جبل الرُّوَيْكِب، تتخذ الحافة اسماً محلياً آخر هو جال الرُّوَيْكِبَة أو الرُّكَيْبَانِيَّة الذي يستمر حتى تندفن الحافة برمال نفُود المَواصِل عند دائرة العرض ٢٥َ ٢٥ْ شمالاً التي تصل بين نفُود المَلْحَاء ونفُود السِّر ومن المحتمل أن تتضمن منخفضاً كان يمر من خلاله أحد الأودية شق فجوة خلال الحافة. وإلى الجنوب من نفُود المَواصِل تظهر الحافة مرة أخرى باسم جديد هو جال الجِلْه الذي سرعان ما يتغير إلى جال جلْه العِشَار جنوب دائرة العرض ٠٠ ٢٥ْ شمالاً بعد فجوة كونتها الشعاب التي تعبر الحافة، وتستمر هذه الحافة في اتجاهها الأول نحو الجنوب الشرقي حتى دائرة العرض ٠٠َ ٢٤ْ شمالاً.

وفي نَجْد عموماً، تسمى مقدمة الحافة بالجال وقفاها أو ظهرها بالصفراء، فإلى الشرق من هذه الحافة الجبلية هناك صفراوان، هما صفراء الأسْيَاح وصفراء المِسْتِوي. أما صفراء الأسْيَاح فهي ظهر لجال الأسْيَاح وجال القَعْرَة وهي تنحدر نحو الشمال الشرقي إذ يبلغ ارتفاعها في الغرب ٦٥٢م وفي الشمال الشرقي ٦٣٢م في المتوسط. وقد ساعدت الشعاب التي تنحدر منها على ظهور واحات كثيرة، مثل قرى الجَعْلَة وعين ابن فهيد وطُرَيْف والتَّنُّومَة والبُرُود وحُنَيْظِل وأبا الدُّود. وتعد صفراء المِسْتِوي امتداداً لصفراء الأسْيَاح، يفصل بينهما مجرى وادي الرُّمَّة. وصفراء المِسْتِوي هي ظهر جال الشُّمَاسِيَّة وجال الرُّوَيْكِبَة. ومعظم الشعاب في صفراء المِسْتِوي تتجه نحو الشمال والشمال الشرقي متتبعة الاتجاه العام، إذ يبلغ ارتفاع صفراء المِسْتِوي ٦٩٤م في جزء الجال المطل على مزارع الزَّرقاء بالشُّمَاسِيَّة،



و٦٨٤م عند العُوَيْقِلية بالرُّبَيْعِيَّة، و٦٧٢م عند طرقة سُويلم، و٦٢٥م عند ظهر الحِمَار، و٦٠٧م عند سَمراء الوَعَد، وأقل من ٦٠٠م عند قاع مهنًّا. وهكذا نرى بأن هناك انحداراً تدريجياً ناحية الشمال.

وتعتبر الصفراء مكاناً مثالياً لتجمع مياه الأمطار وجريانها في شعاب، وفي صفراء المِستْوي عدد كبير منها. وإلى الشرق من صفراء المِستْوي تبدأ مظاهر حافة أخرى هي منكشف لتكوين المنجور. وقد قطعت الأودية الصغيرة والشعاب هذه الحافة إلى ضلوع متفرقة نظراً لانخفاض مستواها العام، حتى أن شعيب الأَدْغَم وروافده اخترقتها إلى صفرائها. وهذا أدى إلى انعدام تمييز جال أو حافة واضحة للعيان بل مجرد مرتفعات محلية. ومن الممكن أن تسمى مقدمتها جال المِستْوي لأنها تتوسطه، وصفراؤها بصفراء المِستْوي لأنها في الواقع مشابهة لصفراء المِستْوي في المظهر العام. وقد لا يعي الشخص العابر للمنطقة هذا التحول من دون مراجعة للخريطة الجيولوجية. وأهم هذه المرتفعات والضلوع: ضلع (قارة) بُرْمَة (٦٢٧م) وجال أبو بَرْقَاء (٦٦٤م) وضلع (قارة) أم الدِّبَّر (٥٩٧م) وضلع (قارة) الفَرْق (٦٠٠م)، وضلوع أم رُوْس (٥٩٤م) وأبْرَق الخَابِيَة (٦٠٠م) وأبرق خَمِيْس (٥٨١م) قرب النَّبْقِيَّة وضلع عَنْز (٦٣٨م).

وأهم القُور (جمع قارة) هي قارة مُحَمَّد (٦٠٠م) وقارة أبو نَخْلَة (٦٥٢م). والقارة هي مرتفع بسيط من الأرض يتميز عن الانبساط العام في الصفراء بنتوئه،



جبال شمال الحجاز، ضروس نارية من الجرانيت




وناتج عن فعل عوامل التعرية. فالقارة عادة تحتوي على صخور أصلب مما حولها مما جعلها تقاوم النحت، لهذا بقيت على شكل هضيبة مصغرة.

وتقع الأراخم في شرق المِسْتوي على دائرة العرض ١٤َ ٢٦ْ شمالاً، وخط الطول ٣٦َ ٤٤ْ شرقاً، وهي قارات ثلاث كانت تعد الحد الشرقي للقصيم. وفي ذلك يقول الشاعر محمد العوني:

ومن شرق طعسين الاراخم تحدها
بين اللوى والسر ما اطيب اسهالها

والأرخم لفظ آخر مرادف للفظ الأبرق. فالأراخم جمع أرخم، وهو اسم لكل تكوين صخري به بياض، ويحكي أهل الشُّمَاسِيَّة القريبة من الأراخم أن ذئباً كان يسكن الأراخم هجم على صبي في الشُّمَاسِيَّة وأخذه فانتدب لقتله رجل منهم يسمى بدير السنيدي فذهب إلى جحر الذئب في الأراخم وقتله، وأنشد قصيدة بعد أن أحضر الذئب في عيبة إلى الشُّمَاسِيَّة ميتاً، يقول فيها:

ياذيب الارخم وِشْ اللِّي جَاك
تِشْيِل غَالي مَعَازِيْبِك
لِي صَار تَمْر النَّخل ما ايزاك
والعِدْ يَسْقي لَواهِيبك
هَجَدْتِنَا البَارح وزِرْنَاك
واليَوم نشرف على طِيْبك
اليوم بالِمزْوِده شِلْنَاك
عقْبَ الشِّجَاعة بدا عيبك

والأبرق والبرقاء والبرقة -كما جاء في <u>معجم البلدان</u>- بمعنى واحد وجمعها أبارق وتجمعهما البادية أيضاً على برقان، والأصل في البرق اختلاط البياض والسواد، ثم توسع فيه فأطلق على كل لونين اختلطا وهي حجارة مختلطة برمل، وقد يكون جبلاً مخلوطاً برمل وهي البُرْقة، وكل شيء خلط من لونين فقد بَرَق. وهو في الأصل صفة ثم استعمل استعمال الاسم. قال ابن شميل: البرقة ذات حجارة وتراب، وحجارتها الغالب عليها البياض وفيها حجارة حُمر وسُود، والتراب أبيض أَعْفر، وهو يبرق لك بلون حجارتها وترابها، وإنما بَرَّقها اختلاف ألوانها. وتنبت أسنادها وظهرها البقل والشجر نباتاً كثيراً، يكون إلى جنبها الروض أحياناً، كما جاء في <u>لسان العرب</u>. وقد يكون الأبرق علماً سامقاً من حجارة على لونين أو من طين وحجارة.

مما سبق يتضح أن هناك شكلين من أشكال الأبارق هما: حجارة مختلطة برمل، وجبل مخلوط برمل. ويميز البدو اليوم بين هذين الشكلين، فيدعى



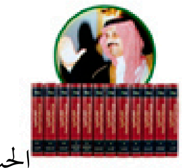


أبرق الحسكي – التيسية

الأول عندهم الأَبْـرَق وجمعه أَبارق، ويـدعى الـثانـي بَرْقَـا وتجمـع علـى «بَرْقات»، وقد أثبتت هذه التفرقة في مفتاح الخـريطة نصف المليونية لشبـه الجزيرة العربية التـي وضعتها مصلحة المساحـة الأمريكية للـمملكة الـعربية السعودية، فوصف النوع الأول بأنه تل صخري تحيط بسفوحه الرمال، ووصف النوع الثاني بأنه تل صخري تعتلي أحد جوانبه الرمال.

وهناك من البادية من يرى أن الأبرق كل جبل غـطى حوافه أو أحد جوانـبه رمل ولا فرق عـندهم إلا بالحجم فـإن كان كبيـراً ومرتفعاً فهـو أبرق وإن كان صغيراً ومنخفضاً فهي برقة.

ومن أمثلة النوع الأول أبرق اللّعَاعَة الواقع جـنوب جبل سُواج فـي منطقة القصـيم. وهو تل صخـري من حجر الجرانيت الذي أثرت فيه التعرية والتشقق تأثيراً كـبيراً، واختلطـت مفتتات تلـك الصخور مع الرمال المسفية بالرياح. ويتأثر هذا الشكل أساساً بالتباين الحراري بين الليل والنهار، إذ تنخفض درجة الحرارة في هذه المناطق انخفاضاً كبيراً ليلاً، يقابله




ارتفاع كبير في درجة الحرارة في النهار بسبب تسليط الشمس لأشعتها باستمرار معظم النهار تقريباً، وتفوق حرارة سطح الصخر كثيراً حرارة الهواء الملامس له، كما تقل أيضاً النهاية الصغرى عن ذلك كثيراً. ويحدث عن هذه التغيرات اليومية تناوب الشد الأفقي في الطبقات السطحية من الصخور المعرضة، فإذا ما تجاوزت الجهود المتولدة قوة مقاومة الصخور حدث التشقق والتقشر. ومما يساعد على ذلك اختلاف تركيب معظم الصخور من معادن تختلف في مقدار تمددها وانكماشها. ويتماثل الأبرق في هذه الخاصة مع حُزوم الحجر الرملي والحزوم الجرانيتية في المنطقة ولكن لا يطلق على تلك الحُزوم أبارق لتجانس مكوناتها من الصخر والفتات. أما الأبرق فسمّي بذلك لدخول عنصر جديد في تكوينه هو الرمال التي سفتها الرياح. كما تبدو بعض حزوم المَرْو التي تنتشر شمال بلدة مسكة شبيهة بالأبارق إلا أنها لا تسمى بذلك الاسم بل يطلق عليها لفظ العَبَل.

أما النوع الثاني من الأبارق فيمكن تمثيله ببرقة خَلّ الطَّيْر الواقعة شمال شرقي بلدة الجِرْذَاوية في القصيم. وهي رمال رسبت فوق سفح أحد الجبال المواجهة لمهب الرياح، ومع استمرار الترسيب علت الرمال سفح ذلك الجبل فأصبح لذلك السفح لونان، لون الجبل الأسود القاتم ولون الرمال الذهبي. والبَرْقاء بهذا تختلف عن الأبرق في وضوح الفارق اللوني بين الجبل والرمل، كما أن عامل الرياح هو العامل السائد في تشكيلها.

وقد اهتم العرب بذكر الأبارق الواردة في كتب الشعر والأدب، فاجتمع لياقوت منها مائة برقة. وكانت العرب تنسب تلك البراق للمواضع القريبة منها أو لنوع الصخر فيها أو لأحد الرجال، فسموا بُرْقة الدآث وبرقة الصَّفَا وبرقة سَعْد. وعدد الأبارق في بلاد العرب يفوق الرقم الذي ذكره ياقوت، فهو كما أشرنا لم يذكر سوى الأبارق المذكورة في كتب العرب وأشعارهم. ومعظم تلك الأبارق لم تحدد التحديد الدقيق، فيذكر ياقوت على سبيل المثال أن برقة لَفْلَف بين الحجاز والشام. ولم يزد على ذلك.

وتشاهد الأبارق بكثرة في الجبال والتلال التِّهامية التي تغطيها الرمال المذراة بالرياح التي تهب غالباً من الشمال الغربي أو الغرب أو الجنوب الغربي. ومن أهم الأمثلة عليها أَبْرَقْ الرَغامَة الواقع إلى الشرق من مدينة جدة. والأبرقان مثنى أبرق؛ وهما أبرقان متجاوران يقعان شمال



شرق تنصاب في وادي صلة من أسفل نجران إلى الغرب من منفذ الخضرا وأبرق العين إلى الشمال الشرقي من جبل سنح في منطقة نجران والواقع إلى الشرق من محافظة يدمة. وأبرق تغوث بين الطائف وتربة إلى الجنوب الغربي من جبل حضن، وأبرق دبسا في منطقة الساقية إلى الغرب من حافة جبال العارض، وإلى الجنوب من قرية الفاو، وإلى الشمال الشرقي من مركز الخالدة. وبرق الجبل؛ وهي مجموعة برق متصلة ومستطيلة في شمال بيشة، وفي غرب جبل أسن على مسافة يسيرة، ومعاميد أُسُن، وحنانات، والأوق والحبل كلها معروفة في ضواحي بيشة، ويعرف أسن الآن باسم أبو سنون والأوق باسم وقط.

وفي عالية نجد هناك أَبْرَق البراعم قرب نفود المنثورة الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة الخرمة، وأبرق المِلح جنوب شرق مدينة عفيف في الطرف الشمالي الغربي من نفود السر. ومنها أَبْرَقُ الْجِلبَة الذي يقع على متن جذِيْب أسود غرباً من خال الدفينة، ببلاد قبيلة الروقة من عتيبة، ويقول فيه شاعر من عتيبة:

يَمّ ابْرَقِ الجلبه جرى لي عَشِيَّه
لا واهَنِيِّ اللّي عن أسبابها غاب
جانا مع ابن هريس قوم رويه
جونا وجيناهم نرمّي بالاسلاب

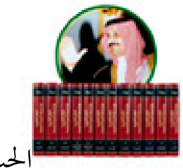
وكذلك أبرق جِمْعَة (أبو وشام) الذي يقع في بلاد قبيلة الْمُقِطَة شمالاً من هضيبات الحصيات وهو أبرق كبير، وجمعة التي ينسب إليها هذا الأبرق امرأة من قبيلة المقطة ماتت عنده، وقبرت فيه، والبعض يسمونه أبو وشام، إذ فيه سواد وبياض. ويبعد عن عفيف جنوباً مئة وثلاثين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٤٦-٤٧). وأبرق خَسَاران، وهو أبرق كبير مشهور بهذا الاسم يقع جنوب ماء سجا، غرباً جنوبياً من عفيف. وهو الذي ذكره شالح بن ماضي الحمقي أحد شعراء قبيلة المقطة بقوله:

دارٍ مراقيبه سواة الذيابه
قز اللحوم ان جا من الوسم ودان
ما اقبل به القوز الحمر من ترابه
ما طرّته حوضا وما ادنى خساران

ويقع هذا الأبرق في ملتقى بلاد برقا ببلاد الروقة. ويقول شالح الحمقي أيضاً، وهو يصف ناقته:

يازين لدَّة وجهها مع قفاها
توحى الموده من خساران ويمين

وهناك أَبْرَق خَنُوْقَةَ، وهو أبرق واسع، يحفّ بجبل خنوقة من الشرق، تراه ببصرك وأنت تسير على الطريق




المسفلت مقبلاً على بلدة البجادية من ناحية الشرق، شمال الطريق (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١ :٤٨). ويسميه البعض أبرق دفْنان، ويقولون إنه يسكن فيه سيد من سادات الجن الذين يسكنون في خنوقة، ويروون قصصاً وأخباراً عن جن خنوقة وسيدهم دفنان، وفي ذكر هذا الأبرق يقول شاعر من أهل الشعراء، الذين يسكنون في خنوقة ولهم فيها آبار يزرعونها:

ياهل الركايب عراوى القلب مِتْتَلَّه
هِجُّوا هجِيجٍ ترى الدِّرْهام يِحَيِّيها
لي فاطرٍ كِنَّها تاطَى على مَلَّهْ
تَجْفَلْ إلى اوحت حَسَاس الجِيْش قافيها
هنيّ من شاف خشم بْحَارْ زامٍ له
وابرق خنوقه وحيٍّ ساكنٍ فيها

ومن ذلك أبرق القوز (أبرق العزاف)

أبرق كبير يقع في ناحية نفود القوز من الغرب وهو غرب الربذة وشمال السليلة في بلاد قبيلة حرب ويبدو أنه هو الذي ذكر في كتب المعاجم باسم أبرق العزاف. ويقال إن به من الجن أكثر من ربيعة ومضر.

وأبرق المضياح: أبرق كبير واسع يقع في بلاد المجضع (المضجع) شرقاً من رمل عرق سبيع وغرباً من الدخول، وفي جانبه مشاش وهو واقع في نطاق بلاد قبيلة المقطة من عتيبة، ولا يبعد أن يكون هذا الموضع هو الذي ذكره امرؤ القيس في معلقته باسم توضح حيث يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

ومما يؤيد هذا القول إن المضياح هو توضح قرب هذه المواضع من بعضها، فجبل حومل وهضب الدخول وسقط اللوى بينهما لا تزال كلها معروفة وكلها قريبة من المضياح.

والأَنْصَر، والبعض يذكرونه بصيغة الجمع فيقولون الأناصر وهي أبارق تقع في دماث من الأرض تبرز فيها ثلاثة جبيلات صغار متفرقة، وتقع غرباً من شهبا خنوقة، وشمالاً من بلدة البجادية الواقعة على طريق الحجاز غرب الدوادمي، وترى بالعين من البجادية وشمالاً شرقياً من القاعية، وفيها يقول الشاعر منيع القعود:

أمطر على ضلع الانصر وارجعه من عقب الامحال
وسَيَّل شعيب الخنوقه عقب ما سيلٍ غثاه

وقد أكثر الشعراء من ذكر الأنصر وذلك لوقوعه في بلاد الوضح المعروفة بجودة مراعيها وسهولة أرضها وكثرة



أنواع الحمض في أوديتها. يقول سعد بن محمد بن يحيى:

من حد الانصر إلى حد السليسيه
من كل نوعٍ تشوف النبت في الجال
ودّك إلى جا ربيع وعندك رعيه
تصير في جالها وتربت المال
ترعى غدير وعذير وباردٍ ميه
في دار امان وضمان وسايح البال

وحدث أشياخ من أهل الشعراء أن عبد العزيز العتاني من أهل الشعراء قد عثر في برقة الأنصر على بيض النعام وكان لها مداح فيه فأخذ البيض معه إلى الشعراء، وذكروا أنه مرة عثر على فراخها فيه. وذكروا أن بيض النعام كان معروفاً، وأنهم كانوا يستعملون قشرته لحفظ البارود؛ إذ كانوا يفتحون في البيض فتحة صغيرة ثم يفرغون ما فيها ويجففونها ويعملون لها صماما ويستعملونها في حفظ البارود وغيره. والشعراء الذين عاشوا في وسط نجد وصفوا النعام في شعرهم، ووصفوا بيضه وفراخه ووصفوا الدحو وما يتساقط فيه من ريش النعام. قال عبدالعزيز بن سبيل أخو الشاعر المشهور عبدالله بن سبيل:

فاطري سمحه وممشاها سماحِ
زينة المقدم ومزموم قراها
كنها ربدا من الربد المداحي
روحت للدحو والليل يحداها

(ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ١٧٦-١٧٨).

وبقول سعد بن قطنان:

يا راكب اللي كن زوله إلى ذار
هيقٍ يرهّل تو ما صف بالريش
يشدي لدانوق البحر حين ما سار
أرخوا شراعه مبعدين المطاريش

وقال شاعر من آل روق من قحطان، يقال له ابن فتنان:

قِلْ له ترانا يم خشم عْقَرَاتِ
إلى اختلط نُوّارها مع زهرها
وقطعاننا والربد متفالياتِ
في خشم كتمان تخالف جررها

أما البَرْقَات فمن أمثلتها بَرْقَةُ وَرْشَة الواقعة إلى الشرق من عروق سبيع. والأمثلة عديدة جداً وهي تزداد بطبيعة الحال في المواقع القريبة من التجمعات الرملية.

ويرادف الأبرق لفظ الأرخم وجمعه الأراخم-ويدل على القارة السوداء التي في رأسها أو رقبتها بياض.

حافة طُوَيْق. هي العمود الفقري لليمامة وأبرز ظاهرة تشكل أرضية في نطاق إقليم الحافات وتتكون من الحجر الجيري الجوراسي، ويسمى اليمامة



وطويــق والعــارض. قال عــمرو بــن كلثوم:

فـاعرضـت الـيـمـامة واشـمخـرت
كـأسـيـاف بـأيـدي مـصـلـتـيـنـا

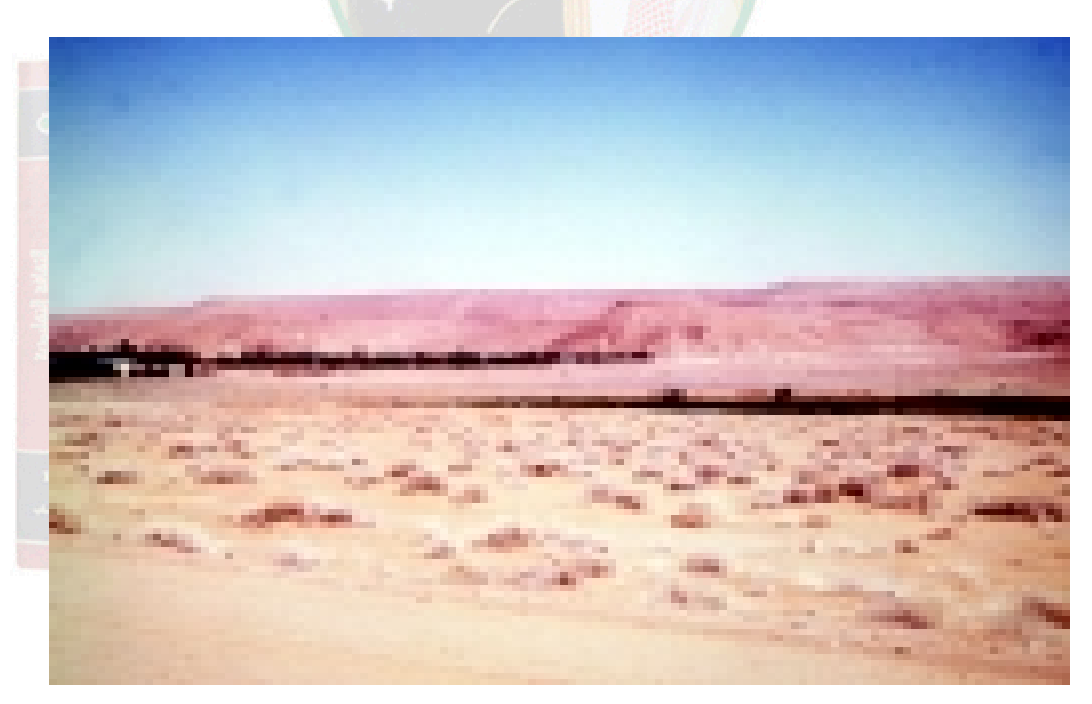
وقال راكان بن حثلين:

وخشـوم طويقٍ فـوقنا كـن وصفـها
صقيـل السيوف اللـي تجدد جرودها

وهي الحافة الوحيدة التي تحتفظ باسم واحد رغم امتدادها الكبير لمسافة ٩٨٥كم ابتداء من دائرة العرض ٣٠َ ٢٦ْ شمالاً إلى الشمال من الزلفي بحوالي ٢٠كم. وتقسم جبال طُوَيْق إلى قسمين شمالي وجنوبي.

يتجه القسم الشمالـي من الشمال الغربي ناحيـة الجنوب الشرقي لمسافة ٢٧٠كم؛ أي من خط البداية السـابق إلى وادي نِسَاح عند دائرة العرض ٢٠َ ٢٤ْ شمالاً. وخلال هذه المسافة الكبيرة تبرز بعض النتوءات من مقدمة الحافة نتيجة للتعرية المائية وللتـراجع المستمر للحافة، وتسمى خشوماً، مثل خشم أم الذَّر شرق الزلفي مباشرة، وخشم العرنية في الغاط الذي يقول عنه حميدان الشويعر:

مـن قـابـل خـشـم الـعـرنـيـه
فـالخـاطـر مـنـقـول خـطـره



بداية سلسلة جبال طويق من الشمال



وخشم الفُرُوثِي شمال قرية الفُرُوثِي التي يقع إلى جنوبها أيضاً خشم فُرَيْثَان. ومن فوقهما يجري نحو الشرق شعبان وأودية عديدة، منها شعيب الغاط الذي يسيل الغاط، ووادي مرخ الذي يسيل روضة السبلة، ووادي المِشْقَر وشعيب النُّزَيَّة اللذان يجريان نحو المَجْمَعَة، وشعيب جُوَيّ والحَائِر اللذان يسيلان نحو الحَائِر وجُوَيّ، وخشم أبا الهَيَّال أمام القَصَب، وخشم التُّرَاب، وخشم الحَيْسِيَّة، وخشم الحصان، وهو أبرز أنوف طويق وأكثرها شهرةً وأوسعها ذكراً يشاهد من بعد كأنه حصان صافن مقلد عنانه.

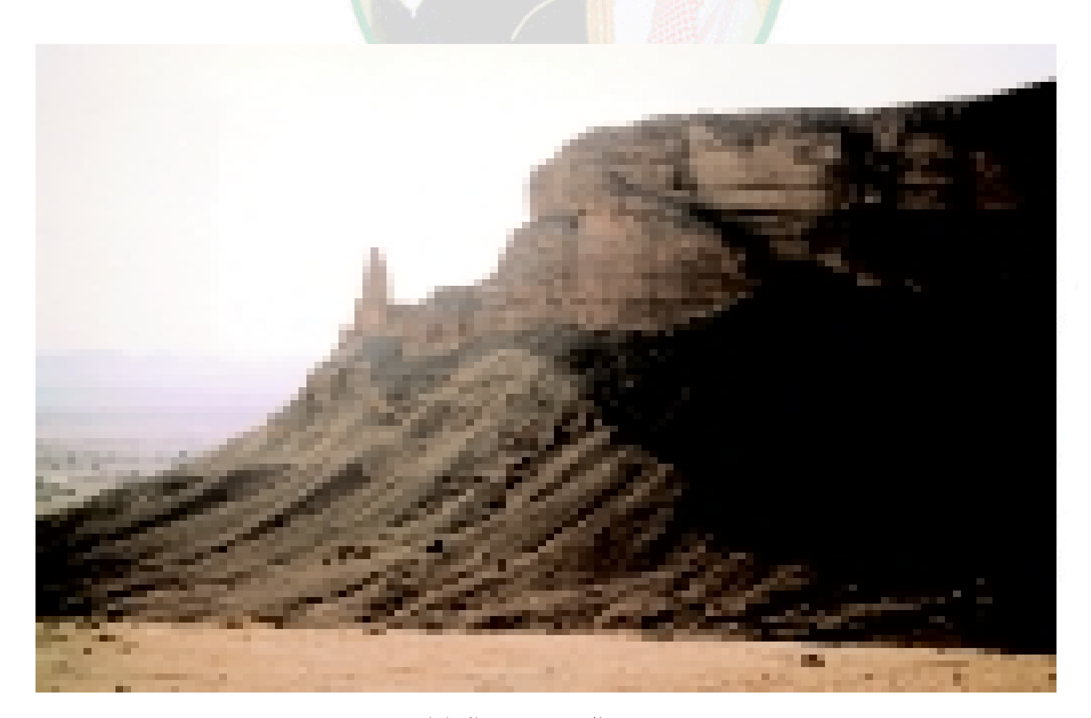
قال علي العويدي:

واحظ ابو من شاف هاك المشاريف

شاف المعيقل هو وخشم الحصان

ويقع خشم الحصان قبالة بلدة رغبة (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٣٢٥).

كما تنحدر من مقدمة الحافة الجبلية مئات من الشعاب القصيرة التي تسهم في تقطيع الحافة وتراجعها إلى الخلف. وأمام القَصَب تقع فَرِيْدَة الحُرَيِّق، والفريدة هي جزء منفصل من الجبل الكبير غير ملتصقة به. وفَرِيْدَة الحُرَيِّق أصبحت معلماً لأهل القَصَب والحُرَيِّق وما جاورهما. قال



خشم العرنية قرب الغاط



جُدَيْع العَـنَزِي حين مسه الشوق إلى بلاده نَجْد:

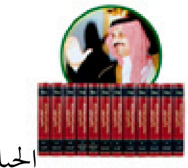
أمس الضَّحى عَدَّيت في نايف الجالِ
والقلب يوم اشرفت رجمه عوى ذيبه
سَقْوى إلـى شِفْت الفـريده ومدهالِ
وطْوَيْق جعل السحب تسقي شخانيبه
جعـله يعـم من الـفريده إلـى الجال
ويسقــي الحُرَيِّق مع مـفاليه وشـعيبه

ويلاحظُ أنه بعد المَجْمَعَة نحو الجنوب الشرقي يبدأ تأثير الأخاديد التي حدثت في هذه الجبال، ومنها: أخدود المَجْمَعَة، وأخدود قُرَيْدَان، وأخدود البَرَّة، وأخدود ضُرُمَا. ولهذا نجد أن حافة جبال طُوَيْق قد انقسمت إلى عدد من الحافات المتقابلة يفصل بيـنها منخفضات كبيـرة هي في الواقع مسارات الأخاديد. وكمثال على ذلك المنطقة الواقعة بين القَصَب شمالاً ودائرة العـرض ٣٧َ ٢٤ْ شمالاً. فعلى طول هذه المـسافة الكبيـرة نجد حافتين متقابلتين من جبال طُوَيْق. وفي المنطقة ما بين رُمْحَيْن أَشَيْقِر عند دائرة العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً، وخشم الـقِدِيَّة جنوب غرب مدينة الرِّيَاض التي تمر منها أخاديد ضُرُمَا وقُرَيْدَان والـبَرَّة، يكون الأخدود أوسع إذ يبلغ عرضه حوالي ١٣كم في المتـوسط، وتكون حـافة جبـال طُوَيْق الشمالية في أبرز صورها ويتعدى ارتفاعها ١٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر حيث تصل إلى أقصى ارتفـاع لها (١٠٣٠م) في الجزء المواجه لضلع قُرَيْدَان. أما الحافة المتقطـعة المقابلة لها فـهي أقل وضوحاً وبروزاً، وتنقسم أحياناً إلى فرائد جبلية متبعثرة وتتخذ بعض الأسماء المحلية مثل جبال الشِّعْبَة وضلع قُرَيْدَان وخشم بَدْحَاء وخشم الذِّيَـابَة وخشم أم إصْبِعَة وقارة النُّخَيْل. ويسيل من صفراء جبال طُوَيْق، أو ظهر الحافة، عدد من الشعاب والأودية الكبيرة والصغيرة وسنذكر منها الرئيسية فقط. يخـترق شعيب الأَرْطَاوي حـافة مُجَزَّل، ويمر من عند الأَرْطَاوِيَّة ليـنتهي في فيضة المَجْمَع التي ينتهي إليها كذلك شعاب البُتَيْرَاء والحِثَاقِي. وقد نشأت هذه الفيضة نتـيجة حبس رمال الدَّهْنَاء مياه هذه الشعاب ومنعها من الاستـمرار في اتباع الاتجاه الـعام للميل نحـو الشمال الشرقي. ومن أهم الأودية التي تنحدر من صـفراء جبال طُـوَيْق نحو الـشرق وتخترق حـافة جبال العَرَمَـة هي وادي العَـتْك أو العَتْـش ورافده وادي المِيَاه. ووادي العَتْك يبدأ حقيقةً من سُدَير فمن المنطقـة ما بين المَعْشَبَـة والحُرَيِّق ينحدر واديان هما وادي سُـدَير ووادي وُرَاط. فمن ارتفـاع ٩٢١م ينحدر وادي سدَير نحو الـشمال إلى روضـة سُدَير، ويمر



بحوطـة سدَير في اتجاهـه نحو الشرق وكذلك بالعَـطَّار وعودة سدَير ثم يغيـر اتجاهه نحو الشمال الشرقي حيث يلتقي بوادي العَتْك. أما شعيب وُرَاط فينحدر من شمال الحُرَيِّق نحو الشرق حيث يواجه العَطَّار ثم ينحدر نحو الجنوب الشرقي، ويلتقي مع رافد له اسمه شعيب الرَّكِيَّة. وبعد عبوره روضة الرَّحَى يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي إلى روضة المَشْرَات، وبعدها يعبر طريق الرِّيَاض سدير القصيم السريع ليلتقي بوادي العَتْك. أما وادي العَتْك فبعد أن يلتقي به رافده وادي المِيَاه يتجه نحو الشمال الشرقي ويمر بـروضة نُورة، ويستمر فـي اتجاهه نحو الشمال حيث ينتهي بفيضة التِّنْهَاة بعد عبوره لحافة العَرَمَة. وتعد فيضة التِّنْهَاة منتهى لـعدد من الأودية الرئيسية، فبالإضافة إلى وادي العَتْك ينتهـي بها كذلك وادي الشَّوْكِي الذي ينحدر من صفراء العَرَمَة.

أما الجزء الجنـوبي من جبال طُوَيْق فيبدأ من جنوب وادي نِسَـاح عند دائرة العرض ٢٠َ ٢٤ْ شمالاً حتى جبل خَطْمَة عند دائرة العرض ٠٧َ ١٨ْ شمالاً، لمسافة ٧١٥كم تقريـباً. واتجاه الجبال في هـذا الجزء من الشمال الشرقي ناحية الجنوب الشرقي. ويحاذي حافة جبال طُوَيْق من جهة الغرب نفُود الدِّحِي ابتداء من فتحة وادي بِرْك عـند دائرة العـرض ١٠َ ٢٣ْ شمالاً حتى فتحة وادي الدَّوَاسِر. ولها مسميات محلـية تبدأ من نفود الروشن المقابلة لفتحة وادي برك وتسير جنوباً ثم تنقطع لمسافة ٤ أو ٥ أكيال ثم تبدأ نفود الدحي المقابـلة لوادي الهدار لتقف في سهل الجنبة في وسطها بترار توازيه تسمى فوار مطرجم نسبة للخشم المقابل لها من جبال العـارض ثم تبدأ نفود الصـعيراء التي تنتهي في عروق الوادي، وقد غلب اسم الدحي على المسميات المحلية لهذه الرمال فتم إثبات هذا الاسم في خرائط المملكة. وفي هذا الجزء من حافة جبال طُوَيْق يزداد ارتفاع الجبال إذ تكثر القمم التي يتعدى ارتفاعها ١٠٠٠م، وتتفوق بعض القمم على أعلى ارتفاع في حافة جبال طُـوَيْق الشمالـية وهو ١٠٣٠م، ومنها: فريـدة الشَّظْيَة (١١٩٦م) أعلى قمم جبال طُوَيْق كلها، وخشم الزَّاقِب (١١٢٣م)، وجبل الجُحْفَة (١٠٦٨م)، وجبل بِلْعُوم (١٠٨١م)، وخشم الخَلْطَاء (١١٣١م)، وخشم مَخْرُوق (١١١٠م)، وخشم دَسْمَان (١٠٤٥م)، وفريدة زَيْدَان (١٠١٢م)، وخشم لِـبْدَان (١١١٨م)، وخشم كَشَّافَة (١٠٥٣م)، وخشم مَاوَان (١١٠٤م). وكما نرى فإن خشم الخَلْطَاء هو ثاني أعلى قمة في جبال طُوَيْق كلها،




وهو يواجه خشم مَخْرُوق ويمر من بينهما وادي الأَيْسَر أحد روافد وادي الحَرِيق. ومن أبرز الخشوم في هذا الجزء من حافة جبال طُوَيْق، إضافة إلى ما ذكر، مرتبة من الشمال إلى الجنوب هي: خشم الدِّيبي (٩٧٢م)، وخشم الجُفَيْر (٩٦٢م)، وخشم الحَمْرَة (٩٧٨م)، وخشم بِرْك (٩٤٢م) وخشم الجُوَيْفَاء (٨٨٩م)، وخشم مُسَيِّفِيَّة (٨٦٨م)، وخشم مُنِيْفَة (٨٤٩م)، وخشم أبا العِقْبَان (٨٣٧م)، وخشم الشَّجَرِي (١٠١٩م)، وخشم مِشْلَح (٨٥٨م)، وخشم مُطَرْجِم (٨٦١م)، وخشم أَشْقَر (٨٦٠م) وخشم فَرْدَة (٨٠٩م) ومن بينهما يمر وادي الدَّوَاسِر، وخشم كَمْدَة (٨٧٠م)، وخشم الشَّرْمَان (٨٦٩م)، وخشم السُّوَّاد (٩١٧م)، وخشم قرية الفَاو (٨٠٥م) ومن بينهما يمر وادي الحِنْو، وخشم أبو رَمَضَة (٨٦٨م)، وخشم غُرَاب (٨٧٦م)، وخشم أم غِيْرَان (١٠٦٢م)، وخشم الفَرَائِد (٨٩٢م)، وخشم خَطْمَة (٩٠٤م).

ويسمى ظهر جبال طُوَيْق في المنطقة بين وادي نِسَاح ووادي الحَرِيْق بالعُلَيَّة أو العَلاَة، وهي هضبة كبيرة وعرة المسالك والدروب. وهي «أكبر هضبة في جبل اليمامة (طُوَيْق)، وأمنعها، وأكثرها أودية، وأشدها ارتفاعاً؛ اتخذها لصوص المنطقة منذ العهد الجاهلي معتصماً، وعولوا عليها ملجأ، ووجدوا في مغاراتها ومخابئها مستراحاً ومعقلاً. وقد درجوا على هذا وتواطؤوا عليه حتى زمن قريب قبل أن يضرب الأمن برواقه، وتستأصل شأفة البغي على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله؛ وحتى في زمن الملك عبدالعزيز كانت مأمن اللصوص، وهناك نماذج كانت شغل السلطات الشاغل، وما قصة الدُّوَيِّخ القَحْطَاني عنّا ببعيدة، فلقد أعجز الأمن حتى جاء مستسلماً. وكان جَحْدَر لص اليمامة

جبل طويق عند حوطة بني تميم



الكبير شغـل الحجَّاج الشاغل في عهد بني أمية، وكانت عُلَيِّة تجنه وتؤمنه من سطوة الحجَّاج رغم جبروته، وكأنما هذه الهضبة تسخر من جند الحجَّاج وأعوانه حينما يهمون بالبحث عن جحدر وإخوته اللصوص في أكنافها، ولما أعجزتهم القوة لجؤوا إلى الحيلة فأغروا بعض اللصوص حينما قبضوا عليهم في غير عُلَيِّة إن هم أتوا بجحدر من عُلَـيِّة لتأمنن معيشتهم مدى الحياة، فجاسـوا خلالها لصوصاً والتفوا بجحدر زملاء، ولما وجدوا منه غرة قيدوه وسـاقوه إلى الحجَّاج» (ابن خميس ١٤٠٠: ٣٠٧-٣٠٨).

وفي شعـاب جبال عُلَـيِّة ومساقط تلاعها ومنحدراتها الشاهقة قلات عميقة واسعة تستوعب كميات كبيـرة من المياه وتظل تختزنها لفترات طويلة.

وقد ردمت الرمال الجزء من الجبال الواقع بين خشم الفَرَائِد، أو ثلمة سَمرة، عند دائرة العرض ٣٤َ ١٨ْ شمالاً، وساقية خَطْمَة عند دائرة العرض ٢٠َ ١٨ْ شمالاً. وتعرف هذه الرمال بعروق المُنْدَفِن، وهي جزء من رمال الرُّبْع الخَالِي الغربي. ثم يندفن الـعارض مرة أخرى بعد خطمـه جنوباً ولا يعود للظهور بشكله المعروف مرة أخرى ولكن يظهر جزء منه مما يعرف بالأجهمـيين ثم جبل هويمل فـي وسط الرملة ثم يختفي بعد ذلك. وبعد تفحص الخريطة الجيولوجية والطبوغرافية اتضح أن عُرُوق المُنْدَفِن في الحقيقة تشغل الفتحة التي سبق أن فتحها كل من وادي نَجْرَان ووادي حُبُونَا أثـناء العصور المطيرة فـي اتجاههما نحو الخليج العربي. علماً بأن هذين الواديين ينتهيان في العصر الحالي في الرمـال التي تقع إلـى غرب خشم خَطْـمَة. وتعرف جـبال طُوَيْق بـجبال العـارض أيضـاً جـنوب دائرة العرض ٤٥َ ١٩ْ شمالاً.

وتنحدر صفراء جبال طُوَيْق في الجزء الجنوبي منها من ارتفاع متوسطه ٩٠٠م إلى ارتـفاع ٦٠٠م في المـتوسط نـحو الشرق، ويسيل منها عديد من الشعاب والأودية.

أما الدروب التي يمكن سلوكها من المناطق الواقـعة غرب طويق إلى شرقه وهي الثنايا التي يراد بها الثلوم في الجبل، تسلكها الطرق مفترعة الجبل فقد عددها عبدالـله بن خميـس ذاكراً أنها خمس وأربعون ثنيـة تبدأ من الشمال بأم الذر التي تطل على الزلفي وتنتهي جنوباً بثلمة المنـدفن التي تجـتاز الطريـق إلى الربع الخالي. وهذه غير العقاب التي يسلكها المشاة وهي كثيرة (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٢٤٥-٢٥٢).




حافة العَرَمَة وامتداداتها. تقع حافة العَرَمَة إلى الشرق من جبال طُوَيْق؛ ونظراً لاختلاف أجزاء الحافة في التميز والبروز فهي لا تحتفظ باسم واحد على طول امتداداتها وإنما تعرف بهضبة التَيْسِيَّة في الشمال، وجبل مُجَزَّل شرق منطقة سُدَير، والعَرَمَة، والجُبَيْل، وهيت شمال شرق وشرق الرِّيَاض. وهي من الصخور الجيرية التابعة للعصر الكريتاسي الأعلى. وإلى جنوب دائرة العرض ٠٠ ٢٤ْ شمالاً إلى الشرق من الخَرْج تمتد حافات صخرية أخرى تابعة لهضبة البَيَاض ذات الأحجار الرملية التي تعود للعصر الكريتاسي الأدنى، وهضبة هُرَيِّسَان التي تتكون صخورها من الأحجار الجيرية في الشمال التابعة لتكوين أم رَضَمَة من عصري الباليوسين والأيوسين الأدنى.

وتمتد هضبة التَيْسِيَّة بين صحراء الدَّهْنَاء من الشمال، ونفود المَظْهُور من الجنوب. ومن الغرب يحدها النُّفُود الكبير عند خط الطول ٣٠ ٤٢ْ شرقاً، ويحدها من الشرق عُرُوق السَّيَّاريَّات التي تربط بين الدَّهْنَاء وعرق المَظْهُور. وتشغل المنطقة شرق مجرى وادي الرُّمَّة القديم. وهضبة التَيْسِيَّة هضبة منخفضة التضاريس، فأعلى نقطة فيها هي منطقة جبَلَة (٧٦٥م) وطعوس الحَنَّاتِين (٧٥٩م) إلى الشرق من النُّفُود الكبير، وهي تنحدر عموماً نحو الشمال الشرقي ويقل ارتفاعها كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي. فعند قرية



حافة العرمة قرب الرياض


حافة العرمة

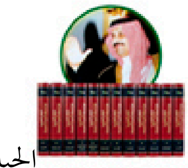
قِبَة يتراوح الارتفاع بين ٥٠٠م و٥٥٠م. وقد قطعت هذه الهضبة الأودية والشعاب التي تنحدر بشكل عام نحو الشمال الشرقي، ومنها: شعيب قَبْعة، وشعيب الأَرْطَاوِيّة رافد وادي خَتَال، ووادي الحِسْكِي بروافده شعيب الأَرْطَاوِي وشعيب الأَقْرَع وشعيب الشُّوَيْكِي، وشعيب الفُوَيْلق، ووادي الأَجْرِدي.

أما حافة جبل مُجَزَّل فهي تمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الشرقي بحافة واضحة تطل على سُدَير من الشرق. وهي تبدأ من دائرة العرض ٠٠َ ٢٧ْ شمالاً وخط الطول ٥٥َ ٤٤ْ شرقاً شمال قرية جِرَاب بنحو ١٠كم، وتنتهي عند قارة خَزَّة، إلى الجنوب من تُمَيْر بحوالي ثمانية أكيال، التي يقول فيها الشاعر عثمان التويجري:

هني من شاف خزّه ضلعها زامي
يلوح وسط السراب وتقنب ذيابه

وينحدر من حافة جبل مُجَزَّل عديد من الشعاب نحو الشمال الشرقي. ونجد أن معظمها تنتهي في منخفضات محلية أو عند رمال الدَّهْنَاء وتكون فياضاً، منها: فيضة الرّحَبة التي ينتهي إليها شعيب جِرَاب، وفيضة أم الذّيَابة التي ينتهي إليها شعيبا الوُعَالِي والسُّحَيْمي، وفيضة الحَيْراء التي ينتهي إليها شعيب العَصَل. ومن الفياض الداخلية: فيضة أم عِشَر، وروضة أم سِدْر، وفيضة الكَسْر وروضة النَّظِيْم، وفيضة الخُفَيْسَات بشعيبيها سَدْحَة ودَابَان، وفيضة غَزْوَى، وروضة نُوْرَة التي يمر بها وادي العَتْك وغيرها.

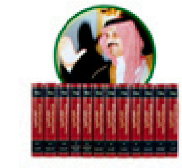
ومن القَاعِيَّة، على بعد خمسة وعشرين كيلاً جنوب شرق الأَرْطَاوِيّة، تبدأ حافة العَرَمَة في الظهور إلى الشرق من حافة جبل مُجَزَّل، وهي غير بارزة في هذه المنطقة اخترقتها أعداد كبيرة من الشعاب كما أسلفنا. ولكنها تبدأ في الظهور حافة مرتفعة عما حولها جنوب شرق قرية الشِّعْب عند دائرة العرض ٥٥َ ٢٥ْ شمالاً وخط الطول ٥٤َ ٤٥ْ شرقاً. ولذلك تبدأ الظواهر التشكلية للحافات في الظهور كالخشوم مثلاً، فنجد جبل العِرْقُوبَة (٦٨٩م)، وخشم الحِقَّاقَة (٦٥٧م) إلى الغرب من واد العَتْك. وإلى الجنوب الشرقي من رُوَيْغِب يقع خشم نُفَيْخ (٦٢٠م)، الذي ينحدر




منه شعيب نُفَيْخ الذي يرفد شعيب الطَّيْري وينتهي عند حفر العتش، وخشم الطَّوْقِي (٧١٧م)، الذي ينحدر من ورائه وادي الطَّوْقِي ورافداه شعيب العَمْيَاء وشعيب حُمَيِّم، الذي يمر من قرية الرُّمْحِية وقرية رُمَاح على حدود الدَّهْنَاء ثم يدخل منطقة الرمال وينتهي في خَبَّة المُزَيْرِع وصيَاهِد رُمَاح. وفي منطقة الثُّمامَة هناك خشوم الثُّمامَة (٨٠٥م) العالية عن سهل البُطَيْن تحتها، مما أدى إلى تراكم كميات كبيرة من الرمال تتمثل في عرق الرِّثْمَة وعرق بَنْبَان التي يحدها طريق الرِّيَاض-الثُّمامَة-المَجْمَعَة من الشمال الشرقي والشمال الغربي. ومن خشوم الثُّمامَة تنحدر نحو الشمال الشرقي عدد كبير من الشعاب تنتهي جميعها في فيضة خُرَيْم على حدود الدَّهْنَاء، منها: وادي الثُّمامَة بروافده (وادي جُرَيْذِي ووادي المِسَاجِدِي ووادي السِّعَيرَة)، ووادي خُوَيْش الرَّيَّان ورافده (خُوَيْش العَطْشَان)، ووادي وُثَيْلان.

ومن جبل بُرْمَة (٧١٥م) نحو الجنوب الشرقي يبدأ ظهور حافة جديدة موازية لحافة جبال العَرَمَة من الجنوب الغربي تمتد بنفس الاتجاه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي وهي حافة جبال الجُبَيْل، ومنها جبال هِيْت التي يقع فيها دحل هِيْت المشهور عند دائرة العرض ٢٩َ ٢٤ْ شمالاً وخط الطول ٠٠َ ٤٧ْ شرقاً. وتمتد حافة جبال الجُبَيْل حتى جبال مُغْرَة (٤٨٢م) عند خط الطول ٣٠َ ٤٧ْ شرقاً. ويبرز من هذه الحافة عدد من الخشوم منها خشم العَان (٧١٢م)، وخشم مَزَالِيْج وخشم ثَنَايا بِلال وبينهما يقع دحل هِيْت. وقد تقطعت المنطقة التي تقع بين جبال الجُبَيْل والعَرَمَة وتحولت إلى منطقة وعرة خاصة في منطقة جبال الدُّغُم، ويقل ارتفاع هذه المنطقة كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي، وتتحول إلى سهل منبسط في منطقة الخَرْج.

أما حافة العَرَمَة فيتصل ظهورها في اتجاه دائم نحو الجنوب الشرقي حتى تختفي عند رمال الدَّهْنَاء عند خط الطول ٠٥َ ٤٨ْ شرقاً عند ضلعان مُطَيْرِيْحَة شمال قرية التَّوْضِيْحِيَّة. وينحدر من جبال العَرَمَة نحو الشمال الشرقي عدد من الأودية التي تنتهي في رمال الدَّهْنَاء، من أهمها: وادي الجَافِي، ووادي الحَلاَل الشمالي، ووادي الحَلاَل الجنوبي. ومن أهم خشومها، بعد خشوم الثُّمامَة جنوباً، خشم البُوَيْب وخشوم البُوَيْبِيَّات وبينهما تقع جبال بُوَيْب. ويواجه جبال الدُّغُم من الشرق خشوم الحَلاَل التي ينحدر من ورائها واديا الحَلاَل السابق ذكرهما. وإلى الشرق من خط الطول ٣٠َ ٤٧ْ شرقاً هناك مجموعة من الخشوم، منها:



خشم عَوْصَا، وخشم خَشَبِي، وخشم سُدَيْرة، وخشم وَسِيع وذلك إلى الشمال الشرقي من الخَرْج بحوالي ٤٢كم.

حافة البياض وهُرَيِّسَان. تبدأ إلى الجنوب من وادي السَّهْبَاء، وتمتد امتداداً شاسعاً موازية لجبال طُوَيْق نحو الجنوب الشرقي حتى نهايتها في رمال الرُّبْع الخَالِي عند وادي الغَرّ عند دائرة العرض ١٧َ ٢٠ْ شمالاً لمسافة تعادل ٤٨٢كم تقريباً. وخلال هذه المسافة الطويلة تنحدر نحو الجنوب الشرقي عشرات الشعاب والأودية. وتتسم هضبة البَيَاض ببساطة المظهر التضاريسي، فهي منخفضة بشكل عام فمتوسط الارتفاع هو ٥٢٠م. وفي شمال البَيَاض هناك منطقة تسمى صلعة البَيَاض تمتد بين دائرتي العرض ٠٧َ ٢٤ْ شمالاً و٢٥َ ٢٣ْ شمالاً. وفي هذه المنطقة لا توجد سوى بعض التلال البسيطة التي لا تكاد تقطع المظهر الرتيب للانبساط العام الذي يغطي سطحها جراول المرو الأبيض، ولهذا سميت بصلعة البَيَاض تشبيهاً لها بالرأس الأصلع الذي يلمع نتيجة فقد شعر الرأس. كما تسمى منطقة البَيَاض إلى الشمال من دائرة عرض الأفْلاَج المِيْرَكَة ولكن الاسم الشائع هو البَيَاض.

«وفي البياض عدة أودية تسيل من أعلاه مما يقال له الريش مما يلي طريق الأفلاج المعبد من الرياض تسيل مشرقة ويعترضها في أسفل البياض حزن يشبه الحرة يستطيل من الشمال إلى الجنوب، وينتظم أسفل البياض كله ويحيط بالحرش والحرشة. فبعض هذه الأودية يفترع هذا الحزن ويذهب ليستقر في مرابخ الدهناء، وبعضها يقف تحت هذا الحزن غرباً مما يلي ما يسمى الحقاوة وهي حزون منقادة متعاقبة من الشمال إلى الجنوب تلقب بالحرش» (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ١٩٠-١٩١).

أما الجزء الشمالي من هضبة البَيَاض فيغلب عليه اسم هُرَيِّسَان التي تمتد بين وادي السَّهْبَاء من جهة الشمال ودائرة العرض ٢٥َ ٢٢ْ شمالاً لمسافة تعادل ٢١٠كم تقريباً. أما حدود هضبة هُرَيِّسَان الشرقية فهي صحراء الدَّهْنَاء التي تحاذي هُرَيِّسَان، وتنتهي إليها معظم الشعاب والأودية التي تنحدر من البَيَاض وتعبر هُرَيِّسَان. وتتصف هضبة هُرَيِّسَان بكثرة الشعاب التي تقطعها بما تسبب في وعورة سطحها. ولهذا فالطرق الصحراوية الشمالية والجنوبية التي تعبرها إما أن تحاذي الدَّهْنَاء وتسير من هناك شمالاً أو جنوباً حيث تكثر الفياض عند نهايات الأودية، أو تسير عبر منطقة الحدود بين البَيَاض وهُرَيِّسَان. أما الطرق الشرقية-الغربية فغير ممكنة إلا عبر مجاري الأودية. ومن أشهر الأودية في البياض: الْحَوَارَ



جبل أبان الأحمر

وحليوه والغيثاني والدعيب والعجرمي وجدعان وشقران والجدول وغيرها.

كما تكثر في هذه المنطقة المشاش نتيجة انبساط سطحها الذي لا يساعد على جريان الماء ولوجود الطين فلا يتسرب إلى باطن الأرض، ومنها مشاش أم جَفْر وأبو شوك والغيثاني والرديفة والثماني وخشم جلال. وبها من الأعلام هجلة سرابة هجلة عظيمة يصب بها وادي العجرمي وهجلة تخاديد وجبل بُرْمَة والنهيدين.

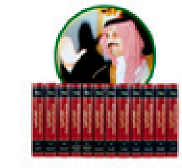
نماذج من الجبال

أبان: هكذا ينطقه البدو، وبعض الحضر ينطقونه بكسر الهمزة. جبل من أشهر جبال منطقة القصيم في القديم والحديث، وهما جبلان: أحدهما أبان الأسمر وكان يسمى قديماً أبان الأسود، شمال وادي الرمة، والثاني أبان الأحمر وكان يسمى قديماً الأبيض وهو جنوب مجرى الوادي.

ويقعان إلى الغرب من مدينة الرس على بعد حوالي ٥٠ كيلاً منها على تفاوت بينهما في ذلك.

ويمر الخط الإسفلتي الذي ينطلق من بريدة إلى المدينة المنورة بالقرب من أبان الأسود إلى الشمال من بعد أن يكون قد قطع مسافة ١٦٧ كيلاً.

أما من ينطلق من مدينة عنيزة فإنه بعد أن يمر بالبدايع والرس يسير مع الطريق الإسفلتي حتى يكون أبان الأسود عن يساره جهة القبلة حيث يمر ببلدة النبهانية التي تقع شرقاً من أبان.



وفي جبل أبان فـي الوقت الحاضر عدة هجر، وأماكن زراعية كثيرة، ونخيل تستغني بقرب الماء في أرضها عن السقي، وهي من أجود النخل وأقواها في منطقة أعالي القصيم.

وقد ذُكر أبان كثيراً في أشعار الجاهلية وصـدر الإسلام. قـال زهيـر بن أبـي سُلْمَى:

تبـيَّنْ خليلي هل تـرى من ظَعَـائن
بِـمُـنْـعَـرَجِ الـوادي فـويق أبـان
مشَـيْنَ وأرْخَـيْنَ الـذُّيُولَ، ورُفِّـعَتْ
أَزِمَّـةُ عِـيس فـوقـها ومَـثَـاني

ويريد بـالوادي: وادي الرمة الذي يأتي من فوق أبان ويمر بين أبانين.

وقال امرؤ القيس في معلقته:

كَـأَنَّ أبـانـا فـي أَفـانـين وبـلـه
كـبـيـر أُنـاس فـي بـجـاد مُـزَمَّـل

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

زودتْـنـا رقـيـة الأحـزانـا
يـوم جـازت حـمولـهـا سـكـرانـا
إن تَـقُلْ هُـنَّ من بـني عـبدشـمس
فـعـسـى ذاك أن يـكـون وكـانـا
أنا مـن أجلـكم هـجرت بـني زيـد
ومـن أجـلـكـم أُحِـبُّ أبـانـا

وقال الشاعر العامي عبدالله بن سبيل الباهلي من قصيدة غزلية:

يوم الـركايب عَـقِّبَـنْ خشم أبـانـاتْ
ذكـرت مَلْـهُوف الحـشا مـن عَنَـايَه
ليته رديـفٍ لي علي الهجـن هَيْهاتْ
امَّـا مـعـي، والأَرديـف خـويَـايَـهْ

وقُرِن ذكر أبان بذكـر جبال عظيمة مشهورة وهـي: رضوى ويذبل وثبير، لجامع العظم والشهرة بينها، وليس لقرب المكان، كما في هذين البيتين:

وعـلـيـه الـسلام مـا قـام رَضْـوى
وأبـان ويَـذْبُـلٌ وثـبـيـر
مَـحْـتـد طـاهـر، ومـجـد أثـيـل
وفـخـار غـمـر وخـلـق أثـيـر

واستمر ذكر أبان مضرباً للمثل بعد ذلك بـقرون، حتـى ذكره ابن مـقرب الأحسائي في أول القرن السابع في قوله من قصيدة له:

ويـوْمَ عـلا بـجَـرْعـاء الُمـصَـلَّى
عَـجاجٌ غَـاب فـيـه المَـسْـجِـدَانِ
أَلَـمْ يَـلْـق الـرَّدى مـنه بـقـلـب
عـلـى الأهـوال أَثْـبَـتَ مِـنْ أَبـان

وشارك الشعر العامي في ضرب المثل بأبان في الكبر والضخامة كما في قصيدة لعبيد الحمود وجاء فيه أبانات يعني أبانين:

لا والـله الـلـي دَوْبَحَـنَّ الـلـيـالـي
واقْـفَـنْ بـشيـمـات الـعـرب والمروّاه
أَقْـفَـنْ ولاخَـلَّـنْ لـلاجـواد تالـي
إلاَّ ذنَـانَـةْ واحـدٍ ويـن ابـلـقـاه




العود عْنـد النـاس مـا لـه جَلاَلِ
والعفنْ صارت كُبْر أَبـانات علْباه

وسئلت امرأة من العرب القدماء أن تعد عشرة أجبال متواليات لا تتعتع فيها. فقالت: أبان، وأبان، وقطن، والظهران، وسبعة الأكوام، وطمية ذات الأعلام، وعليمتا رَمَّان.

ويشبه قول هذه الأعرابية قول أعرابية محدثة وقد طلب منها أن تذكر أسماء اثني عشر جبلاً لا يبعد بعضها عن بعض كثيراً بدون أن تحتاج إلى كثير تفكير بشرط أن يكون كلامها مسجوعاً فقالت: أبان، وأبان، والمقوقي، وعمودان، وكبشات الثمان.

وأبان وما حوله من المراتع والمرابع بلد مريء طيب الهواء، عذب التربة. يتغنى به أهله ومن حل به، ويذكرونه إذا ارتحلوا عنه ولو كانوا قد ارتحلوا إلى مكان أكثر خصباً، وأوفر مرعى، فمكانة أبان في نفوسهم لا تعادلها مكانة، وهواه من قلوبهم لا يمحوه هوى آخر.

نقلت العامة عن أحد شيوخ عنزة من آل هذال، وكانت تلك القبيلة تحل أبان وما حوله من عالية القصيم، فهجرت هذه البلاد تحت ضغط الحروب والمعارك، التي نشبت بينها وبين القبائل العربية الأخرى وقصدت العراق. ولما سئل أحد شيوخها من آل هذَّال عما إذا كان قد نسي أبان بعد أن وجد البلاد الخضراء الخصبة أجاب: والله إنني ما أنسى -ما حييتُ- وقدة رمث بأبان، وذلك لأن الرمث من شجر الحمض، رائحة دخانه طيبة، وهو لا ينبت إلا في أرض مَرِيئة، قال بعض العلماء القدماء: الرمث وقود وحطب حار، ودخانه ينفع من الزكام.

وقول ابن هذال هذا في الرمث شبيه بقول أعرابي قديم:

قال الأطباء: ما يشفيك؟ قلت لهم
دخان رمث من التسرير يشفيني

وقال مشعان بن هذال من قصيدة طنانة له بالعامية تسمى الشيخه:

لابــد مـا حِـنَّا لابـانـات زُوَّار
بـظعـايـن تسبق ركـاب المعايـر

وحدث أبو العباس المبرد قال: كان بعض الأعراب يقطع الطريق فأخذه والي اليمامة في عمله، فحبسه، فحنَّ إلى وطنه فقال:

أقـول لـبوَّابـيَّ والـسـجنُ مـغـلـقٌ
وقـد لاح بـرق مـا الـذي تـريـان؟
فـقالا نـرى برقـا يلـوح ومـا الذي
يـشـوقـك مِنْ بـرق يـلـوح يمان؟
فقلـت افتحا لـي الباب أنظـر ساعةً
لـعـلـي أرى الـبرق الـذي تـريـان
فـقـالا أُمِـرْنَا بـالـوثـاق ومـا لـنـا
بمـعصيـة الـسلـطـان فـيك يـدان



فـلا تحسـبا سـجن الـيمـامة دائـما
كـمـا لـم يَدُمْ عـيـش لـنـا بـأَبان

ومما يروى من الحكايات التي تدل على عظمة أبان ومنعته، أنَّ إبراهيم باشا لما احتل الدرعية أخذ يقبض هو وأعوانه على كبار رجالات نجد، ولم ينج منه إلا من اختفى. وقد بلغ ذلك الشيخ قرناس بن عبد الرحمن قاضي مدينة الرس وشيخها، وكان أحد زعماء الرس الذين قاوموا إبراهيم باشا وأخروا زحفه على الدرعية لمدة أربعة شهور. فأخذ الشيخ يتخوف من أن يعتقله إبراهيم باشا ويؤذيه ولكنه لم يدر ماذا يفعل، وبينما كان يصلي بالناس صلاة الفجر قرأ مصادفة الآية الكريمة ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ (القيامة: ١٠) وخطر بباله ما عليه الحال فأخذ يكررها فإذا بأحد الداخلين يسمع ذلك فقال قبل أن يدخل في صلاته: إلى أبان الحمر! أي المفر إلى أبان الأحمر (الأبيض قديماً).

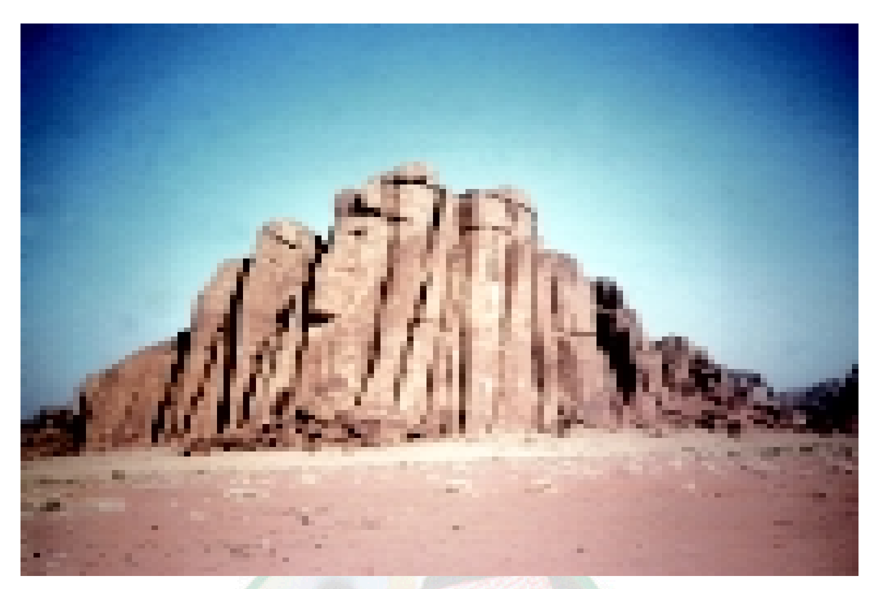
قالوا: فلما فرغ من صلاته استعاد من الرجل كلمته فأعادها على مسمعه، فالتجأ إلى مكان حصين ولم يخرج منه حتى رحل إبراهيم باشا عن نجد، ويقال إن المكان الذي التجأ إليه هو النمرية في أبان الأسود (العبودي ١٣٩٩، ج١: ٢٢١-٢٣٧).

أجأ: اسم علم مرتجل لرجل، ويجوز أن يكون منقولاً ومعناه الفرار، أجأ الرجل إذا فر (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٧).



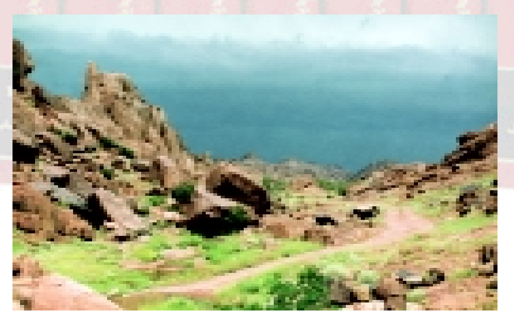
جبل أجا



جبل عُوَارض، مقابل وادي توارن

وأورد المتقدمون خبراً في سبب إطلاق اسم أجأ على هذا الجبل وأسماء أخرى على مواضع بقربه. قيل إن سلمى بنت حام بن حي من عمليق علقها أجأ بن عبدالحي من بني عمليق وكان الرسول بينهما حاضنة يقال لها العوجا، فهرب بها وبحاضنتها إلى موضع جبل طيء، وبالجبلين قوم من عاد. وكان لسلمى إخوة يقال لهم: الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان، فخرجوا في طلبهما فلحقوهما بموضع الجبل. فأخذوا سلمى وانتزعوا عينيها فوضعوها على الجبل وكتّف أجأ فوضع على الجبل الآخر، وكان أجأ أول من كتّف، وقطعت يدا العوجا ورجلاها فوضعت على جبل آخر. فكان كل من مر من العرب يعجب من ذلك. فقالت العرب في أشعارها سلمى، فهي أول من سمي من العرب سلمى. فقال إخوتها: والله لا نرجع إلى قومنا أبدا. فمضى الغميم إلى ناحية الحجاز فنزلها؛ وأقبل المضل إلى موضع القاع واستنبط به بئراً وأقام به حتى مات؛ ولحق فدك بموضع فدك فسمي به؛ ولحق



ريع السّلف في جبل أجا



فائد بالجبل الذي سمي فائد بطريق مكة؛ ولحق الحدثان بموضع حرة الحدثان فسميت هذه المواضع بهم (الجاسر ١٣٩٧، ج١ : ٥٠).

والمتقدمون يقولون: جبل أجأ أحد جبلي طيء وليس جبلاً واحداً، وهو من أشهر جبال نجد، سلسلة جبال تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بما يقارب مائة كيل في عرض بين ٢٥ و٣٥ كيلا وتتخللها شعاب كثيرة، وفي داخلها بعض القرى الصغيرة والنخيل والعيون. ومن شعاب أجأ المعروفة قديماً: توارن وحقل والأرخ وشُوط وبلطة وحضن ورميض وثرمدا.

وهواء أجأ من أطيب الأهوية، وارتفاع أعلى قمة فيه ١٣٥٠م عن سطح البحر. ويخترق سلسلة أجأ طريقان للسيارات: ريع السلف وطلعة صيحان، وطرق للدواب إلى الأودية التي بداخلها (الجاسر ١٣٩٧، ج١ :٤٧).

ثهلان: جبل ضخم يقع إلى الغرب من مدينة الدوادمي على بعد حوالي خمسة وأربعين كيلاً، يمتد جنوباً وشمالاً بطول سبعين كيلاً تقريباً، أما عرضه فيتراوح بين عشرة وعشرين كيلاً يقع إلى الغرب من عرض شمام وشرقاً من دمخ والنير، إذا خرجت من الدوادمي متجهاً غرباً على طريق السيارات المسفلت وحاذيت هضاب البيضتين رأيته أمامك في الغرب الجنوبي، وعلى اليمين منه جبل شطب. وتقع بلدة الشعراء إلى الشرق منه يظلها بظله عصراً لارتفاعه. ويشتمل ثهلان على شعاب ومياه وأوشال كثيرة لكل منها اسم يعرف به. ولقد ورد اسم ثهلان في أشعار القدماء والمحدثين. قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا
بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيتاً زرارة محتبٍ بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
فادفع بكفك إن أردت بناءنا
ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

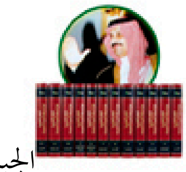
وقال أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس:

لكل شيء إذا ما تمَّ نقصانُ
فلا يغرُّ بطيبِ العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سرَّه زمن ساءته أزمان
دهى الجزيرة أمرُ لا عزاء له
هوى له (أُحُدٌ)، وانهدَّ (ثهلانُ)

ويقول الشاعر سعد بن محمد بن يحيى:

هيضت ما بالضمير من الهناديب
من يوم شفت الرعن وخشوم ثهلان

(الطخيس١٤١٢ : ٣٣-٣٤).




ويدعى في هذا العهد ذهلان بإبدال الثاء ذالاً. ومن أشهر مسالكه الناصفة، ويليها جنوباً ريع أم المراويح، ثم سلع الريان، ثم سلع مواجه، وله قمم شاهقة ومناكب عالية ورعان يتصل بعضها ببعض، ومن أكبر رعانه الرعن.

قال ياقوت: الرَّعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما، ومنه قيل للجيش العظيم: أرعن (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٦٠٧).

والرَّعن جبل أسود شديد الارتفاع يطل على بلدة الشعراء من الناحية الغربية وهو من أكبر رعان جبل ثهلان وأعلاها. وبسبب ارتفاعه في السماء وقربه من البلدة فإن ظله يضفي عليها وقت العصر فيهيء لها جواً لطيفاً في الصيف، وفي ذلك يقول الشاعر عبدالله اللوح (لويحان):

لى واعشيري قد هاك اللحاليح
يكسر عليه العصر فَيُّ ذْهَلاَنِ
سقى دياره مرزمات المراويح
آمين يااللي ترزق المودماني

وفيه يقول الشاعر مرزوق بن صقر من أهل الشَعْراء:

حلفت ما انسى عشيري كود ينساني
كود الرعن عن مكانه ينتزح نيّه
والا القنينه يسنّد يم هكران
والا معيقل يحدّر للقويعيه

والرعن أيضاً جبل في شمال بلاد القصيم (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٦٠٧).

خنوقة: ومن المواقع المشهورة خَنُوْقَة جبل أشهب كبير، تعلو جانبه الغربي برقة -كثيب رمل أحمر- ويحف بجانبه الشرقي برقة بيضاء واسعةً تسمى أبرق خنوقة، وتسمى أيضاً برقة دفنان.

وللمتأخرين أحاديث وأخبار عن جنِّ خنوقة -الله أعلم بالصحيح منها- فيروى أن امرأتين من أهل الشعراء الذين كانوا يزرعون في روضة خنوقة ذهبتا ذات يوم إلى قرب الجبل بعد صلاة العصر لتجمعا حطباً، وعادتا بعد غروب الشمس وقد أصيبت إحداهما بجنون، فأخذت تتحدث أحاديث عرفوا أنها ليست من نوع أحاديثها التي يعرفونها، فأخذوا يقرؤون القرآن الكريم وينفثون عليها فخاطبهم الجنيّ الذي علق معها وقال: دعوني أعِش معها حتى أحصل على رغبتي فأتخلى عنها، فأنا لا أرغبها، وإنما رغبتي في رفيقتها التي كنت أتحين الفرص للتمكن منها، ولكني حينما طال الوقت ولم أتمكن منها علقت مع هذه أتمتع معها حتى تتاح لي فرصة في رفيقتها، وسألوه عن اسمه فأخبرهم به، وكان يملي



عليهم أخباره تحت ضغط القراءة، قالوا له: من أين أتيت مادامت لك بهما معرفة سابقة؟ فقال: أنا من جيرانكم، فقالوا: وهل يجاورنا أحد من الجنّ في هذا المكان؟ فقال نعم، تجاوركم أكبر بلدة من بلاد الجن في الأبرق، قالوا: وهل هم مسلمون؟ أم كفار، قال: بل مسلمون طيبون، قالوا: وهل لهم رئيس؟ قال: نعم، قالوا: وما اسم رئيسهم؟ قال: اسمه دفنان، وهو رئيس لثلاث مدن كبيرة من الجنّ. قالوا: أين مقره؟ قال: في برقة خنوقة، قالوا: وما هي المدن التابعة له، وأين مواقعها؟ قال: واحدة منها في أعلى وادي الجمّانية في النَّير، والثانية في أعلى وادي المسمَّى في الوشم، والعاصمة الكبرى، وفيها مقر دفنان في أبرق خنوقة، ومن ثم سُمي الأبرق أبرق دفنان، فقال القارئ: ولماذا تؤذينا وتعتدي على هذه المرأة الضعيفة وأنت من جيراننا المسلمين؟ عندئذ سكت. هبَّ القارئ، وقال أعطوني حذائي حتى أتخلص من هذا الخائن، فقال: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الأبرق –وكان الوقت ليلاً– لأشتكي أمرك إلى رئيسكم دفنان. فصرخ بهلع، وقال: أرجوك أرجوك، لا تذهب، ولا تخبره بأمري، وأنا تائب. وأعاهدك بالله أني لا أعود ولا أتعرض لها ولا لرفيقتها، ولا لغيرهما أبداً فهرب من حينه ولم يعد، وبرئت المرأة من حينها. والله أعلم.

وفي هذا الجبل، في جانبه الشمالي مما يلي بطن الوادي غار –في القسم الجنوبي من شهبا خنوقة– يعتقد فيه البدو فيما سبق عقائد باطلة، فيأتون إليه بمرضاهم ويضعونهم فيه، ويضعون حولهم الألبان والأطعمة والقرابين وقد زالت هذه العادات في العهد الحالي، فلم يبق لها أثر يذكر بين الناس (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٤٨٠–٤٨٢).

رضوى: من أشهر جبال القسم الغربي من شبه الجزيرة العربية. يطل على ينبع نخلها وبحرها، وهو ذو شعاب وأودية، وأوديته في قيقة على ساحل ينبع، وتتكون سلسلة جبال رضوى من الصخور البلورية التي ترجع إلى العصر الجيولوجي السحيق، وتبرز فوقها عدة قمم يصل ارتفاعها إلى ألفي متر ترتفع بوضع رأسي تقريباً. وتنمو على قممه نباتات طبيعية نامية منها العرعر، وتعيش على قممه مجموعة من الطيور منها الجداف المروحي والذبل والزرزور الأسود والدرسة والثمير وطيور الخرشنة الطويلة المنقار وأبلق الحداد.






جبل رُّمان

ويسكن سفوح رضوى قبائل جهينة الرحل المنتشرين بين المراعي (الخطيب ١٤١٣ : ١٧-١٨).

رَمَّان: جبال لطيء محفوفة بالرمل.

قال مزرد:

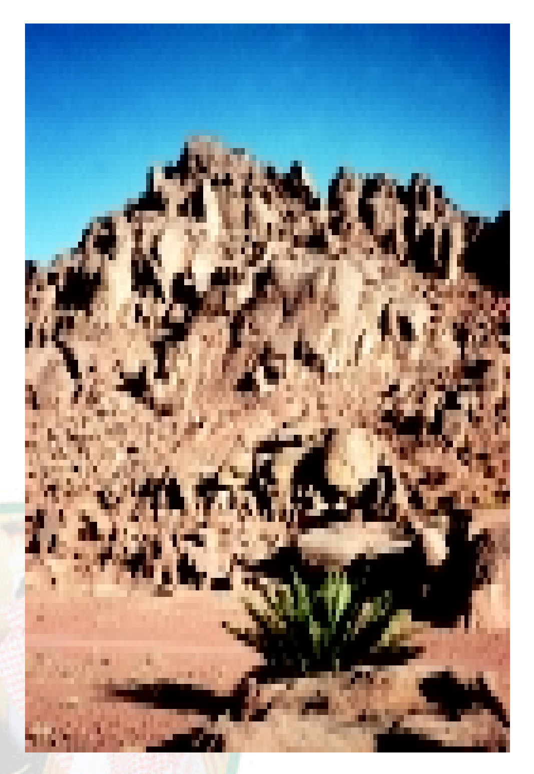
وأسحم ميال القرون كأنه
أساود رمَّان السِّباط الأطاول

وقال الأصمعي: إنما خص حيات رمّان لقربها من الريف، فإذا قربت من الريف طالت ولانت وقلَّ سمُّها. وفي رمّان قتلت طيءُ، قيسَ بن يربوع، كان قدم على أحد الملوك فقال الملك: لأضعن تاجي على أكرم العرب، فوضعه على رأس قيس وأعطاه. فلما عاد قيسٌ إلى بلده لقيته طيء برمان فقتلوه، ثم عرفوه بعد ذلك وذكروا أيادي كانت له عندهم، فندموا، ودفنوه وبنوا عليه بيتا. وفيه يقول طفيل الغنوي:

ومِن قيسٍ الثاوي برَمَّان بيته
ويوم حقيل فاد آخر معجب

وجبل رمان من أشهر جبال بلاد العرب وأكثرها ذكراً في الشعر العربي القديم. ويقع جبل رمان جنوب مدينة حائل على نحو ٩٠ كيلاً، ويمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي نحو ٤٠ كيلاً، ويبلغ عرضه من قرية المستجدة جنوباً إلى قرية المعترضة شمالاً نحو ٢٠ كيلاً، وتخترقه طرق للسيارات منها ريع





جانب من جبل سلمى – أحد جبلي طيء

البكر وريع المَنْصل وطرق للدواب، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيه ١١٠٠م تقريباً عن سطح البحر. وهو غرب سلمى وجنوب جبل حضن المتصل بجبل أجأ. وبقربه عدد من القرى، ففي غربه غضور والغزالة والمهاش وسراء؛ وفي شرقه العوشزية والعقيلات؛ وفي جنوبه المستجدة (الجاسر ١٣٩٧، ج٢: ٥٩٧-٦٠٠).

سلمى: أحد جبلي طيء وهما أجا وسلمى، وهو جبل وعر به واد يقال له رك، به نخل وآبار مطوية بالصخر طيبة الماء، والنخل عصب، والأرض رمل، بحافتيه جبلان أحمران يقال لهما حميّان والغداة وبأعلاه برقة يقال لها السراء. وأعلام سلمى ما برز من قمم جبالها – وهي الأعراف– وأنشدت جارية من طيء:

لَبرقٌ على سلمى وأعلامها العُلى
أقرُّ لعينيّ وأشفى لما بيا

وتبعد سلسة جبال سلمى عن مدينة حايل بنحو ٦٠ كيلاً وعرض السلسلة نحو ١٣ كيلاً من ريع الشِّراء إلى السفح الشرقي، وارتفاع أعلى قمة فيها تبلغ نحو ١٢٠٠م عن سطح البحر. ويتخلل السلسلة طرق تجتازها السيارات، منها: شرا المسعود وشرا الضرير وريع النعي في الشمال وريع تقريب في الجنوب، وفيها مسالك أخرى للدواب توصل إلى تلاع واسعة وأودية ذات نخل. ومن نبات جبل سلمى السُّواس وهو من العضاه شبيه بالمرخ وليس له شوك ولا ورق يقتدح بزنده ويطول في السماء ويستظل تحته، وقد تأكل أطراف عيدانه الإبل والغنم (الجاسر١٣٩٧، ج٢: ٦٨١-٦٨٢).

شدا الأسفل: جبل أقل من شدا الأعلى ارتفاعاً، ويفصل بينهما وادي الحُواء وهو من روافد وادي الأحسبة. ويقع هذا الجبل جنوب شدا الأعلى غربي بلدة المخواة بعشرة أكيال تقريباً. ولا




يوجد بهذا الجبل شيء من نباتات السراة كجبل شدا الأعلى، إلا أن به الموز والخوخ والبن والكادي والرياحين والشعير والذرة (الزهراني ١٤٠١: ١٣٢-١٣٤).

قال أبو معلي الأحول وهو سجين بمكة:

ارقت لبرق دونه شدوان
يمانٍ وأهْوَى برق كل يماني

شدا الأعلى: جبل عظيم تزرع فيه الحنطة والشعير إضافة إلى البن والموز والخوخ والرمان والتفاح والبرتقال، إلى جانب نبات أشجار العرعر والزيتون والحناء وأنواع الرياحين. ويقع جنوب بلدة قلوة بتهامة ويبعد عنها بحوالي خمسة عشر كيلاً وهو لغامد وزهران. وبأعلى هذا الجبل من جهته الشرقية قمة تسمى قمة المصلّى، وهي حجر مثلث الشكل تحمله ثلاثة أحجار كبيرة كالأثافي وهو باتجاه القبلة ويتسع لإمام ومأمومين اثنين يسمونه مصلى إبراهيم. ولا يستطيع الوقوف عليه والصلاة فوقه إلا من كان متعوداً، أما من يصل إليه لأول مرة فيكون من الصعب عليه ذلك. وقد أخبر بعض كبار السن من قرية الكبسة الغامدية الواقعة غربي هذه القمة، والتي تبعد عنها طلوعاً بثلاث ساعات، أن هذا المصلى الحجري كان يفد إليه يمنيون لا يمرون بالقرى، بل يتجهون إليه ويبقون عنده أياماً ويعودون إلى بلادهم، وهم يدعون أن إبراهيم بن الأبلج كان يصلي فيه (الزهراني ١٤٠١: ١٣٢-١٣٣).

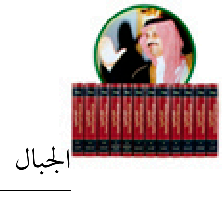
شُمرُخ: جبل يقع شمال شرقي وادي سبيحة بسراة زهران بحوالي أربعة أكيال ويمر طريق الطائف-الجنوب بهذا الجبل، وهو من أصعب ما يمر به المسافر من الطائف إلى الباحة (الزهراني ١٤٠١: ١٣٨).

قطن وطمية: يقع قطَن في غرب القصيم على بعد حوالي ١٧٠ كيلاً من مدينة بريدة يراه المسافر من القصيم إلى المدينة المنورة على يمينه قبل أن يصل إلى عقلة الصقور. وهو جبل أحمر شديد الحمرة حتى إن بعض الأعراب يسمونه الجبل الجديد، لأنه يبدو للناظر أحمر كأنما خرج من معمل أو تشبيهاً له بالثوب الجديد الأحمر. وكان مشهوراً في القديم حتى قال فيه الجاحظ: إنه جبل معروف. وقال ابن اسحاق: قطن: ماء من مياه بني أسد بنجد، بعث إليه رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبدالأسد في سريَّة، فقتل فيه مسعود بن عروة. وهذا صحيح لأن في جبل قطن ماءً بل مياهاً كثيرة، ويطلق الاسم على الجبل والماء.



وبقطن كان يوم من أيام العرب في الجاهلية من الأيام التي نتجت عن حرب داحس والغبراء. لخص ابن عبد ربه حديث يوم قطن بقوله: وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تَيْحان أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم، وكان عنترة بن شدّاد قتله بذي المريقب، فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبدالله بن غطفان، فقالوا: لا نُصَالحكم ما بَلَّ البحر صوفة، وقد غدرتم بنا غير مرة، وتناهض القوم عبس وذبيان، فالتقوا بقطن فقتل يومئذ عمرو بن الأسلع عيينةَ، ثم سفرت السفراء بينهم، وأتى خارجة بن سنان أبا تَيْحان بابنه فدفعه إليه، فقال: في هذا وفاء من ابنك! فأخذه فكان عنده أياماً، ثم حمل خارجة لأبي تَيْحان مائة بعير قادها إليه. واصطلحوا وتعاقدوا، قال أبو عبيدة: فاصطلح الحيان إلا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فإنهم أبوا ذلك وقالوا: لا نرضى حتى يودوا قتلانا، أو يهدر دم من قتلهم، فخرجوا من قطن.

ونظراً إلى أن قطناً جبل أحمر جميل المنظر، جعله الأعراب المحدثون معشوقاً لهضبة طَمِيَّة الحمراء التي تُجاوره من جهة الغرب يفصل بينهما حوالي ستين كيلاً، وهي تقع فوقه مناوحة له يراهما معاً مَنْ يكون في عقلة الصقور وهما ظاهران له متناوحان (العبودي ١٩٧٩: ٢٠٧٤-٢٠٧٥). يقول الأعراب: إن طمية كانت قد تزوجت عكاش الجبل الأسود الذي يقيم بجانبها حيث أتت إليه على ما يزعم الأعراب من جنوب غرب حرة كشب حيث يوجد هناك فوهة مقلع طمية يزيد عمقها على ٢٠٠م واتساعها على ٣كم، غير أن لونه الأسود لم يعجبها فكانت ترى قَطَناً أحمر اللون، مشرق الطلعة، لا سيما إذا رأته ينعكس البرق على صفحة وجهه فهجرت زوجها عكاشاً المسكين، ونادت بقلبها قطناً فاستجاب لندائها العاطفي، وتناول الرُّحَيْل وهو جبيل صغير بقربه ووضعه على البكرة وهي إحدى هضابه، أي هضاب قطن، سميت بهذا الاسم بعد هذه الحادثة -كما يزعمون- وسار إليها فقضى كل منهما من صاحبه وطرا، إلاَّ أن الخرافة لم تذكر أن هذا الحب أثمر أولاداً، وإنما كانت ذكرت أن زواج طمية بعكاش قد أثمر ولدين صغيرين هما اللذان يسميان ديمات بالجمع بمعنى ديمين بالتثنية أو ديم بالإفراد. أما عكاش زوج طمية فإنه وهو ينظر إلى حليلته تتبادل العبارات التي يستحيا منها مع غريم له أكثر شباباً، وأنضر جلداً فإنه كاد يتقطع





مقلع طمية

من الغيظ، وقد ازداد وجهه الأسود لهذا السبب سواداً على سواد.

هذه هي الخرافة أو هذه إشارة إليها. ولها أصل قديم فيما يتعلق بطمية وعشقها عند الأعراب المتقدمين فقد ذكروا أن عكاشاً تزوجها، وكما قال شاعرهم:

تزوَّج عَكَّاشٌ طمية بعدما
تأيَّم عَكَّاش وكاد يشيب

أما جبل طِمِيَّة، بكسر الطاء فميم مكسورة أيضاً فياء مشددة مفتوحة فهاء، فهو جبل أحمر مشهور في القديم والحديث، في أعلاه حجارة صفراء، وعر الأعلى ولذلك تتربى فيه الصقور، ويقصدها الأعراب ليجلبوها منه، ويرى المرء الآن على البعد آثار ذرق الطير في أعاليه بيضاء واضحة. ويقع جبل طمية في أقصى الغرب لمنطقة القصيم، على بعد حوالي مائتين وثلاثين كيلاً من مدينة بريدة. تشاهده وأنت في عقلة الصقور، ثم يماشيك إذا كنت متجهاً إلى المدينة المنورة مع الخط الإسفلتي الذاهب إليها من القصيم لمسافة تزيد على خمسين كيلاً. ويبعد عن بلدة عقلة الصقور نفسها اثنين وثلاثين كيلاً (العبودي ١٩٧٩ : ١٤٩٢). وتسمية طمية قديمة لم يتغير من النطق بها شيء



ماعدا الطاء إذ كانت ينطق بها في القديم بالفتح.

قال ياقوت: طَمِيَّة: بفتح أوله وكسر ثانيه، وياء مشددة كياء النسبة. ولكون جبل طمية يرى على البعد قالت العامة من أهل تلك البلاد في أمثالها «كل جبل تمسِّيه المطيه، إلا ساق وطميه» أي كل جبل إذا رأيته في النهار تصله وأنت راكب المطية قبل المساء ما عدا جبل ساق وجبل طمية، لارتفاع موقعهما وكونهما يريان على البعد (العبودي ١٩٧٩: ١٤٩٥-١٤٩٦).

أما الأعراب المحدثون فإنهم يروون قصة زواج عكاش بطمية ويدللون على ذلك بحفرة كبيرة قرب كشب يقولون لها مقلع طمية، وهو مكان منخفض كأنه بقايا جبل انتزع ويرددون العديد من الأشعار، منها قولهم:

الهوى من قبلنا شدّد طميّه

ضلعةٍ في كشب شدّت يم ابان

وتروى القصة كما يلي: كانت طميَّة تسكن الحرَّة قرب خيبر فلما أضاء البرق مرة رأت جبل قطن على البعد فعشقته، وجاءت إليه لتتزوج به، غير أنها رأت عكاشاً في مكانه هذا من الطريق فهويته وتزوجت به، واستبدلته بقطن: فأثمر زواجهما ولداً مثلهما وكان جبلاً صغيراً اسمه ديم يقع إلى الشمال منهما. وعَكَّاش معروف بهذا الاسم قديماً، قال ياقوت: عُكَّاش، بضم أوله، وتشديد ثانيه، وآخره شين معجمة: جبل يناوح طَمِيَّة، ومن خرافاتهم عن عكاش، زوج طمية كما نقل ياقوت عن أبي عبدالله السكوني قوله: إذا خرجت من الحاجز تقصد مكة تنظر إلى طمية وهو جبل بنجد، شرقي الطريق، وإلى عُكَّاش، وهو جبل تقول العرب إنه زوج طمية سمكها واحد، وهما يتناوحان. على أن قلب طمية -فيما يزعم الأعراب المحدثون- ليس ثابت الودَّ، فقد تحول عن حب عكاش إلى حب قطن ذلك الجبل الأحمر الجميل، فاستجاب قطن لندائها العاطفي وركب بكرته وتزوجها، وهجرت بذلك عكاشاً هذا الجبل الآدم الشديد السمرة.

النير: تبرز جبال النير على طريق الحجاز إلى الجنوب من القاعية. وتتكون هذه الجبال من صخور تكوين مردمة. وهو تكوين يتألف من صخور الشيست والأردواز، ولما كان لون الأردواز أسود فقد ظهرت هذه الجبال سوداء فاحمة اللون. وقد برزت نتيجة لصلابة صخورها ومقاومتها للتعرية إذا ما قورنت بالصخور الأقل صلابة المحيطة بها. ويقول الهجري: ومن النير تخرج سيول التسرير وسيول نضاد وذي




غثث في واد يقال له ذو بحار، حتى يأخذ بين الضلعين: ضلع بني مالك، وضلع بني شيصبان، فإذا خرج من الضِّلعين كان اسمه التسرير. وفيه يقول الشاعر الشَّعبي باني الباني أمير قرية مسكة:

تقاضبَوْا منْ خَشِمْ كَبْشَهْ إلى النِّيْر
وبُيوتُهمْ يَمَّ الحَنَابجْ تبنَّا
تجيكْ غِزْوانٍ سوَاة المِظَاهِير
يَبُون زاد القَصْر والعِلْم منَّا

ويقول عسكر الغنامي الروقي من عتيبة:

تَجْهَزْ دمُوعي، يَوْمْ قَفَّوا ربُوعي
تَجْهَز دمُوعِي، يَا اللّهْ اليَوْم خيْرَهْ
شَدَّوْا من الخوَّارْ، تبلِيْج الانْوارْ
حَزَّة غَناني الطار، حَزَّة مطيْرَهْ
عَنِّي تَنَصَّى النِّيْر، قود المظَاهِيْر
سَيَّرتهم تَسييْر، ولهُمْ جَرَيْرَهْ

ويقول سعد بن جريس من أهل الشعراء:

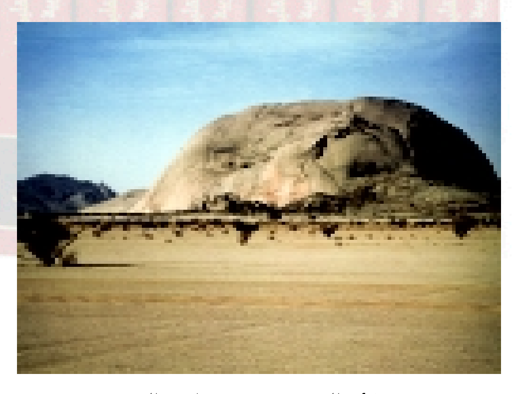
البَارحَهْ بالَّليل لَيْلي تَخَافِيقْ
جَا الصِّبْح مَا والله تَهَنَّيت برقَادْ
يَاعَيْن يالِّلي تَسْبِر الرِّيْع وتْويق
أبي عسَى سلم المناهِيْج ينْقَادْ
الله علَى ما يِمرِق الخَدِّ تمْرِيْقْ
له بَين كَبْشَه وايْسَر النِّير مِجْلاَدْ
مَا عَادْ أبي دَار بهَا خَاطِرْي ضَيَقْ
مَا عَادْ لي فيها رِيَاضَهْ ومِقْعَادْ





الهضاب والحرّات

الهضاب جمع هضبة، وهي قمة جبلية منفردة، وقد تكون ذات رؤوس متعددة ومناكب عالية، وتطلق هذه التسمية بصفة أكثر على التكوينات الجبلية ذات اللون الأحمر أو البني، وبعضها عال ممتنع الجوانب وتصغيرها هضيبة. وورد تعريف الهضبة في اللسان بأنها كل جبل خلق من صخرة واحدة وقيل كل صخرة راسية وضخمة فهي هضبة، وقيل الهضبة الجبل المنبسط، وقيل هو الجبل المنيع المنفرد وأنها لا تكون إلا في حمر الجبال والجمع هضاب وهُضُبٌ وهِضبٌ. ومفهوم الهضب يختلف عن مفهوم الهَضَبَة فالهضب واسع كهضب الدواسر وهضب الدخول يغطي مساحة واسعة بها هضاب وأودية وجبال سود، أما هَضَبَة كما في جبلة أو تيما فهي تكوين جبلي مفرد وهو صخور حمر ومسايل مائية وملازم للماء وأشجار، وقد تطلق الهضبة أيضاً على الهضاب الواسعة كهضبة نجد وركبة والحجاز.



هضبة أم الدّروع في مجامع الهضب

الهضاب الغربية

تمتد الهضاب الغربية في المملكة على امتداد جبال الحجاز من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وهي مجاورة لهذه الجبال محاذية لها من الشرق. ويتراوح ارتفاعها بين ٧٠٠ و١٦٠٠م فوق مستوى سطح البحر.



وكما هو الحال في المرتفعات الغربية يقل ارتفاع هذه الهضاب أيضاً من الجنوب إلى الشمال. وسوف نستعرض هذه الهضاب متجهين من الجنوب للشمال:

هضبة شرقي السروات. تشمل هذه الهضبة المناطق الممتدة من الحدود اليمنية-السعودية جنوباً حتى مدينة الطائف شمالاً. وينحدر سطحها غالباً في اتجاهين، أولهما نحو الشرق والشمال الشرقي، وثانيهما نحو الشمال. ويتراوح منسوب الانحدار في الاتجاهين من ١٧٠٠م إلى ١٤٠٠م، ومن ١٧٠٠م إلى ١٢٠٠م على التوالي. وتضم هذه الهضبة ما يعرف بهضبة نجران وهضبة عسير اللتين تشكلان في الحقيقة هضبة واحدة؛ إذ تمثل هضبة نجران امتداداً جنوبياً شرقياً لهضبة السروات.

وتتكون هضبة السروات من صخور عصر ما قبل الكامبري النارية والمتحولة التي تنتمي إليها جبال السروات. أما القسم الشمالي منها فيتغطى بأغشية البازلت التي تكوّن حرة البُقُوم والنواصِف، بينما تحدها من الشرق التكوينات الرسوبية التي تمثلها حافة جبل طويق التي تنحرف كثيراً نحو الغرب في هذه المنطقة. ويقطع سطح الهضبة عدد من الأودية يتجه بعضها نحو الشرق والبعض الآخر نحو الشمال والشمال الشرقي، وذلك حسب الانحدارات العامة لسطح الهضبة. ويمتد القسم الجنوبي من هذه الهضبة في أقصى الجنوب الشرقي منها، ويحده من الغرب جبال السروات، بينما يحده من الشرق هضبة الوَجيد المكونة من الحجر الرملي.

ويقطع كل من وادي نجران ووادي حبونا سطح الهضبة بشدة في الجنوب، مما أكسب الهضبة صفة التضرس الحاد وأدى إلى تشكل كثير من الخوانق. ويتجه الواديان شرقاً متوازيين حيث ينتهيان في عروق السُيُول وعروق المُندَفِن على التوالي. وتصرف هذه الأودية مياه أمطار السفوح الشرقية لجبال سراة وادِعَة. وعلى الرغم من وقوع هذا القسم من الهضبة في ظل المطر مما قلل من فرص سقوط أمطار غزيرة عليها (نجران ٦٥ملم، والمعدل العام للمنطقة ١٠٠ملم)، إلا أن وقوع المجاري العليا لأودية نجران وحبونا في قمة السراة أدى إلى وفرة مياه السيول والمياه الجوفية في بطن ذينك الواديين مما سمح بقيام حياة بشرية مستقرة، وتمثل مدينة نجران أهم المراكز العمرانية في هذا القسم من الهضبة.

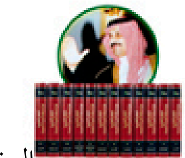
أما القسم الشمالي للهضبة فتقطعه من الجنوب إلى الشمال أودية تَثْليث



وبيشَة ورَنْيَة وتَربَة. وهي تتجه جميعاً من الجنوب إلى الشمال قبل أن تنحرف نحو الشمال الشرقي. ومن ثم قطعت هذه الأودية هذا القسم من الهضبة إلى ثلاثة أقسام طولية تمتد مع امتداد هذه الأودية، وقد أدى تعمق هذه الأودية في سطح الهضبة إلى بروز جبال هامة في مناطق تقسيم المياه وأهمها جبال القَهْر (١٦٠٠م) الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة تثليث. وعدد آخر من الجبال إلى الجنوب الغربي منها. وتصرف هذه الأودية مياه أمطار السفوح الشرقية لجبال السروات من ارتفاعات تزيد عن ١٨٠٠م مما جعلها غنية بالمياه الجوفية. وأدى ذلك إلى قيام مدن عديدة في الأحواض الدنيا لهذه الأودية، من أهمها من الجنوب إلى الشمال: تَثْليث وبيشَة ورَنْيَة وتَربَة والخُرْمَة.

ومع أن هذه المدن قد قامت في مناطق صحراوية من مناخ الهضبة (تثليث ٨٢ملم، بيشة ١٤٧ملم، تربة ١٢٢ملم)، إلا أن مصادر المياه في بطون الأودية كان لها الأثر الأكبر في قيامها، ومع أن الأمطار تزيد في اتجاه الغرب ويزداد لذلك الغطاء النباتي غنىً في الاتجاه نفسه، إلا أن السمة الصحراوية تغلب على جميع أقسام الهضبة حيث ترتفع درجات الحرارة ويزيد معدل البخر. ومن الممكن رؤية التغير في البيئة الطبيعية بالعين المجردة بين جبال الحجاز (السروات) في الغرب، وأطراف الهضبة في الشرق.

هضبة سهل ركبة. لا تنطبق تسمية سهل ركبة بالمفهوم الشكلي على مصطلح سهل إلا من حيث استواء سطحه وامتداده الشاسع فقط، فهو، وإن استوى سطحه، يظل هضبة مرتفعة أكثر من ١٠٠٠م عن سطح البحر، ويزيد ارتفاعها في أطرافها الغربية إلى أكثر من ١٣٠٠م عند بلدة الحَوِيَّة قرب الطائف. وتنحدر تدريجياً نحو الشمال الشرقي إلا أنها تبقى شبه مستوية في المسافة بين جنوب حرة كُشُب وعَفِيفْ، حيث تتلاقى مع القسم الغربي لهضبة نجد على أن حدود هذه الهضبة عند البادية تختلف عن هذا التحديد. فيحدها عندهم من الغرب والجنوب الغربي جبال الطائف ومن الجنوب الشرقي الغربان والعقيلا والمرة ومن الشرق جبل حضن وتمتد إلى الشمال الشرقي حيث يحدها خشم الثلو وبرق الرحى ثم محازة الصيد ويحدها من الشمال حرة كشب ثم امتداد وادي العقيق إلى أن يصل إلى حرة عشيرة. ويسمون المنطقة بين كشب وعفيف شفا نجد، وفيه يقول الشاعر الشعبي:



وضحاً بها جرسان
ما سوّقت بين شرايه
تاصل ليا سقوا وعروان
ما كب ضلع الشفا جابه

وقال الشاعر الشعبي عبدالله بن سبيل:

حَرايرْ اصْل جدودهن كاملات
لهن في غربي شفا نجد مسكان

وسطح الهضبة رواسب رملية وحصوية خشنة منقولة من مسافات قصيرة، ومختلطة مع فتات متنوع من الصخور النارية من العصر قبل الكامبري تغطي سطحاً صخرياً مستوياً من المرجّح أنه سطح تعرية قديم كشفته عمليات التعرية، ثم غطته الرواسب الحالية المفككة كما غطته أغشية بازلتية في قسمه الغربي في حرة كشب وحرة حَضِن.

وتحيط المرتفعات بهضبة سهل رُكْبَة من جميع الاتجاهات. واذا اعتبرنا أن خط المنسوب ١٠٠٠م يمثل الحدود الشمالية والجنوبية والشرقية لهذه الهضبة، فيعني ذلك امتدادها شمالاً وجنوباً لأكثر من ٢٠٠ كيل، وإلى أكثر من ٤٠٠ كيل نحو الشمال الشرقي. وفي وسط ركبة جبل البرث، وهو بركان في الأساس. والبرث ضليع صغير حائز وسط الصحراء هش الداخل أو خليط من الرمل والحصى. ويكاد لايخلو سهل ركبة أو امتداداته من بعض الهضاب الصغيرة أو البُرُق كما في الرَّحا (وقد تذكر بصيغة الجمع، فيقال الرّحي) بُرق كبيرة متصل بعضها ببعض، تكتنف نتوءات صخرية، تقع غرباً جنوبياً من قرية المحازة (المويه الجديدة) على يسار الطريق المسفلت المتجه صوب الطائف (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٥٩٧-٥٩٨).

قال محمد بن بليهد: إذا خرجت من وادي قطان فالتفت صوب شمالك ترى كُشُباً وحراره، وإذا التفت عن يمينك رأيت أبارق وأكيمات وجبيلات صغاراً يقال لتلك الناحية الرَّحَى وهذا اسمها الجاهلي، وهي باقية عليه إلى هذا العهد، قال حميد بن ثور:

وكنت رفعت الصوت بالأمس رفعة
بجنب الرّحى لما اتلأَبَّ كؤودها

ويشكل مجرى وادي العقيق، الذي يجري في أقصى غرب الهضبة، الحدود الغربية لها حيث يفصلها عن حرة رُهَاط. وقد نجم عن استواء سطح هضبة سهل ركبة وتغطيتها بالرواسب الخشنة أن تلاشى الجريان السطحي فيها. وباستثناء وادي العقيق الذي يحدها غرباً، تكاد تخلو من أية أودية واضحة المعالم. ونظراً لموقع الهضبة في ظل المطر فقد اتسمت



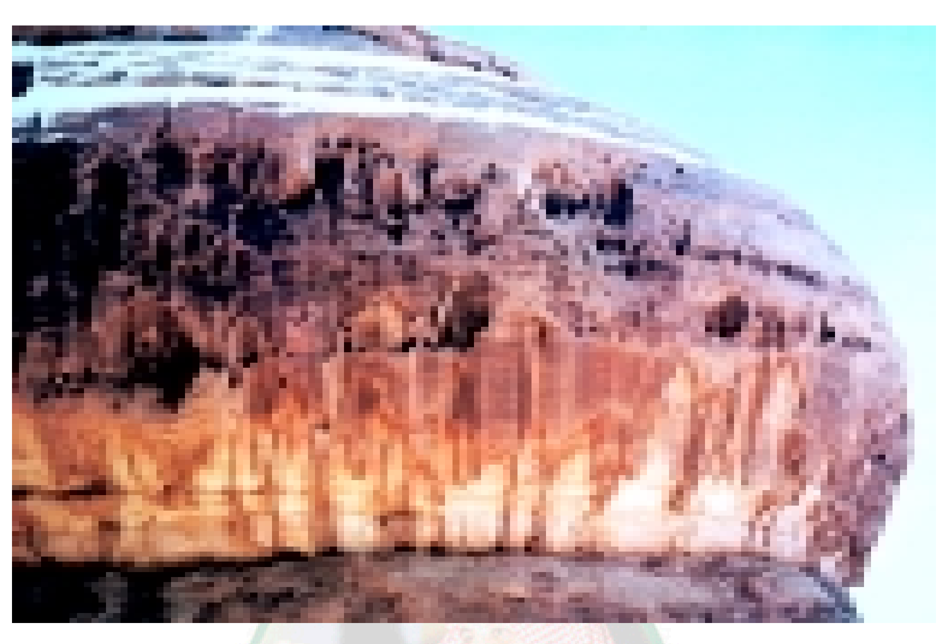
بالجفاف الواضح، وقلت فيها المظاهر النباتية. وفي حالة سقوط الأمطار النادرة سرعان ما تتسرب خلال الرواسب الخشنة أو تتبخر نتيجة للحرارة. وقد قللت هذه الظروف البيئية الفقيرة من فرص نمو مراكز عمرانية هامة. وتتمثل أهم المراكز ببعض القرى والبلدان (المُوَيْه، ظَلْم) التي تعتبر محطات على الطرق أكثر منها مدناً حقيقية. ونظراً لقلة فرص الاستغلال الزراعي أو انعدامه غلب طابع البداوة على معظم نواحي هذه الهضبة.

هضبة الحجاز. وتقع إلى الشمال الغربي من هضبة سهل ركبة، وتمتد من حرة خيبر جنوباً حتى هضبة حِسْمَى في الشمال الغربي منها. أما من الغرب فتحدها حرتا الرحا والعويْرِض. كما تلتقي في الشرق رمال النفود الكبير. ويتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠م في الشرق و١٠٠٠م في الغرب، وينحدر سطحها بشكل عام من الجنوب إلى الشمال والشمال الشرقي، وهو ما يلاحظ في اتجاه الأودية التي اتخذت الاتجاه نفسه. ويسمى القسم الشمالي من هذه الهضبة المَحَجَّة، بينما يسمى القسم الجنوبي جَهَارَة.

وتتكون هضبة الحجاز من صخور الحجر الرملي الباليوزوي (الزمن الأول الجيولوجي) الذي يغطي صخور الدرع العربي بسطح نحتي عديم التوافق. ومن أهم مظاهر السطح في منطقة جهارة منطقة حوضية مغلقة تشكلَ فيها قاعٌ يطلق عليه وادي القَاع، وينتهي إليه عدة روافد من جميع الاتجاهات، باستثناء الاتجاه الشمالي الغربي. ومن المحتمل أن يكون القاع قد نشأ نتيجة هبوط في طبقات الحجر الرملي سببته بعض الانكسارات، وتغطي سطحه حالياً رواسب بلايستوسينية من الحصى والرمل والطين.

أما القسم الشمالي من الهضبة (المحجة) فتغطيه طبقات تكوين تبوك، من حجر رملي وحجر طيني وصلصال. ونتيجة لذلك زادت كثافة التصريف المائي في هذه المنطقة، حيث تمنع تكوينات الحجر الطيني والصلصال التسرب وزيادة الجريان. ويتضح هذا الأمر من خلال عدد كبير من الأودية التي حددت سطح هذا القسم من الهضبة، على العكس من القسم الجنوبي الذي تقل فيه كثافة شبكة التصريف المائي في عدد قليل من الروافد القصيرة التي تصب في القاع. ومن أهم الأودية في القسم الشمالي وادي نيال في الشرق، الذي يمر من قرية العَسَّافِيَة وينتهي في النفود الكبير، ووادي فَجْر في الشمال، الذي يمر من قرية القليبة





الصخور الرملية شمال مدينة العلا وعليها آثار التعرية

وينتهي في النفود أيضاً، ووادي سَبَأ في الغرب مجاوراً لحرة الرحا ومارا بقلعة المعظم وقرية السعد.

وتقل الأمطار في الهضبة كلها قلة ملحوظة حيث لا يزيد معدل الأمطار في تَيْماء والعُلا عن ٤٤ و٥٣ملم على التوالي، مما أعطى لهذه المنطقة صفة الصحراء القاحلة، وقلل من فرص الاستقرار فيها. وباستثناء مدينتي تيماء والعلا اللتين تعتبران محطتين على طريق الشام فإن حياة البداوة تسود شتى أنحاء الهضبة.

هضبة حِسْمَى. تقع إلى الشمال الغربي من هضبة الحجاز (في شمال غرب المملكة)، وتمتد من أطراف جبال مَدْيَن في الغرب حتى التقائها بأطراف حرة الحَرَّة في الشرق. أما في الشمال فتستمر داخل الأراضي الأردنية. ويبلغ متوسط ارتفاع الهضبة ١٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر، تزيد قليلاً في وسط الهضبة إلى الشرق من مدينة تبوك في منطقة الطبيق، بينما ينخفض سطحها عند مدينة تبوك حيث تشكل بالقرب منها منخفضاً داخلياً يصب فيه وادي الأخضر. وفيما عدا ذلك فإن سطح الهضبة شديد الاستواء، شأنه في ذلك شأن سطوح هضاب الحجاز وسهل ركبة. ويتكون سطح الهضبة من صخور الحجر الرملي الباليوزوي التي يمثلها

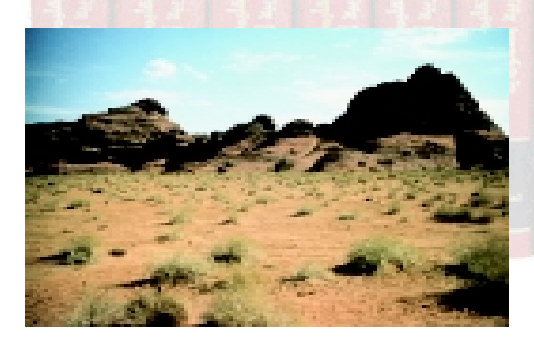




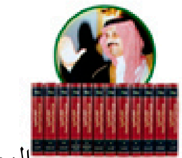
ملتقى الحجر الرملي بهضبة حسمى

هنا تكوين تبوك. وتكثر الانكسارات الموازية للبحر الأحمر، خاصة بالقرب من تبوك، وتزداد كلما اتجهنا غرباً. وفي القسم الغربي منها كثير من الأشكال الطبيعية وتفصل فيما بينها مساحات مستوية مغطاة بالرمال غالباً تميزها عن باقي مناطق الهضبة. كما تغطي الرمال سفوح هذه الأشكال، وفي الوقت نفسه لا توجد مظاهر للجريان السطحي، فالأودية لا تبدأ بالظهور الفعلي إلا في أقصى الغرب على طريق تبوك-ضبا حيث الحافة الغربية للهضبة. ويمكن تسمية هذه المنطقة من الهضبة التي تمتد من ١٠-٨٠كم غرب تبوك باسم إقليم أشكال الحجر الرملي،

ويمكن تفسير الوضع الحالي لهذا الإقليم بأنه موروث عن فترة مناخية سابقة أكثر مطراً من العصر الحاضر، حيث يقل فيه معدل الأمطار عن ٥٨ملم في تبوك. وتشير الأدلة المأخوذة من المنطقة على سيادة عمليات التعرية الريحية حيث تقوم الرياح



المساحات المستوية المغطاة بالرمال في هضبة حسمى



بتعديل طفيف لأشكال الأرض في الوقت الحاضر. ولا بد من الإشارة إلى أن انعدام الجريان السطحي في هذا الإقليم لايفسره ندرة الأمطار الساقطة فحسب، وإنما بشكل أكبر النفاذية العالية للرواسب الرملية الريحية والحجر الرملي.

وباستثناء مدينة تبوك، التي أصبحت أكثر ازدهاراً في الوقت الحاضر، فإن أهم قرى المنطقة هي بئر ابن هِرْمَاس وحَالة عَمَّار، وهما على طريق الشام، وقرية مَغيْرَاء في الشرق. وقد سادت نتيجة للظروف المناخية الصعبة وشح المياه حياة البداوة على كامل الهضبة، الا أن اكتشاف المياه الجوفية بغزارة في المنطقة سمح بقيام حياة زراعية على نطاق واسع. فانتشرت المزارع الواسعة الحديثة في مساحات شاسعة إلى الشمال والجنوب من تبوك، وهي تصدر منتجاتها إلى معظم مناطق المملكة.

ولحسمى شهرة كبيرة في الأدب العربي. وصفها الجوهري بقوله «إنها أرض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القَتَام يفارقها». وذكر ياقوت أن حسمى «يعرفها من رآها من حيث رآها لأنه لا مثيل لها في الدنيا». ثم إن ثلاثاً من الطرق القديمة كانت تمر من خلالها وبالقرب منها، فالأولى طريق الساحل التي تمر بمحاذاة البحر الأحمر ثم تمر خلال وادي الجَزْل؛ والطريق الثانية هي طريق معان وتبوك ثم مدائن صالح؛ وأما الثالثة فتأخذ من الأزرق على تَيْماء.

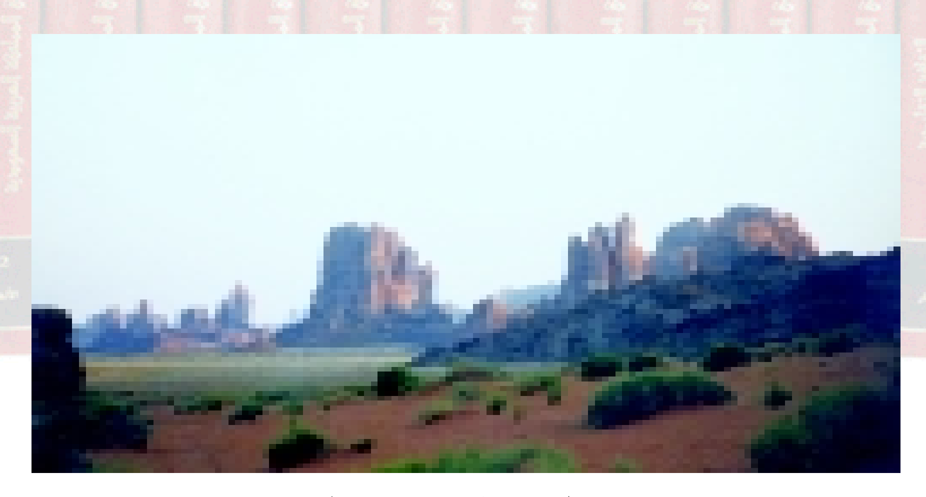
وقد حدد ياقوت أرض حسمى بقوله: إنها أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبوك يرون جبل حسْمَى في غربيهم، وفي شرقيهم شَرَورى. وحِسْمى أرض غليظة وماؤها كذلك، لا خير فيها، تنزلها جُذَام. قال كُثَيِّر:

سيأتي أمير المؤمنين ودونه
جماهير حِسْمَى قُورُها وحُزُونها

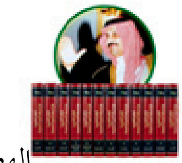
وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق قال ياقوت: حِسْمى أرض طيبة تؤدي أثر النملة من لينها. وتنبت جميع النبات، مملوءة جبالاً متناوحة في كبد السماء ملْس الجوانب، إذا أراد الناظر النظر إلى قلة أحدها فَتَل عنقه حتى يراها بشدة، ومنها ما لا يقدر أحد أن يراه ولا يصعده، وهي مسيرة ثلاثة أيام في يومين، ومن جبال حسمى جبل يعرف بإرم عظيم العلو، تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً.



وواضح من نصي الجوهري وياقوت أن الفرق بين هذا الإقليم وإقليمي الحجر الرملي السابقين هو في علو جبال حسمى التي لا يرى الناظر قممها إلا بصعوبة بالغة، وأورد ياقوت مثالاً لتلك الجبال، وهو جبل إرم (رَمّ)، وهو من أعلى جبال حسمى، إذ يبلغ ارتفاعه حوالي ١٧٥٤م ويقع عند التقاء خط الطول ٣٥ْ ٢٥َ شرقاً و٢٩ْ ٣٠َ ودائرة العرض ٢٩ْ ٣٠َ شمالاً تقريباً. وتسمح الظروف المناخية الحالية بنمو الكروم والصنوبر فوق جبل إرَم ولكن لا تشاهد هذه الأشجار الآن (موسل ١٩٥٢ : ١٣٩). وجبل إرم أو رَمّ، كما يطلق عليه في الوقت الحاضر، من المشاهد السياحية الرائعة لتخالف ألوانه وغرابة مظهره. ويرجع التقطيع الشديد لسطح حسمى وقورها إلى ثلاثة عوامل، هي: الصدوع الكثيرة المنتشرة في الجزء الشمالي من الإقليم. ومن أمثلتها ذلك الصدع الحديث الممتد غربي كتلة جبل رم، الذي يسير فيه وادي رُمَّان الآن حتى يصب في قاع أم سَلْب. أما العامل الثاني فهو النحت المائي، إذ استقطبت القيعان المنتشرة في هذه المنطقة مجموعة من الأودية من مختلف الاتجاهات. وساعدت الفوالق والفواصل المنتشرة فوق أسطح هذه الصخور على تسهيل مهمة المياه في النحت فوسعتها وأبعدت حوائطها. والعامل الثالث هو الرياح التي تتغلغل خلال الصخور في عملياتها الحتّيّة على أكمل وجه؛ إذ تغطي سُحب الغبار المنطقة حتى يصعب



سطح هضبة حسمى وقورها



معها الرؤية لمسافة قريبة. كما أن سافي الرمال وهو ناتج ذلك التحات والتآكل يشاهد بوضوح أينما اتجهت. وقد أشار النابغة الذبياني إلى سُحب الغبار التي تغطي جبال حسمى بقوله:

وأصْبَح عَاقِلا بِجبال حِسْمَى
دقَاقُ التُّرْبِ مُحْتَزِمَ القَتَام

والقَتَم والقَتَام كما جاء في لسان العرب هو الغُبار، وقد قَتَم يَقْتَمُ قُتوما إذا ضرب إلى السواد، وكذلك إذا كانت فيه غُبرة وحُمرة فهو قَاتِم وفيه قُتْمة. والقَتَم ريح ذات غُبار كريهة.

هضبة عالية نجد. النجد ما أشرف من الأرض وارتفع واستوى وصلب وغلظ، ولا يكون النجاد إلا قفّاً أو صلابة من الأرض في ارتفاع. ونجد فيما تعارف عليه سكانه يعني البلاد الممتدة من نفود الدهناء غرباً إلى أطراف جبال الحجاز الشرقية، ومن ناحية الشمال يبدأ من النفود الكبير ويمتد صوب الجنوب إلى نهاية هضب الدواسر. وقد درجوا على تقسيمه إلى قسمين جغرافيين وفقاً لطبيعته: قسم غربي، يقولون له الديرة العلوّة ويقولون لمن يذهب إليه سنَّد فهو مسنِّد أي مصعد ويقصدون أنه يسير في أرض سند، وقال الشاعر:

ياصاحبي سنّد وانا رحت شام
وعلمي بهم يوم اخضر العود لحّا

ويسمون الأرض المرتفعة سنْدَى يقول الشاعر الشعبي عبدالله بن سبيل:

سَيل النَّحا ما يتبع إلا مجاريه
والى عطى السندى يكود عليانه

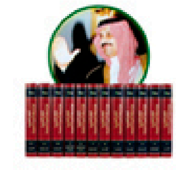
وتجمع على سنادي. ويقول شاعر آخر:

لا تعترضني ياالجحش يادغيمان
والله لاعرِّضك الوعر والسنادي

وقسم شرقي، يقولون له الديرة الحدرية أو السفلى ويقولون لمن يسير باتجاه شرقي أو شرقي شمالي محدِّر لأنه يسير في سهول منحدرة.

وعرب نجد من حضر وبدو يدركون ببديهتهم أن هذه البلاد تنحدر تدريجياً من الغرب إلى الشرق الشمالي، ويدركون مدى ارتفاع قسمها الغربي وانخفاض قسمها الشرقي. يقول عبدالله بن سبيل يصف رحيل البدو من منزلهم في نفي وقد انقسمت رحالهم إلى قسمين: قسم اتجه صوب الشرق وكان ذلك في وقت صرام النخل، وقسم اتجه صوب الغرب بحثاً عن المراعي الوفيرة التي حدثهم عنها الركبان:

عهدي بهم باقٍ من السبع ثنتين
قبل الشتا والقيظ زل محسوبه



قلَّت جهامتهم من الجو قسمين
الزمل حدَّر والظعن سنّدوا به
يبون مصفارٍ من النير ويمين
الله لا يجازي طروشٍ حكوا به

ويقول آخر:

يامن لعين ودَّها بالمسانيد
ولا ترزق إلا في علاوي دْيَرْها

ويقول المجماج:

وابكرة ضيعتها بين الاقطاع
يابعد مصباحه على اللي جهم له
ما ادرى مع اللي سندوا يم الاسناع
وإلا مع اللي حدروا مستهمله

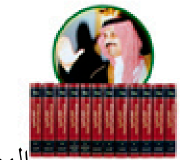
ويلاحظ مما تعارفوا عليه أن الديرة الحدرية هي ما دفعه امتداد نفود السر والخبرا وما صاقبها جنوباً صوب الشرق، وأن الديرة العلوة هي البلاد الممتدة من هذه النفد وما صاقبها جنوباً وشمالاً صوب الغرب إلى حدود الحجاز. يقول الشاعر عبدالله اللوح:

أنا تحدرت لبلاد الرياض وصاحبي فوق
متى على خير تلتم الرعيه بالرعيه

(ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٣-٥).

ويمكن اعتبار هضبة عالية نجد من الناحية التضاريسية امتداداً طبيعياً لإقليم الهضاب الغربية. ويبرز ذلك من خلال التشابه في الارتفاع عن سطح البحر وفي الانحدار وفي أنواع الصخور المكونة لها وفي خصائص المناخ أيضاً. وتمتد هضبة عالية نجد على شكل نصف دائرة يحيط بها من الشرق والجنوب الشرقي والشمال الشرقي قوس حافات جبل طويق المكونة من طبقات الصخور الرسوبية المنتمية للأزمنة الجيولوجية المختلفة. بينما يحدها من الشمال رمال النفود الكبير. وارتفاع الهضبة ٩٠٠-١٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر في معظم مناطقها، إلا أن هذا المنسوب قد يزيد أحياناً أو يقل في مواقع محدودة من الهضبة. ففي الشمال يزيد الارتفاع في جبال أجا وسَلْمَى إلى ١٤٠٠ و١١٠٠م على التوالي، وينخفض إلى ٧٠٠م أو أقل عند التقاء الهضبة بجبال طويق. ويدل ذلك بطبيعة الحال على أن سطح الهضبة المكون من صخور الدرع العربي يغطس شرقاً تحت تكوينات طويق الرسوبية. وباستثناء بعض الجبال التي تبرز في مواقع متفرقة من الهضبة، مثل أجا وسلمى والأبانات والنير فإن سطح الهضبة يتميز بالاستواء، ويتسم مظهره بالتشابه. ومن أهم الأشكال السائدة فيه نتوءات جبلية تبرز بصورة فجائية، إذا ماقورنت بالمناطق المستوية المحيطة بها.

ويتصف مناخ هضبة نجد الغربية بأنه مناخ قاري، تقل الرطوبة فيه وتزداد درجة



الحرارة في الصيف، كما يشتد البرد في الشتاء. أما الأمطار فتتباين كمياتها بين الشمال والجنوب، حيث تصل مؤثرات البحر المتوسط شتاء إلى الشمال وتؤدي إلى زيادة كمية الأمطار كثيراً عن الهضاب الواقعة إلى الغرب. ويصل المعدل السنوي للأمطار الساقطة في كل من حائل وبريدة إلى ١١٠ و ١٢٥ملم على التوالي، مما أثر على زيادة الكثافة السكانية في القسم الشمالي عنه في القسم الجنوبي، حيث تتجمع مياه الأمطار الساقطة في سيول تغذي المياه الجوفية في مجرى وادي الرمة، مما أدى إلى انتشار الزراعة منذ القدم في بطن الوادي. فظهرت مدن القصيم وقراه. بينما لم تظهر في القسم الجنوبي مراكز عمرانية مشابهة، نظراً لقلة الأمطار ومن ثم قلة الأودية التي تتجه نحو الجنوب الشرقي وتغيب في نفود الدحى.

الهضاب الشمالية والشرقية

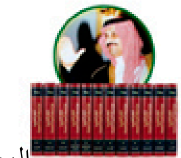
تعد هذه الهضاب جزءاً من هضبة الشام الكبرى إلى الشمال، والهضبة في العراق وسوريا وشمال المملكة صحراء ضخمة من السهول الحصوية والصخرية التي تقع تحتها صخور رسوبية كريتاسية من الزمن الثاني، وصخور من الزمن الثالث، وبازلت باليوسني، ولم تتجعد إلا بصورة طفيفة نتيجة للنشاط الباطني (التكتوني). ويبلغ ارتفاع الهضاب الشمالية، خاصة من سَكَاكَا تجاه حدود المملكة الشمالية، ٨٠٠م تقريباً مما يجعل هذه المنطقة تمثل خط تقسيم مياه مهم. ففي الجانب الشرقي نظام صرف شجري معقد يعرف بمنطقة الوِدْيَان يتجه نحو الشرق إلى سهول العراق ونهر الفرات، أما الجانب الغربي فتتدفق الأودية فيه نحو وادي السِّرْحَان؛ وهو منخفض عظيم طوله ٣٠٠كم، وعرضه يتراوح بين ٣٠-٥٠كم، وينخفض ٣٠٠م تحت مستوى سطح الهضبة. لهذا كان يستخدم طريقاً تجارياً مهماً بين الشام ووسط شبه الجزيرة العربية. وفي هذه المساحة الضخمة تنتشر ظواهر تشكل أرضية مثل القشرات الكلسية المتصلبة التي تغطي جزءاً كبيراً من وسط هضبة الحَجَرَة وشرقها، وظاهرة الوِدْيَان المقلوبة في منطقة الهَذالِيْل شرقي هضبة الحَجَرَة. وتنقسم الهضاب الشمالية في المملكة إلى أقسام أربعة لها أسماء محددة، ولكن الحدود بينها غير واضحة وذلك لتشابه السطح والأرض ونوع الصخور في معظم المنطقة. على أنه يطلق على الجزء الغربي منها، الذي تغطيه صخور البازلت (الحرَّة). وإلى الشرق من الحرة وشمالها



تقع هضبة الحَمَاد، ثم إلى الشمال والشرق من هضبة الحَمَاد نجد هضبة الوِدْيَان التي سرعان ما يتغير اسمها إلى هضبة الحَجَرَة التي تمتد شرقاً حتى سهل الدَّبْدبَة الحصوي. أما حد الهضبة الجنوبي فهو رمال صحراء النُّفُود وصحراء الدَّهْنَاء.

ومن الصعب تبين مجرى واضح لوادي السِّرْحَان إذ إنه كما سبق القول منخفض طولي واسع تنحدر إليه الشعاب والأودية من جهات متعددة، أهمها الأودية التي تنحدر من الجنوب الشرقي من بُسيْطاء وجبال الطُّبيْق، مثل: وادي حِدْرِج، ووادي أبو حَوَايَة، ووادي الغِنْيَة، ووادي أم أرْطَى، ووادي فَجْر؛ ومن الشمال الشرقي تنحدر من حرَّة الحرَّة وديان الرُّشَيْدة، ووادي السَّنْدَلة، ووادي الأعَيلِي، ووادي أبو نُجَيْلَة؛ ومن الجنوب الغربي من منطقة الصُّوان بالأردن ينحدر إلى الشمال الغربي نحو منخفض وادي السِّرْحَان أودية مثل الأبْيَض، ووادي الحَصَاة، ووادي الغَرَّاء، ووادي بَائِر، ووادي المَخْرُوق، ووادي الدِّرَاوة وغيرها. ويستمر انحدار هذه الأودية نحو هذا المنخفض داخل الحدود الأردنية حتى منطقة الأزْرَق ومدينة الأزْرَق في الأردن. ونظراً لخفاء المجرى وقلة انحداره، فإن معظم مياه هذه الروافد تتجمع في بعض المناطق مؤدية إلى قيام سباخ كبيرة، مثل سبخة حَظَوظَاء وسباخ قُرَيَّات المِلْح، وبعض القيعان، مثل قيعان القُعَيْدَات في المملكة، وقاع العُمَري داخل الأردن. وعلى كل حال فهذا الوادي يتميز بوفرة كبيرة في المياه الجوفية مما أدى إلى قيام زراعة في الواحات منذ فجر التاريخ.

هضبة الحَمَاد. تقع إلى الشرق والشمال من حرَّة الحرَّة، وهي هضبة مستوية السطح لهذا تقل بها الأودية الرئيسية فكل أوديتها شعاب تنتهي في محابس محلية، ومعظم هضبة الحَمَاد يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠ و٨٥٠م، لهذا تكثر بها القيعان والفياض والخباري، مثل قاع الأمْحَاص، وقاع الطُّوسِيَّة، وفياض العَوْجَاء، وفيضة الشِّفَلَحِيَّة، وخباري الأمْحَاص في منطقة العَجْرَمِيَّات، والشُّوَيْحِطِيَّة شمال الجَوْف. ولا تكاد تعثر على ارتفاعات أعلى مما ذكر سوى في جبل أم أوْعَال (١٠١٤م) وجبل وعَيْلَة (٩٣٦م)، شمال شرق طُرَيْف. وفي الحرَّة ارتفاعات أكبر من هذه ولكنها خارج هضبة الحَمَاد. وعلى كل فيمكن أن نعد خط الطول ٣٠َ ٤٠ْ شرقاً حداً تقريباً بين هضبة الحَمَاد وهضبة الحَجَرَة إلى الشرق منها، فبعد هذا الخط شرقاً



تبدأ كثافة الأودية في الظهور ويتغير المظهر العام لهضبة الحَمَاد ذات السطح المستوي الذي تسلكه السيارات في كل اتجاه بسهولة وبسرعة كبيرة.

وتتكون هضبة الحَمَاد من الصخور الأيوسينية ذات الحجر الجيري الصواني في شمالها وغربها، ومن الأحجار الجيرية الكريتاسية التابعة لتكوين العَرَمَة في شرقها. وقد نشأت سهول الحَمَاد في شمال غرب المملكة نتيجة لتذرية الرياح الرواسب والمفتتات الدقيقة، ونقلها من مكانها إلى أمكنة أخرى، مع ترك المواد الخشنة على شكل بقايا متخلفة تتألف عادة من شظايا من الحجر الجيري الصواني تملأ المكان. وكانت سهول الحَمَاد مخيفة جداً للمسافرين لقلة الأودية ومصادر المياه فيها، لذلك كانوا يبحثون عن طرق بديلة ما أمكن ذلك. وكانت سهول الحَمَاد، ولا تزال، مصدراً من مصادر رمال صحراء النُّفُود الكبير والدَّهْنَاء.

وتنشأ سهول الحَمَاد في الصحاري ذات الأمطار التي لا تزيد على ١٠٠ملم سنوياً، وهي من المظاهر المميزة للمناخ الصحراوي شديد الجفاف. وقد وصفها أحد الجغرافيين الفرنسيين بأنها الصحاري الفريدة، بل إنها الصحاري الحقَّة. كما وصفها جغرافي ألماني وصفاً بليغاً فقال: عندما ترسل الشمس أشعتها الحارقة على سطوح الحماد المكسوة بشظايا حجرية، فإن كل شظية وكسرة حجر تكون بمثابة مرآة صغيرة تعكس الشعاع الساقط عليها مما يجعل الرؤية صعبة جداً بسبب الوميض البنفسجي الذي يغمر جميع الاتجاهات من حولك.

هضبة الحَجَرَة. تمتد إلى الشرق من هضبة الحَمَاد؛ أي من خط الطول ٣٠َ ٤٠ْ شرقاً تقريباً حتى خط الطول ٠٠َ ٤٥ْ شرقاً حيث يبدأ سهل الدِّبْدِبَة الحصوي الذي يقع ضمن هضبة الصُّمَّان، وذلك لمسافة ٦٠٠كم تقريباً. أما عرضها فمن الصعب تحديده لأنها، كما سبق أن ذكرنا، جزء من الهضاب التي تقع إلى شمالها في العراق والأردن وسوريا. وتنحدر الهضبة بشكل عام نحو الشمال الشرقي، ويعكس هذا الانحدار اتجاه الأودية نحو بادية العراق.

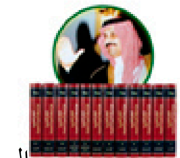
وتتكون هضبة الحَجَرَة من الصخور الجيرية الكريتاسية التابعة لتكوين العَرَمَة وذلك في منطقة الوِدْيَان وهضبة الحَجَرَة شمال النُّفُود والدَّهْنَاء، ومن صخور المارل الطباشيري التابع لتكوين أم رَضَمَة الباليوسيني والأيوسيني وذلك في مناطق الصَّحْن والهَذَالِيْل، وبشكل عام في



شمال شرق وشرق هضبة الحَجَرَة. بالإضافة إلى قشرات كلسية صلبة من الزمن الرابع في مناطق واسعة من الهضبة. وعلى الرغم من احتفاظ الهضبة باسم واحد خلال امتدادها الطويل، إلا أنها تتخذ أسماء محلية مختلفة. ففي الغرب تقع هضبة الوِدْيَان التي سميت بذلك لكثرة الأودية التي تقطع سطحها وتجري ناحية الشمال الشرقي باتجاه العراق. وإلى جنوب هضبة الوِدْيَان مما يلي النُّفُود يطلق على المنطقة اسم اللَّبَّة وهي منطقة مرتفعة مقارنة بما حولها، فيصل ارتفاع بعض الجبال بها إلى ٧٦٤م مثل رجم رَشْمة. ومنها تنحدر أودية كبيرة نحو الشمال الشرقي مثل وادي أبا الرُّوَاث، ووادي الخِرّ. وإلى الشمال من اللَّبَّة تسمى المنطقة شمال خط التابلاين بالصُّحَيْن والصَّحَن، ويستمر هذا الاسم شرقاً حتى مدينة رَفْحَا. وإلى الشرق من رَفْحَا تسمى المنطقة شمال خط التابلاين الجُرَيْبَاء، والمنطقة جنوب خط التابلاين منطقة الهَذَالِيْل ويستمر هذان الاسمان شرقاً حتى نهاية هضبة الحَجَرَة. ويصل متوسط ارتفاع هضبة الحَجَرَة في الشرق في الهَذَالِيْل ٥٠٠م، وفي الجُرَيْبَاء ٤٣٠م، وفي الوسط الصَّحْن ٤٠٠م، وفي الصُّحَيْن ٤٢٠م، وفي اللَّبَّة ٦٥٠م، وفي الغرب في منطقة الوِدْيَان ٦٧٠م تقريباً. وليس بهضبة الحَجَرَة جبال مرتفعة وإنما تلال وحافات جبلية نتجت من عوامل التعرية المائية في هذه المنطقة، مثل التلال الموجودة في منطقة الهَذَالِيْل، وجبل سِنَّار عند قرية لِيْنَة، وبعض القُور في منطقة الحُزُول غرب قرية لَوْقَة، مثل قور أم الكِتْبَان والتَّل الأحْمَر، وقارة أم أُذُن، وبعض الرجوم في اللَّبَّة مثل رجم رَشْمة (٧٦٤م)، ورجم العَجْرَفِي (٧٠٠م).

ومن الصعب حصر الأودية والشعاب التي تقطع هضبة الحَجَرَة من الجنوب الشرقي نحو الشمال الشرقي إذ يبلغ عددها المئات، وأهمها من الغرب إلى الشرق: وادي المِرَاء، ووادي عَرْعَر، ووادي أبا القُور، ووادي أبا الرُّوَاث ووادي الخِرّ.

هضبة الصُّمَّان. تقع بين السهل الساحلي على الخليج العربي شرقاً ونطاق رمال الدَّهْنَاء غرباً. وهي هضبة صخرية مستطيلة ذات سطح مستو يتراوح عرضها بين ٨٠–٢٥٠كم وتتجه من الشمال إلى الجنوب. ويتدرج ارتفاعها من الغرب إلى الشرق، فهو يبلغ ٤٠٠م في المتوسط في الغرب، أما عند حافتها الشرقية فهو ٢٥٠م بمعدل انحدار ٧٠سم/ كم.



وسطح الهضبة أرض قاحلة مستوية، أما طرفها الشرقي فهو حافة بارزة قطعتها مجاري الوِديَان القديمة، وربما أسهمت التعرية البحرية إلى حد ما في نشوئها، ويقع حقل الغَوّار، وهو أكبر حقول البترول في العالم، تحت هذه الهضبة غربي الهُفُوف.

يتكون سطح هضبة الصُّمَّان من الصخور الجيرية الرملية التابعة لتكوين الهُفُوف من عصري المايوسين والبلايوسين، ومن الأحجار الرملية الجيرية والأحجار الجيرية الرملية ومن حجر الجير ذي اللون القشدي التابع لتكوين أم رَضَمَة التابع لعصري البلايوسين والأيوسين. وتتداخل مع هذه الصخور رقائق من الطفل والمارل. ويتسم سطح هضبة الصُّمَّان بوجود الدُّحُول، مفردها دحل، خاصة في النصف الشمالي منها، وهي فجوات في الأرض الجيرية ناتجة عن إذابة مياه الأمطار التي تتسرب خلال الشقوق والفواصل للمادة الجيرية. وباستمرار عملية الإذابة تتكون حفر عميقة أطلق عليها العرب دحولاً. وعندما تصل هذه الحفر إلى مستوى المياه الباطنية تصبح مورداً للمياه.

وحدود هضبة الصُّمَّان الشمالية الغربية غير واضحة، فليست هناك ظواهر تضاريسية تميز نهاية الصُّمَّان وبداية هضبة الحَجَرَة. ويمكن القول عموماً بأن هضبة الصُّمَّان تبدأ حيث ينتهي سهل الدِّبْدِبَة الحصوي غرباً عند خط الطول ٢٠ً ٤٥ْ شرقاً تقريباً، وهو الحد نفسه الذي اعتُمد لبداية هضبة الحَجَرَة غرباً. أما من ناحية الجنوب فهي تنتهي في الرُّبْع الخَالِي عند دائرة العرض ٠٠ َ ٢١ْ شمالاً. وعلى هذا التحديد يبلغ طولها ٩٩٦كم. وخلال هذه المسافة الطويلة تتخذ هضبة الصُّمَّان عدداً من الأسماء المحلية. ففي غرب وسط الهضبة وعلى مساحة شاسعة تمتد هضبة الصُّلْب من دائرة العرض ٣٠َ ٢٧ْ شمالاً حتى دائرة العرض ١٥َ ٢٤ْ شمالاً إلى الشمال من وادي السَّهْبَاء. وهي تتصف بالاستواء الشديد لهذا تقل الأودية والشعاب وتكثر الفياض والدحول. وتنحدر هضبة الصُّلْب نحو الشرق انحداراً هيناً. وفي جزئها الشمالي لا تفقد اسمها حتى تصل إلى حافة الصَّرَّار على دائرة العرض ٠٠ َ ٢٧ْ شمالاً وخط الطول ٢٢َ ٤٨ْ شرقاً، ولكن الحال يختلف في جزئها الجنوبي، فعند دائرة العرض ٠٠ َ ٢٥ْ شمالاً مثلاً تتدرج الأسماء من سهول

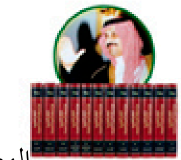


الصُّلَيْبِيخ عند حدود الدَّهْنَاء الشرقية، وإلى الشرق منها تقع سهول المَنْسُونِيَّة، ثم هضبة الصُّلْب، التي يتغير اسمها شرقاً إلى هضبة رُبَيْدَاء، ثم هضبة الشِّعْب وجبالها التي تقع بعدها منطقة الحافات. وخلال هذه المنطقة بعض التلال والشواهد التي سلمت من التعرية، ربما لتغطيتها بقشرة كلسية صلبة، أو لأنها بطون أودية مقلوبة. ففي جنوب هضبة الصُّلْب نجد خشم الزَّيْنَة، وخشم مُطْرِب، وخشم أبا العِكْرِش. وفي الشمال نجد جبال العَقَائِر (٢٠٠م)، وضُلَيْعات النُّهَيْدَين (٢٩٤م)، وحَزْم المُجَيْلِس (٢٨٠م)، وقارة عُلَيَّة وهكذا. فهي تلال محلية لا يكاد يتبينها المسافر حتى يصل إليها.

وسمَّى العرب هذه الشواهد قِفَاف الصُّمَّان واحدها قُفّ. جاء في اللسان «القف حجارة غاص بعضها ببعض، حمر، لا يخالطها من اللين والسهولة شيء وهو جبل غير أنه ليس بطويل في السماء، فيه إشراف على ما حوله، وما أشرف منه على الأرض حجارة، تحت تلك الحجارة حجارة ولا تلقى قُفّاً إلا وفيه حجارة متقلعة عظام مثل الإبل البروك وأعظم وأصغر». وهي هضاب جيرية نشأت عن تقطيع المجاري القديمة لسطح الإقليم. وقد تتكون فوقها بعض المنخفضات كالروضات الناشئة عن نشاط عملية الإذابة. مما أدى إلى تقوير تلك الهضاب وإعادة تشكيلها على هيئة تلال تحيط بالروضة أو المنخفض من معظم الجهات.

وإلى الشرق من هضبة الصُّلْب تبدأ حافة هضبة الصُّمَّان بالظهور. وهي حافة تواجه الشرق، ولها أسماء متعددة. ففي الشمال الشرقي هناك حافة الصَّرَّار التي تتقطع إلى جبال منخفضة منها جبل الأدْهَم (٢١٧م)، وجبل أبو حَصَاة (١٤٦م)، وجبل أبو عَلابِي (٢٤١م)، وضِلْعَان الجَاهِلِيَّة (١٥٠م)، وجبال الدُّغُم (٢٠٠م)، وجبل الدُّوَيْرات (٢٦٠م)، وجبل أم زَوْر (٢٦٤م)، وجبل حَذَار (٢٦٥م)، وجبل مِطْعِم (٢٠٨م)، وجبل أبو ظُهَيْر (٢٥٠م) وغيرها.

وإلى الجنوب من حافة الصَّرَّار تبدأ حافات صخرية أخرى أكثر وضوحاً من حافة الصَّرَّار تمتد من شمال مدينة بُقَيْق قليلاً حتى وادي السَّهْبَاء. وفي منطقة الحافات هذه يطلق على الحافة اسم نَعْلَة، وعلى الأرض المنخفضة المحصورة بين جوانب ذات انحدارات هينة جَوّ. ومن هذه الحافات نَعْلَة شَدْقَم والغَوَّار التي يقع شرقها بعض الفَرَائِد الجبلية مثل



المُحْتَرَقَة، وبرقاء رُكْبَان، وجبل أبو غَنَيْمَة، وبرقاء مَلْدَة إلى الغرب من الهُفُوف. وهذه الفَرَائد الجبلية تظل شاهداً على تراجع هذه الحافات الجبلية نحو الغرب. وإلى الغرب من حافة شَدَقَم والغَوَّار يقع جَوّ الشنائن، وجو أم عنيق. وإلى الغرب وإلى الجنوب من حافة شَدَقَم والغَوَّار تقع نَعْلَة السَّعْدَانِي ونَعْلَة الفُرُوق. ونظراً لامتدادها الكبير يطلق عليها اسم النَّعْلَة فقط من غير إضافة لاسم آخر. والنَّعْلَة، بلفظ النعل، هي الأرض الصلبة، قال ياقوت: نعل بلفظ النعل التي تلبس في الرجل، هي الأرض الصلبة، ومنه قول الشاعر:

قوم إذا اخضَّرت نعالُهم

يتناهقون تناهق الحُمر

ويقع جَوّ الغَار ما بين حافة الغَوَّار ونَعْلَة الفُرُوق، وإلى الجنوب منه يقع جَوّ دُخَان ومن خلالهما يمر طريق حَرَض-الأحسَاء المزفت. وإلى الشرق من جَوّ دُخَان تقع بَرْقَاء الضَّمْرَان التي تمتد إلى حَرَض. وتمتد سكة حديد الرِّيَاض-الدَّمَّام شرق هذه الحافات تماماً، إذ لا يقع شرقها إلا بعض الجبال البسيطة مثل جبل الحَرْمَلِيَّة (٢٥٢م)، وجبل الخَرْمَاء (١٨٢م) جنوب الأحسَاء. (العبيد ١٤١٣، ج٢: ٣١٥).

وبعد دائرة العرض ٤٠َ ٢٤ْ شمالاً تصبح الحافة الشرقية لهضبة الصُّمَّان أقل بروزاً، ولهذا نجد هضبة الصُّمَّان تتخذ أسماء محلية مضافة لاسم الموقع. فجنوب دائرة العرض المذكورة نجد صُمَّان الأمَشْاء، وعند حَرَض هناك صُمَّان حَرَض، ثم صُمَّان يَبْرين عند يَبْرين. وإلى الجنوب من دائرة العرض ٤٠َ ٢٢ْ شمالاً تقريباً يبدأ صُمَّان الطَّوَال الذي ينتهي في منطقة أبي بَحْر عند رمال الرُّبْع الخَالِي. ويطلق على الجزء الغربي من صُمَّان يَبْرين وصُمَّان الطَّوَال مما يلي الدَّهْنَاء الحَقُو. وتشتهر هضبة الصُّمَّان بالمنخفضات ذات الأحجام المختلفة والأنواع المتعددة، مثل القيعان والخباري والفياض. وهذه الفياض غنية بأشجار السدر وغيرها من الحشائش، وفي مواسم المطر تتحول هذه الفياض إلى مراع غنية. وفي النصف الشمالي من الهضبة تصل أعداد الفياض إلى المئات، فهي تنتشر في كل مكان.

نماذج من الهضاب ومصطلحاتها

الأكمة: القف من حجارة واحدة، مرتفع صغير أقل من أن يبلغ ضلعاً. وقيل هي دون الجبال، وقيل هو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، وهو غليظ



لا يبلغ أن يكون حجراً. وقال ابن شميل: الأكمة: قفٌّ غير أن الأكمة أطول في السماء وأعظم.

ومن أمثالهم: حبستموني ووراء الأكمة ما وراءها، قالتها امرأة كانت واعدت خليلها أن تأتيه وراء الأكمة، فبينما هي في مهنة أهلها إذ نسّها الشوق إلى موعدها وطال عليها المكث وضجرت، فقالت: حبستموني ووراء الأكمة ما وراءها فأبدت ما كانت لا تريد إظهاره. وفي حديث الاستسقاء: اللهم على الآكام والظراب ومنابت الشجر.

ومن الأكمات عنز الفويلق وهي أكمة سوداء ناتئة تقف على مجرى وادي الفويلق من جهة الجنوب الشرقي عند مفيض الوادي على سهل المليدا غرب الجواء (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٠١).

الأمغر: آكام تقع شرق الجوف يدعها الطريق المتجه منه إلى عرعر يمينه عند محاذاته خشم زلّوم وتدعى جال الأمغر وفيها آبار بهذا الاسم (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ١٣٧).

البتيلة: من البتل وهو القطع وعامة أهل نجد يسمون الهضبة الطويلة المنفردة الملتفة حول بعضها بتيلة. قال عبدالهادي بن جويعد العضياني:

وقت الضحى عَدّيتْ عالي البتيله
واعذل على عين تزايد عبرها

وكل هضبة مزمومة بتيلة (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج٣: ١٩٦-١٩٧).

تَيْمَا: هضبة حمراء كبيرة، فيها ماء عذب في ناحيتها الشرقية. يطلع إليه في شعب الهضبة حيث يفيض سيله شرقاً. تقع شرق جبل ثهلان، في إقبال فيضة الرَّيان جنوباً من بلدة الشعراء. وقد أكثر الشعراءُ الشعبيون من ذكرها وذكر المواضع التي حولها، وهي من أعلام الشريف، شريف بني نمير قديماً.

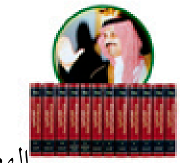
قال عمر بن ماضي من أهل الشَعْراء:

يالله من بارقٍ تضفي رشاريشه
من خشم تيما إلى جمران رعَّاده
يصبح صخيف القدم ينقض عكاريشه
يلعبْ بسيلهْ وطربٍ في رخي زاده

وقال عبدالرحمن بن سليمان بن عبداللطيف:

عسى الحيا يسقي جميع المغاني
ياتي الشعيب يقلّع الرِّمث والشيح
من مطلعه شامٍ ويمشي يماني
يعم كل الضلع تقدا له الريح
ياخذ على المقوعْ وتيما ثمان
والغيل بالطرفا غدا به جوابيح

وقال سعد بن محمد بن يحيى:



يـاالله من مـزنـةٍ حقّـت مناشـيهـا
نَوٍّ عـسى الـشبـرميَّـه في مـنابـيبـه
عساه مـن شطب إلى دلـعه ووواديها
ويسيـل منه الشـويطن من مـجاذيبه
وتـسيـل تيـما ومـقوعـها يـباريـها
والغـمق ومـقيوعـاته مـن جوانيـبه
يازيـن نبت العـذارى في ضواحيـها
هنـي من هـو يسيِّر بـه ويمشـي به

وقال عبود الهتيمي:

ياالله مـن قلبٍ مـن الهجـر ياسيـف
كـنَّه يمـسسْ بـين الاضلاع بـحبـال
يـاونـتـي ودموع عـيـنـي ذواريـف
مثل الجـلادا يوم تنسـف على الجال
عديـت تيـما عـلها رايـح الصَّـيف
مـن كلَّ مـرتـدمٍ مـن المزن هـطَّـال

وقال شاعر من أهـل داحس، وقد أغار قوم من قبيلة الدّهسة على غنم أهل قرية داحس، الواقعـة في عرض شمام شرقاً من بلدة الشعراءٍ وأخذوها، ففزع أهل داحس في طلبـهم فأدركوهم عند تيما واستنقذوا الغنم وفرَّ الدهسة هاربين:

روحَـنْ مـن داحسٍ مـثـل الاهـلَّـه
والضَّـحى في خشْـم تيما لاحـقاتِ
والدَّهـاسي عـقب ذَا بـطنـهْ يحـلِّه
يَـزْبـن الشَّـوانْ مـا ايْـقنْ بـالحـيـاةِ

ويبدو أن مما دعا الشعراء إلى الإكثار من ذكر هضبة تيما هو ما تمتاز به الهضبة على ماحولها في تكوينها الطبيعي. فهي هضبة حمراء عاليـة المناكب من الحجر الرملي الأحمر المتلألئ الذي يمثل منظراً طبيعياً خلابا، تنحدر منها شرقاً وغرباً شعاب سهـلة فسيحة ذات تربـة رملية نقـية، وفيـها ماءٌ عـذب لا ينـضب، وكهوف واسعة ذات أرض سهلة واطئة، ولذلك كان أهالي الشعراء، يذهبون إليها في الأعيـاد والمناسبات ويقـضون فيها أوقـاتـهـم (ابـن جـنـيـدل ١٣٩٨، ج١: ٢٥٤-٢٥٦).

جبَلَة: هضبة حمراء كبيرة ذات منظر طبيعي جميل، لها شهرة في نجد إذ وقع فيها وبالقرب منها كثير من أيام الـعرب الشهيرة قديماً وحديثاً حتى أصبح ذكرها مرتبطاً بتاريخ تلك الأيام والوقائع.

وهي تتربع علـى ضفة وادي الرشا الشمالية المعـروف قديماً باسم التسرير. تمر بها القـبائل في انحدارها في فصـل الربيع وتـصعيدها في فصـل الصيف، فيـجدون فيـها ما طـاب من المرعـى. وتكتسي الربا من حولها بأعشاب الربيع المختلفـة وأزهاره المتباينـة، وتكثر فيها أشجار الحمض المختلفة. يقول الشَّـديِّ من قبيلة قحطان:

الـدرب ما بـين أثلـثٍ والصـدوعي
والحمض يمّ الهضبه اللي لها ارواس



وحـنـا إلـى ذكـر الحـيـا له نـزوعِ
نـبرا لـقطـعانٍ عـلى قـب الأفراس

وهي تبعد عن مدينة الدوادمي ثمانين كيلاً من جـهة الغرب. وتعتبـر المنطقة المحيطة بها مرتعاً جيداً للحيوانات. ويفد إليها في عـطلة الأسبوع عدد كبيـر من سكان المدن والقرى المحيطة بها لـلتمتع بجمالها وجوها وأشجارها الكثيرة.

الجذيب: حدب مستطيل من الأرض له ظهر ضيق تكسوه حجارة صغيرة وغالباً تكون حـجارته سوداء، ويـذكر مذكراً ومؤنثاً فيقال جُذيب وجُذيبة.

ومن أمثلته الجذيب يقع شرق جبل هكران شرق بلدة المويه واياه عنى الشاعر بقوله:

مـسراحـهـا مذبـح العـبّـود ماريّـه
والعـصر عـدّت جذيـبٍ يم هكـران

والجذيب أيضاً جذيـب أسود يقع غرب الخضارة ويسمـيه البعض سمار الخضارة. وجُذَيَّة الصلح وتقع في بطن الجرير جنوباً من جبل المضيخ وتقع إلى الشمال الـغربي من عفيف علـى بعد ثمانين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢٩٢-٢٩٤). وقد يطلق الجذيب أيضاً على امتداد الجبل يكون طويلاً وضيقاً ومنحدراً إلى أن يتلاشى في سـهل أو وادي.

حِدَاب (جمع حدب وهي الأكمة): كانت فيه وقعة لبكر بن وائل على بني سليط فسبوا نساءهم، فأدركتهم بنو رياح وبني يربوع فاستنقذوا منهم نساءهم وجميع ما كان في أيديهم من السبي فقال جرير:

لقـد جُرِّدَتْ يـوم الحداب نـساؤهـم
فسـاءت مجـاليهـا وقلَّـت مهـورها

الحصاة: واحـدة الحصى والحصـاء، وتطلق على كل ما تكون من الحجر الصلب سواء كان صغيراً بقدر قبضة اليد أو كـان كبيراً كصخرة سقطت من جبل أو هضبة بدت للرائـي كأنها كتلة واحـدة، وتذكر الحصـاة مضافـة للتـمييـز ومن الحصـى المعروفة: حـصاة النصلة، والنـصلة هي الهضبة الصغيرة، وهي أكمة صخرية حمراء في ناحية الجواء إلى الغرب من قرية غاف الجواء، سميت النصـلة لأنها نصلت أي انفردت عن الجال الذي يقرب منها، وحصاة النصلة أيضاً شمال المجمعة وحصاة القريف وتقع بين جلاجل وجوي في منطقة سدير.

ومنها حصاة ابن حويل وهي الحصاة الشمالية من حصاتي قحطان، ويقال لها أيضاً الحصاة السفلى. وقديماً كانت تسمى عماية الشمالية أو القصيا.

والحصاة الأخرى هي حصاة آل عليان وتعرف بالحصاة العليا، وهما ليستا على شكل سلاسل جبلية ولكنهما قنى ومتون





حصاة القريف

متصل بعضها ببعض بشكل واسع، فيها أودية ومياه مسالكها وعرة، وفي بطن كل منهما أودية ذات بطون واسعة لا يوصل إليها إلا من طريق ضيقة، وقد يقف في مداخل بعضها رصفات طبيعية تعمي الطريق على من لا يعرفه، ويغطي سفوحها وبطون أوديتها غطاء كثيف من غابات الشجر البري كالطلح والسلم وغيرهما. (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٣٨٥-٣٨٨).

الخُصَيَّيْنْ: تثنية خصي مصغرا، مذكر خصية، أكمتان صغيرتان تقعان شرق قرية العُلْيا على مقربة من عين العسيلة شرقها شرق جبل وثيثيات. (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦١٢).

والدُّمَيِّغ: على لفظ مصغر الدماغ، آكام تقع في الجنوب الشرقي من منهل القرعاء، وتسمى جبال الدميغ ممتدة من شرقها نحو الجنوب إلى غرب اللهابة، يحف بها درب الحفر من الشرق حين يصدر من اللهابة نحو اللصافة. وشرق تلك الآكام أرض منخفضة تدعى بطن الدميّغ وفي شرقي هذا البطن دحل أبو سخيل (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٧٠٢).

ريش: تطلق كلمة ريش في وادي المياه وما حوله على الأكمة الممتدة على الأرض، مثل: ريش الحفيرة شرق أبواب أو ريش صوابه في الشمال الشرقي من عتيق، وريش المنجور شرق البجساء والنفيرة (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٧٩٤).

صلبوخ: آكام ممتدة شرقي خريص من غرب الحني نحو الجنوب الغربي حتى تتصل بثفن الصلب فيما بين درب الظعيني



شمالاً ودرب مزاليج جنوبا. ويحف بها من الشرق جبال الملسونية، ومن الغرب منخفض يفصل بينها وبين الدهناء حيث يقع منهل خريص، ومن الشمال تقف عند مشاش الظّعيني. ويطلق على تلك الآكام جبال صلبوخ وصلابيخ. وكلمة صلبوخ في اللهجة العامية تدل على القوة والخشونة ويسمى بها نوع من الحجارة الصلبة التي كانت تستعمل قديماً في الزند. والصلبوخ أصلب أنواع الحجارة، وقد يتخذ منه كسر حادة كالسكاكين (الجاسر ١٤٠١، ج٣: ٩٨٧).

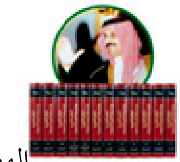
ظرابين (على لفظ جمع ظربان الحيوان الخبيث الرائحة المعروف عند العامة باسم الظرنبول): آكام تقع على ضفة وادي الباطن (فلج) الغربية مقابلة لقصير بلال شرق بلدة الحفر في المنتصف بينه وبين الرقعي. ومعروف أن الظرب بكسر الراء الرابية والجبل المنبسط، والظرب أيضاً ما كان ناتئاً في أرض حزنة، جمعه ظِراب. ولعل تلك الآكام سميت بذلك لكونها جمع ظراب فجمعتها العامة جمع خطأ (الجاسر ١٤٠١ ج٣: ١٠٥٥).

العَشَّة: هي ظهر الجبل المستوى الواسع الذي تتخلله الأودية مثل عشة بئر عسكري في نجران والعشة في لهجة جازان تعني الهضبة، وعَشّة السوق: أكمة صخرية معروفة على مقربة من عدوة وادي العزفة من الناحية الغربية لجبل الشرفي. وعَشَّة الشاعر جبيل على عدوة وادي سيال الغربية قرب جبل المديراء. وعواش الديرة (جمع عَشة، بفتح العين) أكمات صخرية بين جبال الدَّيِّر وشعب وادي خاتم في بلاد المسارحة (العقيلي ١٣٩٩: ٣٠٢).

الفَرِيْدة والفرايد: من الانفراد وتطلق على الهضاب والجبال والقارات على حد سواء. فَرِيْدة-مفرد الفرايد وهي القطعة من الجبل أو الهضبة انفردت عنه فأصبحت وحدها وقد تكون مجموعة تحمل نفس الصفات تسمى فرائد، وقد تنسب إلى أصلها الذي انقطعت عنه. وهو مصطلح شائع الاستخدام على طول الحافات حيث تكثر هذه الظاهرة. مثل فرايد أبو دخن التي تمتد من جبل أبو دخن، وفرايد مجيرة التي تقع في الناحية الجنوبية الغربية لهضبة مجيرة وفيها يقول الشاعر:

إن مت مروا بي فرايد مجيره
تنحروا بي دار وضّاح الانياب

وفريدة دمخ إلى الجنوب من جبل دمخ يفصل بينهما طريق الرياض-الطائف بالقرب من حلبان. وقد لا تنسب إلى أصلها مثل فريدة الحُرَيّق أو القصب فاردة



من جبل طويق وفريدة العمارية تقع بين العمارية وأبي الكباش.

النهيدين: جبل صغير يقع شرق روضة أم العصافير في شرق الصمان في الجنوب الغربي من قرية السفلى. يحف به من الجنوب الشرقي آكام مستطيلة تتصل غرباً بجبل الحمار، والاسم يطلق على كل أكمتين متجاورتين في مواضع كثيرة (الجاسر ١٤٠١، ج٤: ١٧٦٨).

هضب آل زايد: وهم الدواسر، يقال لها هضب الدواسر، وقد تذكر الهضب غير مضافة لشهرتها. يقول الشاعر غيلان ذاكراً أفضل مراتع الإبل ومواردها:

مرباعها شعبا لْيا علّها الحيا
لْيا زرهفت خلفاتها بولاد
ومصيافها في الهضب هضب آل زايد
ما بين حسيان وبين ثماد
ومقياظها الوادي لْيا حفها الظما
حسوٍ إلى مازاد ورده زاد
ومصفارها سجا عن ديرة الوبا
تطرد على هاك الحزوم عراد

وهي هضبة واسعة، بها أودية ومياه عذبة ووفيرة، طيبة المراعي لطيفة الهوى.

ويقع هذه الهضب جنوب هضب الدخول وهضب الرقاش، ووادي القمري وغرب وادي الدواسر وشمال شرق بلدة



هضبة حمراء، في هضب آل زايد





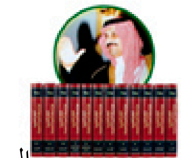
جبال بدوة العليا في هضب آل زايد

رنية، وينقسم هذا الهضب إلى قسمين يلتقى أحدهما بالآخر: الهضب الأحمر وهضابه قنن حمر متفرقة متناوحة وهو شمالي، والهضب الأسمر وجباله سود كبيرة وهو جنوب. ومن أشهر المواضع في الهضب الأحمر ماسل ومويسل ودارة ماسل. ومن المواضع الشهيرة في الهضب الأسمر وادي المجامع وسمر ودارة جلجل وثريا وعراعر وصلاصل (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ١٣٢٢-١٣٢٣).

هضْبة: يطلق هذا المصطلح في سراة الجنوب على الكتلة الصخرية المتماسكة سواء أكانت في السهل أو في الجبل، وهناك قرى تسمى الهضْبة لوقوعها على كتلةٍ فسيحة من الصخر ومن أشهرها في بلاد غامد وزهران هضبتا مزلزل وبالحصين وكلاهما في حاضرة وبادية بني كبير.

القارات

يتباين سطح شبه الجزيرة العربية في مدى استجابته لنحت الرياح تبايناً كبيراً للتضاد الموجود بين السهول المستوية في الشرق، والجبال الوعرة في الغرب، والجفاف الشديد في الوسط والرطوبة العالية عند الساحل. كما أن هناك تبايناً في نوع التربة، فالنطاق الرسوبي شرقي جبال طويق أو العارض يختلف في تركيب



تربته عن النطاق الغربي المشتق أساساً من صخور القاعدة. فضلا عن الفروق الحرارية الكبيرة بين الفصول المختلفة، والليل والنهار، والسهل والنجد، والغور والجبل.

ونتيجة لذلك تختلف قدرة الريح على النحت من مكان لآخر في أرجاء الجزيرة، حيث تتدخل العوامل السابقة في تحديد سرعتها وقوتها وكثافتها ولزوجتها، وفي تحديد طبيعة السطح وتركيب التربة وبنيتها.

ولعل أهم ما اسْتَلْفَتَ نظر العرب القدامى من مظاهر السطح المتأثرة بفعل الريح، تلك الأشكال المنتشرة فوق سطح الصخور الرملية وفي نطاقاتها المختلفة، التي أطلقت عليها اسم القُور أو القَارَات ومفردها قَارَة. فالقارة الجبل الصغير المنقطع من الجبال.



جبل حبران في حائل، حيث يغلب على حجارته اللون الأسود

وهناك صور كثيرة من الأشكال الحتيَّة في الصخور الرملية، منها ما يأخذ شكل مسلات صخرية ناتئة، تدعى عند عرب غرب الجزيرة اليوم باسم الأنْيَاب، ومنها ما يبدو في شكل تلال أو جُبيلات منتظمة الانحدار، أو مُضَرَّسة متهدلة الجوانب، مثل قور حسمى غرب تبوك، وقور الجهراء جنوب تيماء. وصفها العرب تارة بالجُبيل الصغير الأسود المنفرد الشبيه بالأكمة، وتارة أخرى بأنها جُبَيل مُسْتَدق ململوم طويل في السماء لا يقود في الأرض، كأنه جثوة (أي الشيء المجموع) وهو عظيم مستدير. فالقارة هي أكمة أو جبل صغير أو متوسط منفرد ليس متصلاً، كما هو الحال في السلاسل الجبلية المعروفة. وربما أطلقت القارة على كل جبل سواءً كانت حجارته صغيرة أو كبيرة أو تكون مستديرة أو مستطيلة هشة لونها أحمر أو أشعل أو أسود لأعلاها حافات وظهرها محدودب أو مستو وقد تكون من صخرة واحدة ضخمة يمكن نحتها بسهولة كجبال مدائن صالح. أما صفة السواد فهي نسبية، تتوقف على نوع الحجر الرملي. ففي منطقة البتراء ووادي رم تغلب الألوان الحمراء والوردية ودرجاتهما، وفي مدائن صالح يغلب اللون الأصفر والذهبي،





قارة صغيرة مستديرة، هشة، قرب الأرطاوية

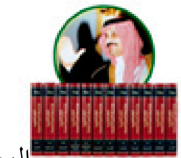
وفي منطقة حائل يغلب اللون البني والأسود. وقد يلتبس الأمر على المشاهد البعيد فيظن بعض القور مخاريط بركانية، وذلك لسواد لونها وشكلها الشبيه بالمخروط، وأيضا لقربها من نطاقات الحَرَّات البركانية مما يعزز ذلك الظن.

والقارة في اصطلاح العامة من الحاضرة والبادية: هي ما استدار من الجبال وحجارته صغيرة الحجم وأرضه هشة وتختلف طبيعة تركيبه عن طبيعة الجبال الصماء الصعبة المرتقى ذات الصخور العظيمة الصلدة، كما أن الكثير منها لها رأس مستو أو شبه مستو وله حافات في أعلاه.

ومن القارات المشهورة في غامد وزهران، وهي نموذج للقارات المنتشرة في تهامة والسراة، قارة متفرعة من جبل شدا الأعلى تشرف على وادي سقامة من الشرق وفي أعلاها فرعة ينبت فيها البن طبيعياً ولا يستطيع أن يصلها أحد لصعوبتها لأنها مخروطية الشكل وحجارتها ملساء مختلفة عن بقية الجبل وارتفاعها يقدر بألف متر وتشاهد من قمة جبل شدا الأعلى. (الزهراني ١٤٠١ :١٩٣).

المفردات الجبلية والقويرات الهضبية.

يمكن مشاهدتها واضحة في نطاقات الحجر الرملي الشرقية، وخير مثال لها هو جبل ساق الذي يقع إلى الشمال الغربي من بلدة الرَّس في منطقة القصيم، ويشاهد عيانا من بُعْد يزيد على ثلاثين كيلومتراً. وقد وصفهً لُغدة الأصفهاني بأنه جبل دقيق طويل كأنه قُنَّة، وهو



لبني أسد وغَطَفَان (الأصفهاني ١٩٦٨: ٣٨٧) فهو يقول إن ذلك الجبل لدقته يشبه الجزء الأعلى من الساق ويسمى عند العرب القُنَّة ويسمى هذا الجبل أيضاً ساق الجِوَاء أو الفَرْوَيْن، تفريقا له عن جبال أخرى بالاسم نفسه تقع في نطاق الحجر الرملي، أحدها في منطقة حائل، وهو كتلة جرانيتية شامخة وسط رمال النفود رمل عالج عند دائرة العرض ٤٠َ ٢٧ْ شمالاً وخط الطول ١٠َ ٤١ْ شرقاً، والجبل الثاني يقع شمالي بلدة العلا، وهو من تكوينات الحجر الرملي.

وجبل ساق ليس الجبل الوحيد في هذه المنطقة، وإن كان أعلاها ذروة (٨٩٠م)، إذ توجد إلى الشمال منه مجموعة من القور الهضبية والجبلية، وعلى بعد قريب منه سُوَيقة وهي هضبة مستطيلة، عرت الرياح أجزاءها وهدمتها. ويبدو أن ياقوتا خلط بينها وبين ساق السالف الإشارة إليه فذكر أنها قَارَة مستطيلة تشبه ساق الإنسان، ونقل عن أبي زياد قوله: ومما يسمى الجبال في بلاد جعفر سُوَيْقة وهي هضبة مُصَعلكة، والمصعلكة الدقيقة، قال ولا يعرف بنجد جبل أطول منها في السماء. وهذا الوصف ينطبق على ساق القريب منها الذي كان تفرده وشموخه فوق أرض منخفضة شاسعة سببا لظنهم أنه ليس بنجد أطول منه.

ومن الأعلام الجبلية أيضا صَارة، الواقعة إلى الشمال الغربي من ساق وتسمى اليوم خَناصر صَارة، وهي عدد من القُويرات المتقاربة، شُبِّهت بالخِنْصر من الأصابع لاستطالتها. وهناك أكثر من علم في الجزيرة يسمى بهذا الاسم، منها خِنْصران يقعان بين رغبة وثَادق. وقد ذكرت صَارة في شعر زهير بن أَبي سلمى في قوله:

فلما بَدَت سَاقُ الجِوَاء وصَارة
وفرش وحماواتهن القوابل

والجِواء الذي قُرن به ساق وصارة هو شكل آخر من الأشكال التي نشاهدها في نطاق الحجر الرملي، إذ يمثل ذلك النمط المتداعي، المقترب من مرحلة التسوية، الذي يسود في التكوينات التابعة لمنطقة ساق. والجواء لغة هو المنخفض من الأرض، ومفرده جَوّ وجَوَّةٌ، بفتح أوله، والجُوَّة بالضم هي النُّقرة أو القطعة من الأرض التي فيها غلظ. فهو هنا اسم جنس واسم علم معاً. ويؤكد هذا المعنى سكان تلك المنطقة من البدو، فهم يذكرون أن تسميته الجوا -وينطقونه بدون

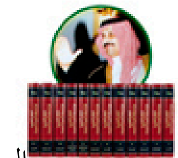


همز- ترجع للمنخفضات والحفر (الجِيَّان) التي ترصِّع سطحه. وتحتل الفيضات والروضات بعض الحفر الكبيرة منها، وتغمر هذه المنخفضات تربة رملية ناتجة عن فتات الحجر الرملي، وتنتشر فيها شجيرات الرِّمث. وتحد هذه المنخفضات والحفر حُزوم من الحجر الرملي خالية من النبات، تبدو في شكل صفائح متداعية تسير فوقها المركبة بمشقة كبيرة. وقد أشار إلى ذلك الغَطَمَّش الضَّبِّي بقوله:

لعَمْري لَجَوٌّ من جِواءٍ سُويقة
أسَافِلُه مِيثٌ وأَعْلاه أَجْرَعُ
أَحَبُّ إلينا أَنْ نُجَاوِرَ أَهْلَها
ويُصْبِح مِنَّا وهو مَرأى ومَسْمَعُ

فالشاعر هنا يصف أسافل هذه المنخفضات أو الجواء بأنها ذوات مِيث، جمع مَيْثاء، وهي التربة الرملية السهلة، وهي في العادة منبتة وتعلوها الحُزوم أو المرتفعات (الجَرْعَاء) الخالية من النبات. ويفهم من قوله أنه يفضل هذه المناطق التي لا يُسْتَحب السكنى بها لتضرسها وعدم استوائها على النزول بالقرب ممن يكره. ومصداق قوله أنه إلى الشمال من الغَاف التي تقع شرقي الجِواء، منطقة يسميها البدو اليوم «جَوْ ما يبات به». ومعنى اسم الجو الذي لا يبات فيه يقولون إن الماشية إذا باتت فيه تستوحش ولا تهدأ، ويعلل بعضهم ذلك بأن فيه صخوراً منتصبة تخيف من لا يعرف حقيقتها في الليل، أما بعض العامة فيقولون إن السبب هو أن فيه عماراً من الجن. وهناك جو آخر يحمل نفس الاسم يقع غرب أنصاب غرب جال الشعيبة، شرق الهذاليل يفصل بينه وبينها آكام الجريبة (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٣٥٢).

ومثال آخر لهذا النوع من القُور نجده في منطقة حائل حيث يحل محل التضاريس المشار إليها في الجِواء سهل شبه مستو، يتحول إلى قيعان مستوية كلما اتجهنا شمالاً نحو النفود، ويطلق على تلك المنطقة اسم الرِّقة. وترتفع فوق هذا السهل مجموعة من القور الجبلية، منها جبل القاعد وجبال الطوال الهِرَّانِيَّات والصَّبْرَاوات وغيرها. وجميعها شمالي مدينة حائل. ويتكرر هذا المظهر شرقي مدينة حائل بحوالي ٣٠كم حيث يمتد سهل بحرة الذي ينتهي إليه شعب ياطب، وترتفع جنوبي ذلك السهل مجموعة من القور الهضبية يطلق عليها جميعا اسم الدِّنان؛ وهي مختلفة الأشكال بعضها هضبي مستطيل قد لعبت به الفوالق وحولته إلى أكوام

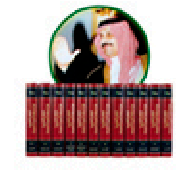


صخرية متداعية، مثال ذلك قارة ياطب القريبة من الشعب. والبعض الآخر منتظم الشكل يشبه إلى حد بعيد المخروط البركاني مثال قارة رميح الواقعة شرقي ياطب. وإلى الشمال من هذه القور كتلتان جبليتان مرتفعتان، هما جَانَّيْن (١٠٠٣م) في الوسط وجِلْدِيَّة (١١٣٧م) في الشمال. ويذكرنا جبل جلدية بجبل ساق، إذ يبدو للناظر من على بعد كبير.

وتنبغي الإشارة إلى أن استواء السطح، سواء عند القور الواقعة شمال مدينة حائل أو في شرقها، يرجع إلى حد كبير إلى تأثير المسيلات المائية والشعاب التي تنحدر نحو الشمال الشرقي من الكتل الجبلية الجنوبية. ومن أبرز هذه المسيلات شعيب حائل الذي ينحدر من أجا وشعب يَاطِب والصَّدر وغيرها. فكل هذه المسايل أدت إلى تقطيع السطح وتسويته، ولم يبق إلا بعض الأعلام التي ذكرناها وهي في دور التفلّق الناتج عن عملية التجوية، أي التمدد والانكماش بفعل الفروق الحرارية. أما في الجِواء، المذكور قبل قليل، فإن أثر المجاري المائية قليل نسبيا، إذ إن نشاط الرياح في نقل المفتتات الحجرية الموضعية أكبر أثرا.

وفي كل من جبل القاعد وياطب وجَانَّيْن كتابات ثمودية قديمة كثيرة حفرت على جوانبها. ويبدو أن هذه الجبال كانت على الطريق التجاري القديم من العراق إلى اليمن. وقد أدى تهدل بعض الصخور، نتيجة التفلق، إلى ضياع بعض تلك الكتابات.

المفردات الهضبية المتقاربة. تنتشر هذه القور خاصة شمال بلدة العلا، متضمنة مدائن صالح (الحِجْر) حتى تتصل بإقليم حِسْمَى الواقع إلى الشمال منها. وقد استغلت قبيلة ثمود، قوم نبي الله صالح عليه السلام، هذه الهضاب من الحجر الرملي فنحتت فيها مساكنها، وهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ (الشعراء: ١٤٩). ويطلق على هضاب مدائن صالح وجبالها الأثالب، وهي هضاب منفردة من صخور الحجر الرملي الأصفر والذهبي. وأحسن من وصف تلك الهضاب ومساكن ثمود فيها هو الإصطخري حيث يقول «ورأيتها بيوتا تماثل بيوتنا في أضعاف الجبال، وتسمى تلك الجبال الأَثَالِب. وهي جبال في العيان متصلة، فإذا توسطتها رأيت كل قطعة قائمة بنفسها، يطوف بكل



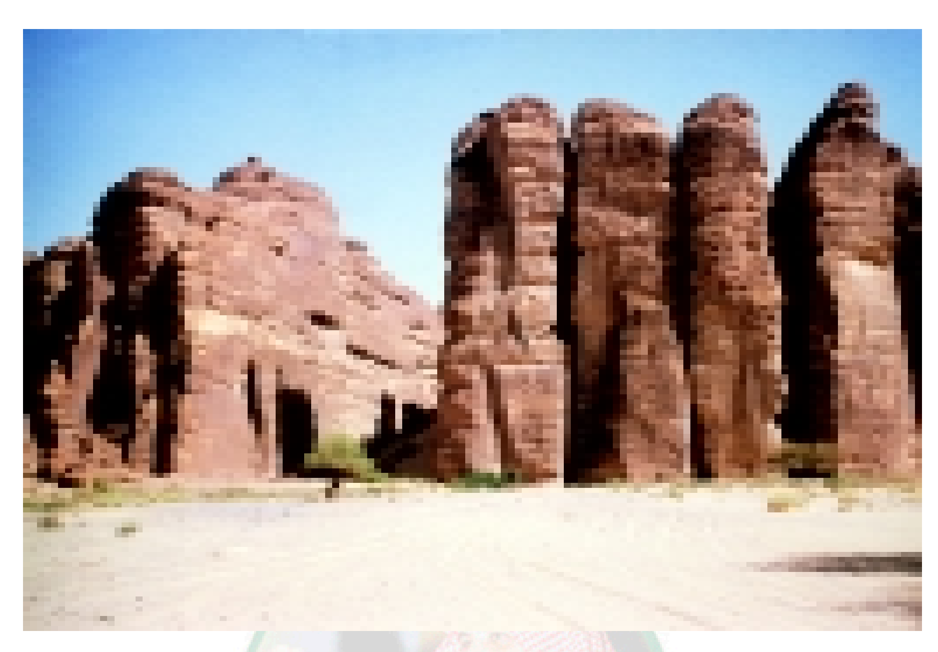


الرمال المنتشرة بين الهضاب والقور في مدائن صالح

قطعة منها الطائف وحواليها رمل، لا يكاد يرتقي إلى كل ذروة منها إلا بمشقة شديدة». والرمل الذي أشار إليه الإصطخري، هو ما يراه المتجول بين هذه الهضاب، يدلنا على النشاط الذي تمارسه الرياح في هدم هذه القور ونحتها، ومعولها في ذلك هو ذرات الرمال المحمولة. وهناك عاملان يتدخلان في تشكيل تلك الرمال على ذلك النحو. أولهما: السفي بالرياح الشمالية الغربية التي تصطدم بتلك الحوائط فتفرغ حمولتها مكونة ما يشبه البَرْقاء، وثانيهما: الندوب التي تحدثها تلك الرياح في حائط القَارَة، التي ينتج عنها حَتّ موضعي يعمل على زيادة حجم السافي.

وتنتمي مساكن ثمود للنمط العمراني السائد في مدينة البتراء، عاصمة الأنباط وتختلف عنها في أنَّ المساكن في مدائن صالح متفرقة، بينما هي متصلة في البتراء، لاتصال جبال الحجر الرملي هناك، لا يفصل بينها إلا فوالق ليست بالعريضة، استعملت طرقا ومسارات بين المساكن. والآثار الموجودة الآن في مدائن صالح تمثل مقابر ثمود، وتبلغ مساحة غرفة الدفن من الداخل نحو ١٦م^{2}، وتبدو القبور على شكل رفوف منحوتة في جوانب الغرفة، وربما وصل عددها في الغرفة الواحدة إلى





قارة في مدائن صالح

تسعة قبور. وترجع هذه المقابر لفترات تاريخية من العصر النبطي ربما لا تتعدى القرن الثاني قبل الميلاد. وتوجد في سهل مدائن صالح آثار مبان قديمة، قد تكون بقية للمدينة التي كان يسكنها سكان هذه المنطقة في عصورها المختلفة (الأنصاري ١٩٧٥: ٨١).

واسم القارة -في المنطقة الشرقية- يطلق على مواضع منها جبيل صغير مشهور، وعلى قرية تقع بلجف ذلك الجبيل. وهذا الجبيل مع غرابة مظهره في تكوُّن صخوره وفي كثرة تجاويفه، لا أثر للإنسان في صنعه. فهو شبيه بكثير من الجبال التي تتسرب من خلالها المياه وتظهر الصخور في أشكال غريبة كما في مغارة جعيتا في لبنان.

وفي جبيل القارة مغارات كثيرة عظيمة، وليس فيها شيء من هوام الأرض وحشراتها حتى النمل. ومن خواصه البرودة في الصيف حتى إن النائم فيه يحتاج إلى غطاء، وعلى العكس من ذلك في شدة البرد من الشتاء.

وتقدر مساحة الجبيل بما يقارب كيلين طولاً في عرض كيل واحد. ويقع في الشمال الشرقي من مدينة الهفوف على نحو عشرين كيلاً، ويعرف الجبل أيضاً باسم الشبعان. ويحيط بجبل القارة من





جبل قارة في الهفوف

القرى: القارة، والدالوة، والتيمية، والتويثير.

وقرية القارة -التي يظهر أنها سميت بهذا الجبل- تقع في جانبه الشمالي الغربي مقابلة لقرية التويثير الواقعة في جانبه الشمالي الشرقي، والقريتان متجاورتان (الجاسر د.ت. ج٤ :١٣٨١-١٣٨٣).

ومن القارات قارة حجَّاج قارة صفراء تقع شرقاً جنوبياً من بلدة القويعية على بعد خمسة وثلاثين كيلاً تقريباً. وفي الجنوب منها ماء الفويسة ماء قديم لقبيلة قحطان تابع لإمارة القويعية (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣:١٠٥٣).

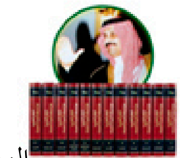
وقارة مسامة قارة مستطيلة منقطعة من صفراء الديثيات غرباً جنوبياً بقرب قارة شداد واقعة شرقاً جنوبياً عن مدينة الدوادمي على بعد خمسة وأربعين كيلاً تقريباً. وإياها يعني الشاعر عبدالله الحداري من أهل الدوادمي بقوله:

زين شوف شْداد هو وايّا مِسَامَه
وام ركوه وام ماكر والصفاة

والأصيفر من تحت رسم العدامه
سعد ابو من شافها قبل الممات

(ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ١١٩٠).

والصفرة قارة صفراء حولها قويرات صغار تقع شرقاً من قرية ثرب التابعة لإمارة المدينة على بعد عشرين كيلاً،



وشرق جبل الذيب، وشمالاً منها يقع جبيل أحمر في متن جذيب يسمى الأُصيم وبالقرب منها ماء الصالحية وماء اليوسفية. وهناك آثار تعدين قديم منتشرة حولها. (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٨٤٧).

وصفرا مصطلح يطلق على القفاف والقور القليلة الارتفاعات ذات اللون الأصفر والأصفر الداكن، كصفراء السر وصفراء الوشم، أو ذات اللون البني كصفراء مغيراء، وهذا اللون أكثر انتشاراً في البلاد الواقعة في النطاق الممتد غرب جبل طويق غير بعيد منه. مثل صفرا السر وهي قف ممتد من الجنوب إلى الشمال، وتنحدر أوديته شرقاً في بطن السر. وسميت الصفراء لصفرة حجارتها، وتحف ببلدان السر من الغرب على طول امتداده. تبدأ من الجنوب من جانب القرنة الشمالي وتتصل شمالاً إلى حدود صفراء المذنب، وتتسع أحياناً وتضيق حيناً ويتخللها أودية وشعاب وفيها مياه حلوة.

وقد ذكرت في كتب المعاجم القديمة باسم الحلة وهي معدودة ضمن بلاد الشريف. (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٨٤٥).

وحصان القوارة نتوء جبلي أحمر اللون على شكل قارة منفردة في مكان يحتل وسط بلدة القوارة شمال القصيم وعلى مقدمته من جهة الجنوب صخرة كأنها رأس حصان. وتشكل بقية القارة في مظهرها العام جسم الحصان.

الحرات والمخاريط البركانية

البُركَان (وجمعه براكين). تل أو جبل مخروطي الشكل يتكون نتيجة خروج المواد المنصهرة والغازات المحتبسة في باطن الأرض إلى سطحها. وتراكم مقذوفات من الحجارة والرماد واللابة حول ثقب في القشرة الأرضية.

وأطلق العرب على البركان اسم البيت المرتفع أو جبل النار وذلك منذ بداية القرن الرابع الهجري عندما ذكره المسعودي في كتابه مروج الذهب (٣٣٦هـ) باسم آطام النيران. وورد لفظ بركان نار في شعر ابن زيدون (ت ٤٦٣هـ). واستمر استخدام لفظ جبل النار حتى القرن السادس الهجري عندما زاد الحديث عن جزر صقلية، ومنها جزيرة بُركَان الواقعة إلى الشمال من صقلِّية. ومن ثم بدأ استخدام الكلمة منذ القرن السادس الهجري للدلالة على عموم المواقع البركانية، سواء أكان ذلك في صقلية أم في غيرها. وربما ساعد على انتشار المسمى أن بركان هو إله النار



عند اليونان وأن له خصائص طبيعية أهمها تميزه بمقذوفات بركانية نارية، ووفرة خروج الدخان من الفوهة، وأصوات الانفجارات. ويدل ذلك على أن العرب قد خصصوا هذه الكلمة لنوع معين من البراكين، واستخدموها اسماً علمياً للبراكين المماثلة في هذه الخصائص.

أما الحرَّة، وجمعها حرات فهي اللاَّبَة وجمعها لابَات. وقد جاء في تعريف الحرة أنها أرض ذات حجارة سود نَخِرَة كأنما أحرقت بالنار، وقيل الحرة من الأرضين الصُّلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود كأنها مُطرت، وربما كانت الحَرَّة في اتساعها مسيرة ليلتين مربعتين أو ثلاث، منها حجارة أمثال الإبل البروك كأنما شيطت بالنار، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود، وإنما سودها كثرة حجارتها وتدانيها. وتسمى في جازان الرَّح. وقد أطلق العرب مسمى الحرة على المناطق المغطاة بالصخور البازلتية السوداء الناشئة عن تصلب الصهير المنبثق من باطن الأرض، سواء أكان من خلال الشقوق والانكسارات أم من فوهات البراكين. وبعد أن يتصلب يتشقق نتيجة لتباين الظروف الحرارية في الصحراء بين الليل والنهار والشتاء والصيف مما يؤدي إلى ظهور الحَرَّة في شكل صخور منثورة فوق سطح الأرض، وقد تكون هذه الصخور مبعثرة أو متراكمة فوق بعضها تبعاً للنشاط البركاني وتتابعه، وكذلك القرب أو البعد من مركز الشقوق. ومن أكثر الحرات انتشاراً في بلاد العرب تلك الواقعة في غرب شبه الجزيرة العربية. وهي تمتد من جبال اليمن جنوباً حتى هضبة حوران وجبل الدروز في سوريا شمالاً، وأهمها هو تلك الحرات الواقعة ضمن حدود المملكة وتنتشر في النطاق الغربي المرتبط بالدرع العربي بالدرجة الأولى. ويصل مجموع مساحة الحرات في المملكة ٨٦٤٠٠ كم٢. أي ما نسبته ٣,٨٤٪ من مساحة المملكة، وفيما يلي أسماء هذه الحرات وتوزيعها داخل المملكة من الشمال إلى الجنوب:

حرة الحرة. في أقصى شمال المملكة، ولها امتدادات إقليمية إلى الأردن، وتقع بين دائرتي العرض ٢٠َ ٣٠ْ و ٤٠َ ٣١ْ شمالاً، وخطي الطول ١٥َ ٣٧ْ و ٤٠َ ٣٩ْ شرقا. وتصل مساحتها ١٤,٦٠٠كم٢ أي ما نسبته ١٧٪ من مجموع مساحة الحرات في المملكة.

وتتصل حرة الحرة بين وادي السرحان وبين صحراء الحماد، وتمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، تعرف باسم الحرة يحدها من الجنوب المنخفضات



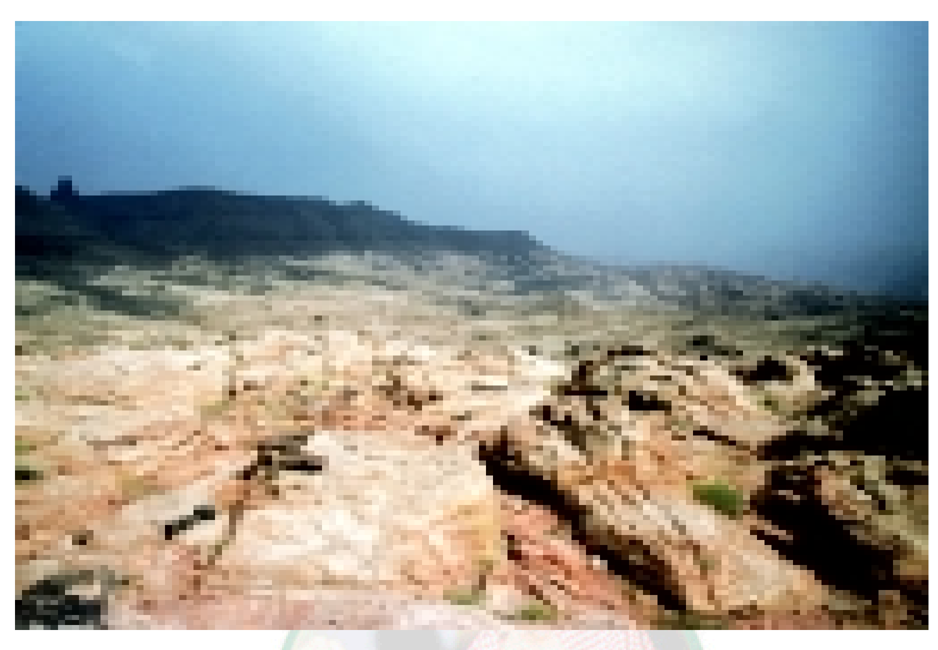


حرة الحرّة

الواقعة بين وادي السرحان وجوبة الجوف حيث تنحدر سيول طرف الحرة الجنوبي في أودية صغيرة، منها: شعبان غرايس وشعيب السيب وشعيب القطب ووادي معارك، وكلها من روافد وادي السرحان في جوانبه الشرقية الجنوبية. ويحدها غرباً منخفضات الوادي التي تنحدر سيولها من الحرة نفسها، ومنها: شعيب السندلة ووادي الأعيلي وأبو سليلات ووادي الجابية وأبو طرفا وقراقر. وتمتد شرقاً بامتداد الحماد يفصل بينهما خور يدعى خور أم أوعال. وتبرز من هذه الحرة آكام ومرتفعات لها أسماء معروفة، منها الثايات في جنوبها، والرحى والعمود في شرقها، وليلى ولسّ والعاقر في وسطها، والمِسْمَى وشداد المسمى في الشمال الغربي منها، والحنو وأفيحم وضريبينات والخطيمي وكتيفة طريف في الشمال الشرقي منها، وأقرن ودوقراء والمصلى والخلاد وكتب الشامة في شمالها. ومن أوديتها غير التي تنحدر جنوب وادي السرحان والتي تنحدر من جنوبها شعيب الشيحية، وشعيب الروثية الغربية والروثية الشرقية وكلها في شرقيها.

وقد يطلق على هذه الحرة حرة ليلى القصوى ربما لوجود جبل فيها يدعى ليلى (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٠٧-٤٠٨).





حرة بهل (الرحا – عويرض)

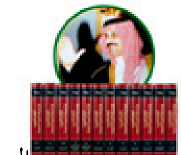
حرتا بَهْل (الرحا–العويرض). تقعان جنوب شرق تبوك وتغطيان أجزاء من هضبة حِسْمى. وتسمى الحرة الشمالية منها سابقاً حرة الكريتيم تصغير كرتوم، وهو لغة: الصغار من الحجارة، والطويل المرتفع من الأرض. قال جميل بن معمر العذري:

وما كنت أدري ما الكراتيم قبلها
فقد كلفتنيهن فيما أكلف

ويظهر أن جميلاً أراد حرة قومه وأنه لم يكن يألفها إلا لأجل حبيبته فجمعها مع ما حولها من المواضع (الجاسر د.ت. ج٣: ١١٤٤). وتعرف حالياً باسم الرحى. والقسم الجنوبي منها امتداد لها كان يسمى حرة سلامان وحالياً حرة العويرض، وتمتد حتى مدينة العُلا جنوباً. وتقع الحرتان بين دائرتي العرض ٣٠َ ٢٦ْ و ١٠َ ٢٨ْ شمالاً، وخطي الطول ١٠َ ٣٦ْ و ٥٠َ ٣٨ْ شرقاً، وتصل مساحتهما ٦٢٠٠كم٢، أي ما نسبته ٧٪ من مساحة حَرَّات المملكة.

حرة جبل ريشة. تقع على الطرف الأيمن لوادي الجَزْلْ، أحد روافد وادي الحمض، إلى الجنوب مباشرة من حرة العويرض وتصل مساحتها ٢٠٠كم٢.

حرة لُنيّر. تقع إلى الشرق من مدينة أُمْ لُجْ وتمتد ألسنة منها حتى البحر إلى الشمال من المدينة المذكورة ويسمى اللسان



في هذه المنطقة حرة قليب. كما تمتد حرة لنير جنوباً لتشكل المناطق المرتفعة من جبل مشقق. وتصل مساحة الحرة ١٧٠٠ كم[٢] أي أقل من ٢٪ من مجموع مساحة الحرات بالمملكة.

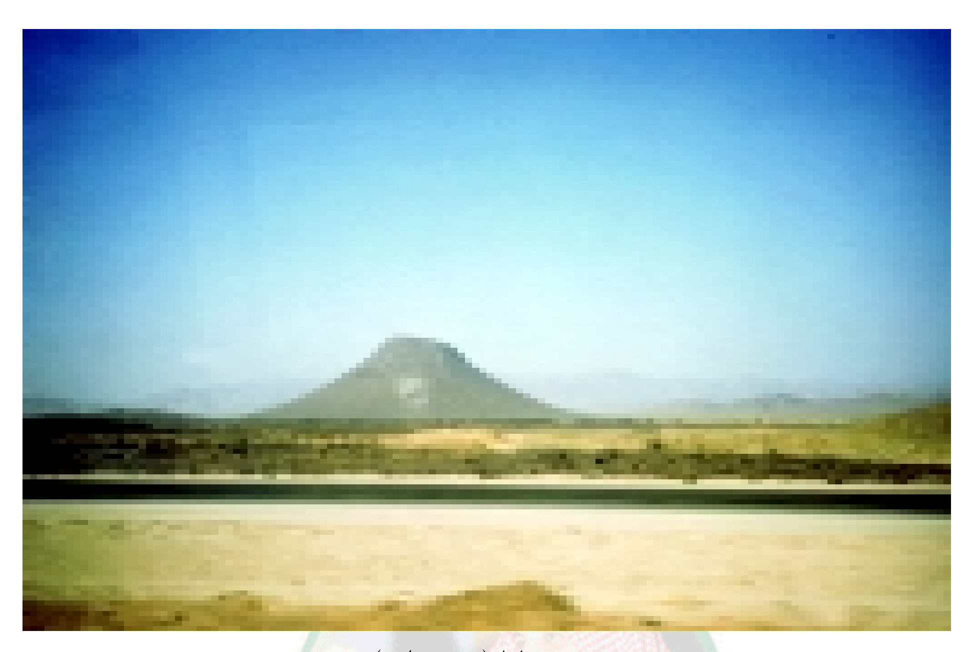
حرة النار. سميت بهذا الاسم بسبب ظهور النار في هذه الحرة، نتيجة حدوث ثوران بركاني قبل الإسلام. ولذا سميت نار الحَرَّتين، وكانت تلك النار ببلاد عَبْس، وكانت طيء ترعى بها إبلها ليلاً من مسيرة ثلاث. وتسمى حالياً حرة خيبر نسبة إلى مدينة خيبر الواقعة في غربيها، وتمتد هذه الحرة على مساحة واسعة إلى الشمال من المدينة المنورة، وتسمى في قسمها الشمالي الشرقي حرة بني رشيد، بينما في قسمها الجنوبي الغربي حرة الكورة أو الكرى. ومقابل الكرى على الطرف الغربي لوادي الحمض حرة صغيرة في منطقة الجرف هي امتداد للكرى ولكنها مفصولة عنها بالوادي. وتصل مساحة الحرة ٢١٤٠٠كم[٢] أي ما نسبته ٢٤,٧٦٪ من مجموع مساحة الحرات في المملكة، وتعتبر بذلك أكبر حرات المملكة على الإطلاق.

حرة بني رشيد. تقع هذه الحرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة حائل على الطرف الجنوبي الشرقي لجبال سلمى. وهي الحرة الوحيدة المتطرفة عن باقي الحرات، حيث تقع على الأطراف الشمالية الشرقية للدرع العربي. وتصل مساحتها ٨٠٠كم[٢] أي ما نسبته أقل من ١٪ من المجموع الكلي لمساحة الحرات بالمملكة.

حرة كَرَمْاء. تقع إلى الجنوب من حرة خيبر وإلى الشرق من المدينة المنورة على طريق القصيم. وتقع عموماً بين حرتي خيبر شمالاً وحرة رُهَاط جنوباً، ومع قربها من الحرتين إلا أنها مفصولة عنهما. ففي الشمال يفصل طريق المدينة–القصيم بينها وبين حرة خيبر، بينما يفصل قاع حَظُوظَاءْ بينها وبين حرة رُهَاطْ في الجنوب الغربي. وتصل مساحتها ١٠٠٠كم[٢].

حرة رُهَاط. وتعرف هذه الحرة قديماً باسم حرة بني سليم، وتشمل هذه التسمية أيضاً حرة كُشُب الواقعة إلى الشرق منها. وقد سميت حرة رُهَاط نسبة إلى بلدة رُهَاط الواقعة في القسم الجنوبي منها. وتشتمل هذه الحرة على أسماء محلية عديدة، وهي من الحرات الكبيرة إذ تبلغ مساحتها ٢٠,٤٠٠كم[٢]، أي ما نسبته ٢٣٪ من مجموع مساحة الحرات بالمملكة، وهي بذلك ثاني حرات المملكة في المساحة بعد حرة خيبر، وتمتد من شمال مكة المكرمة حتى المدينة المنورة. ويطوق القسم الشمالي لهذه الحرة المدينة

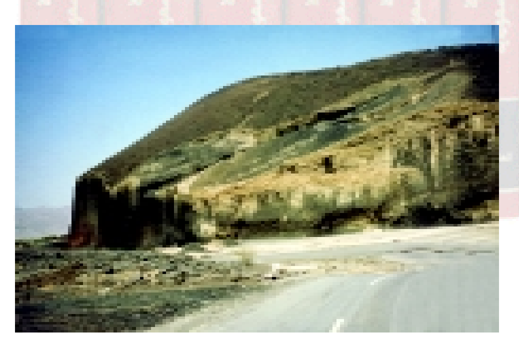




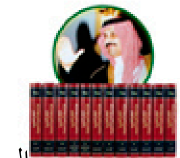
حرة رهاط (بني سليم)

المنورة من الشرق والغرب، حيث يعرف النطاق الشرقي بحرة واقم أو الحرة الشرقية التي كان فيها بَنو قُرَيْظَة في عهد رسول الله ﷺ. أما النطاق الغربي أو الحرة الغربية فتسمى حرة الوبرة، وهما الحرتان المقصودتان في حديثه ﷺ أنه حَرَّم ما بين لابتي المدينة.

وتقطع هذه الحرَّة مجموعة من الأودية، منها وادي أم لج على السفوح الغربية لها. ويأخذ أم لج من حرة بني سليم، بين رأسي غران وقديد شمالاً، يظاهره في الشرق أودية: المحاني وحاذة، تدفع شرقاً في النجيل. ويتجه أم لج غرباً فيسمى ساية؛ وهو واد خصيب فيه عيون وقرى ومزارع كثيرة، تدفع فيه فروع في كل منها قرى ومزارع، فإذا اجتمع مع وبح الضرعاء سمي الوادي المرواني بضم الميم، ومياهه غزيرة غير أن زراعته قليلة لعدم استصلاحه. فإذا وصل عين الخوار سمي وادي الخوار،



الحرة الشرقية (المدينة المنورة)



وفيه أربع عيـون وقرى مأهولة ومزارع أخرى عـلى الآبـار. فإذا اجـتاز هذه الأجزاع اندفع فجأة في متسع من السهل يبلغ طوله عشرين كيلاً، وعرضه يزيد على خمسة عـشر كيلاً، يتصل به من الجنوب سـهل الكديد وغران، مـكوناً سهلاً يبلغ من الجنوب إلى الشمال خمسة وثلاثين كيلاً، ومن الشرق إلى الغرب عشرين كيلاً ويتسع -لو استصلح كله- لثـلاثمائـة ألف نفس يـعيشـون على زراعته.

وهذا الـسهـل هو الجزع المـسمـى خليص، وهو من أخصب أودية الحجاز إطلاقاً. وكانـت الذرة تزرع فيه ثلاث مرات في السـنة، وكانت إذا حصدت ذرته ترخص الذرة في جدة، ولهذا سمي مصر الصغير لكثرة خيراتـه. وفيه الآن قرابة خمـسمائة بئر عـليها آلات ضخ زراعية، تنتج أنواع الحمضيات وجميع أنواع الخضار، وجرب فيه العنب فجاد. وبه أراض بور تتـسع لأكثر من تلك، وماء آباره غزير قريب عذب في أغلبه، وفيه عـين جارية. ويقـسم السيـل في خليص بين المزارع بسدود ترابية (عقوم)، ولا يذهب منه إلى البحر إلا الفائض، غير أن سيل هذا الوادي الضـخم كثيراً ما يجتـاح المزروعات فيذهب بـها إلى البحر الأحمر، فإذا تجاوز الوادي سهل خليص دفع في الـساحل حيث يسمى ثُوَل، فيسقي مزروعـات بعلية (عثرية) حول بلدة الدعيـجية ثم يذهب فائضه إلى البحر.

يقولون: لولا النيل لكانـت مصر قفراً، ولولا جبلا شمنـصير وجمدان لكان أم لج عامة وخليص خاصة من أجدب أودية الحجاز. فشمنصير جبل عظيـم الارتفاع معرض للأمـطار في جميع فصول السنة، وروافد أم لج تحيط به إحاطة تجعل كل ما يسيل منه يذهب إلى خليص، مما جعل أم لج يسيل في السنة أكثر مـن عشرين سيلة أحياناً.

وقيل: ساية واد يطلع إليه من الشراة، وهو واد بين حاميـتين، وهما حرتان سوداوان بهما قرى كثيرة مسماة وطرق من نواح كثيرة، وفي أعلاها قرية يقال لها الفارع، ووالي ساية من قبل صاحب المدينة، وفيها نخل وأصلها لولد علي بـن أبي طـالـب # إلى أن يـقـول: وساية واد عظـيم به أكثر من سبـعين عيناً. وهو وادي أم لج.

وقال مالك بن خالد الهذلي:

بـودك أصـحابـي فـلا تـزدهـيهـم
بـسايـة إذ مـدت علـينـا الحـلائب

وقال المعطّل الهذلي:



ألا أصبحت ظمياء قد نزحت بها
نوى خيتعور طرحها وشتاتها
وقالت تَعَلَّم أن مابين ساية
وبين دفاق روحة وغداتها

وزاد البكري: وفي ساية دفنت ليلى الأخيلية.

حرة كُشُب. وتقع إلى الشرق من حرة رهاط بحوالي ٢٥ كيلاً، ويفصلها عنها مجموعة من السِّباخ والخَبِرات أهمها من الشمال إلى الجنوب سبخة الخفقان (أو الدمثة) وخبراء العَرِنْ وسبخة فَاضَةَ الملح. وسبخة المسلح أقصاها من الجنوب. وتبلغ مساحة حرة كشب ٦١٠٠كم² أي ما نسبته ٧٪ من مجموع مساحة الحرات بالمملكة. وقد ورد أن كشب من الجبال المتربعة في عالية نجد تتصل به العديد من الآكام والأودية والحرار، مثل حرة كشب. قال بشامة بن عمرو:

فمرت على كُشُبٍ غدوة
وجازت بجنب أريكٍ أصيلا

وهو جبل أسود تحيط به الجبال والحرار التي تمتد من الشمال إلى الجنوب. وهي صعبة المسلك خشنة الحجارة تمتد من طريق حج البصرة (طريق زبيدة) حتى طريق الرياض– الطائف، ويسمى في هذه المنطقة المنقى. قال عرّام «طريق زبيدة يدعوه بنو سليم منقى زبيدة» وتكثر في هذه الحرة الشجيرات المختلفة والأودية المنسابة إلى الشمال والجنوب والغرب مثل البطان. وجبل كشب كثير الحجارة النخرة، قالت صالحة العيسائية:

يامرحباً عدة حصى كشب واكثر
وعدة جرادٍ طايرٍ من مقيله

وتنقاد من شرقي كشب حرة تضاف إليها ويسميها بعض الأعراب المتأخرين حرة المويه. وكشب بلدة في وسط منخفض تحيط به الجبال، وتربتها سبخة بها زراعات قليلة ومياهها مرة. ومن المياه القريبة منها مران ذكره عرام فقال «وقرية يقال لها مرّان قرية غَنَّاء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع، وهي على طريق البصرة لبني هلال وجزء لبني ماعز، وبها حصن ومنبر وبها ناس كثير». وجاء في بلاد العرب: ثم مران وهو ماء وقرية غناء كبيرة ونخيل. ولكن الملاحظ أن مران مياهه مرّة قليلة (ومن هذا كان اسمه) لا تصلح للري، وتربته سبخة، وجباله صعبة المسالك، وأوديته جارفة لا تصلح للزراعة، أو السكن أو النبت. وبالمكان آثار إلى هذا اليوم، وأصول نخل ودوم. وعلى ذكر مرّان هناك بالقرب منه الخوارة ماؤها مشهور ودغيبجة لعلها التي يطلق عليها قديماً





الحجارة البركانية في حرة كشب

الشبيكة بينها وبين مرّان ثلاثة أميال قال ابن بليهد:

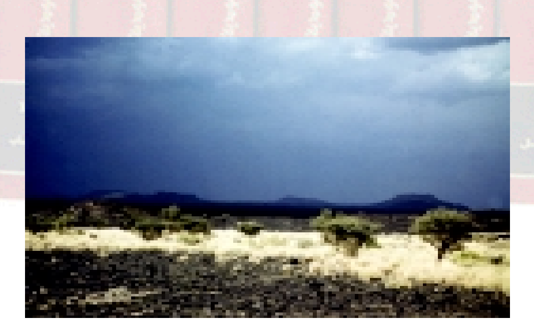
علـى فرُوت كَـنَّـهـن القَـرانـيـس
مَرَّنْ خُـشوم دغيـبجه تمـرِسْ امْرَاس

(ابن بليهد ١٩٧٢، ج٣: ٣٩).

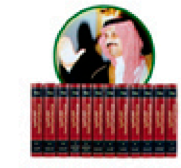
وبالقرب منه جبل الحلمـة، جنوب غرب كشب، يكثر حوله شجر الوهـط والسمر والسلم، به مغارات وتضاعيف ومخابئ، وقد وردت الحلمة في أرجوزة في قول الـلص المحاربي وهو يـتلمس الحجاج فـي تلك القـطعة من الأرض يقول:

نَـلْتَـمـس الطُـرَّاق وقْـتَ الـعَتَـمَـهْ
ولـلـسّـبـاع وَهَـج وهَـمْـهَـمَـهْ
فـي مَـهمَـه يـجُـيـزه مـن علَـمـه
ونَـهْـتـدي فـيـه بـراس الحَـلَـمـهْ

والحلـمة: ذكـرها يـاقوت وقال: الحلمتان موضع كانت به وقعة للعرب. ولم يـزد على هذه الـعبارة. وبجـواره حزون وقفاف وأجارع، ومثله جبل بسيان قال الشاعر:



الغطاء النباتي في حرة كشب



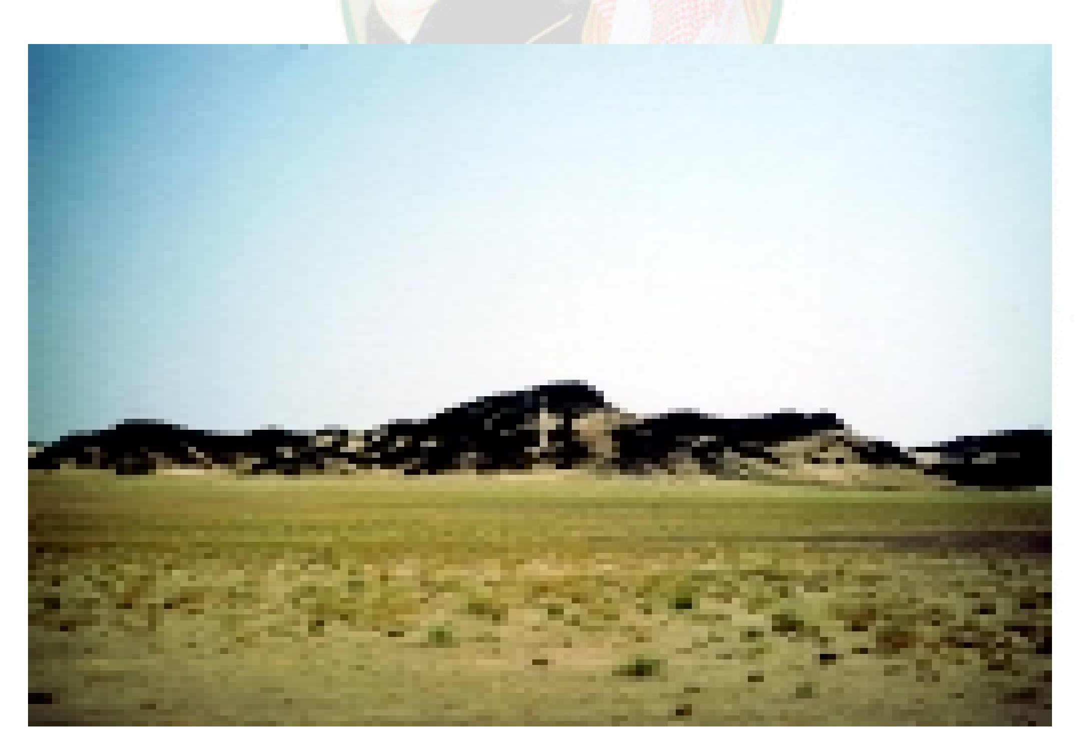
ونحـن قتـلنا ابـني طمـية بـالعصـا
ونحـن قتـلنـا يوم بـسيـان مسـهرا

وقال سباق الباهلي:

حَـمَـوا مـا بـين دار بنـي سُـلَـيْـم
إلـى مـا رَد فَـيْـد، إلــى طَـمِـيَـه
إلـى دار الحـريـش فــبـطـن بِـرْك
بـلاداً لا تــعـنِّـفُـهـا الـرّعـيـه

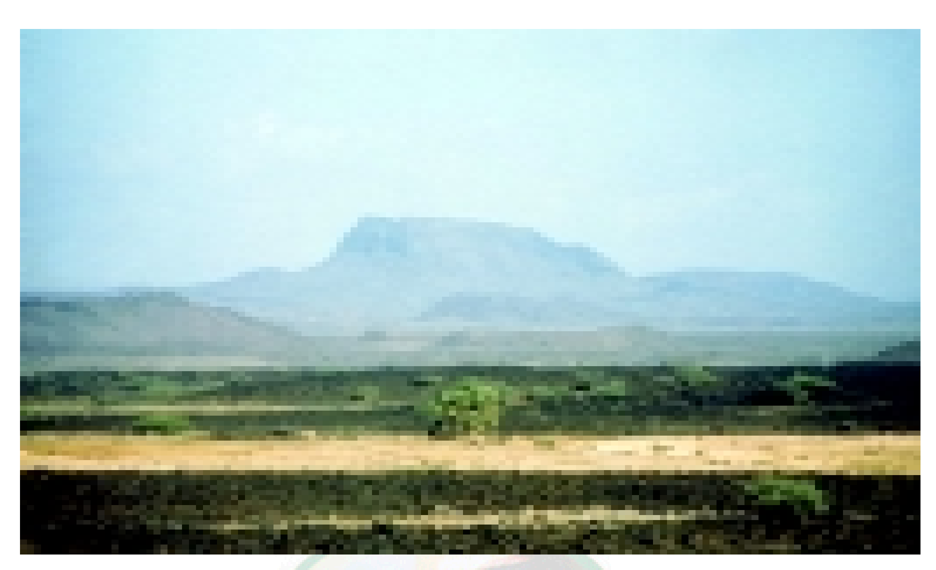
وطمية هضبة في بلاد بني أسد يليها جبل يقال له عكاش.

حرة حَضَنْ. تقع إلى الجنوب مباشرة من حرة كشـب بين دائرتـي العـرض ١٥َ ٢١ْ و ٢٣َ ٢٢ْ شمالاً، وخطي الطول ١٥َ ٤١ْ و٤٥َ ٤١ْ شرقاً، وذلك بين ركبة وتربـة. وتصل مسـاحتهـا ٣٢٠٠كم٢ بحيث تشكل ٣,٥٪ من المجموع الكلي لمساحة الحرات في المملكة. وبهذه الحرة جبل حضن الشهير وفيه المثل «أنجد من رأى حضناً» وهو جبل عملاق شهير يمتد من الغرب إلى الشرق ويطل من الجنوب على تربـة والخرمة والحِشرج والغريـف والقنصلية والحرة ويطل من الغرب على رضوان وسيسد والماعزي وحرة جـلدان والقرشية ويطل من الشرق على الشعفين والحزم ونفود سبيع (ابن خميس ١٤١٠، ج١: ٢١٠).



حرة حضن





حرة البرك في تهامة

حرة النواصف والبقوم. تقع هذه الحرة إلى الجنوب الشرقي من حرة حضن بين دائرتي العرض ٣٠َ ٢٠ْ و٢٢ْ شمالاً، وخطي الطول ٣٠َ ٤١ْ و٤٥َ ٤٢ْ شرقاً. ويفصلها عن حرة حضن مجرى وادي تربة والطريق الواصل بين مدينة تربة ومدينة الخُرْمَة. وتصل مساحتها ١٠٨٠٠كم٢، أي ما نسبته ٥ر١٢٪ من إجمالي مساحة الحرات في المملكة.

وقد عُرفت هذه الحرة قديماً بأسماء عديدة، أولها حرة بني هلال ثم حرة نجد، قال الراجز:

حرة نجد لا سقيتِ المطرا

من الكراعين إلى وادي كرا

وتعرف حالياً بحرة النواصف، ويطلق على قسمها الجنوبي حرة البقوم. ومن أشهر جبالها جبلا نعمي وسفيرة بين الخرمة ورنية بجوار الجوهرية، ولهما قصة حب كما لجبلي عكاش وطمية في نجد. يقول الشاعر الشعبي:

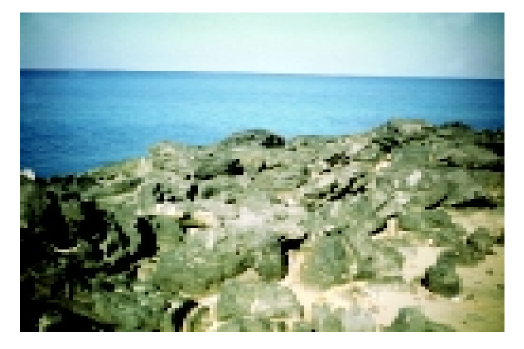
لولا الحيا جوزت نعمي سفيره

وارسلت للمصلوخ يرعى غنمها

وهي حرة مستطيلة من الشرق إلى الغرب، يحدها شمالاً جبلا القوس والخل، وجنوباً رياض ابن غنام، وغرباً وادي كرا، وشرقاً وجنوباً وادي رنية وجبل الكور (السبيعي ١٤١٤: ٧١-٧٢).

والحقيقة أن تحديد هذه الحرة ليس واضحاً تماماً فهناك من يرى أن حدودها





الصخور البركانية على ساحل البحر الأحمر في حرة البرك

الحقيقية هي من الشمال وادي تربة ومن الجنوب جبل رافة وغرباً جبل عيسان وشرقاً جبال الطرف والعاقر وشعران.

حرة البرك. في تهامة على امتداد ساحل البحر الأحمر في منطقة برك (البريك) في جنوب القنفذة بين دائرتي العرض ٤٥َ ١٧ْ و ٤٥َ ١٨ْ شمالاً، وخطي الطول ٢٤َ ٤١ْ و ٥٧َ ٤١ْ شرقاً. وتصل مساحتها ١٠٠٠كم²، أو ما يعادل ١,١٥٪ من المجموع الكلي لمساحة الحرات بالمملكة.

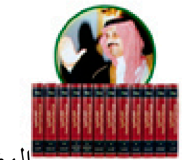
حرة السراة. إلى الجنوب الشرقي من مدينة خميس مشيط على الطريق المتجه إلى مدينة نجران، وذلك بين دائرتي العرض ٣٦َ ١٧ْ و ١٥َ ١٨ْ شمالاً، وخطي الطول ٤٣ْ و ٢٦َ ٤٣ْ شرقاً. وتقدر مساحتها بـ ٧٠٠كم² أي أقل من ١٪ من مساحة حرات المملكة.

حرات جبال الطرف -عَكْوَة- أُمُّ القِمَمْ. تقع هذه الحرات إلى الشرق من مدينة جازان بين دائرتي العرض ٥٠َ ١٦ْ و ١٧َ ١٧ْ شمالاً، وخطي الطول ٣٩َ ٤٢ْ و ٥٨َ ٤٢ْ شرقاً. وهي متعاقبة بعضها خلف بعض من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتبتعد عن بعضها بين ٨-١٧كم. وتبتعد عن مدينة جازان بين ٣٠-٣٥كم. وتصل مساحة هذه الحرات مجتمعة ١٠٠كم² أي ما يعادل ١,٠٪ من مجموع مساحة الحرات في المملكة.

وهناك حرات أخرى كثيرة كلها صغيرة المساحة تتوزع في سهول تهامة على البحر الأحمر من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. منها حرة طفيل وحرة العليان وغيرها.

مظاهر الحرات

تتوقف مظاهر الحرات وأشكالها الأرضية على طبيعة المقذوفات البركانية وخاصة على تركيبها الكيميائي. وتعتبر نسبة السيليكا في الماجما مقياساً لمدى لزوجة المقذوفات البركانية وكثافتها ولونها، حيث إن زيادة السيليكا تؤدي إلى زيادة اللزوجة وقلة الكثافة وميل الصخر إلى الألوان الفاتحة. ويطلق على هذا النوع من الصخر صخر حامضي.



أما قلة نسبة السيليكا فتؤدي إلى العكس من ذلك تماماً ويسمى الصخر عند ذلك صخراً قاعدياً. وتطلق البراكين مواداً متنوعة من المقذوفات التي تتخذ حالات متعددة سائلة أو صلبة أو غازية. ومن أشهر المواد السائلة اللابة وتنقسم بدورها إلى قسمين: حامضية وقاعدية. ويتوقف شكلها الخارجي على ذلك، وتتنوع اللابة إلى لابة كتلية ولابة خيطية. وكلاهما ينساح حسب لزوجته ويشكل سطح الحرات الواسعة. أما المواد الصلبة فمن أشهرها المقذوفات البركانية المكونة من القنابل البركانية والبريشا وصخر الخَفَّاف والرماد البركاني. وهي غالباً ما تشكل المخاريط البركانية. ويصاحب عادة النوعين السابقين خروج غازات بركانية مصحوبة بأبخرة ساخنة، وكثيراً ما تتكون هذه الغازات من أنواع سامة أو خانقة كالكبريت، أو ثاني أكسيد الكربون.

ومن مظاهر الحرات:

الأشنة (الأشنات): أحياء دقيقة تؤثر في الطبقة السطحية من صخور الحرة البازلتية، نتيجة ازدياد الرطوبة، فيتغير لذلك لون الصخر إلى اللون الأبيض الضارب للخضرة. وربما كانت الكلمة في الأصل عربية محرفة عن كلمة آسن من أسن الماء يأسن بمعنى تغير.

البراكين الطباقية: وهي مخاريط بركانية مكونة من طبقات متعاقبة من الرماد واللابة، وحول البركان عادة براكين صغيرة متطفلة.

الثَّبْرة (الثَّبْرَات): أرض حجارتها كحجارة الحرة إلا أنها بيض. وفي المخصص البَثْرة بتقديم الباء على الثاء، ومعناها في معاجم اللغة قريب من الثبرة. وربما كان المقصود بهذا اللفظ حجارة الحرة حينما تتأثر بالأشنة، فيتغير لذلك لون الصخر إلى اللون الأبيض الضارب للخضرة. وتنتشر هذه الظاهرة حيث تزداد نسبة الرطوبة في الحرات الشمالية من شبه الجزيرة العربية لازدياد التساقط هناك، كما تنتشر عند جوانب الأودية ومرافضها.

الحرة: هيكل حجري مستطيل يُرى من بعيد كالمسطرة استقامة، له وسقة مستريحة يسمونها القرى حجارتها سوداء صلبة، ولا تسمى حرة إلا ذات حجارة سوداء، وتسمى الظاهرة.

الخُفُّ (الخفاف): طفوح لابيَّة في شكل ركامات مرتفعة صلبة تتماشى مع خطوط الصدوع، أو المسيلات المائية التي يتدفق خلالها المهل البركاني. وقد قسم العرب تلك الطفوح إلى أربعة أقسام بحسب طولها هي: النَّعْل وهو شبيه بالنّعل فيه ارتفاع وصلابة، والخُفُّ،



والضلع أطول من الكراع، وهي ملتوية كأنها ضلع.

المقذوفات البركانية: ويقصد بها جميع ما تقذفه البراكين من مواد غازية أو سائلة أو صلبة كالغازات واللابة والصخور أو الرماد البركاني.

المُهْل: المهل كل فلز أذيب. والفلز جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس. والمهل هو الذي نطلق عليه بالمصطلح الدارج اسم الصهير، للدلالة على ما قذفت به البراكين من المعادن الذائبة. كما يطلق على المادة القطرانية الخفيفة المستخرجة من صهر الأخشاب.

النَّسْفَة (النُّسَّاف، النَّسَف): النِّسْفَة من حجارة الحَرَّة تكون نَجِرة ذات نَخاريب يُنْسف بها الوسخ من الأقدام في الحمامات، يسمى النُّسَف بالسين وقيل بالشين.

النَّشْفَة (النَّشَف): اعتمد مجمع اللغة العربية هذا المصطلح للدلالة على الصخور البركانية الخفيفة (حجر خفَّاف) التي تستعمل في تنظيف الأرجل، وفي لسان العرب «النشف حجارة على قدر الزفهار ونحوها سود كأنها محترقة تسمى نشفة ونشفا، وهو الذي ينقى به الوسخ في الحمامات، سميت نشفة لتَنَشُّفِها الماء وقيل لانتشافها الوسخ عن مواضعه». وزاد الأصمعي «النَّشْف بالتسكين والتحريك حجارة الحَرَّة. وهي سود كأنها محترقة، الواحدة نَشْفة». وقد أشار إلى هذا المصطلح الحميري في الروض المعطار فذكر أنه الحجر الذي يكون بالبركان.

اسم الحرة	العمر الزمني	المساحة كم٢	المجموع
(السراة) السراة ج/ طرف	أوليجوسين	٦٠٠ ١٠٠ ١٠٠	٨٠٠
حَضَن شمة الكُرَاع طريق الليث طريق الليث	مايوسين أدنى	٣٢٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ١٠٠	٣٦٠٠
رُهَاط خَيْبَر الحَرَّة البرك	مايوسين أوسط	١٨٠٠٠ ٧٧٠٠ ١٤٦٠٠ ٥٠٠	٤٠٨٠٠
الرَّحَا والعَوَيْرِضْ حرة جبل ريشَة	مايوسين أعلى بلايوسين	٥٣٠٠ ٢٠٠	٥٥٠٠
شرق البرك شرق خيبر كُشُبْ النواصف والبقوم كَرْمَاء شمال رهاط بني رشيد	رباعي حديث	٥٠٠ ١٣٧٠٠ ٦١٠٠ ١٠٨٠٠ ١٠٠٠ ٢٢٠٠ ٨٠٠	٣٥١٠٠
لنير شرق الرحا		١٧٠٠ ٩٠٠	٢٦٠٠
			٨٦٤٠٠

مساحات الحرات وأعمارها في المملكة



تتمثل في حرات المملكة جميع الأشكال البركانية وجميع أنواع المقذوفات البركانية التي تضم الأشكال الأربعة التالية: اللابة (المسطحات البركانية)، وفوهات الخسف والانفجار (الصُّحُر)، وفتحات (منخفضات) التبرد (الفقآن) والمخاريط البركانية. وسوف نستعرضها جميعاً فيما يلي حسب انتشارها في حرات المملكة:

اللابة (المسطحات البركانية): تشكل اللابات عملياً معظم سطح الحرات في المملكة، وعادة ما تتخذ اللابات أشكال أسطح بازلتية متعاقبة بعضها فوق بعض، مختلفة زمنياً. حيث تكون الأسطح القديمة أكثر تشققاً وتعرية من الأسطح الحديثة، بينما تظهر الأسطح الحديثة وكأنما قد جمدت بالأمس. وفي العديد من المواقع تتجاور الأسطح الحديثة للابة مع الأسطح القديمة ويظهر ذلك جلياً في حرات خيبر ورهاط والرحا وكشب وبرك. كما تبدو أسطحها أحياناً على شكل كتل أو على شكل لابة خيطية.

وقد قسم العرب اللابات إلى أشكال، منها المرتفعة وهي بحسب طولها: النَّعْل والخُفُّ والكُراع والضلعَ. فالنعل شبيه بالنعل فيه ارتفاع وصلابة، وقيل هي القطعة من الحرة تنقاد في السهل يبرق حصاها لاحتوائها على تكوينات



اللابة في حرة كشب





تشكيلات بازلتية سداسية

حمضية كالرايولايت والزجاج الطبيعي. تتميز ببريقها وشدة تماسك جزئياتها، ومن ثم انعدام النبات فيها، وفي طريق الحاج من الجنوب إلى مكة أرض ذات حجارة حادة، يسميها الحجاج كلب النعال لأنها تقطع النعال. وهي بين بني الحارث وبني سعد. والخُفُّ أطول من النعل، والكُراع أطول من الخف، والضلع أطول من الكراع. ويعتبر الكراع من أكثر التسميات شيوعاً في أطراف الحرات. فالكراع كل أنف سال فتقدم من حرة، ويطلق هذا الاسم حالياً على الكُراع الممتد من حرة رُهَاط شمال جدة والذي يصل حتى البحر على شكل لسان إلى الشمال من شرم أَبْحُر، وهناك أكثر من كراع إلى الشمال منه، كما تمتد ألسنة أخرى من حرة العويرض في سهول الحجر الرملي القريبة منها. وربما كان هذا الشكل في الأصل مسائل مائية تدفق منها المهال البركاني، ثم برد وتصلب مكوناً ما سمي بالكراع. وأما الضلع فهو الحرة الرُّجَيْلة أي الشديدة الغليظة، والحرة الرجلاء هي الصلبة الخشنة، الكثيرة الحجارة، لا تعمل فيها خيل ولا إبل فلا يستطاع المشي فيها حتى يترجل فيها. ومعظم حرات المملكة أمثلة على ذلك منها حرة خيبر ورهاط، والعويرض وغيرها (الغنيم ١٩٨٨ : ٢٧-٢٩).





مقلع طمية

فوهات الخسف والانفجار: أهم هذه الأشكال المنخفضة الصُّحْرة وهي جوبة أو حفرة متسقة تنجاب عن وسط الحرة وتكون أرضاً لينة تطيف بها الحجارة. وشبيه بالصُّحرة (الفقء)، وجمعه فقآن، وهو الحفرة في وسط الحرة إلا أنه يختلف عنها في أصل نشوئه. ومن خلال هذه التعاريف للمنخفضات يمكن القول إن ماقصد به العرب الصُّحْرة إنما يتفق مع الفوهات البركانية، سواء البسيطة منها أو المركبة، التي تنتشر في مواقع عديدة مصاحبة للحرات مثل فوهة النعَّي وطابَة والهّتيمَة وهي إلى الجنوب الشرقي من مدينة حائل. أما أهم أشكال الفوهات فهو فوهة مَقْلَعْ طَميَّة في جنوب غرب حرة كشب حيث يزيد عمقها عن ٢٠٠م واتساعها عن ٣ كيلومترات. وهي فوهة بركانية مركبة نجمت عن انفجار قمة البركان وتطايرها مما تخلف عنه تكون هذا المنخفض الواسع.

فتحات أو منخفضات التبرد: الفقء فتحة تَبَرُّد لا يزيد اتساعها عن بضعة أمتار، وغالباً ما تُفْقَؤُ هذه المنخفضات عقب تصلب اللابة حيث تكون في بعض المواقع رقيقة السمك وقد انحبس تحتها فقاعة هوائية، ومن ثم لا تلبث أن تنخسف مكونة هذه الفقوء، وهي كثيرة

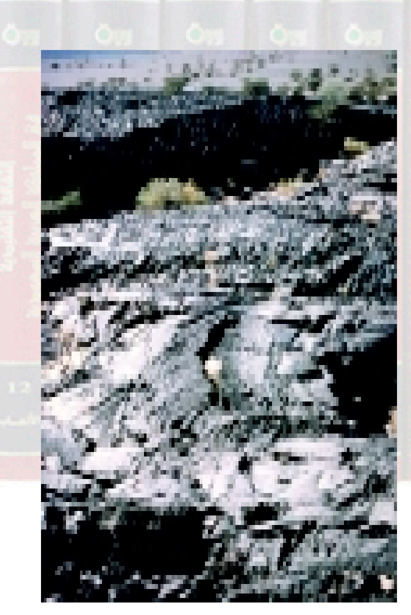




فوهة بركانية في أم الضلوع، حرة كشب

العدد جداً في الحرات، خاصة الحديثة منها، حيث تبدو وكأنها قد فُقِئَتْ بالأمس.

الصُّحْرَة (الصُّحَر): ويراد بها، لغة، حفرة متسعة تنجاب عن وسط الحَرَّة، وذكر الأصمعي أن الصحرة جوبة تنفتق بين جبال. وذكر أيضاً أنها تنجاب في الحرة وتكون أرضاً لينة تطيف بها الحجارة. ومن الوصف المتقدم يمكن القول إن الصُّحرة يقصد بها الفوهات البركانية الواسعة التي تتكون بعد انفجار البركان، فتصبح في شكل أحواض واسعة ذات جروف قائمة، وقد تكون في أرض مستوية أو بين جبال. وهو مظهر مألوف بمناطق الحرات في غرب شبه الجزيرة العربية. وأصل الكلمة



إحدى منخفضات البرد في حرة كشب





مخروط بركاني في حرة كشب

منسوب فيما يبدو إلى لون الرماد البركاني، فالصُّحرة حُمْرة تضرب إلى غبرة.

المخاريط البركانية: تتوزع هذه المخاريط عملياً في معظم حرات المملكة، إلا أن وجود المخروط البركاني حالياً يرتبط بشكل أساسي بحداثته أي بالعمر الزمني الذي مضى عليه مما أدى إلى تباين واضح في هذا التوزيع. وعلى الرغم من وجود عدة مئات من المخاريط البركانية المختلفة الأنواع والأشكال في حرات المملكة، إلا أن ما يظهر منها بشكل رئيسي لا يزيد عن ١٨٠ مخروطاً بركانياً تتوزع في الحرات كما هو موضح في الجدول.

العمر الزمني / اسم الحرة	ثلاثية	بلايستوسين	تاريخية
١- حرة الحرة	٥٤	-	-
٢- الرحا - العويرض	-	٧	٣
٣- لنير	-	٢	٢
٤- خيبر	٣	٢٩	١
٥- بني رشيد	-	٤	-
٦- رهاط	١٠	٩	١
٧- كشب	-	٧	١
٨- النواصف والبقوم	-	٢٨	٨
٩- البرك	-	٦	-
١٠- طرف وجازان	-	٦	-
المجموع	٦٧	١٠٣	١٦

توزيع المخاريط البركانية في حرار المملكة

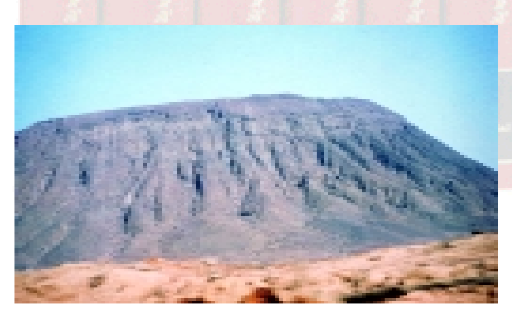




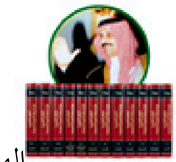
مخروط بركاني في حركة البرك

ويشير هذا الجدول بكل وضوح إلى أن زيادة أعداد البراكين في البلايستوسين لا يدل على كثافة النشاط البركاني حينذاك فحسب، وإنما أيضاً على أن هذه البراكين لم تُزِلْها عوامل التعرية بعدُ كما فعلت في البراكين الثلاثية نظراً لحداثتها.

وتتنوع هذه المخاريط البركانية بين مخاريط الرماد والبريشا والبراكين الطباقية، وبراكين مخاريط الرماد من أبسط أنواعها. ويتكون كل منها من ثقب في القشرة الأرضية تخرج منه المقذوفات البركانية من الرماد أو الغبار أو البريشا الناعمة، وتتكدس حول الثقب مما يؤدي إلى شكل مخروط الرماد الذي يخلو غالباً من اللابة. وتحتل فوهات المخاريط هذه حالياً بحيرات أو سباخ ملحية، وتكثر في كل من حرة بني رشيد وشمال شرق حرة رهاط إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة. أما براكين المقذوفات البركانية والبراكين الطباقية فتشكل الأنماط الأخرى من المخاريط في المملكة، وتتكون عادة من مقذوفات القنابل البركانية والخفاف والبريشا وتتعاقب أحياناً



مخروط بركاني، جبل عكوة، شرق جازان



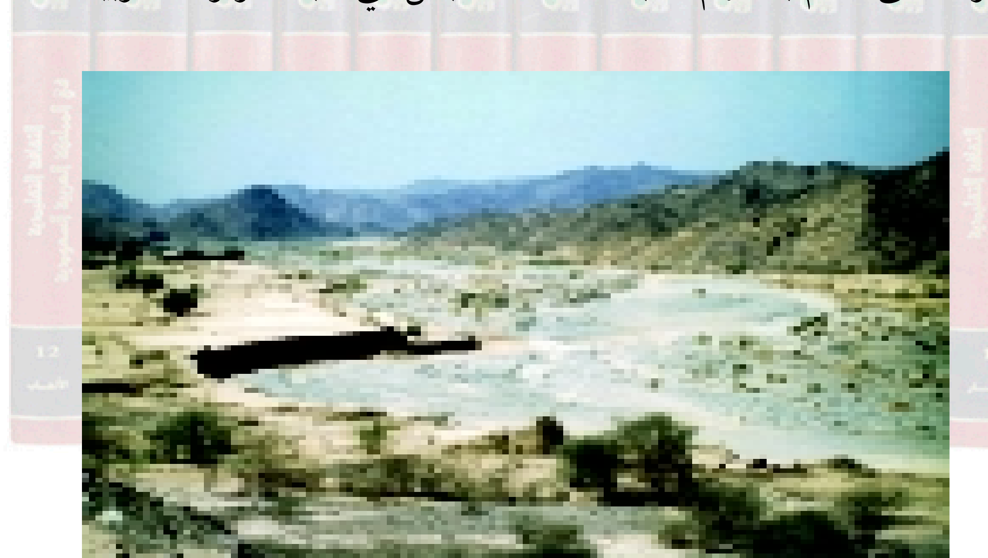
مع الرماد البركاني أو مع طبقات من اللابة. وقد تتشكل على أطراف هذا النمط من البراكين ما يعرف بانسيابات الطين البركاني حيث ينساب خليط من المقذوفات البركانية من قمة المخروط نحو الأطراف والمناطق السهلية عقب سقوط الأمطار، وتتجمع على أطراف البركان على شكل قباب مموجة. ومن أفضل الأمثلة عليها تلك الموجودة على أطراف مقلع طمية في حرة كشب.



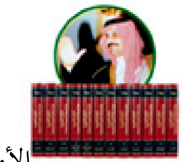
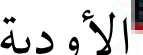
الأودية

الوادي كما عرفه ابن سيده في المخصص هو الأرض المنخفضة التي تجري فيها السيول عند هطول الأمطار، وهو منفرج بين الجبال والتلال. والجمع أَوْدِيَة، ويقال في الجمع أيضاً وديان. وهو جمع استخدم في العصور الأخيرة، وأَنِس إليه جمهور المعاصرين فجرى على أقلام بعضهم، وبخاصة أن هذا الجمع (فعلان) من أَبْنِية الجُموع العربية المعروفة (الأسد ١٩٧٢، ج٢٩: ٣٩).

ويفوق ما ذكرته العرب عن أوديتها ومجاري مياهها كل ما ذكرته عن الأشكال الأرضية الأخرى، لكونها من أهم مصادر مياهها، ولارتباطها بتوزيع القبائل في شبه الجزيرة العربية. وقد

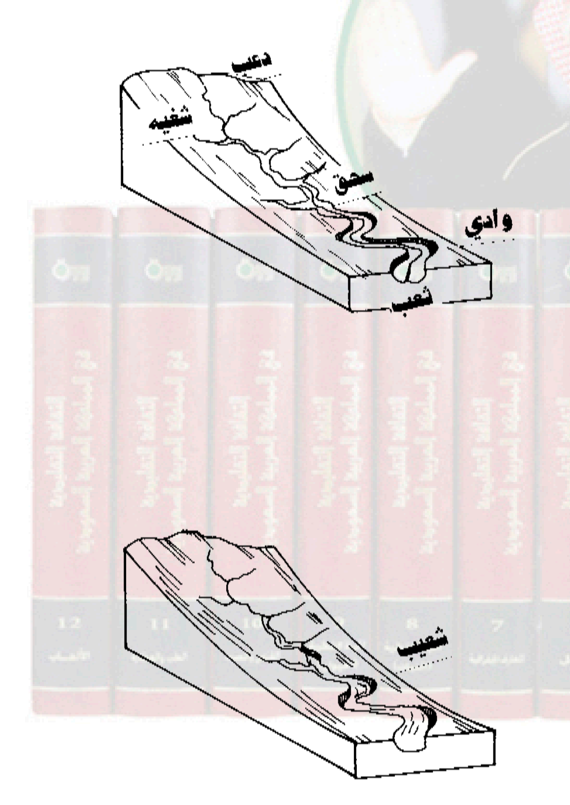


مضيق وادي الشامية، من روافد وادي فاطمة

وصفت العرب أشكال تلك الأودية من مبادئها إلى مرافضها، وفرقت في الاسم بين الأودية الشابة والبطون الهرمة. وينص المسعودي على أن الأنهار تمر بمراحل حياتية أو دورة نهرية تتراوح بين الشباب والهرم، فذكر أن لمواضع الأنهار شباباً وهرماً، وحياة وموتا، ونشأة ونشورا، كما يكون ذلك في الحيوان والنبات. غير أن الشباب والكبر في الحيوان والنبات لا يكون جزءاً بعد جزء، لكنها تشب وتكبر أجزاؤها كلها معاً، وكذلك تهرم وتموت في وقت واحد، فأما الأرض فإنها تهرم وتكبر جزءاً بعد جزء، وذلك بدوران الشمس (المسعودي ١٩٦٤، ج١ : ٩٧).

وقد عَرَّف العرب خط تقسيم المياه WaterShed بكلمة واحدة هي السَّلْع والجمع سُلُوع وأَسْلاع والسَّلْع يعني – كما ورد في معجم البلدان– الشق في الجبل، ويعني أيضاً الخط الفاصل بين تصريفين مائيين. يقول أبو زياد: الأسْلاع طرق في الجبال يسمى الواحد سَلْعاً، وهو أن يصعد الإنسان في الشِّعْب، وهو بين الجبلين، حتى يبلغ أعلى الوادي، ثم يمضي فَيَسْنُد في الجبل حتى يطلع فَيُشرف على واد آخر، يفصل بينهما هذا المَسْنَد الذي سَنَد فيه، ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء من الأرض، فذاك الرأس الذي أشرف من الواديين السَّلْع، ولا يعلوه إلاّ راجل. والبادية تقول أروس أي مشى مسنداً حتى وصل رأس الوادي أو الشعب. وللسلع اليوم أكثر من اسم، فهو الوَسَق عند البادية، ويقصد به أعلى الجبل. والوسق كل منخفض بين رأسين سواء كان في جبل أو عرق رملي أو شداد

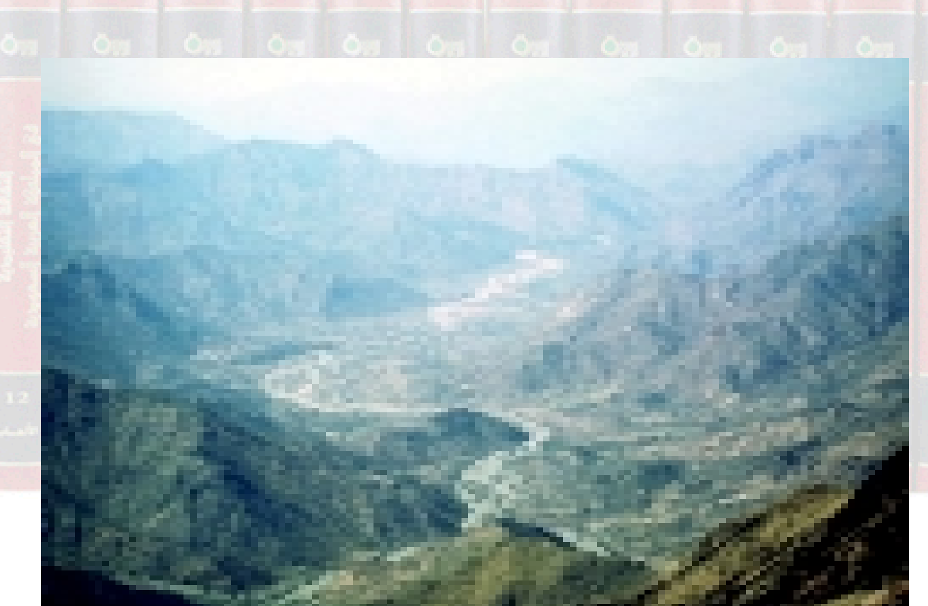


حوض التصريف



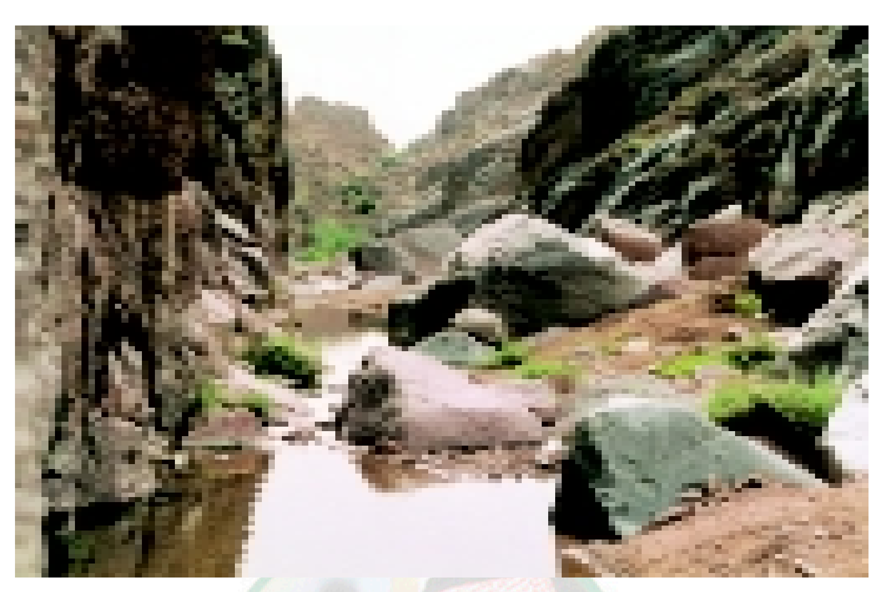
مطية. وتطلق عليه قبائل غامد وزَهْران اسم المَهَدّ، لأنه يَهدّ السَّيل على الناس من جهتين. وهناك من يسميه في منطقة شَمَّر المَقْرن أو مَـقْرن الشِّعبان (جمع شعيب في اللغة الدارجة)، أي المنطقة التي تقترب عندها رؤوس الشعاب في أعلى الجبل وتقترن. ومن أمثلة اقتران الشعاب في بلاد غامد وزهران ما يسمى مقرن صرين مثنى صر الذي يطلق على شعبين ملتقيي الرأسين أحدهما يماني والآخر شامي. ومن البادية من يسميه المراس أي الـذي يفـصل بين رأسـي واديين كل واحد ينحدر في اتجاه.

وعادة يبتدئ الوادي في عاليه من شِعاب صغار، لو صبت في إحداهن قربة أسالتها تسمى الشِّـحَاح. وأصله -كما ذكـر ابن منظـور- من الشُّح، وأرض شَحَاح تسـيل من أدنى مطرة كأنما تَشح على الماء بنفسها. وقد تسمى السربات ومفردها سربة وهي المسـايل الصغيرة في الجبل التي تصب فيما هو أكبر منها الذي هو الشعب وهو أصغر من الـشعيـب ويصب فـيه. وتدفـع الشِّحاح في النَّواشِغ (الواحدة نَاشِغَة)، وهي أضخم من الـشِّحاح، ثم تدفع النواشغ في شـعاب هي أضخم منها تسمى التِّلاع، الـواحدة تَلْع كما جاء في المخـصص لابن سيـده. والتَّلْعَـة مجرى المـاء من أعلى الوادي. وهي أرض غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع



الشحاح والنواشق، في وادي الليث




تلعة زهرة – جبل أجا

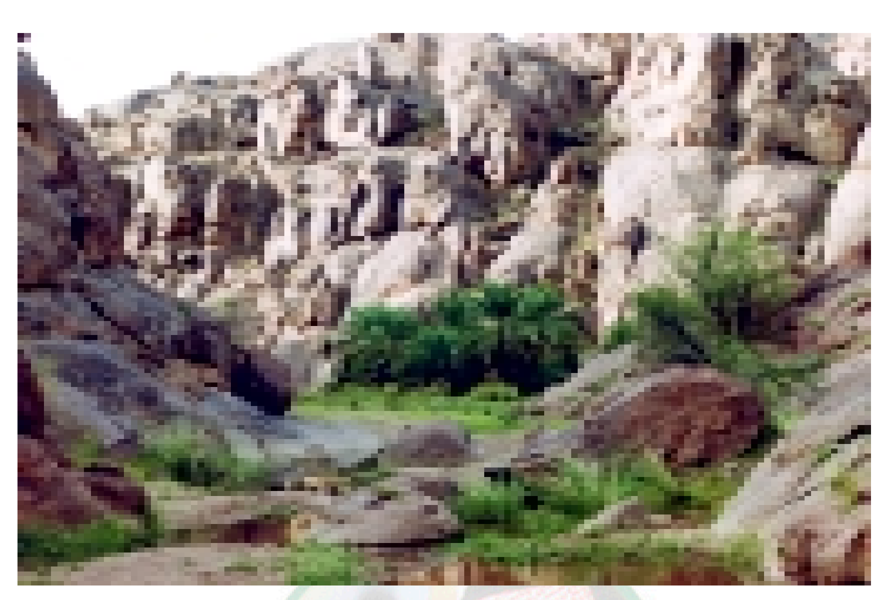
منها إلى تلعة أسفل منها. وقال شَمِر: التلاع مسايل الماء تسيل من الأسناد والنِّجاف والجبال حتى تنصب في الوادي، والأسناد جمع سند، وهو ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل أو الوادي، كما جاء في لسان العرب، والنجاف والنجف جمع نجفة، وهي أرض مستديرة مشرفة، وهي شبه التل. وتلعة الجبل أن الماء يجيء فَيَخُدُّ فيه ويحفره حتى يخلص منه، ولا تكون التلاع في الصحاري. والتَّلْعَة ربما جاءت من أبعد من خمسة فراسخ إلى الوادي، فإذا جرت من الجبال فوقعت في الصحاري حفرت فيها كهيئة الخنادق. وتسمى جراجيب ومفردها جرجوب والجرجب في اللغة الجوف.

قال الشاعر محمد بن برجس:

يا راكب اللي كنها يوم تنساب
سيلٍ تقافا مع مضاييق جرجوب

ويقول ابن منظور في لسان العرب إذا عظمت التلعة حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي مَيْثَاء. وتسمى أسافل المِيث الدَّوَافع حيث تدفع في الأودية، أسفل كل مَيْثاء دَافِعَة. وقال الأصمعي: الدَّوافع مدافع الماء إلى المِيث، والميث تدفع إلى الوادي الأعظم. وقيل الدافعة: التلعة تدفع في تلعة أخرى من مسايل الماء إذا جرى في صَبَبٍ وحُدُور من حَدَب، فترى له في مواضع قد انبسط شيئاً أو استدار ثم دَفَع في

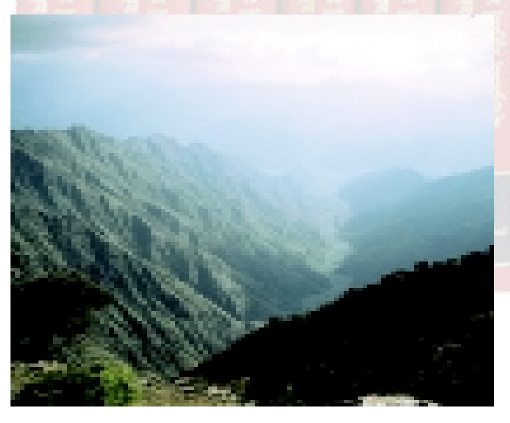




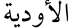
أعلى تلعة الرفاعي – جبل أجا

أخرى أسفل منه، فكل واحد من ذلك دَافِعة، والجميع الدوافع. ومجرى ما بين الدافعتين مِذْنَب. والتلعة عند بعض البادية تكون في جناب جبل يحيط بثلاث جهات منها كقوس ينزل منها الماء لأرض أسفل منها. ويطلق على أعالي الأودية أيضاً الشَّواجن واحدها شَجْن والرَّوَائس واحدها رَائس والبادية تقول مناشي الوادي ومسايِله ومهَادّه. وحد الوادي من أعلاه يدعى شَفِير الوادي، وما بين أعلى شفير الوادي وأسفله العميق يسمى التَّيْهُور والتَّيْهُورة. وَوَصْفُ التيهور قريب من وصف الجَرّ، الذي يطلقه البدو في القصيم على المراوح الفيضية أسفل التلاع. والجَرُّ لغةً أسفل الجبل، وهو حيث علا من السهل إلى الغلظ. والجر لدى البادية سيل الماء سواء من شعب أو شعيب أو واد وجر الوادي أي بطنه.

وتتجمع مياه التلاع من شمال أو يمين في الوادي وهو أعظم مجاري



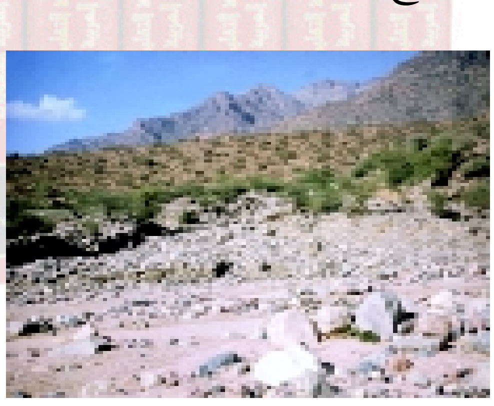
أعالي وادي القنفذة



التلعة

السيول. ويسمى بطن الوادي الأَبْطَح والبَطْحَاء، ويسمى به أيضاً بطن المَيْثَاء والتَّلْعَة، وهو التراب السهل في بطونها مما قد جرَّته السيول، يُقال: أتينا أبطح الوادي فنمنا فيه وبَطْحَاؤه مثله، وهو ترابه وحصاه السهل اللين والجمع الأباطح، لا تنبت شيئاً، إنما هو بطن



مروحة فيضية في وادي نعمان - أسفل جبل كرا

السيل، ويقال قد انْبَطح الوادي بهذا المكان أي استوسع فيه. والحَمِيل مثل الأَبْطَح، وحَمِيل السَّيل ما يحمل من الغُثَاء والطين، والكلام لابن منظور في لسان العرب. والثُّجْرة والبُهْرة وسط الوادي ومُعظَمُه وأشده استلقاء وأقله بطحاء وأعشبه وأقله حفراً للأرض. وسمي به وادي بهر من روافد وادي ثراد غرب عقيق غامد، والخُبَّة بطن الوادي. ولمنعطفات الوادي أسماء كثيرة أيضاً منها الحَنِو، ويطلق أيضاً على الكثيب الرملي الهلالي الشكل، والمَحْنِيَة والضَّوْج والمُنْعَرَج، والخَوْع والظَّبْيَة جمعها ظُبَاء، كما ذكر ذلك ابن سيده في المخصص.



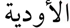


بطحاء الوادي – وادي الليث

والخِيف -كما جاء في لسان العرب- هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، وهو السَّرْو والنَّعْف. ومما يطلق عليه اسم خيف في بلاد بني سليم: خيف قريش، خيف الخوار، خيف خليص، خيف رهاط. والصَّدْمَتان جانبا الوادي، ويسميان الصَّدَفَان (البكري ١٩٤٥: ٦١٤). ويقال لهما أيضاً الأَرْفَاغ، واحدهما رُفْغ. وجَنَبَتا الوادي، وجَنَابَاه وضَفَّتَاه وحَجْوَتَاه وحَافَتَاه وشَاطِئاه، وجمعها شَواطئ. وشُطَّان وكذلك جِيَزاه وجِيزَتاه، والكلام لابن سيده في المخصص. وحدو الوادي أي جانبه المرتفع، والجُرُف ما أكل الماء من شط الوادي من أسفله، وصار فيه ما يشبه الكهوف مع إشراف أعلاه. فإذا لم يأكل الماء من أسفله، فهو شَط ولا يدعى جُرفا. وثَلَمُ الوادي كما يقول ابن منظور ما تَثَلَّم من جُرفه. والسِّماط كما يقول ابن سيده ما بين صدر الوادي ومُنتهاه، وربما بعد مدى الوادي حتى



جرف الوادي – وادي فاطمة


حافة الوادي – وادي فاطمة

لا يذكر سِماطه. ويبدو أن المقصود بالسِّمَاط هو مقطع الوادي الطولي.

وإذا مر الوادي بين مرتفعين وضاق فهو المضيق أو المضنك والزردوم والكظيمة والخنقة والمخنق. وإذا غير الوادي مساره بزاوية حادة فهو منحنى الوادي وحنوته ومحنابه وعرجته، وعرقوب الوادي ما انحنى منه والتوى. وإذا سال الوادي وكان السيل ضعيفاً وفي وسطه ارتفاع أدى إلى أن يكون مسار الماء في أحد طرفيه فتقول البادية سالت مسكة الوادي أي المنخفض منه فقط، وإذا تفرد جزء من الوادي وعاد إليه قيل الغاوي.

وفجرة الوادي متسعه الذي ينفجر إليه الماء. والمتفجرة أرض تطمئن فتنفجر فيها أودية. ومفاجر الوادي مرافضه حيث يَرْفَضّ إليه السيل (انظر: الرفض). وفي بعض سروات الحجاز والجنوب يقال للفتحة المؤدية للمزرعة المسورة بالحجارة فجرة، كما يقال للبيت المعتدى عليه بهدف السرقة بيت مفجور لأن اللصوص يحدثون فتحة في أحد جدرانه.

ولمنتهى سيل الوادي عدة أسماء، فمنها: القَرَارة والمَدْفَع والمَوئِل والمَحْفِل والمَرْفَض والتَّنْهِية والتَّنْهاة والنَّهْى والنِّهْى والفتح أكثر. هذه الأسماء تطلق على نهايات الأودية ذات التصريف الداخلي. ويطلق عليها لفظ عام هو الخرْج، أي الوادي الذي لا منفذ له. ولعل اسم الخرج الإقليم الواقع في جنوب نجد يرجع



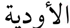


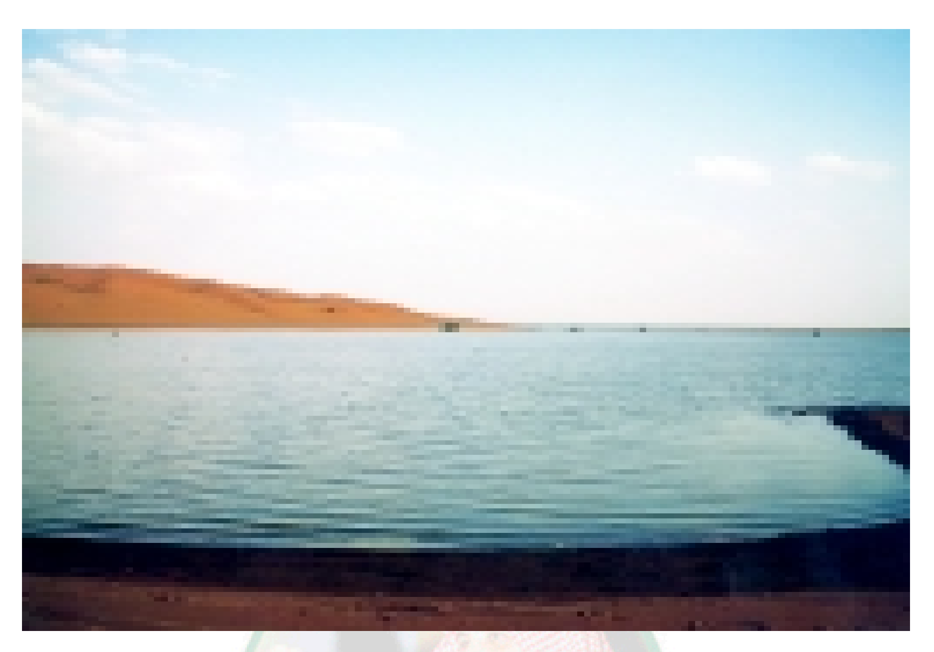
سيل ضعيف، مسكة الوادي

إلى انتهاء أودية العارض إليه. وأكثر الألفاظ المستخدمة في هذا الباب هي النَّهْي والمَرْفَض. أما النَّهْي فقرارة أشْرَفت حَوَاجِبَها فَنَهت الماء عن الارفضاض، فثبت مكانه، وربما كانت صغيرة وربما كانت عظيمة تشرب بها القبائل سنين إذا أُفْعِمَت. والجمع أَنْهاء وَنِهَاء. فأما المَرْفَض فحيث يَرْفَضُّ السيل لا يكون له حواجب تمنعه فيتفرق فيه، وإن كان سهولاً استوعبته ثم أعقبت الرياض والمراتع المَعَاشِيب، والكلام لابن سيده. ومرافض الأرض مساقطها من نواحي الجبال ونحوها، واحدها مرفض. وقال أبو حنيفة: مرافض الوادي مفاجره حيث يرفض إليه السيل. وتنشأ الرياض عن النَّهْي أيضاً، وروضة التَّنْهَاة سُمِّيت بذلك لانتهاء السَّيْل إليها، فهي في هذا كالمَرْفَض. وقد يسمى منتهى الوادي عند البادية بمحير الوادي ومُهجل وجمعها هجال وواحدتها هجلة، والمنقع والمجمع. والغرين الطين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطباً أو يابساً ويسمى أيضاً الغريل.

وتؤثر العمليات الباطنية وتركيب القشرة الأرضية في تشكيل النمط التصريفي العام في شبه الجزيرة، وفي تحديد الشكل الخاص للأودية من حيث الطول والعمق والاتساع. وعلى الرغم من خضوع النمط التصريفي الحاضر لعامل التضاريس، وهو كله على وجه





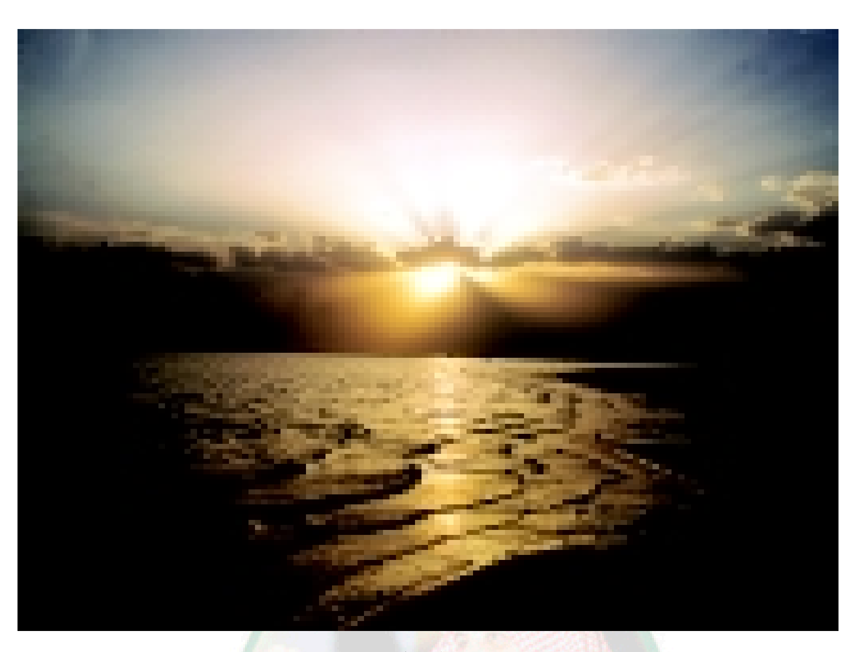


منتهى سيل الوادي (مهجل الوادي)

التقريب مجاري تصريف حفرية، فإن كمية التساقط الحالية فوق معظم الإقليم لا تكفي إلا لفيضانات متقطعة في تلك الأودية كانت في الماضي جداول وأنهاراً واضحة المعالم. وأكثر الملامح بروزاً في النظام التصريفي هو وضع خط تقسيم المياه السَّلْع بين أحواض التصريف في البحر الأحمر وتلك التي في الخليج العربي، إذ يقع ذلك الخط على بعد يتراوح بين ١٠٠ و١٢٠كم عن ساحل البحر الأحمر، وعشرة أمثال ذلك البعد عن الخليج العربي. وهذا التصريف المميز يمكن مشاهدته بوضوح، حيث يشاهد السَّلْع فوق القمم المرفوعة إلى الشرق من نطاق الأخدود الصدعي العظيم. ونتيجة لذلك فإن المجاري السطحية المتجهة للغرب من مسايل وفِجَاج تنحدر انحداراً قائماً إلى أن تصل إلى السهل الساحلي (تهامة). أما المجاري السطحية المتجهة نحو الشرق فليس لها من حظ للوصول إلى البحر لقلة كمية المياه، ولطول المسافة وعظم الرواسب التي تسد قنوات الصرف القديمة.

ومناخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحاضر شديد الجفاف في معظمه، إذ يقل معدل التساقط السنوي عن ١٠٠ملم. وذلك لا يكفي إلا لحدوث





منتهى سيل وادي مرخ

فيضانات محدودة متقطعة في تلك الأودية التي كانت في زمن البلايستوسين أقل تقطعاً عنها اليوم، كما أن عدداً قليلاً منها كان يصل إلى البحر. ونتيجة لظروف المناخ القديم والظروف المناخية الحالية، بالإضافة إلى التباين في تركيب القشرة الأرضية لمنطقة شبه الجزيرة العربية، نشأت عدة أنماط من الأودية تختلف في سماتها الخاصة من منطقة لأخرى. ففي العصر المطير من البلايستوسين نشأت مجموعة من الأحواض النهرية فوق هضبة نجد، واكتملت مقومات تلك الأنهار ومقاطعها الطولية، وقد امتدت من جبال الحجاز، حيث أعاليها، إلى أن تصب في مياه الخليج العربي شرقاً. ومازالت صورة ذلك النمط التصريفي منطبعة فوق الهضبة البلورية، متمثلة في ثلاث مجموعات من الأودية هي: وادي الرمة الذي يصرف مياه الحجاز الشمالي وهضبة نجد، ووادي الدواسر الذي يصرف مياه معظم الجزء الجنوبي من بلاد نجد وهضبة عسير وجبالها، ووادي حضرموت في جنوب شبه الجزيرة العربية. وهذه الأودية جميعاً تنتمي إلى نمط التصريف الشجري.

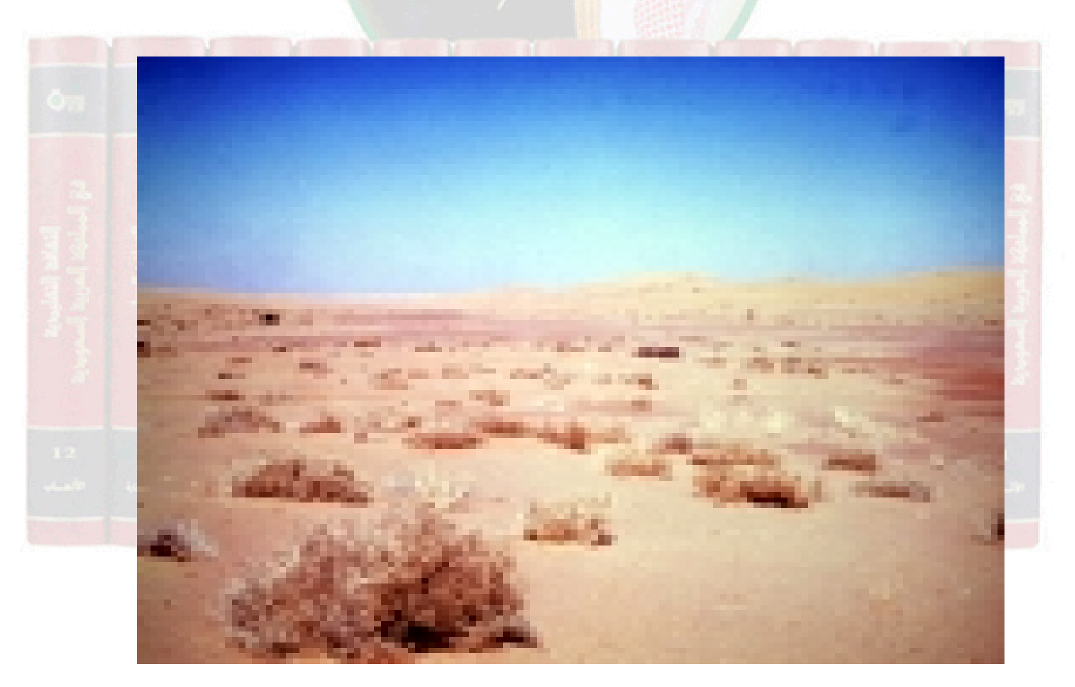
وقد أدت الرمال التي أتت بعد تلك الفترة المطيرة إلى سد مجاري هذه الأودية




وبعض روافدها. ففصل نفود الثويرات والدهناء بين وادي الرمة وامتداده في وادي الباطن (فلج)، وضاعت معالم المجرى الأدنى من وادي الدواسر، كما زحفت الرمال على قطاعات كبيرة من وادي حضرموت.

ومع أن هذه الأودية الآن في حكم المجاري الحفرية، فإن الفيضانات الصحراوية المتتالية، والسيول الجارفة التي تحدث في بعض السنوات تؤدي إلى غسل تلك المجاري من الرمال والحصى المتراكم، بل إن تلك الفيضانات كثيراً ما تؤدي إلى كسر الجسور العظيمة المقامة على تلك الأودية.

وتختلف المجاري العليا لتلك الأودية عن مجاريها الدنيا. ففي الروافد العليا، وبخاصة روافد وادي الدواسر الواقعة في منطقة عسير، ربما جرى الماء لمدة تقارب ستة أشهر؛ ومثال هذه الروافد وادي بُوا الذي يصب في وادي تُرَبَة، فعندما يسيل يكون مُفْعَماً بالمياه العذبة التي قد يصل عمقها في بعض الأماكن إلى حوالي متر، أما العرض فيتراوح بين ١٠ و٢٠م، وهو شديد الجريان بخرير مسموع، وفيه سمك صغار وضفادع كثيرة، مما يُذكِّر بوصف الشعراء لمياه الجزيرة وأصوات الضفادع فيها، وهو مما يستنكره بعض أولئك



نهاية وادي الرّمة



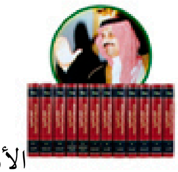
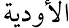
ممن لم يعرف الجزيرة علـى حقيقتها. ويمكن تبيان ذلك في شعر لبيد بن ربيعة العامري الذي كانت تـقطن قبيلته في هذه المنطقة. وقريباً منه وادي شوقـب وإلى الجنـوب في عمق زهـران وادي الصدر الذي أقـيم عليه سد كبيـر في أعلى وادي تربة، ووادي ثراد ببني كبير، ووادي رنية وكلها أودية كثيرة الجريان بالمياه العذبة التي لم يقـلل من كميتها سوى نشوء المزارع على ضفافـها. أما المجاري الدنيا لتلك الأودية في المناطق المنـخفضـة فيلاحـظ أنها قـد شقت مجـاريها خلال الجـيلان الجيريـة في النـطاق الـرسوبي مـن شبـه الجزيرة العربية.

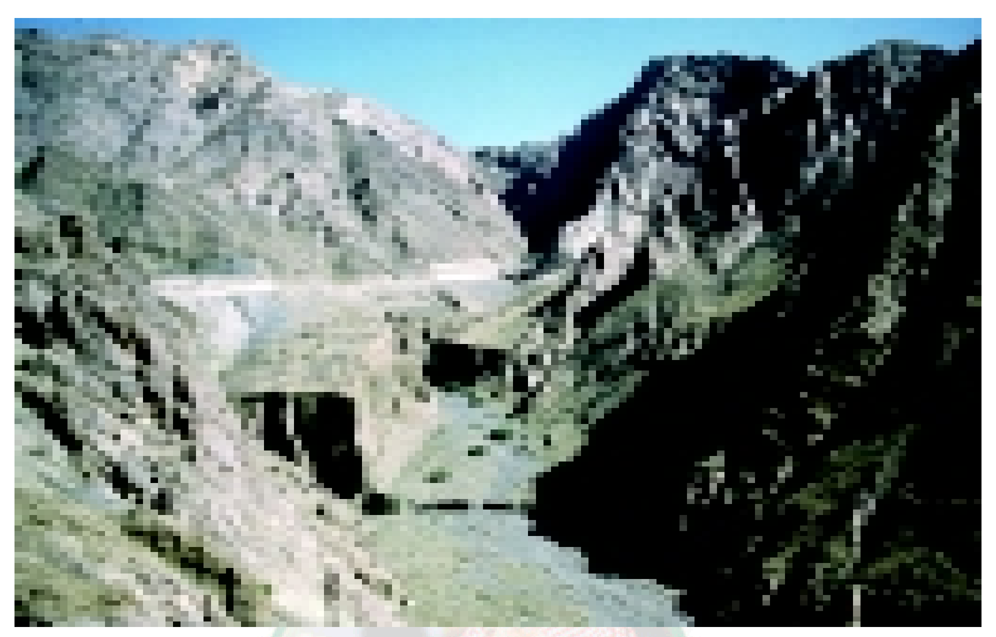
كما تختلف الأجزاء المتباينة لتلك الأودية من حيث تـنوع الحياة النباتية ووفرتها فيها، إذ تسود في الأجزاء العليا من الأودية أنواع السَّلَم والسَّمُر والسَّيَال. أما في الأجزاء الدنيا فتسود شجيرات الرِّمْث، وبخاصة في الروافد. أما في المجرى الرئيسي لـلوادي فتسود أنواع من الشجيرات التي تتحمـل الملوحة، كالضُّمْرَان والفِرْس والحَمْض. ويكثر الرِّمْث في روافد وادي الرمة، أما وادي الدواسـر فتكـثر في روافـده أشجـار العُشَر.

شبكات التصريف المائي

شبكة التصريف المائي هي مجموعة الروافد الثانوية والرئيسية التي تصب في نهر أو واد معين وتصرف مياهها إليه.

غرب المملكة. في منطـقة الحجاز وعسير نمطان من الأودية، أولهما أودية الحرة الصخرية، وهي أودية ضيقة عميقة الغور تَـشُق الحِرَار شَقّاً، وقـد سماها العرب الشِّراج كما يقـول ابن منظور. ومن أمثلتها وادي العقيق وهو من أشهر أودية المدينة، ويأتي مصدره من حِمَى النَّقيع. وقيل سُمِّـي العَقِيق عَقِيقاً لأنَّه عَقَّ فـي الحَرَّة أي شَـقَّ وقَط. ومنـها وادي مَهْزور، ومصدره من حَرَّة وَاقِم، ويُعرف اليوم باسم الغَاوي، كـما أورد ذلك الفـيروزآبادي. وثانيـهما الأودية الشابـة التي تنحـط من جبال الحـجاز وعسير نحو سهل تهامة، حـيث تظهر فيها بـوضوح عملية التعـرية الخلفية، وما يصاحب ذلك من التَّهدم والانهيار بسبب التِّلاع أو الأودية المعلقة، حيث تنزلق كتـل عظيمة من الصخـور على جانبي الوادي. ويتـمثل ذلك بوضوح في وادي عِتْود وروافديه الضِّلْع ومَـرَبا، ويقع ذلك الوادي فـي الجنوب الغربي من أبها، ويبلغ عرضه حوالي ٥٠٠م، وجانباه علـى شكل رقم ٧. ويلاحظ



وادي تية، أحد روافد وادي حلي، ويظهر تعمق القطاعات الأرضية على شكل خوانق في مجراها الأعلى

التغير السريع بين مناخ منطقة أبها المعتدل، أعلى الوادي، وبين الجزءين الأوسط والأدنى من الوادي حيث درجة الحرارة الشديدة والرطوبة العالية في سهل تهامة. وتظهر آثار التغير واضحة في الأنواع النباتية التي تتدرج في كثافتها وأنواعها، ويعكس التوزيع الحالي لشبكة التصريف المائي تضاريس السطح وبنيته في غرب المملكة. فقد أدى امتداد جبال الحجاز بحذاء الساحل الشرقي للبحر الأحمر من الجنوب إلى الشمال، وما يتصف به القطاع العرضي لهذه الجبال والهضاب المجاورة لها في الشرق من انحدار شديد في الغرب يقابله انحدار تدريجي في الشرق، إلى تشكل شبكات من أودية التصريف المائي تتصف قطاعاتها الطولية بشدة الانحدار نحو البحر الأحمر، وتعمق قطاعاتها العرضية في السلاسل الجبلية على شكل خوانق، خاصة في المجاري العليا لهذه الأودية.

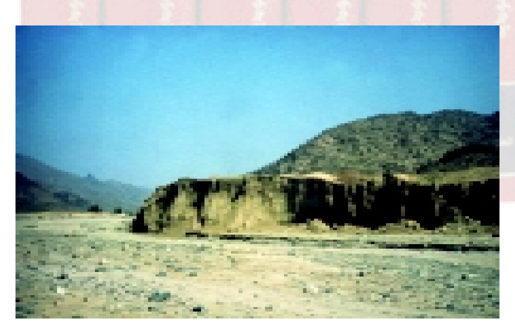
وقد أدى اقتراب السلاسل من الساحل إلى قصر أطوال هذه الأودية، وزيادة أعدادها إلى ما يزيد على ٥٠ وادياً تصرف مياهها غرباً إلى البحر الأحمر، وما يقل عن ٦ أودية تصرف





وادي تية

مياهها نحو الداخل. وتضم أودية البحر الأحمر الأودية الهامة التالية من الجنوب إلى الشمال: تَعْشَر، خُلَبْ، المَضَايا، جازان، ضَمْد، صَبْيَا، بِيشْ، بِيضْ، عِتْوَدْ، شَقِيقْ (ريم-جرير)، عَرَمْرَمْ، نَهْب، حَلي، يبه، قَنُونَة، الأحسبة، دُوقَة، عليب (الشاقه اليمانية)، حَلْيَة (الشاقة الشامية)، عيار، الليث، سَعْدِيَة، إدَآم، فاطِمَة، الكُراعْ، خليص سايَةْ، قُديدْ، رابغْ، الصَفْرَاء، الفَرْعَة، الحَمْض، المياه، أَظْلَمْ، دامَا، السِّر، الصَّدْر، عْفَال. أما أهم الأودية على ساحل خليج العقبة فهي: وادي طَيِّبْ الاسم، وأم جُرْفَيْن، والمَبْروك الذي يصب عند مدينة حقل. وأما أودية السفوح الشرقية لجبال الحجاز، فأهمها من الجنوب إلى الشمال: نَجْران، حبونا، أَيْدَمَة، تَثْلِيثْ، بيشَة، رَنْيَة، ثراد، العقيق، كرا، تربة، بُوا، المجاري العليا لروافد وادي الرُّمة،



وادي حلية - الشاقة الشامية





وادي دوقة

القاع، العُلا، قو، الأخضر الذي ينتهي في منخفض تبوك شمالاً.

وهناك مجموعة من العوامل أدت إلى حدوث اختلافات كبيرة في تشكل الأودية المكونة لشبكة التصريف المائي للسفوح الغربية من جبال الحجاز. وأهم هذه العوامل الامتداد الكبير لجبال الحجاز (١٨٠٠كم) من الشمال إلى الجنوب، وتباين ارتفاع هذه الجبال بين الشمال والجنوب، فضلاً عن اختلاف المناخ، إلى جانب المؤثرات البنوية وأهمها الانكسارات واللابات البركانية. ونتيجة لذلك تباينت أشكال الأودية بين الشمال والجنوب. ويزداد التباين حدة في هذين الاتجاهين، وأمكن من خلال التباين تقسيمها إلى أودية جنوبية وأخرى شمالية. ويمكن أن تكون المنطقة الممتدة إلى الشمال من وادي الليث هي الحد الفاصل بين الأودية الجنوبية والأودية الشمالية.

وتتشابه جميع أودية البحر الأحمر في أن قطاعاتها الطولية شديدة الانحدار في مجاريها العليا، وأن قطاعاتها العرضية عميقة، وأحياناً على شكل خوانق. وكثيراً ما تعترض قطاعاتها الطولية الشلالات أو المسارع نتيجة

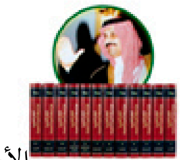
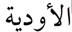




وادي الليث

لتقاطعها مع صخور نارية صلبة أو انكسارات عرضية. وتكثر في هذه الأودية الجلاميد والحصى، بمختلف الأحجام والأنواع. وما إن تقترب هذه الأودية من السهل الساحلي (تهامة) وقبل خروجها من المنطقة الجبلية حتى يقل انحدارها كثيراً وتتسع قطاعاتها العرضية وتبدأ بترسيب ما تحمله من رواسب أصغر حجماً مما ينجم عنه تكوين عدد من المدرجات الرسوبية في بطون هذه الأودية. ويلقي كثير من الأودية في القسم الشمالي من الساحل بحمولته على السهل الساحلي (تهامة) مباشرة، بينما تصل معظم أودية القسم الجنوبي إلى البحر مشكلة دلتاوات تتباين مساحاتها حسب سعة حوض تصريف هذه الأودية وما تحمله من رواسب.

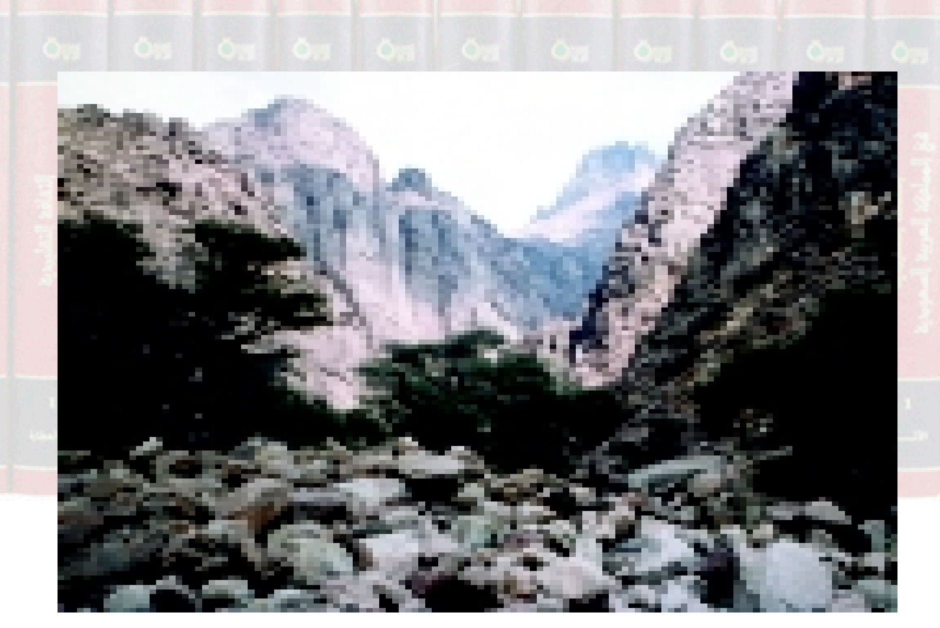
ولعل الانتشار الواسع للدلتاوات في القسم الجنوبي يمثل أهم الاختلافات الشكلية بين القسمين. ويعكس ذلك اختلاف نظام التصريف بين القسمين الناجم عن اختلاف الظروف المناخية بينهما، فالأجزاء الجنوبية من الساحل الغربي تتسم بخصائص مناخية تختلف عن تلك

التي تميز الأجزاء الشمالية، وعلى سبيل المثال يتصف إقليم السروات بزيادة كمية الأمطار الساقطة عليه حيث يصل معدلها ٣٠٠ملم تزيد في مواقع متفرقة إلى أكثر من ٥٠٠ملم كما هو الحال في جبل فَيْفَا ومنطقة الباحة، وتنخفض فيه درجة الحرارة شتاءً وتعتدل صيفاً. وعلى العكس من ذلك نجد أن إقليم تهامة يقل فيه معدل الأمطار كثيراً عن إقليم المرتفعات، وإن كانت تزيد فيه كمية الأمطار في اتجاه الجنوب بسبب الرياح الموسمية.

أما بالنسبة للإقليم الشمالي من الساحل الغربي فتقل الأمطار في إقليم جبال الحجاز-مدْين بشكل واضح رغم ارتفاعه، ولا يزيد المعدل السنوي للمطر على ٢٥ملم، ولا يختلف السهل الساحلي الشمالي، تهامة الشام، عن ذلك إلا بما يدخله البحر الأحمر من تأثيرات في زيادة الرطوبة، خاصة خلال الصيف، بينما لا تختلف درجات الحرارة وكميات الأمطار إلا بقدر ضئيل لا يكاد يذكر. ويؤدي اختلاف ما يتعرض له القسمان من الأمطار الساقطة التي تسهم في الجريان إلى اختلاف أنظمة الجريان بينهما.

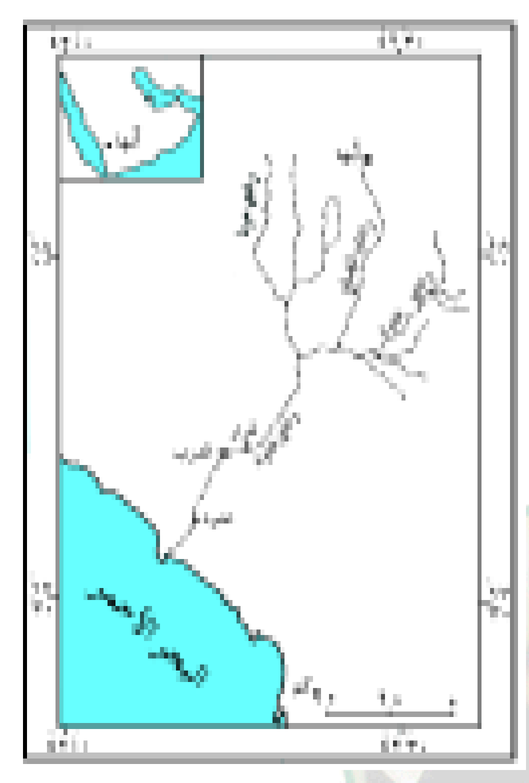
فالجزء الجنوبي الغربي من المملكة يتعرض لأمطار تكون غالباً زوبعية تتصف بالغزارة والشدة في فترة محدودة وهو ما يؤدي غالباً إلى الجريان وتشكل السيول، وعادة تصل مياه السيول إلى



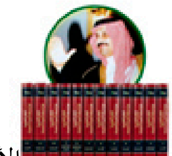
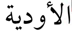
الجلاميد والحصى في المجاري العليا لأحد أودية القسم الشمالي



البحر عقب جريان متوسط الحجم. وقد قدر التصريف السطحي في هذا القسم بحوالي ١٤٤٠ مليون م٣ مما يعكس غزارة الأمطار الساقطة. ويتعدى التصريف في السنوات العادية ١٠٠ مليون م٣ في ثلاثة أودية منها فقط هي: بِيشْ، بية، حَلِي. وتصل السيول في شدتها أحياناً إلى درجة لا يمكن التحكم فيها، حيث تتصف بالسرعة والفجائية مما يؤدي إلى كوارث ونكبات في المزارع أو القرى التي تمر بها، ويزداد أثرها في الأحواض الكبيرة التي قد يزيد فيها متوسط الجريان على ١٠٫٠٠٠م٣ في الثانية، كما في وادي بيش ووادي حلي، وإن كانت معظم حالات الجريان تتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠م٣ في الثانية في بقية الأودية الأخرى. ولا تتوقف شدة الجريان وكميته على مساحة حوض التصريف فقط، وإنما على كمية الأمطار الساقطة على الحوض أيضا. ففي حين لا تزيد مساحة حوض وادي جازان عن ١٦٠٠كم٢ إلا أن متوسط التصريف فيه يساوي حوض وادي حلي الذي يكبره ثلاث مرات تقريباً، نظراً لزيادة كمية الأمطار الساقطة على منطقة حوض جازان التي تزيد على ٥٠٠ملم سنوياً. إلا أن كمية التصريف في أحواض الأودية هي أكثر تعقيداً مما تبدو حيث تؤثر عوامل عديدة أخرى في ذلك، من أهمها نفاذية صخور الحوض ورواسب المجرى ومدى تشبع الرواسب ومدى تعاقب الأمطار. والأمر المألوف في أودية القسم الجنوبي أن تتكرر السيول سنوياً، ويقل عددها من الجنوب إلى الشمال؛ ففي وادي جازان يتراوح عدد السيول سنوياً بين ١٥ و٣٥ سيلة. بينما لا يزيد متوسط عدد السيول في وادي الليث شمالاً على ٣ سيلات سنوياً. وعلى ذلك فإن أهم ما تتصف به بطون الأودية في القسم الجنوبي جريان مائي



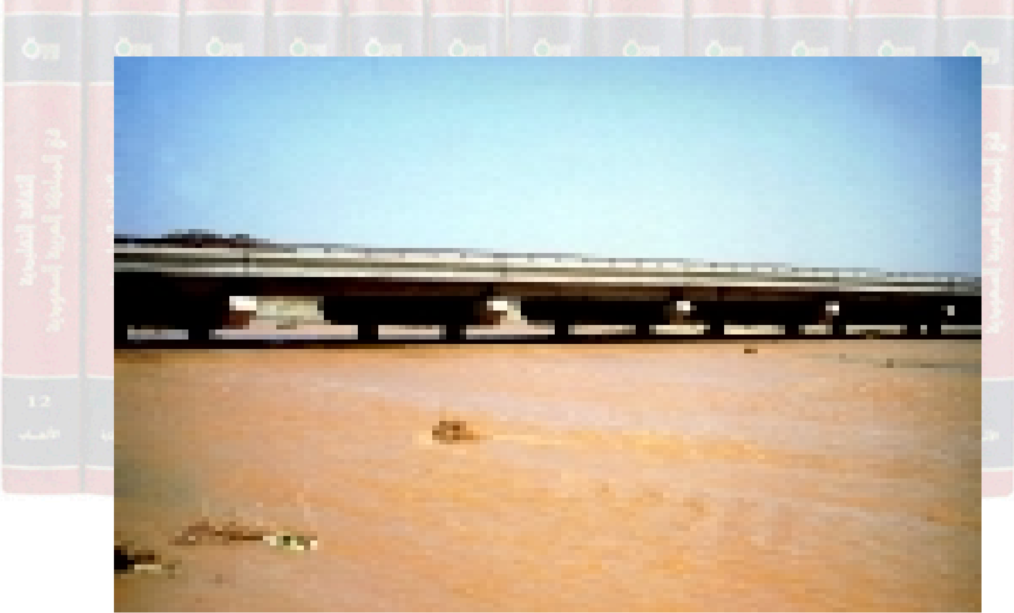
وادي عتود وروافده

جدولي يستمر لبضعة شهور سنوياً عقب موسم سقوط الأمطار.

أما بالنسبة للقسم الشمالي من ساحل البحر الأحمر على الرغم من ارتفاع جبال الحجاز فيه فإن مناخه صحراوي قاحل لا يزيد فيه معدل الأمطار الساقطة على ٢٥ملم سنوياً تسقط شتاء. وعلى الرغم من ضآلتها قد تحدث بعض السيول النادرة في أودية المنطقة. ففي الجنوب قد يحدث السيل مرة أو مرتين فقط سنوياً في أودية فَاطِمَة وخليص ساية ورَابِغ والصَفْراء. أما في الأودية الشمالية فلا تحدث السيول إلا مرة كل بضع سنوات، وقد تمر بعض السنين دون حدوث أي جريان يذكر؛ ولذا أصبح من النادر أن يصل جريان هذه الأودية إلى البحر إلا في أعقاب سقوط أمطار غزيرة فجائية في أحواض كبيرة. وفي كل الأحوال تجف مياه هذه السيول خلال بضع ساعات من جريانها، وغالباً ما تتسرب مياهها إما في السهل الساحلي جنوباً أو في بطون الأودية في الشمال. ويصل مجموع كمية الجريان في أودية القسم الشمالي إلى ١٧٠ مليون م٣ سنوياً، على الرغم من كبر مساحة أحواضها. ونظراً لقلة أهمية الجريان في القسم الشمالي قل الاهتمام بدراسة أنظمة التصريف الخاصة بكل حوض، وانعكس ذلك على ندرة الإحصائيات في هذا الصدد.

وعلى الرغم من التشابه الشكلي بين أودية القسمين الشمالي والجنوبي من حيث



تدفق السيول في وادي فاطمة



تكويناتها الصخرية وظروفها البنوية، إلا أن أودية القسم الجنوبي تتصف بخصائص تتمثل في تطور أحواضها، ودلتاواتها، وانتظام الرواسب فيها. ويبدو أنه باستثناء وادي الحمض في القسم الشمالي، فإن معظم أحواض أودية القسم الجنوبي هي أكثر اتساعاً من أحواض أودية القسم الشمالي حيث تتراوح مساحات أحواض القسم الجنوبي بين ٤٠٠ و٥٠٠كم٢، ويعكس ذلك بطبيعة الحال عمليات النحت المكثفة بسبب شبكة المجاري العليا لهذه الأودية نتيجة لزيادة كميات الأمطار الساقطة على جبال السروات. ومن الممكن ملاحظة خط تقسيم المياه في هذه الجبال، وهو خط الشعاف الذي يتراجع شرقاً في الجنوب تراجعاً واضحاً نتيجة للحت التراجعي لهذه الأودية. ويعكس اتساع السهل الساحلي (تهامة) في الجنوب أيضاً كثافة عمليات الحت في المناطق الجبلية والإرساب في هذا السهل، كما أن أطوال هذه الأودية التي تتراوح بين ٦٠-١٥٠كم تعكس مدى التطور الذي وصلت إليه هذه الأحواض.

كما شكلت أودية القسم الجنوبي للبحر الأحمر، ابتداءً من وادي الليث شمالاً حتى الحدود اليمنية جنوباً، دلتاوات حديثة عند مصباتها تختلف مساحاتها من مصب إلى آخر طبقاً للخصائص الطبيعية التي تتميز بها كل من أحواض هذه الأودية ومناطق مصباتها. ومن أهم هذه الخصائص غزارة الأمطار، وسعة الأحواض، وصلابة الصخور. وتتوقف كميات الرواسب المنقولة إلى المصبات على هذه الخصائص، التي تتباين من حوض إلى آخر على طول المنطقة الساحلية. ومن الملاحظ أن مساحة الدلتاوات تزداد كلما اتجهنا جنوباً، وخاصة في الساحل الممتد من مصب وادي الشَّاقة الشَّامية في منطقة القنفذة إلى مصب وادي حَلِي في الجنوب. ففي هذه المنطقة من الساحل تشكلت، وما زالت تتشكل، أكثر دلتاوات ساحل البحر الأحمر نموذجية في الوقت الحاضر. ويتضح من خلال مساحات الدلتاوات ومساحات الأحواض أن هناك علاقة واضحة بين كل من مساحة الدلتاوات والخصائص الطبيعية لأحواضها. فالأمطار الغزيرة على الحوض الواسع لوادي حلي أدت إلى أكبر كمية جريان لواد ومن ثم إلى تشكل أكبر دلتا نموذجية حديثة على ساحل البحر الأحمر.

ولقد أدت الأمطار الغزيرة في القسم الجنوبي من منطقة البحر الأحمر إلى أن اتصفت أودية هذا القسم بصفات جريان جعلتها أقرب إلى نظم جريان الأنهار



اسم الوادي	مساحة حوضه كم٢	متوسط كمية التصريف	معدل الأمطار السنوي ملم٣	فصل الأمطار الرئيسي
اللِّيث	٣٠١٣	٥٠	٢٠٠	الشتاء
عيار	٧٤٣		٢٠٠	الشتاء
حَلْيِة	١٤١٣		٢٥٠	الشتاء
علْيبْ	٩٥٦		٢٥٠	الشتاء
دُوقَة	٩٧٠		٢٥٠	الشتاء
الأحسبة	١١٩٦		٣٠٠	الشتاء
قَنُونَة	١٩٦٢		٣٠٠	الشتاء والربيع
يبة	٢٦٤٧		٣٠٠	الشتاء والربيع
حَلِي	٤٧٨٣	١٠٠	٤٠٠	الشتاء والربيع
نَهْب	٤٣٨		٤٠٠	الشتاء والربيع
عَرَمْرَمْ	٤٦٨		٤٠٠	الشتاء والربيع
شَقيق	٦٠٨		٥٠٠	الصيف
عتْود	١٥٥٣		٥٠٠	الصيف
بيض	٤٩٢		٥٠٠	الصيف
بيشة	٥١٦٤	١٠٠	٥٥٠	الصيف
صَبْيَا	٦٢٧		٥٥٠	الصيف
ضَمْد	١٠٨٤	٥٠	٦٠٠	الصيف
جازان	١٦٠٠	٨٥	٦٠٠	الصيف
حُلَبْ	٨٦٩		٦٠٠	الصيف
تَعْشَرَ	١٢٩٣		٦٠٠	الصيف

مساحات أحواض القسم الجنوبي وعلاقتها بكمية الجريان ومعدل الأمطار

من حيث الغزارة واستمرارية السيول، حيث يستمر الجريان أحياناً لبضعة أشهر رغم ضآلته. وقد أدت هذه الخاصية في الجريان إلى انتظام عمليات الإرساب على طول القطاعات الطولية لهذه الأودية، فتترسب الجلاميد والحصى الخشن في المجاري العليا ثم تتضاءل أحجام الإرسابات باتجاه المجاري الدنيا، وأصغر أحجام هذه الرواسب، المكونة غالباً من الطين، في منطقة المصب مما يؤدي إلى مسطحات طينية. ويتضح ذلك تماماً أمام مصب وادي بيش. أما في بطون الأودية، وخاصة في المجاري الدنيا وعلى السهل الساحلي (تهامة)، فتغطي سهول الفيضان



اسم الحوض	مساحة الدلتا كم٢	مساحة الحوض كم٢	كمية الأمطار	التصريف	صخور الحوض
حَلْية	١١٩	١٤١٣	٢٥٠	؟	بريكامبري
عِليَبْ	٣٥	٩٥٦	٢٥٠	؟	بريكامبري
الدوقة	١٦٠	٩٧٠	٣٠٠	؟	بريكامبري
يبة	٢٠٥	٢٦٤٧	٣٥٠	؟	بريكامبري
حلي	٣٥٦	٤٧٨٣	٤٠٠	١٠٠	بريكامبري

مساحات الدلتاوات الحديثة وعلاقتها بطبيعة أحواضها

جوانب الوادي لطبقات سميكة من الرواسب الطينية والطفلية التي تستخدم على نطاق واسع في الزراعة حالياً.

ومع أن أحواض أودية القسم الشمالي لمنطقة البحر الأحمر تبدو متطورة بشكل لا يقل عن أحواض الأودية في القسم الجنوبي، إلا أنها أودية جافة في الوقت الحاضر. وفي ظل الظروف المناخية الحالية لا تجري السيول في أحواض الأودية الشمالية سوى مرة



مجرى وادٍ جافٍ بمنطقة تبوك، وادي الريان




واحدة في العام، أو مرة واحدة كل بضعة أعوام. مما يعني أنها أودية حفرية ناجمة عن ظروف مطيرة سابقة. ومما يدل على ذلك المدرجات النهرية التي تتكون في الغالب من ٣-٤ مستويات فوق منسوب المجاري الحالية لهذه الأودية. وتظهر هذه المدرجات في عدد كبير من الأودية، وأهمها: وادي أم جُرْفَيْنْ جنوب حَقْل، ووادي عْفَال إلى الجنوب من البدع، ووادي الحَمْض شمال أُمْ لُجْ، ووادي يَنْبُعْ النَّخْل وغيرها. وتشير ألوان هذه المدرجات الداكنة إلى قدمها، كما يشير ارتفاع أعلاها فوق المجرى (٢٠م) إلى ارتباطها بفترات مناخية سابقة كان فيها سطح البحر الأحمر أكثر ارتفاعاً مما هو عليه في الوقت الراهن.

وباستثناء دلتا وادي الحمض القديمة (البلايوسينية-البلايستوسينية) إلى الجنوب من مدينة الوجه التي ترتبط بتاريخ تطور هذا الوادي، الذي يختلف عن باقي أودية القسم الشمالي لمنطقة البحر الأحمر، فليس هناك دلتاوات حديثة في القسم الشمالي. وبدلاً من ذلك تتشكل المراوح الحصوية عند مخارج الأودية على المنطقة الساحلية. وهي مراوح قديمة ترتبط أيضاً بفترات مناخية أكثر مطراً مما عليه الحال في الوقت الحاضر. أما عند مصبات الأودية فقد تشكلت الشروم التي لا يزال معظمها مغرقاً بمياه البحر، مكوناً خلجاناً ضيقة عميقة. وهذه الخلجان أودية غارقة نحتتها الأودية المنحدرة من اليابس إلى البحر خلال الفترة الجليدية الأخيرة التي كان فيها مستوى سطح البحر الأحمر أكثر انخفاضاً مما هو عليه الآن (-١٢٠م). ولما كان الجريان نادراً في أودية القسم الشمالي فقد قلت الرواسب، وبالتالي بقيت مصبات معظم الأودية غارقة بمياه البحر حتى الوقت الحاضر باستثناء بعض الأودية الكبيرة التي ردمت مصباتها الغارقة (الشروم)، وهي: أودية المُويلحْ، المِيَاهْ، الحَمْض. إلا أن أيّاً منها لا يحوي دلتا حديثة عند مصبه كتلك الموجودة في أودية القسم الجنوبي ليس بسبب قلة الرواسب المنقولة فحسب، بل بسبب البيئة الساحلية العميقة لمنطقة كبيرة من الساحل تمتد من شمال الوجه حتى خليج العقبة، وهي ناجمة عن انكسارات حددت خط الساحل الحالي.

وقد أدى ما تتصف به أودية القسم الشمالي من نظام جريان ضعيف متقطع إلى عشوائية الإرساب في بطونها بخلاف رواسب المدرجات النهرية التي تعلو بطون

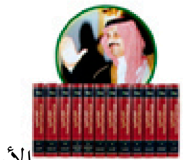


هذه الأودية وترتبط بفترات سابقة أكثر مطـراً. وبخلاف ما يـحدث في أودية القسم الجنوبي. ففي الحالات القليلة التي يحدث فيها جـريان مائي عقب زخات المطر المتباعدة ينـدر وصول هذا الجريان إلى المصب إذ غالباً ما تتسرب المياه في بطون الأودية. ومن ثمّ تترسب حمولتها من الجلاميد أو الحصى أو حتى الرمال والطين في مواقع على طول المجرى لا ترتـبط بـالمواقع المـثلـى لإرساب هذه الحمولة. ولـذلك يمكن رؤية إرسابات الطين مثلاً في بعض المجـاري العليا أو الوسطى للأودية عند نهاية مجرى السيل، أو رؤية الحصى الخشن أو الجلاميد وقد وصلت في حالات نادرة إلى المصـب. وقد أدت خاصية تسرب مياه الجريان في بطون الأودية الشمالية إلى أن اقتصرت الزراعة القليلة في هذه الأودية على المياه الجوفية، سواء أكان ذلك عن طريق الآبار أم العيون، على عكس الحال في الأودية الجنوبية التي تستخـدم فيها مياه السيول للري بـصورة مباشرة أو بـعد حجزهـا خلف السدود المقامة على عدد من هذه الأودية.

كمـا تسببـت الظروف الطـبيعيـة (تضريسية وبُنْيَوية ومُنَـاخِية) أيضاً في وجود اختلافـات واضحة في تشكل أودية السفوح الشرقية لجبال الحجاز،



الجلاميد والحصى مترسبة في مجرى أحد الأودية

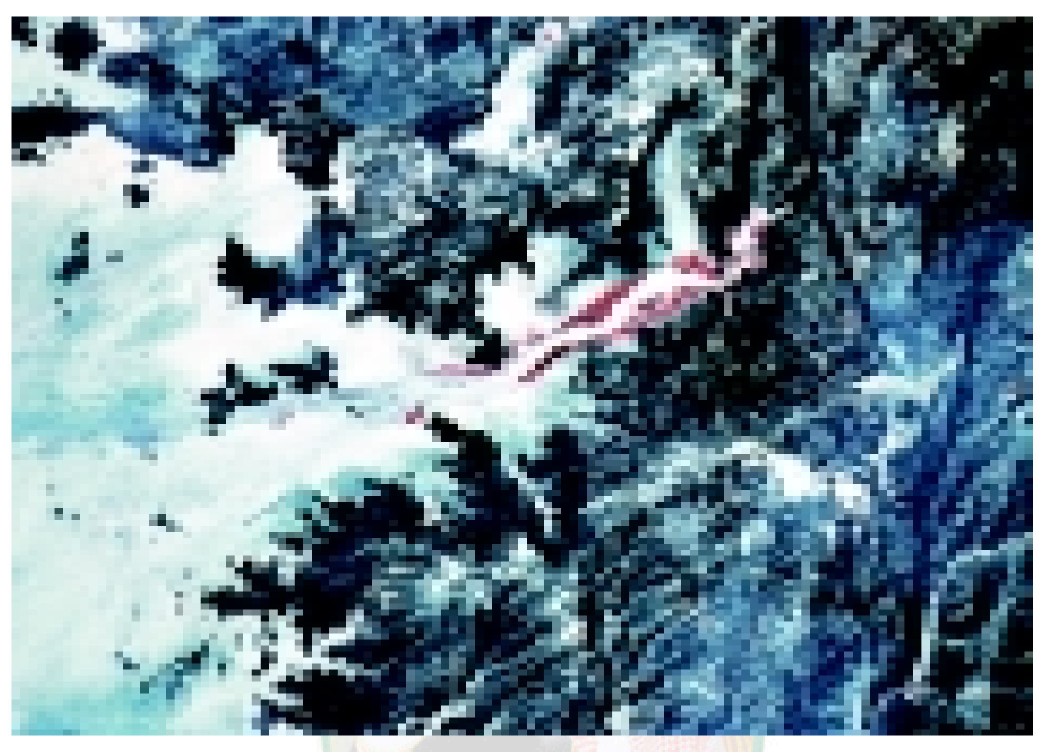



تماماً كما حدث لأودية البحر الأحمر. ونجم عن ذلك أيضاً وجود أودية جنوبية وأودية شمالية تختلف في أنظمة تصريفها وفي خصائصها الشكلية، إضافة إلى تباين ظروفها المناخية، كما تختلف الظروف المناخية بين الشرق والغرب أيضاً. أي بين المجاري العليا لهذه الأودية في جبال السروات ومجاريها الدنيا. وتتمثل أهم الأودية الجنوبية لشبكة التصريف المائي في أودية نَجْران وحَبُونَة وأَيْدَمَة وتَثْلِيث وبِيْشَة ورَنْيَة وتَرْبَة، وهي الأودية التي تقطع السفوح الشرقية لجبال السروات وهضبتها.

وتتشابه جميع هذه الأودية تقريباً في خصائصها الطبيعية حيث شقت مجاريها في صخور نارية بريكامبرية، وتستمد معظم مياهها من قمم جبال السروات. والمناخ مختلف بوضوح بين مجاريها العليا ومجاريها الدنيا. وعلى الرغم من الفرق الواضح بين انحدار هذه الأودية وأودية البحر الأحمر المقابلة لها في الغرب، نتيجة للتدرج في انحدار السلسلة الجبلية نحو هضبة السروات، إلا أن المجاري العليا لهذه الأودية اتسمت أيضاً بالتعمق الرأسي الشديد وظهرت قطاعاتها العرضية على شكل خوانق كما هو الحال في أودية نَجْران وحَبُونَة. واتصف القطاع الطولي لها بالانحدار أيضاً، في المناطق القريبة من المنابع حيث لا يزيد الفرق بين هذه المنابع في الغرب وهضبة الوجيد التي ينتهي فيها هذان الواديان في الشرق على ٤٠٠-٥٠٠م. أما أودية تَثْلِيثْ وبِيْشَةَ ورنية وتَرَبَة فهي تجري من السفوح الشرقية لجبال السروات نحو الشمال والشمال الشرقي بحيث شقت مجاريها على الهضبة طولياً. وعلى الرغم من زيادة الفرق بين منابعها في جبال السروات ومصباتها عند وادي الدواسر إلى أكثر من ١٥٠٠م، إلا أن زيادة طولها أدى إلى قلة انحدارها، خاصة في مجاريها الدنيا وبعد خروجها من هضبة السروات. وقد تشكلت في هذه الأودية، كما في أودية نجران وحبونا، مدرجات رسوبية ابتداءً من مجاريها الوسطى حيث يقل انحدارها ويزداد اتساعها. وقد ارتبط تطور هذه الأودية في السابق بتطور وادي الدواسر.

أما الأودية الشمالية، التي يفصلها عن الأودية الجنوبية سهل ركبة، فأهمها وادي العقيق والمجاري العليا لروافد وادي الرُّمَة ووادي القَاع ووادي العُلا





صورة بالقمر الصناعي لوادي نجران

وادي الأخضر. وتختلف هذه الأودية كلياً عن الأودية الجنوبية السابقة، ففي حين يرتبط واديا العَقِيق والعُلا بوادي الحمض على ساحل البحر الأحمر عبر تطور مراحل معقدة من التشكل الأرضي، ارتبطت المجاري العليا لروافد وادي الرمة بتطور وادي الرمة-الباطن. أما باقي الأودية، كوادي القاع والأخضر، فهي أودية ذات تصريف داخلي تنتهي في كل من القاع ومنخفض تبوك. وكما هو فرق الحال بين أودية القسم الشمالي لمنطقة البحر الأحمر المتميزة بالجفاف وقلة المياه، وأودية القسم الجنوبي المتميزة بوفرة مياهها فإن هذا ينطبق على أودية السفوح الشرقية لجبال الحجاز، حيث تتصف أودية هضبة السروات بجريانها السطحي والمياه الجوفية. ويشير الجدول التالي إلى أن أكبر كمية جريان سطحي تحدث في وادي بيشة ٧٥ مليون م^{3} وأقلها في وادي رنية. وترتبط كمية الجريان بطبيعة الحال بكل من سعة الحوض وكمية الأمطار الساقطة. وعلى الرغم من أن مجموع الجريان في الأودية



حوض وادي	مساحة الحوض كم²	التصريف السطحي مليون م³
تربة	١٧٤٤٠	٣٥
رنية	١٣٩٢٠	٣٠
بيشة	٣٧٤٤٠	٧٥
تثليث	٣٠٤٠٠	٤٥
حبونا	١٤٤٠٠	٧٠
المجموع		٢٥٥

الجريان السطحي في أودية هضبة السروات

أعلاه لا يصل إلى ١٨٪ من مجموع الجريان على السفوح الغربية في أودية البحر الأحمر، إلا أنه يزيد على مجموع ما يجري في أودية القسم الشمالي لمنطقة البحر الأحمر الذي لا يزيد على ١٧٠ مليون متر مكعب على الرغم من وقوع أودية هضبة السروات في ظل المطر.

ويتضح مما سبق أن أودية جبال الحجاز، سواء تلك التي تصب في البحر الأحمر أو التي ترتبط بأنظمة تصريف داخلية، تمثل المصدر الرئيسي للمياه الجارية في المملكة.

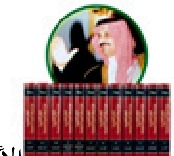
وسط المملكة وشرقها. هناك نمطان من أنماط التصريف الداخلي في النطاق الرسوبي الشرقي، ففي الشمال يسود نمط من التصريف العشوائي، يتمثل في مئات من المسايل الصغيرة السريعة التي تنتشر فوق ظهور الجيلان وينتهي أغلبها عند الطرف الأدنى من الجال، أي عند حضيض الجال التالي، حيث تتكون مجموعة من القيعان أو الروضات أو السباخ. وبعض تلك القيعان يظل مُفْعَما بالمياه فترة طويلة من الوقت. وفي جنوب ذلك النطاق تنصرف إلى منطقة الخَرْج، جنوب شرقي مدينة الرياض، مجموعة من الأودية المتوازية يتخذ معظمها اتجاهاً جنوبياً شرقياً، مما يدل على تأثر مجاري تلك الأودية بالصدوع السائدة في تلك المنطقة. ومن تلك الأودية وادي حَنِيفة الذي يمتد من بلدة سَدوس في الشمال الغربي إلى مدينة الرِّياض، ويحاذي ذلك الوادي من جهة الشرق وادي الأيْسَن ويلتقيان معاً عند مدينة الرياض. ويوازي وادي حنيفة جنوب مدينة الرياض من جهة الشمال وادي السُّلَىْ، وهذا اسمه في الجاهلية، وهو الذي ذكره الأعشى في قوله «عجزاءُ ترزقُ بالسُّلَيِّ عيالَها»، مثلما جاء في لسان العرب. أما من جهة الجنوب فيوازيه وادي نِسَاح، ثم تَصُب جميع هذه الأودية في الخَرْج. وتختلف هذه الأودية عن أودية شمال نجد في



شبكات التصريف في شبه الجزيرة العربية

أنها لا تؤلف شبكة نهرية كاملة، كما هو الحال في وادي الرمة وروافده، بل هي مَجَارٍ مستقيمة متوازية يمكن تحديدها بوضوح لتأثرها بالصدوع من جهة، ولسيرها في نطاق جيري تقطع فيها المياه بيسر، مكونة حوائط يزيد علوها في بعض الأماكن على ثلاثين متراً.

ومن أهم هذه الأودية وادي نِسَاح وامتداده شرقاً في وادي السَّهْبَاء الذي يصرف مياه أودية الخَرْج نحو الخليج العربي. ويسير وادي نسَاح في معظمه ضمن أخدود نِسَاح الذي يبلغ طوله حوالي ٩٠كم، ويتراوح عرضه بين كيلومترين و٣,٧كم، ويتميز أعلاه بحوائط عالية من تكوينات الحجر الجيري (أيوسين)، وتصل درجة انحدار جوانبه من ٦٠ إلى ٧٠ درجة. ولعل هذا الشكل هو الذي دفع العرب لأن يطلقوا عليه اسم المُنْخَرِق





وادي حنيفة – جنوب الرياض

أو مُنْخَرِق نِسَاح. ومن روافده تَوْلَب وينحدر إليه من العَارض (جبال طويق) (الهمداني ١٩٧٤: ٢٨٣، ٢٩٨).

ويسير وادي السَّهْبَاء، في اتجاه وادي نِسَاح شرقي الخرج، ويستمر في ذلك الاتجاه عبر الدَّهناء إلى نقطة في غربي حَرَض، ثم يميل باتجاه الجنوب الشرقي إلى أن تنتهي معالمه في رمال الزمن الرابع وحصبائه.

ووادي الرُّمة، ينطق بالتخفيف والتثقيل، وهو واد بين أبَانَيْن، أي جبلين يمر بينهما مجرى وادي الرُّمة، أولهما هو أَبان الأبيض لِعَبْس، ويسمى اليوم أبان الأحمر، جنوب الوادي، ويتركب من الاردواز والشست (قبل الكمبري). أما الجبل الآخر فهو أبان الأسود، وهو لبني أسد، وهو شمال الوادي، ويتركب من الجرانيت الأحمر والوردي الفاتح (قبل الكمبري). ويشاهد الجبلان من مسافة بعيدة في أفق الوادي. ويجيء وادي الرمة من المغرب مستقبلاً المَطْلع (الأصفهاني ١٩٦٨: ٦٩). ويمتد الوادي من الحرار الحجازية حتى ينقطع باندفاع مجراه تحت رمال الثُّويرات. «وأعلى الرُّمة لأهل المدينة وبني سُلَيم، ووسطها لبني كلاب وغَطَفان، وأسفلها لبني أسَد وعَبْس، ثم ينقطع في رَمْل العُيون وهو أكبر واد بنجد» (الأصفهاني ١٩٦٨: ٧٩).

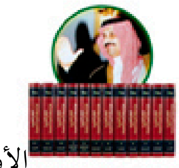
أما فَلْج الذي يُسمى اليوم وادي الباطن فهو امتداد الوادي فيما وراء الرَّمل حتى يصل إلى الشمال قليلاً من رأس الخليج العربي. وقد كان امتداد هذين الواديين على هذا النحو سبباً في كونهما أحد المسالك الرئيسية للحاج العراقي. قال ياقوت: فَلْج واد بين البصرة وحِمَى ضَرِيَّة، من منازل عَدِيّ بن جُنْدب بن العَنْبر بن عمرو بن تَمِيم من طريق مكة، وبَطْن وَاد يَفْرِقُ بين الحَزْن والصَّمَّان، يَسْلُك منه طريق البصرة إلى مكة، ومنه إلى مكة أربع وعشرون مرحلة. نشط هذا الوادي في نحت مجراه وتشكيل نظامه التصريفي خلال الأدوار المطيرة العظيمة في عصر البلايستوسين، وقد أدى ذلك إلى انطباع روافده العليا فوق صخور الكتلة البلورية مُشَكِّلَةً ما يعرف بالنمط النهري الشَّجري بعد أن زالت معظم الصخور الرسوبية التي تكونت



فوقها. ويدلنا بقاء ذلك النمط على أن النهر لم يتأثر بإزالة تلك الطبقة، بل عَمَّق مجراه في الصخور الصلبة القديمة محتفظاً بالمجرى القديم. وقد أشار العرب إلى عدد من تلك الروافد حيث حفلت بها أشعارهم. وأهم تلك الروافد وأكبرها هو وادي الجَرِيب ويسمى اليوم الجَرير.

ويأتي وادي الجَرِيب من الجنوب عند دائرة العرض ٣٠َ ٢٣ْ شمالاً تقريباً، حيث ترفده جبال أَجَلَى (تسمى اليوم أَجَلة). قال البكري: أَجَلَى هُضَيْبَات حمر بين فَلْجة ومَطْلَع الشمس، ومـاؤهُنَّ الثُّعْلُ، اجتمع فيه النَّصِيّ والصَّلّيان والرِّمْث بِجَهْراء من نجد طيبة، والجَهْراء الصَحْرَاء (البكري ١٩٤٥، ج١: ١١٤). وترفده مجموعة كبيرة من الروافد أكبرها وادي الشُّبْرُم من الشرق، ومن الغرب وادي الفَرضِخِيَّة ووادي سَاحُوق. ويلتقي وادي الجريب مع وادي الرمة عند تقاطع خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً ودائرة العرض ٤٠َ ٢٥ْ شمالاً. وربما كان أسفل الجريب متأثراً ببعض الانكسارات، إذ يبدو في شكل حوض هابط بين كتلتين جبليتين هما بَدَن في الجنوب وبُدين في الشمال. وقد يؤكد هذا ما قيل عن خضوع بعض أجزاء وادي الرمة-الباطن لانكسارات عظيمة حددت مسار ذلك الوادي (Burdon 1973: 4). ومفيض وادي الجريب في وادي الرُّمة قاع كبير. وتطلق العرب على الأراضي الواقعة بين وادي الرُّمة ورافده الجريب اسم الشَّرَبَّة، قال الفزاري: الشَّرَبَّة كل شيء بين وادي الرُّمة وخَط الجَرِيب حتى يلتقيا، والخَط مجرى سيلهما. فإذا التقيا انقطعت الشَّرَبَّة، وينتهي أعلاها من القبلة إلى الحَزيز، حَزِيز محارب. وزاد ياقوت أنها من أشد بلاد نجد قُرًّا. ومن روافده المهمة في الجنوب وادي الدَّآث، به مياه لبني أسد ويقع شرقي وادي الجريب، ويطلق على أعاليه قديماً مُبْهِل الأجرد، وهو واد لبني عبدالله بن غَطَفَان، وتأتي أعاليه من جبال سُواج وطِخْفَة والأَيْم (لِيم الآن) وكُتَيْفة واللَّهَيْب. ويطلق الدَّآث اليوم على معظم الوادي. أما من جهة الشمال، فأهم روافده وادي ثَادق، وهو واد ضخم يُفرغ في الرُّمة، أعاليه لبني أسد وأسفله لبني عَبْس. وما زال الوادي معروفاً، وأكبر روافد هذا الوادي هو الجُرَيِّر -بتشديد الياء أو سكونها- وأعالي ثَادق والجُرَيِّر لبني أسد وأفنائهم وأسفلَهما لعبس (الأصفهاني ١٩٦٨: ٤٤, ٤٥). وينحدر الواديان من جبال التِّين والسِّلْسِلة وقَطَن.

ومجاري روافد الرُّمة بوجه عام قليلة العمق لا تتميز عن المناطق المجاورة لها




إلا بتكاثف شجيرات الرِّمْث على جوانبها، ويمكن تتبع المجرى من الجو بالاسترشاد بهذه الشجيرات. كما تنتشر الرمال في قاعه، ولا تُعْبَر الأودية العريضة بالمركبات إلاّ بصعوبة بالغة. أما وادي الرُّمة نفسه فتنتشر في مجراه الأدنى القيعان عديمة النبات، والسِّباخ ذات النباتات التي تتحمل الأملاح، كالفِرْس والأُشْنَان والحَمْض. وفي أماكن أخرى من مجرى وادي الرمة، قامت بعض المزارع، لتوافر المياه الجوفية العذبة قليلة العمق، بعد أن نقل الأهالي بعض رمال الغَمِيس، غَمِيس عُنيزة الواقعة على يمين المجرى إلى مزارعهم، من أجل إصلاحها للزراعة. ويلاحظ مثل هذا الاستصلاح في كثير من المناطق الزراعية القريبة من الوادي، كالبكيرية وَرِيَاض الخبرا والبدايع.

وقد حمَل وادي الرمة–الباطن في عصور البلايستوسين المطيرة اندفاعات فيضية محملة بمفتتات الصخور التي نحتتها المياه من الصخور البلورية في أعالي النهر، ومن السهول الرسوبية في شمال نجد، حيث قطعت تلك الفيضانات خانقاً ضيقاً، ذا حوائط مستقيمة في الهضبة الجيرية. ثم نَشَر حمولته في دلتا مثلثة الشكل يقع رأسها عند دائرة العرض ٢٨ْ شمالاً وخط الطول ٣٠َ ٤٥ْ شرقاً، وتمتد إلى الحد الجنوبي لوادي دجلة والفرات شمالاً وسواحل الخليج العربي شرقاً. وسطح هذا المثلث حصوي سهلي لطيف الانحدار، يشطره منخفض وادي الباطن الحالي، ويبلغ انحدار السهل ١,٢ م/ كم، ويتألف ذلك الحصى من الكوارتز والصخور النارية والمتحولة والجيرية مع رواسب دقيقة متناثرة، وتقل كثافة الحصى كلما ابتعدنا عن رأس الدلتا باتجاه الشرق. وقد أدى السفي الهوائي إلى استواء هذا السهل مع تموج خفيف، وعندما يكون الجو جافاً يمكن السير عليه بالسيارات في أي اتجاه. ويسمى هذا السهل اليوم الدِّبْدِبة. واسمه في الكتابات العربية الدَّوّ، والدَّو المستوية من الأرض المنسوبة إلى الدَّو. وقد وصف الأصفهاني الدو في قوله «والدَّو أرض مُستوية مفازة لا ماء به ولا شَجَر ولا جبال، مسيرة أربعة أيام، قيعان، وهو لأَفْنَاء تميم، وليس به ماء ولا شجر، ولا ينبت إلا النَّصِي والسَّخْبَر وما أشبههما، لا ترى به شَجَرَة مرتفعة رأساً، لاعَرْفَجة ولا غيرها، إنما تراه مِبْيَاضا كُلَّه (الأصفهاني ١٩٦٨: ٣١٧)، وفي نص الأصفهاني بعض المبالغة إذ ينمو في الدبدبة (الدو) في فصل الربيع كثير من النباتات، مثل العرفج الذي ذكر أنه لا يوجد هناك،



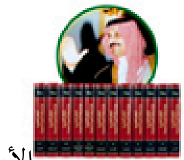
والأقْحُوان والحِنْزَاب. ويستغل اليوم حصى الدَّو أو الدبدبة على نطاق واسع في أعمال الخرسانة والبناء في الكويت.

شمال المملكة. يجمع وادي المِرَاء مياهه من عند حُزُوم عَرُوْس (٨٥١م) إلى الشرق من حرَّة الحرَّة، ثم يتجه شمالاً بمجرى عريض. وعند عبوره خط التابلاين يتجه نحو الشرق لمسافة حوالي عشرة كيلو مترات، وبعدها يتجه نحو الشمال الشرقي. وتتصل به من الغرب روافد شعيب مَنْقُولَة ثم شعيب البُحَيْرة، وبعد أن يدخل العراق يلتقي به رافد مهم هو شِعْبَان الشَّهْبَان الذي كان يجري موازياً له داخل الحدود السعودية.

ويسيل وادي عَرْعَر من عند خشم زَلُّوْم (٧٦٦م) شمال قرية زَلُّوْم بحوالي عشرة كيلو مترات ويتجه نحو الشمال باسم وادي المُعْتَدل، ومن عند تُلَيِّل المُهَمَّر (٧١٦م) وجال الأمْغَر (٧٣٧م) يتجه باسم شعيب أُعَيْوِج نحو الشمال الغربي. ويلتقي هذان الرافدان إلى الجنوب من قرية طَلْعَة عَمَّار، التي يصنع عندها وادي عَرْعَر ثنية عظيمة تتجه نحو الغرب ثم الشمال ثم الشرق، وبعد ذلك يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي فيمر بمدينة عَرْعَر ويستمر باتجاهه نحو الشمال الشرقي حتى يدخل العراق بمجرى عريض قد يصل إلى ٣كم.

ويرفد وادي عَرْعَر عدد من الأودية والشعاب من الغرب، فمن ظهرة الحَنظليَّات تنحدر روافد دُوَيْخلة الحَنظليَّات، وشعبان الحَنظليَّات. ومن ظهرة الأقْرَع تنحدر روافد وادي الأقْرَع، ووادي الغُرَابَة ووادي بَدَنَة. وأما من الشرق فأهم رافد هو رافد مُعَيِّلة.

وينحدر وادي أبا القُور من جبال الأمْغَر وتُلَيِّل المُهَمَّر نحو الشمال الشرقي حتى يدخل الحدود العراقية. ويرفده شعيب الهِلالِي من الغرب الذي ينحدر من خشمة الهِلالِي، الذي يلتقي بوادي أبا القُور شمال خبراء مَنْجُورة. وقبل ذلك عند قرية السُّلَيْمَانِيَّة يلتقي بوادي أبا القُور من الشرق شعيب السُّلَيْمَانيَّة وشعيب الأصْفَر. ويصرف منطقة اللَّبَّة واديا أبا الرُّوَاث والخِرّ. فينحدر وادي أبا الرُّوَاث من عند شفة النُّفُود عبر شبكة كبيرة من الروافد هي من الغرب إلى الشرق خِرّ عُنَيْزَة وشعيب الجَارْدي وشعيب المِزْرِقَاني، ووادي الهَلْبَاء ووادي الحِلْمِي، ووادي مَثَاوِر وبعض الروافد الصغيرة الأخرى. وبعد أن تجتمع هذه الروافد جنوب فيضة أم دَرَو يتجه الوادي نحو الشمال ثم الشمال الشرقي حيث ينتهي تقريباً إلى الشمال من قرية أبي الرُّوَاث، بعد أن



يجتاز خط التابلاين بعدة كيلو مترات. وأما وادي الخِرّ فبعد أن يتجه نحو الشمال يستقبل عدداً محدوداً من الروافد، سواء من الشرق أو الغرب. وبعد أن يجتاز منطقة جبل الأفْضَخ (٥٠١م) ينعطف نحو الشمال الشرقي، ويمر إلى الغرب من قرية الدُّوَيْد، ثم يجتاز خط التابلاين ويمر بقرية ابن عَائِش. ويتجه بعد ذلك شمالاً حيث ينتهي في منطقة السُّعَيِّرة شمال منطقة الصَّحْن.

أسماء الأودية ومصطلحاتها

نتيجة لاتساع مساحة المملكة وتنوع تضاريسها تعددت فيها الأودية، وما يزال كثير منها بأسمائها المعروفة في كتب التراث، وسمي بعضها بأسماء المواضع التي تجري فيها.

مصطلحات الأودية. هناك كلمات تصف الأودية، أو تشير إلى سعتها، أو انحدارها، أو التضاريس التي تجري فيها، ومنها:

الأَبْطَح (الأباطح): بطن المَيْثاء والتَّلْعة والوادي، وهو المسيل الواسع فيه التراب ودقاق الحصى، والبَطْحاء مثله. وقيل أبطحُ الوادي هو ترابه وحصاه السهل اللين. والأبطح لا يُنبت شيئاً، إنما هو بطن المسيل. وسمي المكان أبطح لأن الماء ينبطح فيه، أي يذهب يميناً وشمالاً. والأبطح مسيل ماء في مكة المكرمة.

الباطن: يقصد به الوادي العظيم، كالباطن في الرياض، وهو عرض بني حنيفة. والباطن عند الإطلاق علم على وادي (فَلْج). (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ١٦٧).

التلعة: مجرى السيل في صدر الجبل وفي متون المرتفعات حتى تنحدر إلى الأودية، وهي مسايل الماء تسيل من الأَسناد والنِّجاف والجبال حتى تصب في الوادي، ولا تكون إلا في أعلى الوادي. وهي أيضاً أرض غليظة يتردد فيها السيل ثم يدفع منها إلى تلعة أخرى أسفل منها. وتلعة الجبل هي أثر الماء حين يجيء فيخدّ فيه ويحفره حتى يخلص منه، ولا تكون التلاع في الصحاري. والتلعة ربما جاءت من أبعد من خمسة فراسخ إلى الوادي، فإذا جرت من الجبال فوقعت في الصحاري حفرت فيها كهيئة الخنادق. وإذا عَظُمت التَّلْعة حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه فهي مَيْثاء. وتُسمى المسايل التي تصب في التلعة النَّواشغ أي روافد التلعة. وقد يطلق عليه أحياناً الشعيب المعلَّق. والتَّلْعَة: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض، والجمع التِّلاعُ. والتلعة أكبر من الدعب، وسيلها يصب فيه، ويطلق عليها بعض أبناء البادية اسم الزور.





الدعب

وفي القاموس: التلعة مسيل الماء من الأسناد والجبال حتى ينصب في الوادي (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢٥).

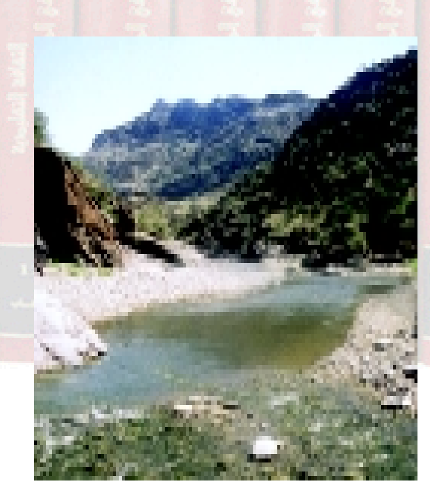
الثَغَب: تجمع مائي في مجرى وادي. والثَّغْبُ والثَّغَبُ (والفتح أكثر) ما بقي من الماء في بطن الوادي؛ وقيل هو بقية الماء العذب في الأرض؛ وقيل هو أُخْدُودٌ تحتفره المسايل من عَلٍ، فإذا انحطَّت حفرت أمثال القبور والدِّبَار، فيمضي السيل عنها، ويغادر الماء فيها، فَتُصَفِّقُه الريح ويصفو ويبرد، فليس شيء أصفى منه ولا أبرد، فسمي الماء بذلك المكان. وقيل الثَّغَبُ الغدير يكون في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه، والجمع ثِغْبَانٌ وثُغْبَانٌ. وفيه قيل المثل الشعبي «اربط حمارك، ثغب وثيِّل».

الجُرْبُوب: منخفض يتجمع فيه ماء السيل في مجرى الوادي. وقد تطلق عليه البادية اسم الجرجوب.

الجرجوب: مسيل الماء الضيق العميق وكأنه حفر في الأرض حفراً.

الحَاجِر: من مسايل المياه ومنابت العشب ما استدار به سَنَدٌ أو نهر مرتفع، والجمع حُجْرَان، وقيل الحَاجِرُ ما يمسك الماء من شفة الوادي ويحيط به. والحَاجِرُ موضع يكون له شفة تحجر ماء المطر. ويكون في الصحراء ذات الانحدار اليسير، وتكون شفته غالباً على شكل هلالي، ويكون خلف الحاجر حاجرٌ آخر فإذا زاد الماء في الحاجر الأمامي فاض منه إلى الذي يليه وهكذا، وبطن الحاجر غير عميق.

الحازم: يقصد به الوادي الضيق، ويطلق الحازم على واد يقع غربي وادي بيدة به ثلاث قرى صغيرة، هي: حازم بني بشير، وحازم بني جندب، وحازم قريش (الزهراني١٤٠١: ٦٦).



الحازم

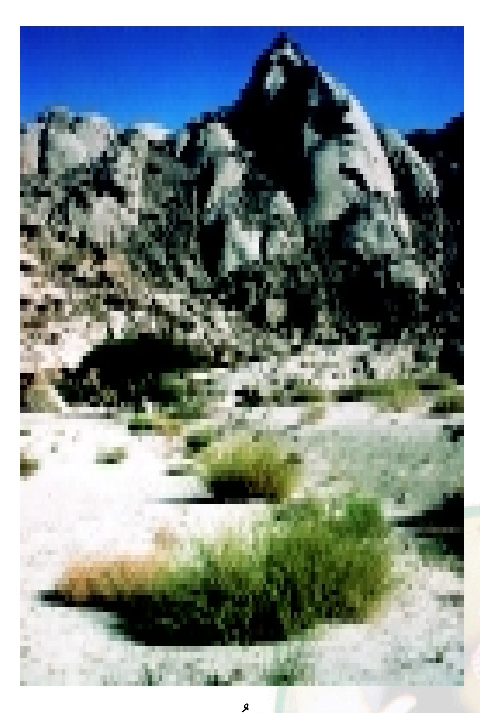
حافة الوادي: حافة الوادي جانبه، ويقال للجانبين أيضاً صَدَفا الوادي وجَنْبَتَاه وجَنَاباه وضفتاه وحجوتاه وشاطئاه وجيزتاه، كما يقال لهما الأرفاغ وأحدهما رفغ.

الحدبة: ما ارتفع قليلاً عن بطن الوادي وكانت تربته أكثر تماسكاً.

الحنوه: مُنْعَرَج الوادي، وهو لفظ عام أيضاً يطلق على كل شيء فيه اعوجاج أو شبه الاعوجاج. ومثله المَحنّية والمَحْنوة والمحناة وجمعها مَحَاني، وهي مُنعرج الوادي حيث ينعطف. وتطلق المحنية أيضاً على منحنى الوادي حيث ينعرج منخفضاً عن السَّنَد. وهي المنعرج والملوى والمعرج.

الخر: اسم يطلق على المجرى ولهذا كثر إطلاقه على كثير من مجاري السيول عند أهل الشمال. قال ياقوت: وأصل الخر الموصل الذي تلقي فيه الحنطة بيدك في الرحى -يقصد فمها- وفي القاموس: والخر ما خده السيل من الأرض أي شقه وحفره (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٤٩٤).

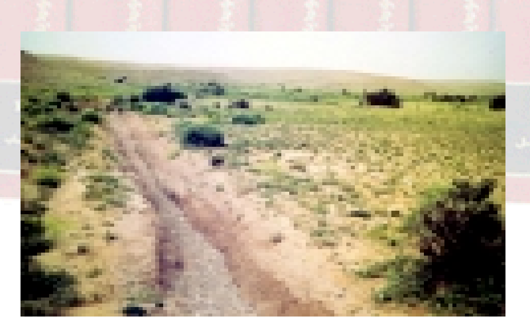
الخور: المنخفض من الأرض الذي ترتفع جوانبه بحدة وهو مبتدى مسائل الماء للأودية في جبال العارض الجنوبية وتجمعها البادية خيران.



لخُو



الحنوة



الخور (جرجوب)





الدحلة

الدحلة: الشعب المنبسط يكثر فيه النبات الطويل كالثمام والهضيد والرمث، ومجراه أقصر من الوادي وأقل انحداراً، مثل دحْلَة جِزَا وجمعه دحَال.

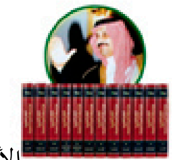
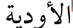
الدعب: مجرى ضَيق مكسو بالأشجار، جوانبه مرتفعة. والدِّعبُ مجرى قصير ضيق يدفع في الوادي أو في روافده الكبيرة. قال في القاموس المحيط «ماء داعب: يَسْتَنُّ في سيله. وجمعه دُعُوب، ودِعْبَان ودعَبَة، وتصغيره دُعَيْب، ويبدو أن اسمه مأخوذ من دَعْب الماء فيه». ومن ذلك قرية الدعبة في سراة زهران.

الساقية: مجرى السيل والماء كالتلعة أصغر من الوادي، مثل ساقية التريبي وساقية نحيط في الصمان إلى الغرب من الرفيعة، والساقية لدى سكان المنطقة الجنوبية وخاصة يام والدواسر وقحطان يقصدون بها السهل الواقع بين امتداد جبل طويق شرقاً والرمال الموازية لها غرباً وهي مجرى واسع تصب فيه سيول شعاب وسلان منحدرة من الجبال أو من المنطقة المرتفعة الواقعة إلى غربه، وتمتد هذه التسمية من برك شمالاً حتى خطمة جنوباً. وتسمى في بعض سراة الجنوب الخليج وفي تهامة تسمى الوشل وتوجه إلى المزارع.

السحق: المسيل الممتد في ظهر الجبل. وجمعه سُحْقَان، ويقال للأرض المنبسطة اللينة التربة على جوانب الوادي التي يجرى عليها الماء أول ما يفيض من مجراه. وأحياناً تطلق على المجاري المتوسطة الحجم فهي أكبر من الشغايا. قال محسن الهزاني:



الدحلة

حـدرت سـحـقانـهـا يم الـريـاض
والوطـا من جـور سيـله فـايضـات

السر: الشعيب الصغير الذي يصب في أكبر منه أو ينتهي في أرض واسعة.

السِّلِيل، في اصطلاح لهجة الشمال، تلعة يجري فيها السيل أصغر من الوادي وتكون فرعاً مـن فروعه. والسليل هو مسيل الوادي سواءً كان كبيراً أم صغيراً في أرض منفرشة فلا يـكون سيله قوياً لانفراشه واتساع مجراه ونبته في الغالب السلم.

الشرج: قـال الأصمعي: الـشراج مجاري الماء من الحرار، واحدها شرج، وشرج ماءٌ شرقي الأجفر بينهما عقبة، وهو قـريب من فـيد لبنـي أسد. قال الراجز:

أنـهـلْـتُ مـن شـرج فـمن يَـعِـلُّ
يـا شـرجُ لا فـاء عـلـيـك الـظـلُّ
فـي قـعـر شـرج حـجـر يَـصِـلُّ

وشرج أيضاً واد فيه بئـر ومن ذلك المثل «أشبه شرج شرجاً لو أن في شرج أسيمرا». قال المفضل: صاحب هذا المثل لقيم بن لقمان، وكان هو وأبوه قد نزلا منزلاً يقال له شرج فذهب لقيم يـعشي إبله، وقد كان لـقمان حسد ابنه لقـيما وأراد هلاكه فحفر له خنـدقاً وقطع كل ما هنالك من السمـر ثم ملأ به الخندق وأوقد عليه ليقع فـيه لقيم، فلما عرف المكان وأنكـر ذهاب السمر قال: أشـبه شرجُ شرجـاً لو أن في شرج أسيمـرا، فذهبت مثلاً.

قالت امرأة من كلب:

سـقـى الـلـه الـمـنـازل بـين شـرج
وبـــين نـــواظـــرٍ ديمـــا رهـــامـــا
وأوسـاط الشـقـيق شـقـيق عـبس
سـقـى ربي أجـارعـهـا الـغـمـامـا
فـلـــو كـنـــا نـطـــاع إذا أمـرنـــا
أطـلـنـــا فـي ديـارهـم الـمـقـــامـا

(الجـاسـر ١٣٩٨، ج٢: ٧١٢-٧١٤).

الشريعة: شعيب صغير يـجري في رأس الجبل فيصـب في الشعب أو بين الصمود والحزوم، وبه سمـيت الشرائع البلد الذي بين مكة ونخلة اليمانية. وهي السليله ينزل ماؤها من الجبال إلى التلاع.

الشعب: مجرى مائي ضيق ناشب في الجبـل، أو الأرض المرتفعة ينـحدر سيله في وادي أو يفيض في روضة.

الشِعيْب: مجرى السيل بين الحزوم تكسوه الأشجـار، وهو ما انتهى سيلـه إلى وادٍ أكبر منه وقد يتوسع العامة فـي بعض المناطق باستعماله فيطلقون اسم الشـعيب علـى الوادي غيـر العظـيم، والشعب أصغر من الشعيب.





شغية الوادي (سلان)

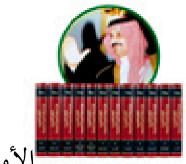
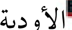
الشغية: مجرى مائي صغير في أعلى الوادي، وجمعه شغايا. وهي مسايل المياه التي هي أكبر من التلاع دون الأودية تأتي من جوانب الوادي وتصب فيه وإذا انتظمتها الأشجار سميت سلان. وقد تطلق على الجزء من الوادي الذي حاد عن المجرى الرئيسي ثم عاد إليه وتسمى أيضاً دراق، وقد تسمى العايدة أو الغادي.

العقيق: كل مسيل شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه، قال الأصمعي: الأعقة الأودية، فمنها عقيق عارض اليمامة، وهو واد واسع مما يلي العرمة تتدفق فيه شعاب العارض، وفيه عيون عذبة الماء (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ٩٧٥).

العيبه: هي الشعب المقفل من أعلاه وجوانبه لا يدخل إليه إلا من أسفله ويختزن ما فيه من أشجار فهو هنا كالعيبة التي يستخدمها البدو لحفظ التمر. والعيبة رافد من روافد وادي الدّاهنة والعيبة أيضاً رافد من روافد وادي السرة بحصاة ابن حويل.

الفحل: صفة للوادي الكبير الواسع كوادي الرمة.

الفرشة: وتطلق على موضعين في الأودية الأول نهاية الوادي في سهل منبسط حيث يتفرق ماءه منفرشاً في

السهل وقد يطلق عليها الرْحِبه والموضع الثاني الموضع الذي يعلو عجمة الوادي.

الفيضة: هي مفيض الوادي، ولهذا أطلق على كثير من القرى الواقعة في مفيض الأودية. (الجاسر د.ت. ج٣: ١٠٥٢). ومفيض الوادي هو انتهاء مروره بالجبال وبداية مسيله في أرض منبسطة.

القري: مجرى الماء إلى الرياض. ويطلق في نجد على الوادي الصغير ينبسط ويسيل ماؤه فلا يجرح التربة.

المحناب: الوادي يجتمع سيله ويندفع في المضيق، ومنها الكظيمة من كظم الوادي إذا ضاق مجراه وصار محناباً، ومثلها الخنقة الوادي ينخنق سيله في مضيق بين جبلين.

مَجَخُ السيل: المكان الذي يحفر فيه السيل جوانب مجراه.

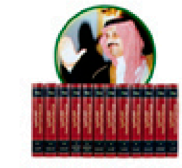
المَذْبَح (وجمعه المذَابح): مسيل يسيل في سند أو على قرار الأرض. وهو جرح السيل بعضه على إثر بعض. وعرض المذبح فتر أو شبر. وقد تكون المذابح خلقة في الأرض المستوية، لها كهيئة النهر يسيل فيه ماؤها. والمذابح تكون في جميع الأرض، في الأودية وغير الأودية وفيما تواطأ من الأرض. والمذبح من الأنهار ضرب كأنه شق.

الملعة: مجرى مائي واسع يهل. أكبر من الشعب وأصغر من الوادي.

الميْثَاء (الميِث): هي التلعة التي تعظم حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه. والميثاء أيضاً الأرض اللينة من غير رمل،



القِرِّي



والأرض السهلة، وقيل أيضاً: الميثاء الرملة السهلة والرابية الطيبة.

الهذلول: وهو في اللغة: التل الصغير المرتفع من الأرض ومسيل الماء الصغير ودقاق الرمل. ويطلق الاسم على مواضع كثيرة تقع شمال الدهناء فيما بين أم رضمة ولينة. وتمتد شمالاً حتى خط أنابيب النفط. وسكان شمال شرق الجزيرة يعنون بالهذلول الوادي الصغير ويجمعونه على هذاليل.

ومن هذه المواضع هذلول الغرابي الغربي، وهذلول الغرابي الأوسط، وهذلول الغرابي الشرقي، وهذلول أعيوج، وهذلول مطربة، وغيرها (الجاسر د.ت. ج٣: ١٣٨٧).

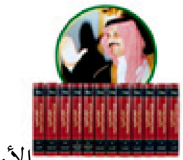
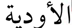
أسماء الأودية. ما يزال كثير من الأودية باسمه الذي عرف به في كتب التراث، منسوباً إلى المكان الذي يجري فيه، أو القبيلة التي تقطن حوله، وقد يتغير الاسم في بعض المواضع، وهناك أيضاً تسميات محلية لبعض الروافد والشعاب، ومن أهم الأودية:

العَقِيق: المراد بالعقيق أصلاً الأرض يعقها السيل فَيُصَيِّرُها وادياً، ثم أصبح علماً على أودية بعينها. منها عقيق المدينة المنورة وعقيق العُشَيْرَة، وعقيق البَصْرَة، وعقيق عارض اليمامة، وهو وادي الدواسر، سمي بذلك لأنه شق جيلان العارض والعرمة. وتتصف أعالي هذه الأودية بأنها ضيقة عميقة الغور، تفترش بطونها وجوانبها صخور البازلت الأسود.

والعقيق واد من أودية الحجاز العملاقة يشتمل علّى سبعة أودية أكثرها شهرة وذكراً في كتب التاريخ هو عقيق المدينة.

العقيق الشرقي: لم نجد له ذكراً بهذا الاسم في القديم وغالباً ما كان يطلق عليه الشعبة. وهذا الوادي يأخذ سيل الشعبة وجبال أبلى وأودية كبار تأتيه من الغرب ومن حرة النقيع. ثم يسيل من الشرق بأطراف حرة النقيع متجهاً ناحية الشمال الغربي حتى يجتمع مع وادي الحناكية، الذي يضم نخلاً ونجاراً ونخيلاً ويطلق عليها جميعاً وادي الخنق، فيدفع في العاقول حيث يوجد سد العاقول ثم في قناة.

يأخذ وادي العقيق أعلى مساقط مياهه بالقرب من وادي الفرع، ثم ينحدر شمالاً بين سلسلة جبال قدس غرباً والحرار شرقاً حيث تمر به هناك روافد عظيمة، فيسمى النقيع إلى أن يقترب من بئر الماشي، فيطلق عليه عقيق الحسا. ثم يعدل طريقه من الغرب إلى الشمال إلى أن يصل إلى آبار بالقرب من ذي

الحليفة فيسمى العقيق ثم يتجه شمالاً فيحف به من الغرب البيداء ثم جماء تضارع، ومن الشرق جبل عير، ثم يستمر في سيله حتى يجتمع مع وادي بطحان بالقرب من مسجد القبلتين. ويستمران في سيلهما إلى الجرف والغابة حتى يجتمع معهما من الشرق وادي القناة الذي يكون قد أخذ سيل العقيق الشرقي، ثم الخنق، حتى إذا ما اجتمعت الأودية الثلاثة (العقيق، بطحان، قناة) سمي هذا الوادي بالخُلَيْل (تصغير خل). ويطلق عليه وادي الحمض إذا ما تجاوز وادي مخيط.

عقيق الحسا: يشتهر هذا الجزء من الوادي بالنعنع في الحجاز، ويقطنه عوف من حرب. وفيه مزارع كثيرة وقرى لحرب، منها الوسطة والعلاوة، ولها آبار على ذي الحليفة. وهو يمر بين حمراء الأسد وحمراء نمل غرباً، وحرة النقيع شرقاً، وجبل عبير من ناحية الشمال الشرقي.

ويعتبر عقيق الحسا أحد أجزاء وادي عقيق المدينة، وهو أكبر وأشهر أودية العقيق ويطلق على الناحية الواقعة بين آبار الماشي إلى ذي الحليفة.

عقيق الطائف: أحد أودية العقيق وبه قرى نذكر منها: لقيم وأم الحمضة والمليساء. وملاكه هم الأشراف، وخاصة العبادلة، وفيه خليط من ملاكه الأصليين من عتيبة والحمدة.

وهو يسيل من جبل الغمير، الذي يحمي الطائف من شمس الأصيل، ثم يمر من الغرب والشمال بطرف الطائف الذي عليه أحياء. ثم يتجه بعد ذلك شمالاً حتى إذا وصل إلى الحوية سمي وادي شرب.

عقيق عشيرة: واد من أودية الحجاز العظيمة، ولكنه قليل الماء والزراعة، ولا يوجد به سوى ثلاثة مناهل فقط على الرغم من طوله الذي يقرب من ١٤٠كم. وهذه المناهل هي: عشيرة والمحدثة والمسلح. وهذا الوادي لا يفيض سيله عن هذا القاع الواسع، الذي تبلغ مساحته نحو ٤٠كم٢، وقال أحد شيوخ تلك المنطقة: لو هطل المطر بغزارة لمدة شهرين متتاليين ما ارتفع الماء نصف الساق.

ويأخذ من شمال الطائف أعلى مساقط مياهه. حيث يسيل من شمال حوية الطائف وادي قران، ثم يتجه شمالاً بين حرتي بس غرباً ثم حرة الروقة، وشرقاً حرة كشب حتى يدفع في قاع حاذة جنوب مهد الذهب.

وغير صحيح القول إن كل وادٍ لابد أن يفضي سيله إلى البحر، والدليل على ذلك هو سهل تبوك الذي يحتوي على أودية كبيرة يبلغ طول أحدها ١٥كم ولا يفيض



أبداً. ولعقيق عشيرة روافد كثيرة، منها: الحسك والرصن وسدحة والغميم وقران.

وقد تخاصمت فيه ثلاث قبائل، هي: الشيابين والقثمة والمقطة. فأعطي أعلاه للقثمة، وأوسطه للمقطة، وأسفله للشيابين. وأخرجت قرية عشيرة من هذا التقسيم، وبُني حولها حرمٌ وليس لتلك القبائل حق فيها.

وعندما تقدم دريد بن الصمة لخطبة الخنساء فرفضت قال:

لمن طلل بذات الخمس أمسى
عفا بين العقيق فبطن خرس

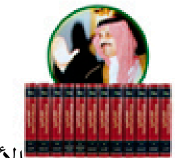
عقيق غامد: نسبة إلى قبيلة غامد. ويقع في جنوب تربة، وهو أحد الأودية الرئيسية هناك، وهو أعلى الوادي. وهناك أيضاً عقيق آخر جنوب شرقي تربة، ولكن على الأرجح أن يكون جزءاً من وادي عقيق الأول.

العَقِيق: واد من أودية الحجاز التي لا يتجاوز سيلُها جبل تسحق المرئى، وسكانه من حرب وفيه مزارع حبحب عثري لمالكيها من العرامطة من الأشراف.

وهذا الوادي يسيل من غرب مكة حيث خشارق. ثم يدفع في الساحل بالقرب من مصب مُرِّ الظهران جنوباً، ومن روافده الخمرة والخميرة (ابن خميس ١٤١٥، ج٢: ٦٨-٧٥).

وادي العيص: من أشهر أودية الحجاز الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المدينة وهو متاخم لينبع النخل (الخطيب ١٤١٣: ١٥).

تنحدر منابع هذا الوادي من خط تقسيم المياه على قمة شثاث المطل على منطقة الشبحة المشهورة بزراعة القمح عند هطول الأمطار في فصل الشتاء. ويبدو هذا الجبل شامخ القامة بانحدار شديد في سفوحه الغربية المطلة على تهامة، ومتدرجاً ناحية الشرق مكوناً أحد روافد وادي الحفير الذي يستمد مياهه من ناحية الشمال الغربي من مجموعة من الحليان والحرة التي تظهر بارزة في تلك المنطقة. بينما تستمر مياهه من ناحية الجنوب الغربي من جبل حبيش وجبل الغيابة ثم يضيق مجرى هذا الوادي بين جبلين صغيرين مكوناً مستنقعاً كبيراً أيام الأمطار يستفيد من مياهه أصحاب المواشي، ويعرف بالغدير الأعلى. ثم يفيض هذا الوادي في متسع من الأرض المنبسطة تعرف بالديشة، مشهورة بزراعة القمح على الأمطار الشتوية ثم يلتقي بهذا الوادي من ناحية الجنوب الغربي وادي حجج. ثم يضيق مجرى الوادي بين حرة شديدة الصلابة من جهة الشمال الغربي، وجبل الأعرف من ناحية الجنوب الغربي مكوناً




مستنقعاً آخر للمياه يعرف باسم الغدير الأسفل. ثم يفيض في مستنقع من الأرض يقع بين الحرة من ناحية الشمال والجبال من ناحية الجنوب يعرف هذا المستنقع بالقاع ويصب في هذا المستنقع من ناحية الجنوب وادي اللحيان ووادي الرقم ثم يضيق مجراه مرة ثانية منحصراً بين الحرة من ناحية الشمال وجبال الأشرة من ناحية الجنوب ثم ينحني مجرى الوادي محاذياً لذلك الجبل من ناحية الشمال ليلتقي بوادي المخبى وفروعه المختلفة. ويكون مجرى الأودية، الآنفة الذكر، عميقاً بين الحرة وجبل الأثرة. وعندما يتجاوزهما يلتقي بوادي ضفيان من ناحية الجنوب. وتتجمع تلك الأودية أول قرى العيص من ناحية الغرب، والمعروفة بقرى منطقة الفرع، ثم تبدأ الأودية تتجمع على شاطئ الوادي الأم من ناحية الجنوب الشرقي (السناني ١٤١٠:١٧-١٨).

بيش: من أكبر أودية تهامة، ومآتيه من جبال السراة وترفده أودية وشعاب عديدة. ويعد في درجة وادي مور الذي يسمى ميزاب تهامة الأعظم. ومن روافده: الرّجفة ويخرف. وأول عقم على مجراه هو عقم محراث مسلية الحكومية، وعند فيضانه يجلب معه نوعاً من الطمي يورث الأرض خصوبة. ويطلق اسم بيش عموماً على ما يسقيه وادي بيش.

والمشهور أن أقدم قرى بيش هي قرية بيش، أما بلدة أم الخشب فهي محدثة انتقل السكان إليها بعد أن تعرضت قرية بيش لاكتساح السيول وهذا تؤيده المشاهدة فإن الوادي قد جرف قرية بيش ولم يبق منها إلا القليل (العقيلي ١٣٩٩ : ٨٠-٨٣).

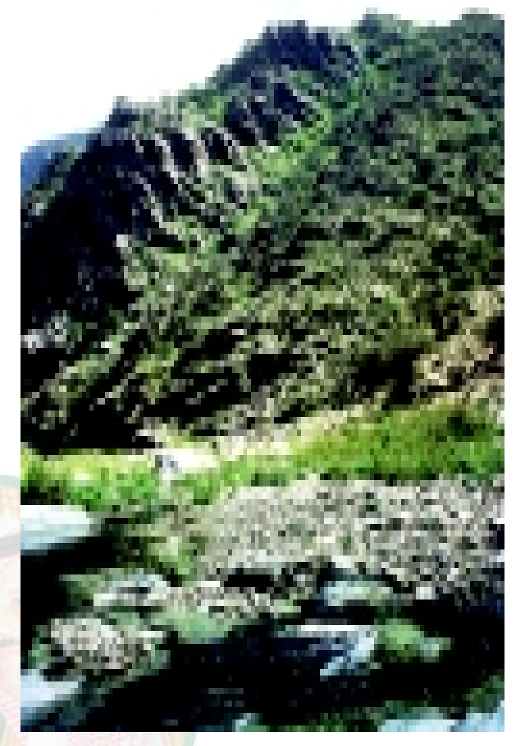
وادي الدواسر: هو النظام المائي القديم الوحيد الذي يخترق حافة جبال طُوَيْق في جزئها الجنوبي. ويخترق مجرى الوادي الطبقات الجيولوجية الباليوزوية والميسوزوية لمسافة ٢٠٠كم. ومستجمع الأمطار لروافده العليا كبير جداً يبلغ حوالي ١٥٠,٠٠٠كم٢، إذ يغطي تقريباً كل هضبة عسير بين مدينتي الطائف وأَبْها. وكان الوادي ينتهي في حوض الرُّبْع الخَالِي في جزئه الغربي ويصل إلى الخليج العربي. وأهم روافده هي: أودية تَثْليث وبِيشَة ورَنْيَة وسُبَيْع. وفي هذه الأيام لا يوجد نهر في هذه المنطقة بل واد قد شوهت مجراه الإرسابات الرمليّة وغيرها، فلا يوجد مجرى واضح للوادي سوى في جزئه الشرقي الذي ينتهي في رمال الرُّبْع الخَالِي



بفضل بعض الروافد الصغيرة من جبال طُوَيْق.

وتشغل منطقة الصرف للنظام المائي القديم لوادي الدَّوَاسِر أجزاء من الدرع العربي والرف العربي. ففي الغرب الصخور النارية والمتحولة التي تعود لما قبل الكمبري، وفي الشرق هناك الطبقات الرسوبية التي تعود للأزمنة من الأول إلى الثالث. وقد أدَّى البناء الباطني (التكتوني) لكتلة الحِجَاز إلى ميلها باتجاه الشمال والشمال الشرقي، وبهذا الاتجاه يسير واديا تَثْلِيث وبِيشَة حتى إذا وصلا إلى حدها الشمالي انحرفا نحو الجنوب الشرقي بزاوية حادة نتيجة وجود صدع المَدينَة–المُوَيْه. كما أن وادي رَنْيَة ووادي سُبَيْع يتبعان اتجاه ميل الجزء الشمالي من منطقة الصرف نحو الجنوب الشرقي بفضل وجود تلك الصدوع التي تتجه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. وفيما يلي سنوضح مسار كل رافد من روافد الوادي الرئيسية علماً بأن مياهها من النادر أن تصل إلى وادي الدَّوَاسِر.

وادي تربة (الخرمة): يتخذ وادي تُرَبَة أسماء محلية أثناء مساره. ففي مجاريه العليا يسمى وادي تُرَبَة، وبعد قرية العِرْقَيْن يسمى وادي الخُرْمَة، وبعد قرية أبو جُمَيْدة يسمى وادي سبيع وذلك على الرغم من أن بعض الخرائط لا تذكر وادي سبيع وتكتفي بوادي الخُرْمَة حتى نهايته بعروق سبيع. يبدأ وادي تُرَبَة من بلاد زَهْران عند وادي المرار ووادي جُدر شمال بيضان وقرية ظبى باتجاه وادي الصدر فوادي تربة زهران شمال المندق. ثم يتجه نحو الشمال الغربي حتى يصل بلاد بني مَالك، وهناك إلى الشمال الشرقي من جبل بَشْرَة (٢٠٤١م) يتحول مجراه إلى الشمال الشرقي. وإلى الشرق من قرية بُوَا بحوالي ١٠كم يلتقي به من الغرب رافدان كبيران هما: وادي شَوْقَب ووادي بُوَا. كما يلتقي به من الشرق وادي مبايع ووادي بَيْدَة على مسافة ٧كم إلى الشرق من جبل الخَيَّالَة (١٤١٤م). وإلى الشمال من دائرة العرض ٠٠َ ٢١ْ شمالاً يقل الارتفاع إذ إن متوسط الارتفاع في هذه المنطقة هو ١١٥٠م. ويستمر سير الوادي حيث يستقبل عدداً من الروافد الصغيرة من الغرب. أما من الشرق فيرفده وادي كَرَا بعد أن يجتاز مدينة تُرَبَة عند قرية المِدَرَّة. ويسيل وادي كَرَا من منطقة جبل عَسْعَس (١٨١٣م) باسم وادي عَمْق على دائرة العرض ١٨َ ٢٠ْ شمالاً، وتتصل به روافد عديدة، منها: وادي الرَّوْضَة


أحد روافد وادي تربة

وبعد قرية العِرْقَين يتحول اسم الوادي إلى وادي الخُرْمَة، نسبة لمدينة الخُرْمَة التي يمر بها في طريقه نحو الشمال الشرقي. ويمر وادي تُرَبَة وامتداده في وادي الخُرْمَة بين حرة حَضَن في الغرب وحرة النَوَاصِف والبُقُوم في الشرق، ويستقبل منهما عدداً من الشعاب المنحدرة من سفوحهما. وبعد أن يجتاز الوادي قرية أبـو جُمَيْدة يطلق عليه وادي سبيع، نسبة لقبيلة سبيع التي تستـوطن تلك المنـاطق إذ تنسب إلـيها المناطق الرمـلية الكبيرة، فيقال: عُـرُوق سُبَيْع. وعلى كل حال يغير وادي سبيع من اتجاه مساره من الشمال الشرقي إلى الشرق، ثم إلى الجنـوب الشرقي حيث ينتهي عند آبار كُتَيْفَان على حدود عُرُوق سبيع. وكان في سالف الأزمان نهراً يرفد وادي الدَّوَاسِر إذ يواصل مجراه عبر منطقة عُرُوق سبيع نحو وادي الدَّوَاسِر.

وادي رنية: يحتفظ وادي رَنْيَة باسم واحد على طول مجراه الذي يـبدأ من بلاد غامد عنـد دائرة العـرض ٥٠َ ١٩ْ شمالاً فـي منطقـة الأزاهِرَة (٢٢٠٠م) ومنطقـة بني كَبِيْر (٢٠٠٠م). وتصلـه روافد من الشرق مـن بلاد شَمْرَان مثل وادي شُوَاص. ومن الغرب يرفد وادي رَنْيَة عدد كبير مـن الأودية الكبيرة منها وادي جِرْشَة، ووادي ثَـرَاد الذي يسيل

ووادي الرُّفْـغَة ووادي الـقُرَيْـرَة ووادي وُرَاخ. ومن الجدير بالذكر أن وادي تُرَبَة إلى الجنوب من دائرة العرض ٠٠َ ٢١ْ شمالاً ذو مجرى رطب طوال العام.

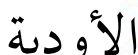

وادي تربة



من غربي رهوة البر شمال الباحة، حيث تقسم رهوة البر مياه سراة غامد وزهران إلى قسمين أحدهما إلى وادي رنية جنوباً والآخر إلى وادي تربة شمالاً، ووادي بُوْلَة ورافداه وادي جَرَب ووادي السُّلَيْم. ومن الشرق يرفد الوادي وادي شِرْس. ومن الجدير بالذكر أن وادي رَنْـيَة إلى الجنوب من قرية مَرَازِيق (دائرة العرض ٢٧َ ٢٠ْ شمالاً) يحتفظ بمجرى رطب طول العام نتيجة للسيول التي تهبط تقريباً طوال العام على منطقتي البَاحة وعَسِيْر. ويسير وادي رَنْيَة بعد هذه القرية باتجاه شمالي شرقي، ويمر بحذاء الحد الجنوبي الشرقي لحرة النواصف والبُقُوم.

ويجمع الوادي مياهاً إضافية من السيول غير المنتظمة التي تجري من هضاب البازلت المجاورة. ويجري الماء في مجرى ضيق حفره الوادي في جبال كَوْر المَجَامِعَة وكَوْر بَرَحَة، ثم ينتهي إلى سهل واسع تصله أحياناً مياه وادي سبيع ووادي بِيشَة مما أدى إلى تراكم الإرسابات النهرية فيه. ويقطع وادي رَنْيَة سهلاً تَحاتِّياً ابتداء من غرب قرية الجُرْثُمِيَّة، ثم يسير عبر المنطقة التي حفر فيها الوادي طريقه خلال جبال كَوْر المَجَامِعَة وكَوْر بَرَحَة. وبعد أن يمر بمدينة رَنْيَة يصل في النهاية إلى السهل الذي ينتهي عنده أيضاً وادي بِيشَة. وهو سهل تحاتِّي منبسط إلى الغرب يميل قليلاً نحو الوادي، وما عدا بعض الجبال المنفردة هنا وهناك فهو شديد الاستواء. وتشمل صخور قاعدة السهل جرانيت وجرانوديوريت وشست أخضر، ويتداخل معها بعض الجرانيت الحديث العائد لحركة بناء جبال الحِجَاز. وتشكل هذه الصخور سطح الأرض في معظم السهل، عدا بعض الغطاءات البسيطة من الطمي في بعض المناطق. وكلما اقتربنا من الوادي، على بعد ٣-٨كم، نجد أن الرواسب الطمية بدأت في الظهور وسماكتها بدأت في الازدياد مما يجعل السهل التحاتي يتحول إلى سهل ركامي، يُغطى في بعض أجزائه برمال ريحية. والحد الشرقي لهذا السهل التحاتي تمثله الحوائط شديدة الانحدار نسبياً لجبال كَوْر المَجَامِعَة، التي تتبع صدعاً متجهاً نحو الشمال والشمال الغربي أدى إلى رفع صخور الجرانيت الحديثة مقارنة بصخور الشست والشست الأخضر في السهل التحاتي. وفي الغرب يحد السهل التحاتي حواف حرة النَوَاصِف الهضبية المظهر والمرتفعة عما حولها. وهناك تدفقات بازلتية منفردة اخترقت السهل لمسافة تقارب ٢٥كم عبر بعض المَجَاري الضحلة القديمة. وعلى سبيل المثال بازلت خشم الشايل، الذي جرى مع وادي رَنْيَة الضحل.





يتراوح عرض مجرى الوادي الحالي بين ٨٠ و١٥٠م، وينخفض ببعض الأمتار عن المصاطب والرواسب الريحية وتدفقات اللابة في قرى الأمْلَح والجُرْثُمِيَّة. وقبل وصول الوادي لمنطقة الاختراق شرق الجُرْثُمِيَّة يجتاز منطقة بازلت تمت تجويتها بشدة. ثم يشق الوادي طريقه عبر جبال كَوْر المَجَامِعَة وكَوْر بَرَحَة التي ترتفع حوالي ١٠٠م فوق مستوى السهل التحاتي. ومن المدهش أن يشق الوادي هذا الطريق عبر هذه الجبال، فهو يسير نحو وسطها وأعلى منطقة بها ثم يخترقها. وهذا ما جعل الاعتقاد يميل إلى أن هذا الأمر يعود إلى نظام نهري قديم وعمليات تشكل أرضية قد تكون مختلفة عما هو موجود الآن. وفيما بين هذه الجبال يبلغ عرض الوادي من ٧٠ إلى ١٢٠م يشغلها سيل الوادي كلها، فيما عدا بعض الأجزاء المتسعة التي قد نجد فيها مصاطب رملية وحصوية قد ترتفع أربعة أمتار عن بطن الوادي. وبعد أن ينتهي الوادي من عبور ما بين الجبال، يدخل إلى السهل الركامي لوادي بِيشَة ورَنْيَة بعد أن يسير حوالي ٢٥كم يعبر خلالها مناطق بها بازلت يضطر لشقها مرة أخرى.

وادي بيشة: يبدأ وادي بِيشَة عبر روافد تجمع مياهها من المنطقة الواقعة بين سَرَاة عَبِيْدة (٢٧٢٠م) وأَحَد رُفَيْدَة (٢٢٠٠م) وجبل الصَّحْن (٢٣٨٠م) وأَبْها (٢٣٦٠م) وخَمِيْس مُشَيْط (٢١١٢م). فمن جبل الصَّحْن ينحدر وادي عِتْوِد نحو الشمال ماراً بخَمِيْس مُشَيْط، وهو غير وادي عِتْوِد الذي ينحدر نحو البحر الأحمر. ومن أَبْها ينحدر وادي أَبْها نحو الشمال الشرقي. ومن سَرَاة عَبِيْدة ينحدر وادي الَجوْف نحو الشمال الغربي، ويمر بأَحَد رُفَيْدَة وخَمِيْس مُشَيْط. وتتجمع هذه الأودية إلى الشمال من خَمِيْس مُشَيْط لتكوّن وادي بِيشَة الذي يحتفظ بالاسم نفسه حتى نهاية مجراه. وعند لَبْوَة جنوب شرق وادي ابن هَشْبَل بحوالي ٧كم، يلتقي وادي بِيشَة برافده وادي تِنْدَحَة القادم من بلاد سَرَاة عَبِيْدة عبر رافده وادي الخُلْصَات. ويحافظ وادي بِيشَة على اتجاه شمالي بشكل عام، وهو يسير إلى الشرق من خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً فيما عدا منطقتين صغيرتين يجتاز فيهما وادي بِيشَة هذا الخط نحو الغرب، وإحدى هاتين المنطقتين تقع بعد الجبل الأصْفَر عند دائرة العرض ٠٠َ ١٩ْ شمالاً، والثانية بعد جبل الشَّهَد عند دائرة العرض ٣٠َ ١٩ْ شمالاً. ويستقبل وادي بِيشَة عدداً من الروافد من الشرق ومن الغرب، أهمها هو وادي تَرْج الذي يجمع مياهه عبر شبكة كبيرة من



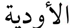


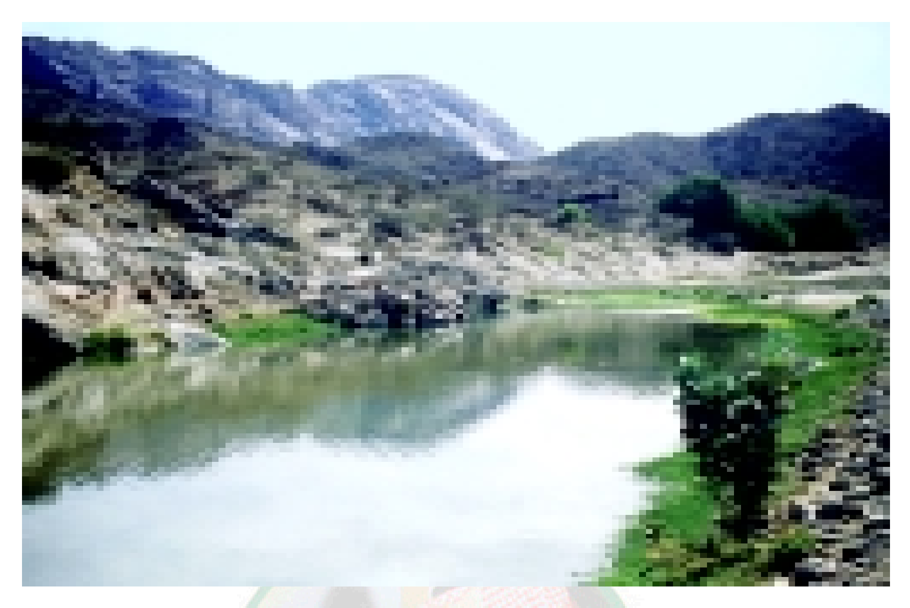
قناة تصريف السيول (بيشة)

الروافد تبدأ من دائرة العرض ٤٧َ ١٨ْ شمالاً حتى ٤٢َ ١٩ْ شمالاً. فمن بلاد بِلّسْمَر ينحدر أعلى مجاري وادي تَرْج نحو الشمال ويمر ببلاد بني شِهْر وتنحدر إليه بعض الشعاب من منطقة النَّمَاص. وشمال جبل جَنْدَف (١٧٢٧م) يلتقي به وادي رُنْمَة القادم من الجنوب الغربي من عند بلاد آل الشَّيخ، كما يلتقي به من جهة الغرب وادي حُوران ووادي المُسَمَّى. أما من جهة الشرق فأهم روافده هو وادي رَنَة. وعند منطقة مهر يتجه وادي تَرْج إلى الشمال الشرقي نحو مدينة الحَازمي التي ما إن يجتازها، حتى يغير اتجاهه نحو الشرق ليلتقي بوادي بِيشَة عند قرية الحِيْفَة بزاوية شبه قائمة.

أما وادي بِيشَة فيواصل سيره نحو الشمال، ويمر بمدينة بِيشَة عبر واد يشتهر تاريخياً بمزارعه الواسعة. وبعد أن يجتاز الوادي مدينة بِيشَة يحول اتجاهه من الشمال إلى الشمال الشرقي، ويمر بين مناطق رملية هي عرق حِنْجَرَان في الغرب، وعَدَامَة المُسَيَّف في الشرق، قبل أن ينتهي مجراه إلى السهل التراكمي الذي سبق ذكره بعد جبل صَلْفَع (١١٤٢م).

ومن السهل ينقل وادي الفَرْشَة السيول حتى نقطة التقائه بوادي تَثْلِيث التي يبدأ منها وادي الدَّوَاسِر. وخلال هذه المسافة التي تعادل حوالي ٨٠كم يجتاز الوادي أرضاً بازلتية ذات صخور نارية من الرايوليت من مجموعة حَلَبَان



وادي ترج، ويظهر خلفه جبل خندق

على طول صدع المَدينَة–المُوَيْه. ويمتلىء الوادي بالإرسابات المنحوتة من المنحدرات المجاورة وبعض الجبال المتفرقة، كما جلبت الروافد الكثيرة مثل شعيب الشُّقَيْب كثيراً من الرواسب. وفي بعض المناطق بعض الكثبان الرملية التي يضيع معها شكل المجرى تماماً.

وادي تثليث: يبدأ وادي تَثْلِيث مجراه من جنوب قرية آل جَحَالي (٢٣٣١م) بحوالي ٧كم عند دائرة العرض ٥٣َ ١٧ْ شمالاً شمال مدينة ظَهْران الجَنُوب بحوالي ٢٨كم. وهو مثل وادي رَنْيَة يحتفظ باسم واحد على طول مجراه. وسُمِّي بوادي تَثْلِيث نسبة إلى مدينة تَثْلِيث التي يمر بها الوادي، كما أنه يشبه وادي بِيشَة في أنه يحتفظ باتجاه شمالي بشكل عام إلى الشرق من خط الطول ٣٠َ ٤٣ْ شرقاً.

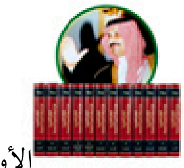
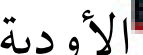
ويستقبل وادي تَثْلِيث عدداً كبيراً من الروافد من الشرق ومن الغرب، فبعد جبل سَمْحَان (٢١٢٧م) عند دائرة العرض ٢٠َ ١٨ْ شمالاً وخط الطول ٣٥َ ٤٣ْ شرقاً تجتمع أودية وَسَط والمَضِيْق لتكون بداية قوية لوادي تَثْلِيث. وبعد مدينة الأَمَوَاه شمالاً بحوالي ٩كم يلتقي بوادي تَثْلِيث من جهة الشرق رافد كبير هو وادي ثَجِر، الذي يجمع مياهه من منطقة جبلية معقدة التضاريس إلى الشرق من جبل سَمْحَان بحوالي ٢٠كم. ويستمر الوادي في اتجاهه شمالاً مع التقائه بروافد هامة من الغرب هي وادي الجَلَّة، ووادي الرُّصَين. وجنوب



مدينة تَثْـليث بحوالي ستة كـيلو مترات يلـتقي بوادي جَـاش الذي يرفـده وادي طَرِيْب المـتجذِّر من شـمال سَرَاة عَبِيْـدة بحوالي ٨كم، من ارتفاع ٢٥٠٠م نحو الشمـال لمسافة ١٧٠كم قـبل أن يلتقـي بوادي تَثْلِيث ويمر بقرى المَضَّة والصُّبَيْخَة وجَاش التي يقع إلى غربها جبال القُنَّة، كما يستقبل وادي تَثْلِيث من جهة الشرق عدداً من الروافد التـي تنحدر من جبال القَهْر. وبعد أن يجتاز وادي تَثْلِيث مدينة تَثْلِيث يبدأ في تغيير اتجـاهه تدريجياً من الشمال الشرقي ويستمر في الالتقاء بعدد من الروافد من الـشرق ومن الغرب من أهمها وادي الثَّفِن الذي يلتقي بوادي تَثْلِيث إلى الغـرب من جبل الـفَانْد (١١٧٨م) شمال مـدينة تَثْـلِيث بحـوالي ٣٠كم. وينحدر وادي الثَّفِن من المنطقة التي تقع شرق خَمِـيْس مُشَيْط بـحوالي ٣٠كم، وشمال غرب سَرَاة عَبِيْدة بحوالي ٣٠كم باسم وادي الـشِّيِّق الذي يـواصل سيره شمالاً حتى قرية الحَامِض. وعندها يتحول اسمه إلى وادي المُسَيْرِق الذي يرفده من جهة الغرب وادي نَحَر عند قرية العَيْن. وعند قرية البَغَث يتجه الوادي إلى الشرق حتى يجتاز قرية الجَزِيْرَة، ثم يحول اتجاهه نحو الشمال، ثم الشرق، ثم الشمال مرة أخرى بـسبـب مروره بمـنطقـة معـقدة التضاريس بين قريتي القَوْز والجَزِيْرَة. وعند دائرة العرض ٢٣َ ١٩ْ شمالاً يلتقي وادي المُسَيْـرِق بوادي الثَّفِـن الذي يتجه نـحو الشمال الشرقي حتى التقائه بوادي تَثْلِيث.

وبعد ذلك يواصل وادي تَثْلِيث سيره نحو الشمال الشرقي بمحاذاة عرق الوَادي الذي يقع إلى غربه، ويلتقي بوادي الفَرْشَة عند خط الـطول ٢٠َ ٤٤ْ شرقاً. وقبل ذلك يستقبل وادي تَثْلِيث عشرات الروافد التي تنحدر من جبال الخَانِق (١٣٧٥م)، وجبال هَجَّاج (١١٦١م)، وجبال القَارَة (١٠٧٧م) وتتجه نحو الشمال ثم تلتقي بوادي تَثْـلِيث الذي يجمـع مياهها في مجراه نحو الشمال الشرقي.

ويطلق اسم وادي الدَّوَاسِر عادة على امتداد وادي تَثْلِيث ابتداء من منطقة التقائه بوادي الفَرْشَة حتى الرُّبْع الخَالِي. وتتدفق مياه وادي الـدَّوَاسِر نحو سـهل فسيـح تتراكم فيه الإرسابات غربي حافة جبال طُوَيْق، وبالتـحديد فيما بين الخَمَـاسِين واللَّدَّام عند الحد الشرقي للدرع العربي حيث نجد الدرع العربي قد علته طبقات من الحجر الرملي التابعة لتكوين الوَجِيْد. وتغطي رمال عِرْق الوَادي هذه المنطقة مما لا يمكن مـعه دراسة تَشـكل الوادي أو تبين مسير المجرى القديم له، بل إن عِرْق الوَادِي يستمر غربـاً ليصل إلى السهول

التي ينتهي اليهـا واديا الفَرْشَة وتَثْلِيْث. وفي الجزء الجنوبي من بقايا الوادي الواسع للمجرى الرئيسي إرسابات طمية وطينية مغطـاة في أجزاء كبيرة مـنها بالكـثبان الرمـلية. وحـول هذا المجرى مـنطقـة واحات واسعـة، من أهمها: الخَـالديَّة والوَلامِيْن والخَمَاسِين والمِعْتِلا والنُّوَيْعِمَة والمَنْصُور والحَنَابْجِة والشَّرَافَة. وإلى شمال هذه الواحات مساحـة كبيرة من الرمال تعرف باسم عِرْق الوَادِي تصل ارتفاعاتها من ٢٠-٣٠م فوق مستوى الـواحات. أما في جنوب منطقة الواحات فهناك بقايا تعرية لأحجار رملية برمية وشست تمتد من الشرق للغرب. وفي بعض مـناطق الآبار التي حفرت لوحظ أن هناك تتابعاً في الإرسابـات يعكس ظروفـاً مناخية مختلفة، فبينما نجد الرمال والسباخ (٩-٢٤م) تعكـس ظروفاً جافة، حـيث لا يسـتمر جريـان السيـول، نجد الحصى والجرول (٣٩-٤٢م) يشـير إلى فترات أكثر رطوبة كـان الوادي خلالها يجري باستمرار.

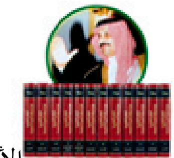
ويخترق وادي الدَّوَاسِر حافـة جبال طُوَيْق الجيرية الجوراسية عند دائرة العرض ٢٨َ ٢٠ْ شمالاً، وخـط الطول ٢٥َ ٤٥ْ شرقاً من الغرب إلى الشرق بمجرى مستمر ذي تعرج بسيط لمسافة حـوالي ٥٠كم. وتطل حـافة جبال طُوَيْـق على السهـل التراكمي إلى الغرب من ارتفاع ٣٠٠م، ويرتفع بطن الـوادي عن مستوى سطح البحر بحوالي ٥٨٥م. وفي بداية اختراق وادي الدَّوَاسِر لحافة جبال طُوَيْق يتراوح عرض الثغرة التي أحدثها الوادي بحوالي ٣٠كم، ويتنـاقص هذا العرض باطـراد نحو الشرق حتى يصل إلى نحو ١٥كم فقط، وهنا يتراوح عرض مجرى الوادي بين ٢,٥ و ٣,٥كم، وفي شرق السليل يصل عرض الوادي إلى ١,٥كم فقط.

وفي الحقيقة فإن وادي الدَّوَاسِـر لم يفقد شكل مجراه الذي ضاع في وسط تراكـم الإرسابـات الرمـليـة وغيـرها فحسب، بل فقد اسمه كذلك إلى الشرق من مدينة السليل. ذلك أن اسمه يتحول إلى وادي الغَرّ الذي يـسير نحو الشرق محاذيـاً رمال الرُّبْع الخَالِـي في مجرى عريض مضفر ذي سـباخ كثيرة. وعند دائرة العرض ٢٠َ ٢٠ْ شمالاً وخط الطول ٣٠َ ٤٦ْ شرقاً يتجه وادي الغَرّ نحو الشمال الشـرقي. وإلى الغـرب من قارة رُوَيَّـة يتحول اسم وادي الغَرّ إلى وادي الغِيْرَان الذي يـواصل جـريانه نـحو الـشمـال الشرقـي، ثم ينتهـي في سهل حدوده الشرقية رمال الرُّمَيْلَة. وفي المنطقة نفسها ينتهي كذلك وادي المَقْرَن.



أودية نساح وحنيفة والسهباء وروافدها: يبدأ وادي نِسَاح مجراه عند خط الطول ١٥َ ٤٦ْ شرقاً، وذلك من خلال مسيل روافده العليا التي من أهمها وادي الفُرَيْشَة، ووادي الجُفَيْر. فأما وادي الفُرَيْشَة فيسيل من الأراضي العالية (١٠٤١م) شمال حفيرة نِسَاح ويتجه شمالاً، ثم ينحرف نحو الشرق حيث يلتقي بوادي الجُفَيْر القادم من الجنوب الغربي من عند فريدة الشَّظْيَة ثم يتجه نحو الشمال الشرقي. وعند عرق الربعة يلتقي به رافده مَرْقَان نِسَاح الذي يسيل من منطقة فريدة الشَّظْيَة، ثم يتجه وادي الجُفَيْر بعد ذلك شمالاً. وبعد التقاء وادي الفُرَيْشَة بوادي الجُفَيْر بقليل يلتقي معهما رافد ثالث هو شعيب كُحَيْل. وبعد ذلك تتجه هذه الأودية نحو الشرق باسم وادي نِسَاح بمجرى شبه مستقيم، نحو الخَرْج.

ومن الجدير بالذكر أن وادي الأَوْسَط الذي يوازي وادي نِسَاح من الشمال، ويجري من الغرب إلى الشرق، كان رافداً من روافد وادي نِسَاح قبل أن يتم أسره عن طريق وادي البُعَيْجَاء الذي حوَّل ماءه نحو وادي حَنِيْفَة. وتعود التضاريس الحالية لنظام الصرف في منطقة وادي نِسَاح إلى آخر الحركات الباطنية (التكتونية) ذات الشأن في المناطق الأخدودية. وقد تسببت هذه الحركات في تكيف وادي نِسَاح مع التغيرات في مستوى القاعدة المحلي بفعل صدوع الأخاديد، فغير وادي نِسَاح مجراه من الشمال الشرقي إلى الشرق وانفصل عن وادي حَنِيْفَة (Wolfart 1961: 110). وتبلغ سمك الإرسابات النهرية في وادي نِسَاح حوالي ٣٠٠م (Job, et al., 1978: 216). أما وادي حَنِيْفَة فيسيل من جبال طُوَيْق من على بعد حوالي ٥٠كم شمال غرب مدينة الرِّيَاض، إذ يبدأ رافده شعيب الخُمْرَة مجراه من عند قمة أم الرِّحَال (٩٦٠م) المشرفة على بلدة البَرَّة فيما تحت حافة جبال طُوَيْق الوسطى عند خط الطول ٠٠َ ٤٦ْ شرقاً. وأثناء مسيره نحو الجنوب الشرقي يلتقي به عدد من الروافد من الغرب، هي: شعيب الحَيْسِيَّة، ووادي بَوْضَة ورافده شعيب الهُدَيْدِير، وشعيب أم كَثِير، ووادي العَمَّارِيَّة برافديه شعيب مُزَيْرِعَة وشعيب اليُسْرَى، وشعيب صَفَار، ووادي مَهْدِيَّة، ووادي وبَيْر، ووادي لَبَن، ووادي نَمَار، وشعيب البَاقِرة، ووادي لِحَا، ووادي البُعَيْجَاء وامتداده في وادي الأَوْسَط. أما من الشمال فيرفده فقط رافدان، هما: وادي الأَيْسَن




وادي البَطْحَاء الذي يقع في منتصف مدينة الرِّيَاض الحالية.

وعلى معظم هذه الأودية نشأت الواحات واستوطن الإنسان حيث الماء عماد الحياة. ومن أهم هذه الواحات الدِّرْعِيَّة والرِّيَاض والجُبَيْلة والعَمَّارِيَّة والعُيَيْنَة. ويبلغ سمك الإرسابات النهرية في وادي حَنِيْفَة في المتوسط من ٦٠ إلى ٨٠م. وينتهي وادي حَنِيْفَة في سهول الخَرْج حيث يكوّن مع وادي نِسَاح ما يعرف بوادي السَّهْبَاء. كما ينتهي في سهول الخرج أيضاً وادي السُّلَيّ الذي يجري من الشمال الغربي للجنوب الشرقي موازياً لوادي حَنِيْفَة، ولكن إلى الشرق من طريق الرِّيَاض-الخَرْج السريع، وتحده في الشرق حافة جبال الجُبَيْل. وكانت مجموعة أودية بِرْك والحَوْطَة تنتهي كذلك في هذه السهول لتكون نهراً عظيماً كان يجري بالمياه أثناء الفترات المطيرة لينتهي في الشرق عند الخليج العربي.

أودية برك والحوطة والسوط: يعد وادي بِرْك نظاماً نهرياً كبيراً قديماً، وهو يجتاز جبال طُوَيْق الجنوبية التي يصل ارتفاعها في تلك المنطقة إلى أكثر من ١٠٠٠م، وتميل نحو الشرق ويقل ارتفاعها في هذا الاتجاه فلا يزيد متوسط ارتفاعها على ٦٠٠م فقط. ويعبر وادي بِرْك هذه الجبال من الغرب إلى الشرق عند دائرة العرض ٢٠َ ٢٣ْ شمالاً بعرض ٢,٥-٤,٠كم في الغرب. ويضيق الوادي كلما اتجهنا شرقاً حتى يصل عرضه إلى نحو كيلو متر واحد فقط. وفي شرقي جبال طُوَيْق يتجه الوادي شمالاً، وتتصل به بعض الروافد مثل أودية الحَوْطَة، وبعد ذلك ينتهي في سهول الخَرْج. ويغطى وادي بِرْك في أجزاء كبيرة منه هذه الأيام بالرمال وينقسم في مجراه إلى عدة مجار. وكان في سالف الأزمان نهراً يخترق الرف العربي بكامله، فقد كان يسيل من الدرع العربي ويتجه شرقاً حتى ينتهي عند الخليج العربي. وكانت روافده العليا هي وادي العَمْق (الرَّيْن) ووادي الرَّكَا (البَدْرِيَّة)، ووادي الجِفَر وغيرها، وهي تنتهي جميعاً الآن عند شمال نفود الدِّحِي. وكان وادي بِرْك يلتقي بأنهار وادي نِسَاح ووادي حَنِيْفَة ووادي السُّلَيّ في منطقة الخَرْج، ثم تتجه هذه الأنهار جميعها إلى الخليج العربي عبر ما يعرف اليوم بوادي السَّهْبَاء.

يبدأ وادي الرَّكَا مسيله نحو الشرق من عند جبال الدَّخُول (١٢٥٥م) وحَوْمَل (١٢٣١م) عند خط الطول ٤٥َ ٤٣ْ شرقاً، ودرجة العرض ٢٥َ ٢٢ْ شمالاً



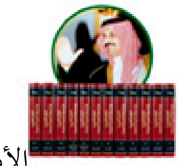
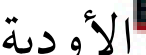
عبر روافده شعيب الدَّخُول وشعيب دِمْنَان وشعيب الشَّهَد وشعيب الرَّحَاوِي، ثم يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي والدخول وحومل هما اللذان ذكرهما امرؤ القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وبعد أن يجتاز المنطقة جنوب جبال أَذْقَان الرُّوَيَان (١٤١٤م) ينحرف نحو الجنوب الشرقي ويستقبل عدداً من الروافد. وعند بئر العَرْجَاء يعدل مساره نحو الشرق بعد أن يجتاز منطقة منخفضة ذات سباخ تجتمع فيها مياه كثيرة من الروافد. وبعد ذلك يتجه نحو منطقة جبال رُمَام (٩١٢م)، ويبدأ في الاتجاه نحو الشمال الغربي موازياً لنفود الدِّحِي من الغرب. وشمال صُفَيْراء المُضبَّة يلتقي به رافد كبير هو وادي السُّرَّة. وعند دائرة العرض ٤٠َ ٢٢ْ شمالاً يلتقي به رافد عظيم آخر هو وادي العَمْق الذي يسيل من مرتفعات أم الشُّبْرُم باسم وادي أم الشُّبْرُم ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي باسم وادي العَمْق موازياً للحافة الجبلية التي تقع إلى شرقه وتجبره على السير في هذا الاتجاه. ولهذا يتسع مجراه في هذه المنطقة إذ يتراوح بين ١,٥ و ٣كم. وعند نهاية الهُوَّة ينحرف نحو الشمال الشرقي ويتصل بوادي الرِّكَا. ويسير بعدها وادي الرِّكَا نحو الشمال الشرقي إلى أن ينتهي في حفاير ابن دَرْعَان. وكان الوادي خلال العصور المطيرة يواصل مسيره عبر وادي بِرْك نحو الخليج العربي.

أما وادي بِرْك فيستمر نحو الشرق في مجرى متعرج ذي سباخ كبيرة، يرفده من الجهة الشمالية عدد من الشعاب والأودية، منها: شعبان المِلواط، وشعيب الغَار، ووادي الدَّابرة، وشعبان الطُّلَيْليحَات، ووادي بَوْضَان بروافده، وشعاب غَوَّاث ونُخَيْلان، وشعاب الدُّمَيْنَات، وعَجَاج والرِّيَاحِي. ثم بعد ذلك يلتقي به شعاب وأودية حَوْطَة بني تميم والحريق لتشكل نظاماً واحداً من الأودية كان يصل بمجراه إلى السَّهْبَاء ومن ثم إلى الخليج العربي.

ففي منطقة حَوْطَة بني تميم يتصف سطح ظهر حافة جبال طُوَيْق عموماً بالوعورة بسبب كثرة الأودية والشعاب التي خددت المنطقة وقطعتها فأصبحت منطقة ذات مسالك وعرة. وهذا مما ساعد على بقاء نماذج من الحياة الفطرية فيها، مثل الوعول التي اتخذتها ملجأ حصيناً فسلمت من الصيد. ووادي الفَارِعة، الذي كان يسمى وادي بِرْك، يمر من خلاله يرفده عدد من الأودية الكبرى

التي تجري شرقاً مثل وادي الرَّحَل، ووادي عَشْر؛ ووادي مِطْعِم ذي الروافد المتعددة، ووادي نِعِم الذي يجري كذلك نحو الشرق وله روافد من عدة اتجاهات.

أما وادي الحَرِيْق فهو واد عظيم له روافد عديدة من الشمال والجنوب. فمن روافده الشمالية نجد شعبان مَرْقَان المَجْمَعَة، وجَافان، والزُّوير، والجُنيد. ومن الغرب ترفده شعاب حُنَيْظِلة، ووادي عَوْلان، ووادي تَربَان، ووادي تُرَيْبين، ووادي الخَشَبَة. وعند مدينة الحَرِيْق يلتقي به رافده وادي الأَيْسَر، الذي يخترق حافة جبال طُوَيْق فيما بين خشم الخَلْطَاء وخشم مَخْرُوق. وقبل أن يصل قرية نعام ينحرف وادي الحَرِيْق نحو الشمال الغربي، ولكنه سرعان ما يعود في اتجاهه إلى الجنوب الشرقي حتى يلتقي بوادي الحَوْطَة، الذي هو في الأساس امتداد لوادي الفَارْعة على بعد حوالي ستة كيلو مترات من الحِلْوة. وبعد ذلك يتجه الواديان نحو الشمال ولكن باسم جديد هو وادي السَّوْط، الذي يسير في منطقة منخفضة الارتفاع إذ لا يزيد متوسط ارتفاعها عن ٥٤٠م، ولهذا تكثر محاجر السيول على طول مجراه ومن أهمها قاع المِنْسَف. ويرفد وادي السَّوْط من الغرب عدد من الروافد، منها شعيب أبو سَحْرَاء، ووادي وُثَيْلان. وعند دائرة العرض ٥٢َ ٢٣ْ شمالاً، بعد أن يلتقي بالوادي رافد جديد هو وادي مَاوَان برافده شعيب مُوَيْوِين، يتحول اسم وادي السَّوْط إلى اسم جديد هو وادي الرَّغِيْب. ويستمر وادي الرَّغِيْب في اتجاه شمال شرقي، ويعبر منطقة الدِّلَم نحو سهول الخَرْج ووادي السَّهْبَاء. ومن الجدير بالذكر أن مجرى الوادي فيما وراء الصّحَنَة شمالاً غير واضح بسبب استغلاله بالمزارع الواسعة.

ويعد وادي بِرْك منطقة إرساب، فيبلغ سمك إرسابات الوادي حوالي ٥٥م، ويمكن تتبع الإرسابات على عمق ٤٠م في الآبار المحفورة يدوياً في مصاطب الوادي. وتشتمل الإرسابات على غرين مع نسب مختلفة من الطمي والرمل. وتحوي الإرسابات، وهي غالباً ما تكون مارلية (طينية جيرية) على نسبة كبيرة من الجبس على هيئة قشرة في بعض الأحيان. وبما أن هذه الإرسابات تقع في المناطق المستوية من الوادي، فإن السيول تتجمع فيها بعد نزول الأمطار، ومع نسبة تبخر شديدة يتخلف عنها مجموعة من السباخ في مناطق متفرقة، مثل سباخ حفاير ابن دَرْعَان عند بداية دخول الوادي جبال طُوَيْق،



وفي الأجزاء الشرقية من الوادي جنوب الحِلوة، وفي الوادي نفسه شمال الحَوْطَة قرب نهاية الوادي في سهول وادي السَّوْط. وعلى جانبي الوادي مصاطب قرب حَوْطَة بني تميم ونَعَام والحَرِيْق. وعلى النقيض من معظم أجزاء وادي بِرْك التي تتسم بالاستواء والانبساط، تتسم مناطق المصاطب بالتعرية في حشو الوادي. فعرض الوادي يتراوح بين ٣٠ و ٦٠م، وعمقه حوالي ١٠م في منطقة الحَوْطَة، وتقف حوائط الوادي شاهدة على ما كان يجري به من أمطار. وتبدأ المصطبة في مدرج بسيط من متر إلى ثلاثة أمتار قرب الحِلْوة، وتصل إلى ارتفاع ١٠ أمتار قرب التقاء وادي الحَوْطَة بوادي بِرْك.

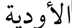
ومن صفراء جبال طُوَيْق ومنحدراتها الشرقية يجمع وادي العَقِيْمِي مياهه عبر شبكة كبيرة من الروافد. فمن حَزْم الرُّضَيْمَة يبدأ وادي نِسَلَة، أحد روافد وادي العَقِيْمِي، ويتجه شمالاً، ومن غرب بئر بُعَيْجَاء يسيل وادي البُعَيْجَاء نحو الشمال الشرقي، ويوازيه من جهة الشمال وادي طلحي. وكلها تلتقي إلى الشرق من خط الخَرْج-الأفْلاَج المزفت بحوالي خمسة كيلو مترات لتكون وادي العَقِيْمِي، الذي يواصل مسيره نحو الشمال نحو سهول الخَرْج، ولكنه في الوقت الحاضر يسد مجراه عرق الضَّاحِي فهو ينتهي جنوب الخَفْس مباشرة في منطقة الدِّلَّم.

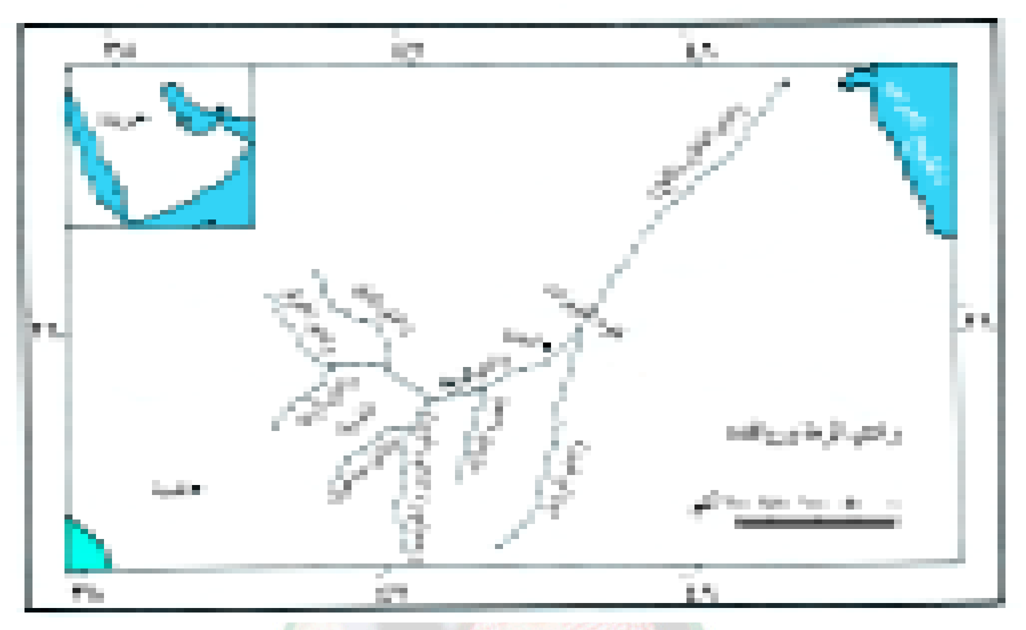
وادي الرُّمَة-الباطن: يخترق وادي الرُّمَة الوادي العظيم ذو الروافد الكبيرة منطقة الحافات في منطقة القصيم، وتنصرف إلى هذا الوادي معظم الشعاب والأودية في عالية نَجْد. وكان في سالف الأيام نهراً يجري نحو الخليج العربي عبر امتداده وادي البَاطِن، ولكن بعد عصور الجفاف ردمت الرمال مجراه وانفصل بذلك وادي البَاطِن من وادي الرُّمَة، وكان ينتهي عند جبل سَنَام بجوار شط العرب. ذكر محمد العبودي أن العامَّة يقولون لغزاً في ذلك شعراً هو:

رِجْلَيْه بالبصره وصدره بابانات

ومْشَرِّع يَشْرَب بْحَوْض المَدينَه

يقصدون: ما شيء رجلاه في البصرة، وصدره في أبانين، ورأسه يشرب من حوض بالمدينة المنورة؟ وطبعاً الجواب هو وادي الرُّمة. كما أن العامة يزعمون بأن جبل سَنَام الذي يقع بقرب البصرة كان في حرة خَيْبَر التي يبتدئ من عندها سيل وادي الرُّمَة ولكنه سار إلى العراق فصار أثر مسيره إلى العراق مجرى وادي الرُّمَة الحالي.


خريطة لوادي الرّمة وروافده

وقليلاً ما يجري الوادي بكامل مجراه إلا في بعض الحالات النادرة غير المتكررة، وإلا فالغالب هو حدوث فيضانات محلية عبر روافده لا تلبث أن تنتهي. وعلى كل حال فقد ذكر لوريمر (د. ت.:٦-٢٠٠٨-٢٠٠٨) بأن فيضاناً حدث في عام ١٨٣٨م وصل إلى المنطقة الرملية التي تسد مجراه ثم حار الماء وكوَّن بحيرة كبيرة دامت سنتين وجذبت الكثير من الطيور المائية الغريبة عن المنطقة. وقال الشيخ إبراهيم بن عيسى في حوادث سنة ١٢٣٤هـ إن عُنَيْزَة وبعض بلدان نجد سالت خريفاً، وإن وادي الرُّمَة جرى لمدة أربعين يوماً. كما ذكر العبودي أن الوادي كان قد جرى لمدة اثنين وعشرين يوماً في عام ١٣٧٦هـ وكان في أول أمره يشبه جريان نهر النيل. ولكثرة روافد وادي الرمة قيل «لو قيل لكل شعيب وين أنت رايح؟ قال: أبي أروح لوادي الرمة» وذلك لأن كل الأودية الصغيرة والمتوسطة في عالية نجد المسامتة للقصيم وما ذهب شمالاً أو جنوباً لمسافات معينة كلها تذهب هي والأودية التي تصب فيها إلى وادي الرمة.

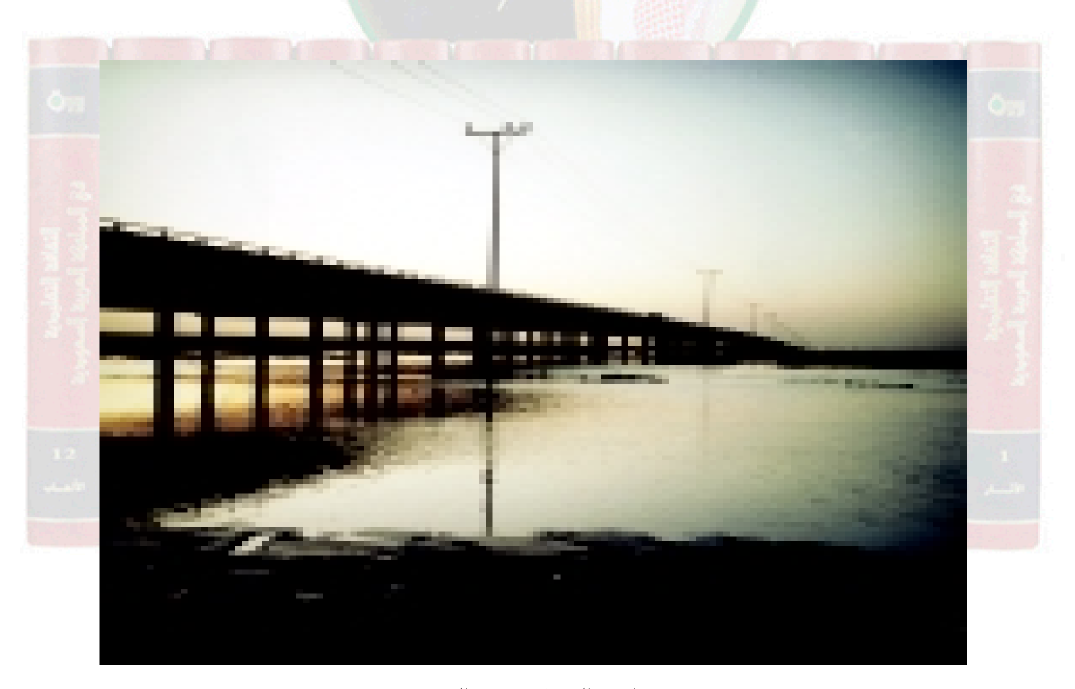
وفيما يلي سنفصل القول عن روافد الوادي وشعابه:

يبدأ وادي الرُّمَة مجراه من حرة خَيْبَر من جبل الأبيض (٢٠٩٣م) وجبل حلاة

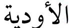


الشَّحم (١٨١٧م) عـنـد دائرة العرض ٤٣َ ٢٥ْ شمـالاً وخط الطـول ٠٠َ ٤٠ْ شرقاً عبر رافده وادي البِدْع أحد روافد وادي أبو رِمْث وكلاهما يمران إلى الشمال من قريـة الحُويِّط. ويتـجه وادي البِدْع ووادي أبو رِمْـث نحـو الشرق ولـكن سرعان ما ينحرفان نحو الشمال الشرقي بعد الحُويِّط، ويمرّان مدينة الحُلَيْفَة السفلى في طريقهما للالتقاء بالوادي الواسع وادي الرُّمَة. ومن خط الطول ٠٠َ ٤١ْ شرقـاً يتخذ وادي الرُّمَة مجرى واسعاً متعرجاً تلتقي به الروافد من الشمال والجنوب مما يؤدي إلى استمرار توسيع مجراه. وهو يجرى في هذا السهل التحاتي العريض الذي ينحدر انحداراً خفيفاً نحو الشمال الشرقي، ويتسم المظهر الطبيعي في منطقة الصـرف بوجـود منـحدرات خـفيـفة وبدمنـتات منحوتة فـي الجبال المحيطة وممرات ضيقـة بين المنحدرات تسـلكها الأودية والـشعـاب، وجبال مـنفردة، وأعداد لا تحصى من المراوح الفيضية.

ويتجه الوادي بـعـد خـط الطــول ٠٠َ ٤١ْ شرقاً نحو الشرق حتى يصل إلى خط الطول ٠٠َ ٤٢ْ شرقاً الذي يتجه بعده الوادي نحو الجنوب الشـرقي في مجرى عريض يـصل أحياناً إلى ٦ كـم، وعند جبل الحُطَيْم شمال نفود الـعُرَيْق ينحرف الوادي نحو الـشمال الشرقي، ويمـر من



وادي الرّمة – قرب الرّس


مجرى وادي الرّمة

بين جبلي أبَان الأسْمَر وأبَان الأحْمَر تاركاً مدينة الرَّس إلى يمينه بنحو ٦كم، ثم يمر بالبَدَائِع حيث يضيق الوادي. وبعدها يدخل الوادي منطقة رمال نفود الغَمِيس، ورغم ذلك يواصل الوادي مسيره ماراً بين عُنَيْزَة وبُرَيْدَة ويدخل منطقة قاع الوادي التي يستمر خلالها في مجرى واسع جداً حتى ينتهي شرق بلدة البَنْدَرِيَّة بمحافظة الأسيَاح حيث تحجزه رمال نفود الثُّويْرَات.

وفيما يلي سنذكر أهم روافده الكبيرة من الشمال والجنوب بادئين بروافده الجنوبية:

وادي الرَّقَب: يسيل وادي الرَّقَب من حدود حرة بني رشيد من جبال الشُّقَيْمَاء (١١٦٢م) ويتجه شرقاً، حتى تضطره جبال الغُبَيَّة إلى الاتجاه نحو الشمال الشرقي فيدخل جبال العَلَم (١٢٨٥م) ويمر بقرية الرَّقَب عند خروجه من جبال العَلَم ويستمر في اتجاهه نحو الشمال الشرقي في مجرى عريض حتى يلتقي بوادي الرُّمَة عند قرية الثُّمَامِيَّة عند خط الطول ١٥َ ٤١ْ شرقاً.

وادي الجِفِن: يبدأ وادي الجِفِن مجراه من عند جبال أَقَيْعِيَة وجبال الشُّمْط (١٠٨٢م) ثم ينحدر نحو الشمال الشرقي بعد أن يستقبل عدداً من الروافد من الجبال المحيطة، أهمها ما ينحدر إليه من جبال الهُمَيْلِيَّة. وبعد أن يمر وادي



الجِفِـن إلى الغرب مـن جبل المُـصَيْقِر (٩٦٦م) يتحول اسمه إلى وادي المُصَيْقِر ويلتقي بوادي الرُّمَة جنوب شرق عُقْلَة الصُّقُور بحوالي ٨كم.

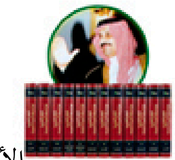
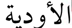
شعيـب الهُمَيْـلِيَّة: يسيل شعيـب الهُمَيْلِيَّة من سُمْـر الشُّعَيْفَاء ويتجه نحو الشمال الشرقي ماراً بقرية الهُـمَيْلِيَّة إلى الغرب من جـبل طِمِيَّة (١٣١١م)، ثم يتجه نحو الشمال الشرقي وقبل اتصاله بوادي الرُّمَة يلتقي برافـد قادم من جبل طميَّة، وهـو في الحقيقة يـلتقي بوادي المُصَيْقِر مباشرة قبل اتصاله بوادي الرُّمَة.

وادي الجَرِيْر وروافده: ينحدر وادي الجَرِير من الجنوب نحو الشمال وتتصل به العديد من الروافد، فهو يبدأ مـجراه من جبـال المِشَفّ (١٠١٠م) وهِضَـاب الدُّرَيْعُوْات وجبال الذَنَايِب تقريباً عند دائرة العرض ٣٧َ ٢٣ْ شمالاً، ثم يتجه نـحو الشمال في مجرى عريض محاذياً لنفود العُرَيْق من الغرب حتى يلتقي بوادي الرُّمَة بعـد جبـل بِدَن (١٠٣٢م) عنـد دائرة العرض ٤٢َ ٢٥ْ شمالاً. ويتصل بوادي الجَرِير من الغرب والـشرق روافد كبيرة ومهمة تقوم بتصريـف منطقة كبيرة من هضبة نَجْد المتبلورة ومنها:

وادي سَاحُـوق: ويبدأ مـجراه من جبال البُوَيْبَات (١١٨٧م) ثم يتجه شرقاً حتى يلتقي به شعيب سُوَيْحيق، وبعدها يتجه نحو الجنوب الشرقي حتى هضاب الغَيْـمَار وعندها يلـتقي به رافده وادي العَمِيْرة القادم من الجنـوب، وبعد ذلك يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي حتى يجتاز قرية المَاويَّة غرب جبل مَاوان وبعدها يتجه الوادي شرقاً أولاً، ثم ينحرف نحو الشمال الشرقـي فيتصل به رافده وادي مَبْعُوج. وعند منطقة الرُّحَيْمية يتجه وادي سَاحُوق شرقاً فيتصل بوادي الجَرِيْر بمجرى عريض جداً قدره ٦كم.

وادي طَلال: وهو رافد عظيم يرفد وادي الجَرِير من جهة الغرب فهو يجمع سيوله من منطقة واسعة عبر رافده وادي الحِسُو وروافد أخرى قادمة من الجنوب من جـبال تَوْبَـان (١٠٥٥م) ثم يتـجه الوادي نحو الشمال الشرقي. ويمر من عند قرية طَلال عند خط الطول ٥٧َ ٤١ْ شرقاً، ثم يتجه شرقاً، ثم شمال شرق حتـى يتصل بـوادي الجَرِير عـند قرية الرَّضُم.

وادي البَحْرَة: ويـرفد وادي البَحْرَة وادي الشُّبْرُم الذي يسيل من جبال المِشَفَ وما حولها من مرتفعات ثم يتجه شمالاً فيلتقي برافده وادي الصَّقْرَة. وبعد ذلك ينحرف نحو الغرب باسم وادي البَحْرَة حتى يلتقي بوادي الجَرِير.

وادي المِيَاه: ويسيل من شمال عَفِيْف من الحواف الغربية لجبال النَّيْر ويتجه شمالاً بمحاذاة نفود العُرَيْق حتى يتصل بوادي الجَرير بعد اجتيازه منطقة جبال الأشْمَاط (١٢٤٤م).

وادي الدَّاث: وهو أحد روافد وادي الرُّمَة من جهة الجنوب يسيل من جبال كَبْشَات (١٢٨٣م) عبر رافده شعيب هِرْمُول، ومن شمال جبل عَسْعَس عبر رافده نَاصِفَة القُنَيْنَة، ثم يتجه الوادي شمالاً باسم شعيب هِرْمُول حتى شمال جبل النَّايع (١٠٣١م) عندما يتصل به رافد من الغرب هو شعيب أبو رِمْث القادم من جبل أبَان الأحْمَر عندها فقط يسمى الوادي بوادي الدَّاث. ويستمر وادي الدَّاث في جريانه شمالاً حتى يتصل بوادي الرُّمَة عند قرية القَيْصُومة عند خط الطول ١٠َ ٤٣ْ شرقاً.

وادي النِّسَاء: يسيل وادي النِّسَاء من المنطقة الجبلية حول قرية دُخْنَة مثل جبل غُرَاب وجبل خَزاز وجبل درْعَان، ويستمر في جريانه نحو الشمال حتى يتصل بوادي الرُّمَة عند بداية مزارع البَدائع. ومن المحتمل أن وادي الرِّشَاء كان يتصل بوادي الرُّمَة قبل أن تصد رمال نفود الشُّقَيْقِة استمرار تقدمه نحو الشمال.

ومن روافد وادي الرمة الشمالية:

وادي القَهَد: ينحدر هذا الوادي من جنوب جبال أجَا والهضيبات الواقعة جنوب الجبال، فمن سمراء رُوَيْعِي (١٢٩١م) ينحدر وادي الحُمَيْمَة نحو الجنوب ويتلقى رافدين من الشرق هما وادي الجُفْرَة ووادي مِبْهِل ويلتقي وادي الحُمَيْمَة بوادي القَهَد إلى الغرب من جبال وَسْمَة (١٢١٢م). كما أن وادي القَهَد تأتيه سيول من الشمال من جبل أم قِذْلَة (١٢٧٥م) وجبل أم شِطَيْب (١١٩١م). وبعد أن يجتاز منطقة جبال وَسْمَة يتجه وادي القَهَد نحو الجنوب الشرقي ويتصل بوادي الرُّمَة عند خط الطول ٠٦َ ٤١ْ شرقاً بعد أن يكون قد وصلته مياه ثلاثة روافد من الشرق هي دَحْلة الجَوازي وشعيب الهَمْجة ووادي الذَّكَري. وفي وادي القهد يقول الشاعر:

ياوجد قلبي كان وادي القهد سال
يلحق على تالي العشاير نماها
مدهال وضحٍ ربّعن عقب الامحال
عسى السحاب الغر يسقى وطاها

وادي الشِّعْبَة: وادي الشِّعْبَة أحد الروافد الشمالية العظيمة لوادي الرُّمَة وهو يجمع سيوله من منطقة واسعة تمتد بين جنوب جبال أجَا وجبال رُمَّان وجبال سَلْمَى، فمن جبال الْمَوَيْكر (١٢٥٣م)



وجبال المَعَا (١٣٤٥م) وغيرها مما يقع جنوب جبال أجَا تنحدر شعاب كثيرة تجتمع في مجرى واسع إلى الغرب من جبال أُمّ رُؤوس (١١٧٤م) لتكوّن وادي الشِّعْبَة. وبعد أن يجتاز وادي الشِّعْبَة جبال السُّمْر (١١٥٠م) إلى الغرب مباشرة من طريق حَائل-الحُلَيْفَة المزفت، يتجه الوادي نحو الجنوب الشرقي مستقبلاً عدداً من الروافد من الغرب والجنوب والشمال. فمن شمال جبال رمَّان ينحدر شعيب المُنْصَل نحو الجنوب الشرقي ويلتقي به شعيب آخر عند جبال الرَّيَّاض هو شعيب الضُّرْبَة المنحدر من جبال الشَّعِيرَة (١٤٣١م). وبعد قرية الرَّوْضَة ينحدر هذان الشعيبان نحو وادي الشِّعْبَة ليلتقيا به شمال شرق جبال أم السَّحَم (١١٨٤م) عند خط الطول ٤٥َ ٤١ْ شرقاً. وبعد ذلك يبدأ وادي الشِّعْبَة في الانحراف نحو الجنوب ويلتقي به من الشرق والغرب شعاب كثيرة خاصة من جبال الثَّلْبُوت (١١٢٢م). والثَّلْبُوت هو الاسم القديم لوادي الشِّعْبَة. ويلتقي وادي الشِّعْبَة بوادي الرُّمَة إلى الشرق من سمراء الحَاجِز (٩٢٨م) عند خط الطول ٥٥َ ٤١ْ شرقاً.

وادي المَحَلاَنِي: ويصب مياهه في وادي الرُّمَة مقابل عُقْلَة الصُّقُور عند خط الطول ١٠َ ٤٢ْ شرقاً، وهو أصلاً ينحدر من جبال حِبْشِي (١٤٧٤م) وجبال الخِدَار (١١١٩م) غرب قرية النِّمْرِيَّة، وضِلْع التِّين (١٢٧٢م). ويتجه مع روافده من الشمال إلى الجنوب نحو وادي الرُّمَة. ويطلق وادي المَحَلاَنِي على الرافد الذي ينحدر شرق البِدْع نحو قرية المَحَلاَنِي التي يندمج بعدها مع الروافد القادمة من الشمال في مجرى واحد يتجه نحو الجنوب، ولكن قبل التقائه بوادي الرُّمَة يصب فيه شعيب أبو عَمَائر.

وادي الجُرَيِّر ووادي ثَادِج: ربما كان إطلاق اسم وادي الجُرَيِّر على هذا الوادي تصغيراً لكلمة الجَرِير التي تطلق على الوادي العظيم الذي يرفد وادي الرُّمَة من الجنوب، ويلتقي بوادي الرُّمَة غير بعيد من وادي الجَرِيْر إلى الغرب. ويسيل وادي الجُرَيِّر من ضِلْع التِّين (١٢٧٢م) ويتجه نحو الجنوب الشرقي حتى تضطره جبال السِّلْسِلَة للانحراف جنوباً ماراً إلى الغرب من قرية الفَوَّارة حتى يصل جنوب قرية النُّومَانِيَّة بقليل فيتجه مرة أخرى نحو الجنوب الشرقي بعد أن يلتقي به رافد آخر كبير قادم من منطقة مِشَاحِيْد (١٠٠٥م) وجبال قِطَن (١١٤١م).

وبعـد أن يمر وادي الجُـرَيِّر من تحـت طريق عُقْلَة الصُّقُور–الرَّس المزفت إلى الغرب من قرية ثَادِج بنحو ٦كم يلتقي به وادي ثَادِج القادم من جهة الشمال الشرقي والشمال من عند جبل المُوَشَّم (١٠٤٤م)، كما يجمع بعض السيول عبر روافد تأتي من جوانب أبَان الأسْمَر الغربيـة. وعلى كل حال؛ فإن وادي ثَادِج يسـتأثر بالاسم بعـد التقائه مع وادي الجُرَيِّر رغم أنه أكبر منه. ويلتقي وادي ثَادِج بوادي الـرُّمَة شمال نـفود المَيْسرِيَّة عند خط الطول ٥٠َ ٤٢ْ شرقاً بعد أن يلتقي به شعيب عُطَي المنحدر من جبال قِطَن.

وادي أبو نَخْلَة: وفي مقـابل مدينة الرَّس غرباً يلتقي وادي أبو نَخْلَة بوادي الرُّمَة. ووادي أبو نَخْلَة يجمع سيوله من منطقة واسعة تشمل جبل الرَّحَى (٩٦٠م) وجنوب جبل الإصْبَعَة (٨٧٩م).

وادي البَاطِن: كان وادي الرُّمَة نهراً ينحدر من الدرع العربي ماراً بالقَصِيم، ثم يستمر في مجراه الشمالي الشرقي مع وادي البَاطِن حتى يصب مياهه في شط العرب، وكان قد بنى دلتا كبيرة هي الآن سهل حصوي يعرف بالدِّبْدِبَة. وبعد انتهاء الفـترات المطيـرة وبدء عصـور الجفاف نشطت التـعرية الريحية وقلت الأمـطار وصار من النادر جريان الوادي باستمرار



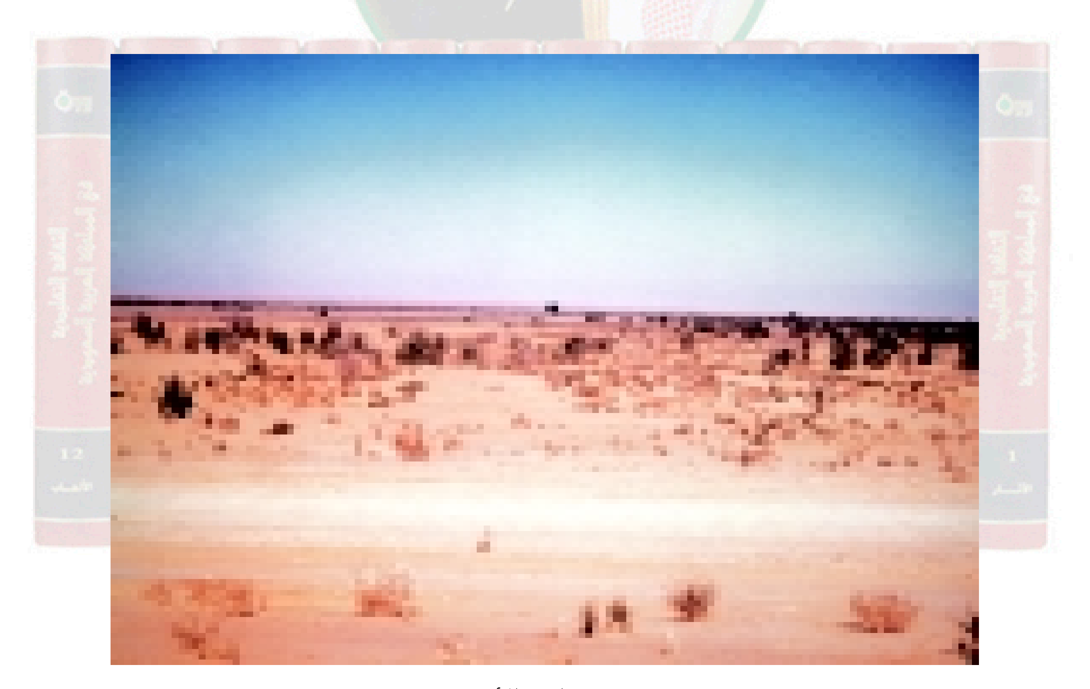
بداية وادي الأجردي – هضبة التيسية.



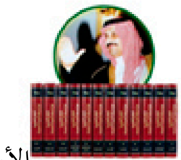
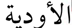
يضمن له إتمام كامل مجراه. ولهذا توضعت الرمال في المنخفضات الطولية بين الحافات الجبلية، وكان منها نفود الثُّوَيْرَات الذي ملأ مجرى وادي الرُّمَة بالرمال وسده إلى الشرق من بلدة البَنْدَرِيَّة في محافظة الأسيَاح في شرقي القَصِيْم. وتمتلىء المنطقة المطمورة من مجرى وادي الرُّمَة بالرمال لانخفاضها عما حولها وتوفر مصادر الإرسابات مما يحمله معه الوادي من الطمي، ففي هذه المنطقة تتصل رمال نفود المَظْهُور ونفود الثُّوَيْرَات مع رمال الدَّهْنَاء عبر عروق السَّيَّارِيَّات.

وفي نهاية هضبة التَيْسِيَّة من الشرق وادي الأجْرَدِي، وهو في الحقيقة جزء من مجرى وادي الرُّمَة الذي لم ينطمر بالرمال. ووادي الأجْرَدِي ينحدر من طراق التَيْسِيَّة المرتفعة في الغرب ويتجه نحو الشمال الشرقي حتى ينتهي في آبار البريكة أو بريكة الأجْرَدِي، ويرفده من جهة الغرب شعيب السِّهَل وطوله حوالي ٤٠كم.

ويتجه وادي البَاطِن نحو الشمال الشرقي في مجرى واسع ذي جوانب مرتفعة من الجانبين مما حدا بالبعض إلى اعتباره يسير في واد خانقي نتج عن طريق انكسارات سلكها الوادي والدليل هو قلة تعرج الوادي إذ إنه يتجه نحو الشمال الشرقي في اتجاه منتظم قلَّما ينحرف عنه.



مجرى وادي الأجردي

ومن دائرة العـرض ١٣َ ٢٨ْ شمالاً يصب في وادي البَاطِن رافدان هما شعيب الفَاو الجـنوبي وشعيب الـفَاو الشمالي بزاوية شبه قائمة. وينحدر شعيب الفَاو الجنوبي من هضبة الصُّمَّان متجـهاً نحو الشمال، ثم الشمال الغربي حتى ينتهي في وادي الـبَاطِن. أمـا شعـيب الفَـاو الشمالي فهو منطقة منخفضة من الأرض يمتد من وادي البَاطِن نحو الشمال الشرقي حتى ينتهي عند فيضة القَلْت.

وعند حفر البَاطِن ينتهـي إلى وادي البَاطِن رافدان موازيان للفأوين السابقين هما شعيـب فُلَيْج الجنوبي الذي يـسيل من شمال الصُّمَّان نحو الشمال الغربي حتى يصب مياهه في وادي البَاطِن عند مدينة حفر البَاطِن، والآخر هو شعيب فُلَيْج الشـمالي الذي ينحدر من هضبـة الدِّبْدِبَة مـن جَوّ الدُّلَيميَّة نـحو الجنوب الشرقي حتى يتصل بـوادي البَاطِن عند حفر البَاطِن.

وبعد ذلك يواصل وادي البَاطِن سيره نحو الشـمال الشرقي حتـى ينتهي في منطقة الزُّبَـيْر وكان يتصل بشط العرب أثناء العصور المطيرة.

وادي الرشـا: واد معروف قـديماً، ويقع الآن في بلاد الشريف حافاً بجبل ثهلان متجهاً شمالاً بمحاذاته، وتدفع فيه شعـاب ثهلان الغـربية وسيـول شرقي وشمال الأسودة. وتلتقي فيه الروافد من جانبيه حتى ينكب جبل ثهلان ويتجاوز جبل شطـب شمالاً، ثم يلتـقي بوادي الشواء الآتي من شرقي ثهلان؛ ثم يقطع طريق السيارات العام المسفلت؛ ثم يستمر سيره فـي اتجاه شمالي بمـيل يسير إلى الشرق. ثم يلتقـي بوادي التسرير قديماً عند أعلى بنيوين فيتغلب اسمه على هذا الوادي فيـسمى وادي الرشا إلى نهايـته في روضة الخرما بجانـب نفود الشُّقيقة جنوب مدينة عنيزة.

ولوادي الرشا شهرة في أخبار العرب وفي أشعارهم، ويبعد عن الدوادمي غرباً ٤٤كـم. وفيـه يقـول الشـاعـر جري الجنوبي:

لا تشرّف المرقـاب يلعب بك الهوى
ويـذكّـرك المـرقـاب كـل خـليـل
يـذكـرك خِـلٍّ حـال ابـانات دونـه
ووادي الـرشـا يـامرتجيـه هـبـيـل
(ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣:١٢٨٩).

ومن روافد وادي الرشا وادي بحار، ويقع في جبل النير تنخفض أعاليه من مرتفعات وسط جبال النير وتفيض شرقاً. ويسمى مفيضها من الجبل فيضة بحار، وفيه ماء قديم يسمى بحار. ويتكون أعلى هذا الوادي من رافدين كبيرين ينحدران



من الغرب إلى الشرق، الشمالي منهما يسمى الحفنة، والجنوبي يسمى أبو عرينة. ويلتقيان عند قرية عسيلة ثم يدفع سيلهما في مجرى عظيم إلى بحار ثم يفيض من الجبل شرقاً. وكلما تقدم في مجراه أتته روافد جديدة.

وبعد أن يفيض الوادي من الجبل يتجه شمالاً شرقيا تاركاً جبال النير والنضادية يساراً منه، ويفيض في طينان شرق النضادية ويسمى طينان، ثم يستمر في اتجاه شمالي شرقي حتى يفيض في روضة خنوقة غرباً من شهبا خنوقة، وهنا تلتقي به روافد كبيرة أهمها وادي غثاة. ثم يتجه شرقاً نافذاً مع مضيق بين قمتين باذختين في شهبا خنوقة. وبهذا المجرى الضيق الذي يخنق الوادي سميت الخنوقة بهذا الاسم، ويسمى هذا الوادي وادي خنوقة. وبعد أن يخرج من الجبل وينطلق من المضيق يتسع وتلتقي به روافد أخرى، أهمها وادي جهام. ثم يأخذ سيره في اتجاه شمالي شرقي فيلتقي به وادي الرمادية من الجنوب، ثم يلتقي به سيل وادي الرشا فيُطلق عليه هذا الاسم إلى نهاية مجراه في روضة الخرماء جنوب نفود الشقيقة.

ووادي بحار له شهرة في أخبار العرب وأشعارهم قديماً وحديثاً، وما يزال معروفاً باسمه القديم. وفي بحار يقول الشاعر إبراهيم بن جعيثين:

خلّه يهج ويقطع الحبل حدّار
يعتاض بلدان الرخا عن دياره
تراه إلى منه عطا الصدق ما بار
وعليك من بدّ البوادي مداره
وانزل من الهجله إلى النير وبحار
ووادي سدير وكل حلاوي ثماره

وقال شاعر من النفعة من عتيبة:

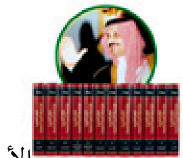
الصاحب اللي سند لبحار
وذريّع الداب من دونه
أركى على ضامري شنكار
ما هوب قولٍ يقولونه

وقال شاعر من أهل الشعراء:

ياهل الركايب عراوي القلب منتلّه
هِجّوا هجيجٍ ترى الدرهام يحييها
لي فاطرٍ كنها تاطى على ملّه
تجفل إلى اوحت حساس الجيش قافيها
هني من شاف خشم بحار زامٍ له
وابرق خنوقه وحيٍ ساكن فيها

وكان هذا الوادي قديماً يسمى أعلاه ذي البحار وأسفله وادي الرشا يقال له التسرير (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢٠٢-٢٠٥).

ومن روافده أيضاً أم المراويح، الذي ينقض من جبل ثهلان غرباً وسيله يفيض في وادي الرشا، ويتعلق أعلاه بثنية تفيض



شرقاً من ثهلان على قرية (الرفائع) جنوباً من بلدة الشعراء. وفيه يقول محمد بن بليهد:

عسى السحاب اللي ورا النير له ضوح
لى حن رعّاده وهبّت له الريح
يمطر على دارٍ محاذ لها صوح
غربٍ وهي شرقٍ عن ام المراويح
ياما وقف في جالها كل مملوح
مدهال سمحين الوجيه المفاليح
بوادٍ إلى سالت مغانيه له نوح
بالعشب والقيصوم والرمث والشيح

(ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ١٦١-١٦٢).

الخنقة (العرين): واد كبير كثير الروافد، غزير التربة واسع المجرى. تكثر في مجراه الطرفاء والأثل، وتنتشر على امتداده القرى والقصور الزراعية. يتكون في البداية من رافدين كبيرين ينحدر سيلهما من مرتفعات الشريف الشرقية ويتجهان شرقاً. أحدهما يدعى وادي الثنية، وهو ذو روافد متعددة، وفي أعلاه من الجبال الشهيرة جبل بدن وجبل العهن، ومن روافده شعيب السديري وشعيب الجشجاثية وشعيب القصورية وغيرها. أما الثاني فيدعى وادي عروى ويأتي من ناحية عروى وما يليها من البلاد، وفي أعلاه من الجبال الشهيرة جبل عروى وجبل حجلان.

ومن روافده الشهيرة شعيب ساحب وشعيب أم أثله وشعيب وثيلان وغيرها. ويلتقي هذان الواديان شرقاً من مرقان ونخيلان في مجرى غليظ مزدحم بالأثل محصور بين جانبين من جبال عالية تخنق مجراه وتسمى جبال المخناق، ولذا سمي وادي الخنقة. وهذا المخناق واقع في وسط جبال العرض تطل عليه قمتا أبي شمام الشهيرتان. وبعد أن يتجاوز هذا المضيق يعود إلى اتساعه ويمتد معه لفيف من غابات الأثل حتى يصل إلى قرب مخرجه من الجبال شرقاً، وفيه أيضاً الطرفاء والرمث. وتدفع فيه الروافد المتعددة من جانبيه، وهي معمورة بالقرى والقصور الزراعية وروافده الشمالية هي: شعيب الفججاني وشعيب الغريري وشعيب الروغ. أما روافده الجنوبية فهي: شعيب الرزيمة وشعيب لعلع وشعيب القلته وغيرها. ثم يفيض من الجبال شرقاً، شمالاً من بلدة القويعية، ويتفرق مجراه في صحراء الحدباء إلى عدة أودية تنتهي كلها بجانب نفود السر من الغرب. ويليه من الشمال من الأودية الكبيرة التي تفيض من العرض شرقاً وادي الحرملية، ومن الجنوب يليه وادي القويعية، وهو



أكبر أودية العرض وأعمقها. ويشتهر هذا الوادي باسم الخنقة، ويسميه سكان العرض وادي العرين لكثرة الأثل والطرفاء فيه. وقد أكثروا ذكره في شعرهم بهذا الاسم. قال سعد بن هديب العريفي:

أَحَبْ منها ديرةٍ فرعها سود
وادي العرين اللي كثيرٍ هشيمه

ويقول إبراهيم بن سعد العريفي:

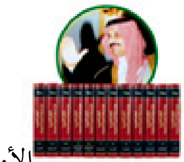
لي ديرةٍ بالعرض ياويّ ديره
سقاها الحيا من صادقات المخايل
شرقيّها الضاحي وغربٍ يحدها
شمالات والسرداح رسمٍ عدايل
وشماليها سُوفه يمينٍ عن الجدي
ووادي العرين الخصب زين المقايل

(ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٤٧٥-٤٧٧).

الشوكي: نسبة للشوك. أحد أوديه العرمة الشمالية، ينحدر من قمتها مشرقاً ويصب في روضة التنهاة. ويليه من الجنوب العتك الأسفل والحقاقة ومليح والعرقوبة؛ ومن الشمال الطراق والقرشع، وبه روافد كبيرة هي أبو حرملة ويأتيه من ناحية الشمال، والفروثي ويأتيه من ناحية الجنوب، والترابيع شعبان كبيران متوازيان يصبان فيه من ناحية الجنوب. والوادي شعب كبير يصعد في ظهر العرمة مما يلي الطراق ويذهب حتى يقرب من القمة وينحدر موازياً للشوكي من الشمال حتى يعارضه قريباً من منخرقه في روضة التنهاة. وبالشوكي غدر كبيرة وشهيرة أهمها أبو طلحة والمصيدير وغدير ضرمان وأبو الرخم والشظو. وأبو الرخم هو أكبر هذه الغدر (ابن خميس ١٤١٥، ج٢: ٤٠٢-٤٠٣).

العَصَل: وأصله الأعصل، حذفت همزته تخفيفاً وهو من أودية العَرَمَة الشمالية، وهو آخر أوديتها من الشمال، يقبل من قمة العَرَمَة الشمالية مما يلي منهل الشحمة والأرطاوي، وينحدر مشرقاً في تعرج والتواء ولا تعارضه روافد ذات بال. فيجتاز يمينه خبوت وخمائل تسمى نقرات الضبعة ويمضي حتى يصب في خبراء الحيرى في حضن الدهناء ذات سدر ومربع خصب. ويقع العصل بين قرشع الرضيمة وقرشع طاسان وهو واد يتيم في هذه المنطقة، وكل ما حوله رياض وخبارى ومستقرات مياه تحفظ سيلها، ولا تقوم منها أودية (ابن خميس ١٤١٥، ج٢: ٥٢-٥٣).

الطَّوْقِي: أكبر أودية العرمة وأبعدها مدى وأكثرها روافد. يتوسط العرمة وينحدر من قمتها مشرقاً. ويمر ببلدة الرمحية ثم ببلدة رماح ثم يمضي مشرقاً




حتى رياض المزيرع في حضن الدهناء، ويقف هناك في روضة الحيري. ويتكون -أول ما يتكون- من شعبين متناوحين يقال لهما العوج، واحدهما عويجاء، ثم وادي العمياء وهما عمياوان تدفعان في الطوقي من الشمال؛ ثم وادي أبو الحليان ويدفع في الطوقي من الجنوب؛ ثم الطافحة وتدفع فيه من الشمال؛ ثم بحرة مجرور وتدفع فيه من الشمال أيضاً؛ ثم حميم والحمامة، ويدفعان فيه من الجنوب ثم أم أثلة وجنيب وأم طليح؛ ثم قري الخيل وتصب في وادي الطوقي. وبه من الأعلام: المزيرع ورياضه ومفائضه ورماح والرمحية وضبع الرمحية. وجبل ومنهل العجاجة ومنهل جنيب والقليب، تصغير قلب، ويخرج إلى الطوقي. ومنه طريق يفترع جبل العرمة من بطن الخفس، وذللت عقبته أخيراً وأصبح ممهداً للسالكين.

وفي الطوقي رياض هي من خيرة رياض العرمة خصباً وطيب مرعى وحلاوة مرتع. ففيه روضة العمياء وأبا الحليان والطافحة وحميم وأم أثلة وجنيب والمزيرع، وملتف شجر ظلماء بحذاء الرمحية.

وبه غدر مشهورة كغدير الحيان والحصان وحميم وغدر أخرى. (ابن خميس ١٤١٥، ج٢: ٣٣-٣٤).

السرحان: هو من أكبر أودية الجزيرة يقع على الأرض الممتدة بين النبج، ويتجه نحو الشمال حتى تبلغ سيوله سهل الرشراشية شرق قرية الحديثة.

يسير وادي السرحان من حوران صوب الجنوب الشرقي حتى ينتهي إلى الجوف. ويبلغ طوله مائتي ميل وعرضه يتراوح بين ٣٢ و٤٨كم. وكان يدعى قديماً وادي الأزرق، ولما نزله عرب السراحين من قحطان منذ أكثر من مائتي سنة أصبح يعرف باسمهم.

وقالت آن بلنت: إن وادي السرحان منخفض فوضوي غريب من المحتمل أنه قاع لبحر قديم مثل البحر الميت، وهو هنا عند بلدة كاف ذو اثني عشر ميلاً عرضاً. إلى أن قالت: وفي وسط الوادي سهل مستو من الرمل والحصى مع رواب من الرمل الأبيض النقي هنا وهناك مغطى بالحصى (ابن خميس ١٤١٥: ٣٩٥).

وتنحدر في وادي السرحان أودية كثيرة يبتلع سيولها كلها ولا تخرج منه. وأهم الأودية التي تفيض فيه المخروق، حصيدة، الناصفة، سمرمدة، الحصاة، مغايرة، الغينة، باير، جماجم، الغراء، الفكوك، حدرج، النباج، المفرجية، معارك، الخشابي، السندلة، القطب،



النبق، الغرايس، الأعيلي، سليليك، المابية، الشامة، المسمى، أبو طرفة، الضاحكية.

ويفصل بينه وبين منخفض الجوف رمال تراكمت في بطن الوادي. كما يفصل بينهما عكام وجرميذ والقصاص وما يتصل بها.

والخر: واد يقع على الطريق بين الجوف والدويد، وهو من فحول الأودية. تنحدر فروعه من آكام تقع شمال اللَّبة ونوازي الدّغم شمال النفود من الرميثات جنوب السادة، ثم من المرتفعات التي تقع شمال السادة وغرب الهبكة والهبيكة وتتجه صوب الشمال حيث تلتقي بها سيول غرب الحزول وسيول الهبكة والهبيكة. ثم تلتقي هذه السيول بالفروع المنحدرة من جهة الغرب من جبال تقع شمال اللّبة (الأرض الواقعة شمال النفود تدعى الرعن ومن اللبة أيضاً). فمن فروعه وادي خرشخير، يأتي من غرب اللبة حتى يلتقي بوادي أبا الروث الذي هو من أقوى روافد الخر. ويفصل هذا الوادي بين اللبة وجبال الرعن ووادي الحلمة من شرق اللبة. فإذا اجتمعت هذه الفروع دعي الوادي وادي العبد، وهو وادي الخر.

ويتجه وادي الخر نحو الشمال الشرقي ماراً بالدويد (القلبان) بين الحزول والصحير، ثم يمر بالدويد البلدة فأنابيب النفط حتى يبلغ صحراء الصحن، على مقربة من منهل المعانية بقرب الحدود. ويستمر وادي الخر في اتجاهه فيجتاز صحراء الصحن متجهاً صوب الشمال الشرقي حتى يبلغ منخفضات وادي الفرات (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٤٩٤-٤٩٦).

وادي المياه: هو واد تكثر فيه الواحات الخضراء وينابيع المياه التي تسقي هذه الواحات. وتنتشر في أنحائه مناهل للمياه معروفة منذ القدم، ومنها تسقى الماشية ويتزود الأعراب بالماء في حلهم وترحالهم. وكانت الطرق البرية القديمة تمر به لتصل وادي الرافدين بهجر وموانيء الخط على الخليج العربي واليمن وجنوب شبه جزيرة العرب. وهذه المناهل كانت السبب الرئيسي الذي جعل القوافل في العهد القديم تخترقه جيئة وذهاباً. وكانت تلك الواحات توفر أماكن استراحات للمسافرين ولدوابهم.

وقد كانت المنطقة تعرف قديماً بالستار ولها ذكر في العديد من كتب المعاجم الجغرافية العربية القديمة. جاء في معجم البلدان «الستار هو ناحية بالبحرين ذات قرى تزيد على المائة لبني امرئ القيس بن زيد مناة، وأفناء سعد بن زيد مناة،




منها ثاج، والستار جبل بالعالية في ديار بني سليم حذاء صفينة، والستار خيال من أخيلة حمى ضرية بينه وبين امرة خمسة أميال، والستاران في ديار بني ربيعة واديان يقال لأحدهما الستار الأغبر وللآخر الستار الجابري وفيهما عيون فوارة تسقي نخيلاً كثيرة منها عين حنيذ وعين فرياض وعين حلوة وعين ثرمدا وهي من الأحساء على ثلاثة أميال».

والذي يعنينا مما تقدم هو ستار البحرين، فمسمى البحرين كان يشتمل في الأصل على مساحات شاسعة من الأراضي، تمتد من البصرة وتنتهي بعمان والأراضي الواقعة للشرق من اليمامة. وهي الأراضي التي تشمل اليوم المنطقة الشرقية من المملكة والكويت وقطر وجزيرة أوال (البحرين حالياً)، بما في ذلك الإمارات العربية المتحدة، والجزر المتناثرة في خليج العرب. وقد تغير مسمى الستار إلى المسمى الحالي وهو وادي المياه. ويبدأ هذا الوادي جغرافياً من قرية الكهفة في أقصى الشمال الغربي من الوادي، وينتهي بقرية أم العراد في الجنوب الشرقي. ويتكون من عدة مدن وقرى وهجر ونواحي تربطها طرق مزفتة.

وأما موقع ستار البحرين فإنه في الشمال من واحة الأحساء بميل يسير نحو الغرب. وهو في غرب واحة القطيف، أرض مستطيلة ممتدة من الجنوب إلى الشمال من محاذاة بقيق من الجنوب حتى محاذاة رأس الزور من الشمال. وأبرز مظاهر هذه الأرض انخفاضها وقرب الماء من ظهرها. وكانت أرضاً ذات ينابيع، وتكثر فيها المستنقعات والسباخ من آثار مياه العيون التي كانت تجري على ظهرها، ولكنها ضعفت في الأونة الأخيرة لما كثر حفر الآبار الارتوازية الفوارة، فنضبت العيون الجارية أو انخفض ماؤها. وتحاذي أرض الستار من الشرق أرض مرتفعة سهلة ترعى الجبل، ممتدة بامتداد أرض الستار من الجوف جنوباً حتى محاذاة ميناء الجبيل من الغرب. ويقع غرب الستار آكام وجبال ممتدة بامتداده تدعى الطَّف تفصله عن مرتفعات الصلب والصمان.

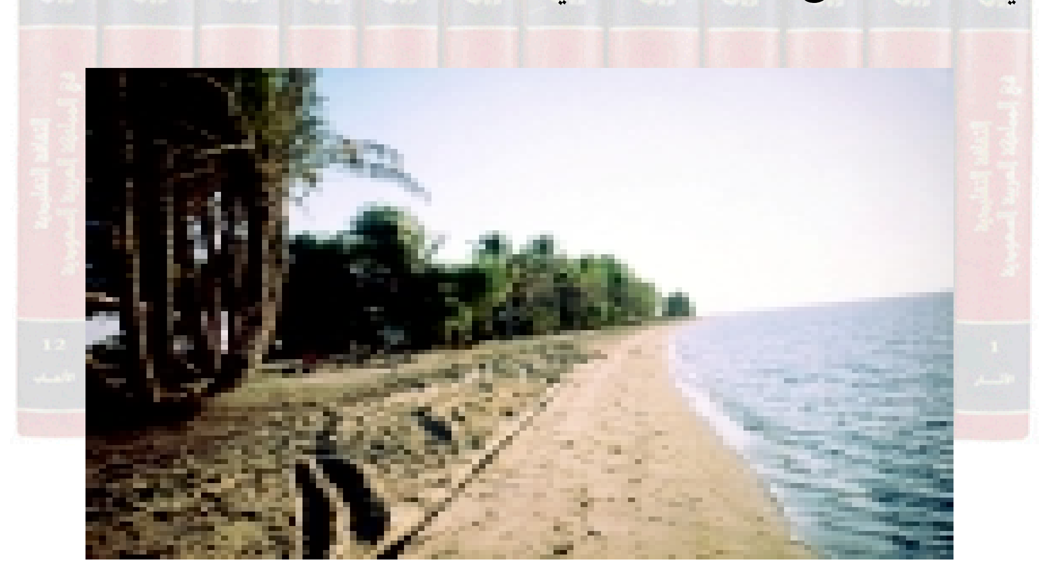
وأرض الستار من الواحات الخصبة، فهي ذات مياه وتربة طينية إلا أنها كثيرة الأملاح. كما أن الرمال تكثر في جوانبها، والرياح تذروها فتغمر المزارع. وليس الستار وادياً بالمعنى المفهوم ولكنه أرض واسعة منخفضة تنحدر إليها سيول ما حولها فتتلقفها ولهذا كانت مياهها كثيرة ومرتفعة فوق سطح الأرض، ومنها عيون كانت مرعى (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٨٣٣-٨٤٢).



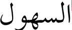
السهول

سهول البحر الأحمر

ينحصر السهل الساحلي (تهامة) بين جبال الحجاز شرقاً، وساحل البحر الأحمر غرباً. ويمتد من شمال الشمال الغربي إلى جنوب الجنوب الغربي للمملكة مسايراً لامتداد البحر الأحمر. وقد أثرت عدة مؤثرات بنيوية (جيولوجية) وأخرى مناخية في ضيق أو اتساع هذا السهل. ففي الشمال في خليج العقبة، تشرف صخور القاعدة على البحر مباشرة باستثناء المنطقة المحيطة بمدينة حقل. وإلى الجنوب من رأس الشيخ حميد، يزيد اتساع السهل الساحلي إلى مدينة المُويلِح ليصل إلى بضعة كيلومترات. ثم تشرف صخور القاعدة مرة أخرى على البحر مباشرة لمسافة طويلة، تمتد من شمال مدينة ضبا إلى



ساحل مدينة حقل



تهامة عسير

شمال مدينة الوجه، فيما عدا حوض وادي أَظْلَم المفتوح تجاه البحر إلى الجنوب من ضِبا مباشرة. ويبدأ السهل الساحلي بالاتساع من جنوب مدينة الوجه تدريجياً ليصل إلى أقصى اتساع له في تهامة عسير، حيث يتراوح ما بين ٣٥ و٤٥كم. ويقطع اتصال السهل بين الوجه وجازان في الجنوب، بروز صخور القاعدة وتقدمها نحو البحر في كل من مدينة أم لج وشمال مدينة ينبع، إضافة إلى منطقة البرك البركانية التي تفصل بين تهامة عسير وتهامة الشام. ويتقطع السهل الساحلي بعدد كبير من الأودية المنحدرة من السلاسل الجبلية المجاورة في اتجاه البحر الأحمر. ويختلف اتساع أحواض هذه الأودية بين الشمال والجنوب. ففي الجنوب، حيث تنحدر هذه الأودية من جبال الحجاز (السروات) المرتفعة الأكثر مطراً، فإن معظم الأودية قد طورت أحواض تصريفها نتيجة لذلك. وهي تجري لبضعة أشهر سنوياً عقب سقوط الأمطار. أما الأودية الواقعة إلى الشمال من جدة، وإن كان بعضها يتسم بحوض تصريف واسع كما هو الحال في وادي السِّرّ ووادي أَظْلم والحَمْض، إلا أن قلة الأمطار في هذا القسم من الساحل أعطت أحواض الأودية صبغة شكلية مختلفة، ونادراً ما تصل سيول هذه الأودية إلى مصباتها.

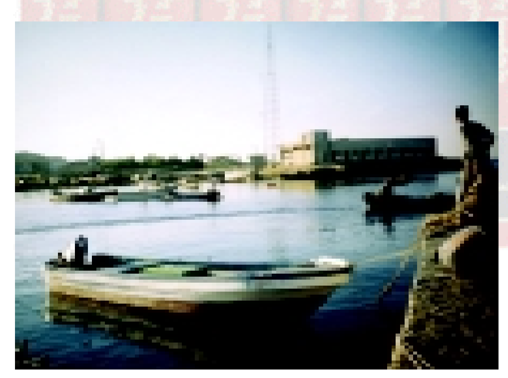
وليست الخصائص الشكلية للسهل الساحلي بأقل تنوعاً من البنية بين



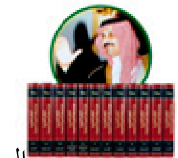


ساحل البرك، ويلاحظ بروز صخور القاعدة

القسمين الشمالي والجنوبي. ففي حين يتشابه المظهر الشكلي في القسم الجنوبي حيث تسود السطوح المغطاة بفرشات حصوية رقيقة تتحول إلى سباخ ساحلية وأخوار قرب الساحل؛ وإلى مراوح غرينية أو مخاريط فتاتية نحو الشرق عند مخارج الأودية من السلاسل الجبلية، إضافة إلى حقول من الكثبان الرملية، نجد أن القسم الشمالي أكثر تنوعاً بأشكاله الأرضية التي تتمثل في مراوح غرينية بلايستوسينية، ومدرجات بحرية ونهرية أكثر وضوحاً وانتشاراً. فالمراوح الغرينية أشكال تضريسية تنشأ عند مخارج الأودية الجبلية إلى المناطق السهلية، وتأخذ شكل المراوح وهي مكونة من الغرين والحصى والرمال، وتبدأ من الشرق وتتلاقى مع المدرجات البحرية في الغرب، وبعضها يلتقي مع خط الساحل مباشرة، إلا أن هذه المراوح، المنتمية إلى مراحل الزمن الرابع المختلفة، كثيراً ما تقطعها الأودية الرئيسية منها والفرعية وتتعمق فيها مما يجعلها



ميناء أم لج على البحر الأحمر



تبدو أحياناً على شكل أشرطة مرتفعة طولية متعامدة على خط الساحل، فاصلة بين الأودية المتجهة نحو البحر. ويظهر ذلك جلياً ابتداء من جنوب أم لج جنوباً إلى قرب الوجه شمالاً. وعوضاً عن السباخ والأخوار في القسم الجنوبي هناك الكثير من الشروم التي تقطع هذا القسم من الساحل.

ولعل من أهم الأشكال المرتبطة بتهامة والسهل الساحلي، السباخ والشروم والأخوار والأطر والشعاب المرجانية. وهي أشكال مرتبطة بخط الساحل الحالي للبحر الأحمر، بالإضافة إلى المدرجات البحرية النهرية وهي أشكال نجمت عن تغيرات في مستوى سطح البحر الأحمر خلال العصور والفترات السابقة لكل من البلايوسين والبلايستوسين.

السهول في هضبة نجد السفلى

تنتشر السهول في وسط الجزيرة على مساحات واسعة من الأرض، فهي رياض غناء، ومراع للماشية والإبل، وهي مزارع للنخيل والقمح والذرة والبرسيم.

ومن أخصب المناطق في وسط المملكة منطقة القصيم، التي تنتشر حول مدنها وقراها المزارع التي تنتج أجود أنواع التمور ويزرع إلى جانبها القمح والذرة والشعير والبرسيم والخضار والفواكه. وقد ازدهرت الزراعة في هذه المنطقة نتيجة لتوفر المياه السطحية والعميقة بها.

ومنها إقليم الخرج، بسهلي السيح والسهباء، وأرضه من أجود الأراضي للزراعة. فسهل السهباء روضة من أكبر رياض اليمامة، وهي مدفع سيول وادي حنيفة. يروى أن امرأة غرست فسيلة نخل على ضفة وادي حنيفة، ولما كبرت جاءها وادي حنيفة بهديره واقتلعها من جذورها فما وجدت صاحبتها من حيلة تبرد به حرارتها إلا أن قالت «موعدك السهباء ياوادي حنيفه». أما السيح فتنتشر به حالياً المزارع النموذجية والمشروعات العملاقة لإنتاج الألبان والدواجن والأعلاف وغيرها من الخضر والفواكه إضافة إلى التمور (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٣٩).

ومنها سهل الحمادة الذي يمتد من المزاحمية جنوباً حتى ما بعد الغاط شمالاً. وهو سهب ممتد بتكوين واحد وصفة واحدة. شرقه جبال طويق، وغربه رمال عريق البلدان ونفود قنيفذة. وتنتشر في هذا السهل الكثير من المزارع التي تنتج الخضروات والبرسيم والقمح، إضافة إلى التمور (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٣٤٢).



ومنها سهول وادي الدواسر، وهي من أخصب الأراضي وأكثرها مياهاً وأصلحها إنتاجاً وأطيبها مرعى وأوسعها رقعة. فحدودها الشرقية الدهناء، ومن الشمال الشرقي تمتد حتى تأخذ قسماً من العرمة، ومن الخرج تذهب مغربة مارة ببرك والدبيل فالسوادة إلى الهضب، هضب آل زايد، ومن الغرب مدافع وادي بيشة وتثليث، ومن الجنوب تستدخل جزءاً من الربع الخالي حتى نجران (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٤٤٧).

وبالإضافة إلى ما سبق هناك سهول أخرى تكتنف مدن وقرى وسط المملكة، كسهول سدير والسر والحوطة والحريق والأفلاج وغيرها.

سهول الخليج العربي

الخليج العربي ضحل شبه مغلق، تحده بيئة جافة من كل جوانبه. وهو يمتد من شمال الشمال الغربي نحو جنوب الجنوب الشرقي بين دائرتي العرض ٣٠ َ ٣٠ ْ و ٠٠ َ ٢٥ ْ شمالاً، وخطي الطول ٠٠ َ ٤٨ ْ و ٠٠ َ ٥٥ ْ شرقاً. ويبلغ طول الخليج العربي حوالي ١٠٠٠كم من مصب شط العرب حتى مضيق هرمز، يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و ٣٠٠كم، ومتوسط عمقه ٣٥م، وقد يصل العمق في بعض الأحواض الواقعة في الشمال الشرقي إلى ١٠٠م. ويصل إجمالي المناطق الضحلة (أقل من ٥م) حوالي ١٨٪ من المساحة الإجمالية؛ منها ٧٤٪ مناطق داخلية والباقي يتكون من الضفاف الساحلية ومناطق الشعاب المرجانية. وتشكل الأعماق بين ٥–١٠م ٨,٥٪ من مساحة الخليج الكلية، بينما تشغل الأعماق أكثر من عشرة أمتار المساحة المتبقية، ومساحته الإجمالية ٢٢٦٠٠٠كم٢.

تشكَّل الخليج العربي عندما انفصلت شبه الجزيرة العربية عن القارة الأفريقية، حيث ضغطت صفيحة شبه الجزيرة العربية في جزئها الشرقي على الكتلة الإيرانية ودخلت تحتها في المنطقة التي تقع الآن غرب جبال زاجروس. وقد وصل الخليج العربي إلى مساحته الحالية قبل حوالي ٥٠٠٠ سنة، ولكنه خلال فترات الجليد البلايستوسينية كاد يتحول إلى شبه مستنقع. وتتراكم الإرسابات التي يجلبها نهرا دَجْلَة والفُرَات عبر شط العرب في شمال الخليج لحوالي ٣٠م وطول نحو ١٠٠كم. وفي جنوب الخليج العربي تحدد جبال عُمَان عرض الخليج فهو لا يتعدى ٥٥كم عند مضيق هرمز قبل أن يتصل بخليج عُمَان.





الساحل الجنوبي للخليج العربي

لم يكن للخليج العربي وجود بصورته الحالية منذ بداية الزمن الأول وحتى قرب نهاية الزمن الثالث. وكانت البحار القديمة تشغل المنطقة التي يشغلها الخليج العربي وجبال زاجروس وما حولهما، ولم تكن أجزاء قشرة الأرض اليابسة قد استقرت في مواقعها بعد في الأماكن التي نعرفها بها اليوم. والخليج العربي حوض باطني (تكتوني) اتخذ شكله العام خلال أواخر البلايوسين والبلايستوسين، وهو الآن بَحْر ضحل يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ويتصل ببحر العرب والمحيط الهندي عبر مضيق هرمز وخليج عُمَان.

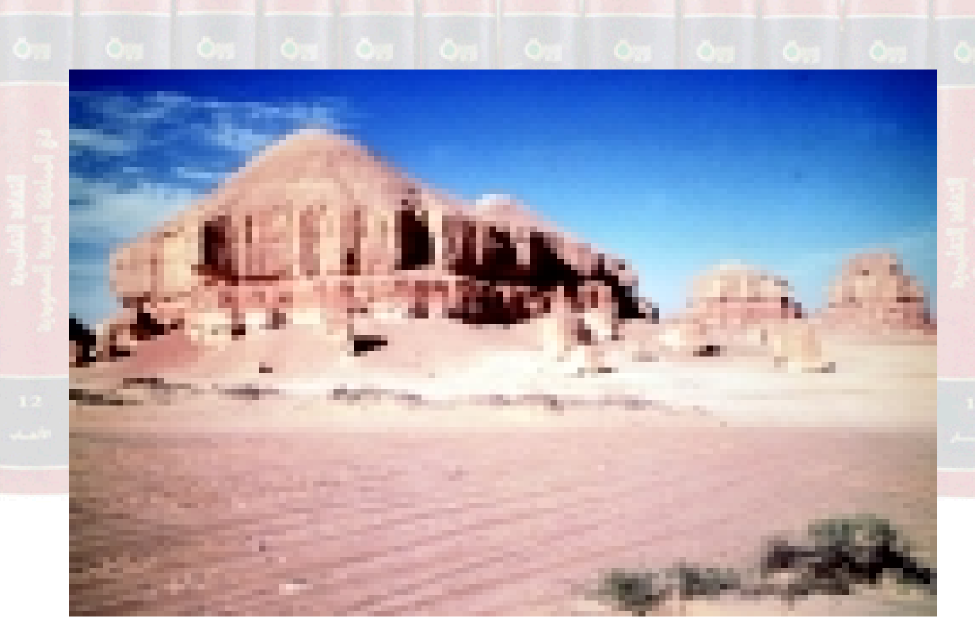
وبشكل عام يقع الخليج العربي بين جبال زاجروس الالتوائية الألبية التي تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، والدرع العربي الأركي. وقد انبثقت جبال زاجروس من بَحْر تِثِس ذي الطيَّة المقعرة الهائلة، وقد انضغطت الرواسب في هذا البحر الجيولوجي نتيجة حصرها بين الصفيحة الإيرانية المقاومة نسبياً وصفيحة شبه الجزيرة العربية. وتمثل جبال زاجروس حزاماً جبلياً يتصف بالالتواء والتصدع لصخور الزمن الأول والثاني والحديث. ويقطع رتابة الساحل العربي المنخفض للخليج العربي عند نهايته الجنوبية جبال عُمَان، التي نشأت



من الحركة الالتوائية الألبية التي بدأت في العصر الكريتاسي الأدنى من الزمن الثاني واكتملت في المايوسين والبلايستوسين.

ويمتد السهل الساحلي للخليج العربي من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي على شكل حزام يتراوح عرضه من ٥٠ إلى ١٠٠كم، بين هضبة الصُّمَّان من الغرب والخليج العربي من الشرق. ويمتد بمحاذاة الخليج العربي كله، وينحصر امتداده في المملكة بين أم قصبة شمال الخَفْجِي، ودَوْحة دُوَيْهِن جنوب خَوْر العُدَيْد. والمنطقة بشكل عام سهول متطامنة ترتفع تدريجياً كلما توغل الإنسان نحو الداخل بمعدل متر واحد في الكيلو متر، حتى تصل إلى ارتفاع حوالي ٣٠٠م بمحاذاة حافة هضبة الصُّمَّان. وفي الحقيقة ليس في هذا السهل الساحلي ما يميزه من معالم تضريسية بارزة، فهو سهل منبسط تغطيه الرمال في أجزاء كبيرة، وما سلم من الرمل تحول إلى مسطحات ملحية من السباخ.

وعلى طول هذا السهل الساحلي يتدرج الانتقال من السهل الساحلي إلى هضبة الصُّمَّان بحيث لا يشعر به العابر لهذه المنطقة. فلا حدود واضحة، ما عدا في بعض المناطق عند الهُفُوف حيث ترتفع حافة هضبة الصُّمَّان عن السهل لأكثر من ١٠٠م. ومعظم تضاريس هذا السهل منخفضة بشكل عام ما عدا بعض



تلال شاهدة قرب الهفوف (جبل النهيدين)



فرائد التلال والشواهد في مناطق متفرقة، خاصة في منطقة الظَّهران وما بين العُقَيْر وسَلْوى.

ويعد السهل الساحلي للخليج العربي جزءاً من الرصيف الداخلي الذي تتكون صخوره من الصخور التابعة للزمن الثالث وما تلاه من عصور أخرى. فتحتوي الصخور السطحية لهذا الجزء من المملكة على تكوينات من الصخور الرسوبية المندمجة التي تعود لعصور تمتد من الباليوسين لأواسط الأيوسين، ومن المايوسين للبلايوسين. وهذه الصخور السطحية المنكشفة تعود لتكوينات مختلفة هي تكوين أم رَضَمَة، الذي ينكشف في منطقة صغيرة شمال الظَّهران بحوالي كيلو متر واحد، وتكوين أم الرُّوس، الذي يظهر على السطح في الجزء الأوسط لقبة الدَّمَّام حيث تتمثل الصخور أحسن تمثيل في جبل أم الرُّوس، وتكوين الدَّمَّام، الذي ينكشف حول محيط قبة الدَّمَّام التي أخذ منها الاسم، وتكوين الهَيْدَرُوك الذي ينكشف فوق منطقة كبيرة على طول ساحل الخليج العربي من شمال الحدود السعودية حتى دائرة العرض ٣٠َ ٢٦ْ شمالاً، ثم في بقع متناثرة جنوب بُقَيْق حتى دائرة العرض ٥٢َ ٢٥ْ شمالاً، وتكوين اللِّدَام، قرب الساحل في بقع متناثرة من دائرة العرض ٣٠َ ٢٧ْ شمالاً



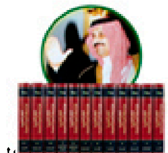
ساحل العُقير على الخليج العربي



نحو الجنوب الشرقي حتى دولة قَطَر وما وراء ذلك، ويمثّل هذا التكوين جبل اللِّدَام. وترتفع فوق هذا السهل الساحلي عدة محاور لطيّات محدبة فوق المستوى العام للرصيف الداخلي، وفي بعض هذه الطيّات ثروة المملكة من البترول، مثل الغوّار وبُقَيْق والقَطِيف.

ويخلو هذا السهل الساحلي من الأودية بسبب هضبة الصُّمَّان إلى الغرب منه؛ وهي هضبة تشيع فيها ظاهرة الكارستية في معظم أجزائها مما حال دون إيجاد مجار طويلة لأي أودية كما سبق ذكره. وهكذا أدى ذلك إلى قلة مراكز العمران البشري في السهل الساحلي، خاصة المناطق التي تقع شمال الجُبَيْل. أما في جنوب هذه المَدِينَة فأدَّى تفجر ينابيع المياه الجوفية في الهُفُوف والقَطِيف إلى تكدس السكان الذين يشتغلون بالزراعة بهما. ويغطى السهل الساحلي من الجُبَيْل شمالاً حتى جون الكويت بفرشات رملية رقيقة تسمى الدكاكة، أو الدكداك. ورد في لسان العرب «الدكدك والدكداك من الرمل ما تكبس واستوى، وقيل هو بطن من الأرض مستو. وقال الأصمعي: الدكداك من الرمل ما التبد بعضه على بعض ولم يرتفع كثيراً». والوصف الذي أشارت إليه هذه النصوص ينطبق على ما يعرف اليوم بالدِّكاك ومفردها دكاكة، فقد حذفت الدال الثانية للتخفيف. وهي الرمال المستقرة المنبسطة على وجه الأرض، وتكثر بها عادة النباتات والشجيرات التي تعمل على استقرارها، وهي صالحة لسير المركبات فوقها لتلبد الرمل وتماسكه» (الغنيم ١٩٨١: ٧٥-٧٦). وأما جنوب مدينة الجُبَيْل فيبدأ تأثير امتداد رمال الجَافُورَة الشمالي، وهي رمال متحركة تسبب كثيراً من المشكلات للمزارع والمنشآت.

وتقع واحة الأحسَاء في المنطقة الشرقية على بعد حوالي ٧٠كم من ساحل الخليج العربي عند ميناء العُقَيْر، ويتراوح ارتفاع منطقة الواحة ما بين ١٣٠ و١٦٠م فوق مستوى سطح البحر. وينحدر السهل نحو الخليج العربي انحداراً هيناً وتغطيه رمال الجَافُورَة، وإلى الغرب تقع حافة شَدْقَم والغَوَّار التي ترتفع إلى ٢٩٠م فوق مستوى سطح البحر. ويعود وجود واحة الأحسَاء الزراعية إلى العيون الكارستية التي تنبع من حافة هضبة الصُّمَّان الشرقية. ولا يختلف تركيب قشرتها الأرضية عن هضبة شَدْقَم.



السهول الحصوية

من أهم السهول الحصوية سهول الدِّبْدِبَة، والسَّهْبَاء ووادي الدَّوَاسِر. فقد أدى تدفق وادي الرُّمَّة أثناء الفترات المطيرة في الزمن الرابع إلى أن يصل بمجراه إلى وادي دَجْلَة عند الخليج العربي. وبعد بدء فترات الجفاف ونشاط التعرية الريحية ردمت رمال نفود الثُّوَيْرَات والدَّهْنَاء مجرى وادي الرُّمَّة الواقع بين شمال قرية البندريَّة وابتداء وادي البَاطِن الذي يمثل الامتداد السابق لوادي الرُّمَّة نحو الخليج العربي، ما عدا جزءاً قصيراً من المجرى يسمَّى وادي الأجردي.

الدبدبة. سهل الدِّبْدِبَة من الملامح الرئيسية للمنطقة الساحلية للخليج العربي وشمال غرب هضبة الصُّمَّان، وهو سهل غريني عظيم إلى الجنوب الغربي من الكويت على شكل دلتا نهرية، قمتها قرب مدينة القيصومة حيث تنتشر من هناك تجاه الشمال الشرقي إلى واديي دَجْلَة والفُرَات. ويقطع هذا السطح الحصوي مجرى وادي البَاطِن الموجود الآن. وتحتوي الدِّبْدِبَة على الحصى وكسر من صخور تتناقص تدريجياً في الحجم تجاه الأطراف الخارجية، وهي مشتقة من الكوارتز والصخور النارية والمتحولة والأحجار الجيرية مع رواسب أدق مختلطة معها حملها وادي الرُّمَّة وامتداده وادي البَاطِن من الدرع العربي خلال الفترات المطيرة.

ويطلق اسم الدبدبة على منطقة واسعة تقع شرق الصمان تعرف قديماً باسم الدَّوّ، وهي أرض مستوية ليس فيها آكام ولا جبال قليلة النبات إلا إذا جادها الغيث، ونباتها الحمض والعشب، وفيها رياض وأودية وحزوم.

ويخترق وادي الباطن (فلج) الدبدبة، فيدع جانباً منها في الشمال الغربي منه وجانباً في الجنوب الشرقي. ويمتد هذا الجانب حتى يتصل بالوريعة شرقاً وجنوباً حيث تقع بلدة اللصافة. ولعل اسم الدبدبة مأخوذ من مدب السيل وهو موضع جريه. ويبلغ طول الدبدبة نحو مائة وستين كيلاً، وعرضها حوالي ثمانين كيلاً. وهي سهول جرداء، خالية من العلامات الأرضية. تنمو فيها أحياناً بعض الحشائش القليلة وتحوي المنطقة بعض المراعي في موسم الرعي ولكنها منطقة فقيرة للغاية، وليس فيها أية آبار للمياه ولكن البدو الذين يترددون دائماً على الجزء الشمالي منها يأخذون المياه من الجهرا بالكويت، وبها القليل من الظباء (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٦٦١).



وجاء في معجم البلدان: أرض ملساء ليس فيها جبل ولا رمل ولا شجر، وقيل: الدو أرض خاوية يسار فيها بالنجوم ويخاف فيها الضلال وسميت الدو لأن الفرس إذا سلكوها بدوابهم تحاضوا فيها بالجد فقالوا بالفارسية دوْ دوْ. قال ذو الرمة:

ودوٍّ ككف المشتري غير أنه
بساط لأخماس المراسيل واسع

(الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٧٠٥).

السهول الحصوية في بعض الأودية. هناك مساحات كبيرة من السهول الحصوية المندمجة لها صفة الدلتاوات تنبثق من أنظمة صرف الأودية الرئيسية، مثل: وادي السَّهْبَاء، ووادي الدَّوَاسِر، ووادي نَجْرَان وحُبُونَا. ويظهر من التوزيع الحالي للمنكشفات أنه قبل أن تتكون رمال الرُّبْع الخَالِي ونُفُود الجَافُورَة وتطرأ على سطح المنطقة وتغطيه بكميات هائلة من الرمال كان جزء كبير من المنطقة الموجودة غرب خط الطول ٠٠َ ٥١ْ شرقاً مغطى بحطام صخري خشن حملته تلك الأودية النهرية. فرأس دلتا وادي السَّهْبَاء ويقع عند حَرَض، ويمتد شرقاً إلى الحد الغربي لسبخة مَطِّي جنوب غربي الإمارات العربية المتحدة. ويتركز السهل الحصوي في مجاري الأودية النهرية القديمة التي تظهر في شكل أودية مقلوبة على علو أمتار قليلة فوق السهول المجاورة. أما سهل وادي الدَّوَاسِر وسهل وادي نَجْرَان فقد دفن معظمها تحت كثبان الرُّبْع الخَالِي ويظهر بعضها على شكل أودية مقلوبة في بعض المناطق المفتوحة عند الأطراف الجنوبية لسهل وادي السَّهْبَاء (الغنيم ١٩٨١: ٥٧).

بسيطا. تقع غربي وادي السرحان، وتمتد بامتداد الوادي من وادي حدرج إلى قرب نهاية الوادي من الناحية الجنوبية. وهي أرض مستوية فيها حصى منقوش أحسن ما يكون، وليس بها ماء ولا مرعى. سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر إلى العراق، فلما توسطها قال بعض عبيده–وقد رأى ثوراً وحشياً: هذه منارة الجامع، وقال آخر منهم وقد رأى نعامة: وهذه نخلة، فضحكوا، فقال المتنبي:

بسيطة مهلاً سُقِيْتَ القطارا
تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل
وظنُّوا الصُّوَارَ عليك المنارا
فأمسك صحبي بأكوارهم
وقد قصد الضحك منهم وجارا

وتسميها العامة بسيطا بالألف كما في شعر شاعر عامي يدعى الهربيد:

اللي لهم باقصى بسيطا مدالي

الجمش. أرض تربتها رملية خشنة، وتكثر فيها النتوءات الصخرية. ولا يكون الجمش إلا في نطاق الهضاب الحمر ونتوءاته الصخرية حمراء.

أطلق هذا الاسم حديثاً على البلاد الواقعة فيما بين جبلة وحليت من الشرق إلى الغرب، وبين منية وحشة الشعيفية من الشمال إلى الجنوب وعرفت بهذا الاسم بعد أن تأسست فيها الهجر، وأصبحت موطن استقرار. ويبدو أن اسمها مأخوذ من طبيعة أرضها، فهي صحراء مرتفعة تربتها رملية تكثر فيها النتوءات الصخرية الخشنة وأوديتها ضيقة وعميقة، وتنحدر إلى الشرق انحداراً واضحاً، وتفيض سيولها في أسفل وادي الرشا (التسرير) قديماً وغالب مياهها حلوة وآبارها عميقة. وتبعد عن الدوادمي مسافة تتراوح بين ستين إلى مائة كيل حسب موقع الهجرة من المنطقة (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٣٣٠-٣٣١).

الطف. الطف في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وسمي الطف من قولهم: خذ ما طفّ لك واستطفّ أي ما دنا وأمكن، وقيل لأنه مشرف على العراق فهو من أطف الشيء بمعنى أطل. ويطلق اسم الطف الآن على منطقة مرتفعة ممتدة من الجنوب إلى الشمال بامتداد المنطقة الشرقية من غرب الأحساء إلى غرب الظهران تحف بمنخفضات الأغوار والجوف ووادي المياه. وهي امتداد للأراضي المرتفعة في شرقي الصلب والصمان، ولكن الآكام والجبال ذات القمم تبرز فيها.

الطف أرض منخفضة صخرية ذات مساحة مستطيلة عند نهاية تلال تسمى بالاسم نفسه؛ تشتمل على خمسة آبار هي: عريعرة والنجبية وجودة ومتالع وأم ربيعة (الجاسر د.ت.، ج٣: ١٠٣٢-١٠٣٣)

والطفة في سروات الجنوب تطلق على الأماكن المشرفة على تهامة وعادة ما تكون مكتظة بالأشجار.

الحَزْم. من الحزن في الفصحى من الحزونة وهي الخشونة وهي الأرض الغليظة المرتفعة، والحزم من حيث المساحة أقل من الحزن وعند البادية الحزم والحزن



منظر لأحد الحزوم



هو ما اسود وارتفع ارتفاعاً واضحاً من الأرض فيه بعض الحصا.

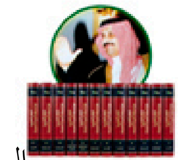
قال ابن شميل في وصفه «الحزم ما غَلُظ من الأرض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له أقبال، لا تعلوه الإبل والناس إلا بالجهد، يعلونه من قِبَل قُبله، وهو طين وحجارة، وحجارته أغلظ وأخشن وأكلب من حجارة الأكمة، غير أن ظهره عريض طويل ينقاد الفرسخين والثلاثة، ودون ذاك، لا تعلوها الإبل إلا في طريق له قُبل مثل قُبل الجدار». وقد يكون الحزم في القف لأنه جبل وقف غير أنه ليس بمستطيل مثل الجبل. ومن الحزوم المشهورة حزم القمرا في وادي الدواسر وحزم القميع في الطائف.

ومن أشهر حزون العرب حزن بني يربوع، وحزن بني كلب، وحزن بني أسد. وهي متداخلة يتصل بعضها ببعض، وأشهر هذه الحزون وأوسعها حزن بني يربوع الذي يفلقه وادي الباطن، ويبدأ من الطرف الشمالي للصمان، ويمتد مستطيلاً شمالاً ومن الغرب إلى لينة. ومن أعلامه قيصومة فيحان وحومانة الدراج والتيسية. والحزن من أطيب الأمكنة لرعي الإبل، ففيه أودية وقفاف ورياض ورمال، ونباته يختلف باختلاف مواضعه، وتنوع النبات يجعل المرعى طيباً. ويضرب المثل بحسن أريج نباته. قال كثير:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال أبو حنيفة: قال مزيد أبو مجيب الربعي: نازع رجل من بني يربوع رجلاً من بني مالك في الحزن والصمان، فقال اليربوعي: الحزن أمرأ، وقال المالكي: بل الصمان. فتراهنا على ذلك عند الحجاج، فأمرهما أن يرعيا حتى يصيفا، وخرجا فأيمنا وأشملا واحتشدا حتى جاء الوقت، فإذا إبل الصمان كأن عليها الخدور، وقد ملأت أسنمتها ما بين أكتافها وأعجازها، وإذا الحزنية قد كاد يستوي طولها وعرضها من عظم بطونها، فلما نظر الحجاج إليها جعل يردد بصره بين هذه وهذه، ثم أمر بناقتين من خيارها فنحرتا فإذا شحم كثير، فأشكل أمرهما عليه، فأمر فأذيب شحمهما، فإذا شحم الصمانية عرزال لا يذوب، وأما الحزنية فانهمر شحمها فزادت على الصمانية وَدَكاً بفضل الحزن.

وقال حنيف الحناتم: من قاظ الشَّرَف وتربع الحزْن وتشتى الصمان فقد أصاب المرعى (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٢٢-٤٢٤).



الحمار. هو الحزن المنقاد أو المحدودب في بطن أو سهل أو روض، وغلبت التسمية عليه في بعض المواقع مثل حمار صبحا القريبة من خفيسة البطين وحمار الموجود تحت ظلم مما يلي منهل البقرة، وحمار قرية.

الغبيط. الغبيط أماكن في الحزن منقادة، وقال ابن حبيب: الغبيطة نجفة يرتفع طرفاها ويطمئن وسطها كغبيط القتب، ونقل عن ابن السكيت قوله: الغبيط أرض لبني يربوع، سميت الغبيط لأن وسطها منخفض وطرفها مرتفع كهيئة الغبيط. وهو قف غليظ وفيه أودية، منها: الغبيط وإياد وذو طلوح وذو كريب. وأوصاف المتقدمين تنطبق على صحراء واسعة من الأرض واقعة غرب وادي فلج (الباطن) في شمال الحزن أسفله يفصل بينها وبين السهول والمنخفضات الواقعة جنوب العراق مرتفعات الحجرة التي هي امتداد للحزن، وتلك الصحراء تدعى البطن وليس من المستبعد أن تكون ما يعرف قديماً باسم بطن الغبيط وبطن الإياد فنسي الاسمان الأخيران واستعيض عنهما باسم البطن. والبطن أرض منخفضة خالية من الجبال ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي بمحاذاة الحزن تلب به من الشمال من أنصاب إلى المعانية ويحف بها من الشمال الشرقي مرتفعات أرض الحجرة. ومن الشمال الغربي والغرب مرتفعات تدعى ظهرة البطن (الجاسر د.ت.، ج٣: ٩٧٤-٩٨٠).

الشامات. جمع شامة، وهي أرض جلدة بين حبال الدهناء، صخرية تنبت العرفج كما تنبت أنواع العشب. ومن أشهر الشامات: شامة زرود، وفيها منهل زرود والوسيط والهاشمية وتمتد بامتداد عرق لزام حتى تقف عند منهل تربة، وامتدادها طولاً نحو ثلاثين كيلاً وعرض عشرة أكيال في أوسع اتساعها. وشامة مغيليث بين عرق لزام وعرق المظهور، ويتصل بها شامة أكباد الواقعة في غربيها. ومن أعلامها أكباد وهي قور في غربيها واحدها كبِد، وعنيتيت يقع في غربيها أيضاً (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٧٠٢).

الحتايف. الحتيفة هي الأرض الصلبة؛ وهو اسم يطلق على جانب من الصمان أرضه صلبة مكسوة بحجارة خشنة يصعب السير فيها، ولهذا يتحاشى أصحاب السيارات سلوكها. وتقع هذه الأرض متاخمة للدهناء شرقاً، ممتدة من الشمال من قرب وادي الباطن من شرق أم عشر إلى قرب الفاو الجنوبي. ثم يقف طرفها الجنوبي عند طرف عريق



الدحول شمال درب المبيحيص، ويفصل بينها وبين الحنبلي أرض منخفضة سهلة ممتدة بامتداد أرض الحتايف. وأعرض جهة من الحتايف هو شمالها الموالي لوادي الباطن (فلج) حيث يقارب عشرين كيلاً، ثم تستدق في اتجاهها نحو الجنوب حتى تختلط في الصمان التي هي في الواقع جانبه الغربي الشمالي (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٤٧٨-٤٧٩).

الأراضي المستوية

الحماد. الحماد والحمادة الأرض الواسعة المستوية، فهو وصف ولكنه أصبح علماً لمواضع من أشهرها الفلاة الواقعة شمال إقليم الجوف. وهي مستطيلة من الجنوب إلى الشمال، يحدها جنوباً الآكام والمرتفعات التي تفصل بينها وبين منخفض الجوف، ويحدها غرباً الحرة، وشرقاً فروع أودية أبا القور، وفروع عرعر وحامر والمراء، وتلك الفروع تنحدر من الحماد وكانت قديماً تعرف باسم الملحاء، وتقع طريف في ناحية الحماد الشمالية الغربية (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٥٥-٤٥٦).

الصلعا - الصليعاء. صفة للأرض التي لا تنبت شيئاً، وزبارة الرمل ليس فيها نبات. وقد تسمى بلقع.

الصحصح. وهي الأرض الواسعة الجرداء المستوية. قال الأمير خالد الفيصل:

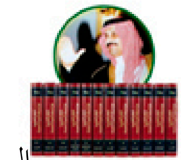
شبيت ضوي في الظلام
في صحصحٍ ذيبه عوى

الجهراء. ما استوى من الأرض، لا شجر فيها ولا آكام ولا رمال وإنما هي فضاء هذا المعنى اللغوي للكلمة. ويطلق هذا الاسم على أرض واسعة تقع شرق حرار خيبر وشمالها، فيما بينها وبين تيماء وفيما بين تيماء والعلا؛ أي إنها تحيط بتيماء غرباً وشمالاً وهي أرض كثيرة النبت. وكانت هذه الأرض تعرف قديماً باسم الجناب، وفيها يقول ابن دارة:

خليليّ إن حانت بحمص منيتي
فلا تدفناني وارفعاني إلى نجد
ومرا على أهل الجناب بأعظمي
وإن لم يكن أهل الجناب على القصد
فإن أنتما لم ترفعاني فسلما
على صارة فالقور فالأبلق الفرد
لكيما أرى البرق الذي أومضت له
ذرى المزن علوياً وماذا لنا يبدي

والجهراء في سراة غامد وزهران يطلق على مجرى السيل الملئ بالأحجار التي يجرفها السيل وتسمى أيضاً الجَلّة.

الباحة. الأرض الفسيحة، وبها سميت الباحة الواقعة في الطرف الشمالي



الغربي من بلاد غامد، جنوبي شرقي بلاد زهران، وتعتبر قاعدة المنطقة الإدارية وتبعد عن الطائف حوالي ٢٣٠ كيلاً إلى الجنوب، ويخترقها طريق الطائف- أبها (الزهراني ١٤٠١: ٤٥).

الرصيف الصحراوي (الرُّصُف الصحراوية). أرض صحراوية مستوية مفروشة بالحصى، تكونت نتيجة تذرية الرياح للمواد الدقيقة، ولها عند العرب عدة أسماء، أقربها إلى هذا المعنى الوحفاء والحمة. وتسمى عند بدو الأردن أرض الصوان.

الرهوة. المكان المنبسط في الأرض المرتفعة. ورهوة البر منطقة منبسطة تقع بين قرية الرهوة من الجنوب والأثمَّة وبني سار من الشمال، وقرى البلعلاء من الشرق وشعب الغربي للجادية قرب قرن ظبي من الغرب، وهي من الحدود الفاصلة بين غامد وزهران. وهناك أكثر من قرية وجبل تعرف كلها بالرهوة في تلك المنطقة (الزهراني ١٤٠١: ١١٥).

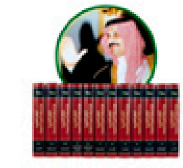
الرقة. وتجمعها البادية على رقاق ورقارق وهي الأرض المنبسطة المستوية الواسعة التي تغطيها التربة اللينة. وكذلك هي في اللسان ما عدا جمع رقارق. وقال الأصمعي الرقاق: الأرض اللينة من غير رمل.

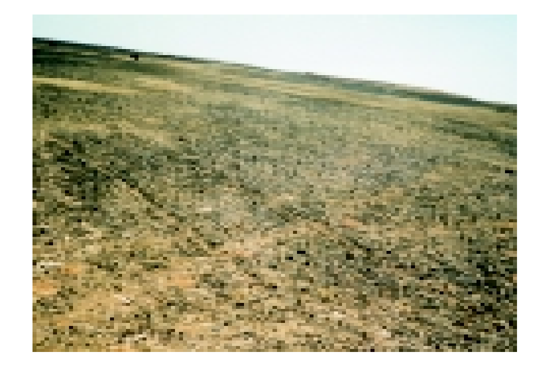
الريغاء. غبرة دقيقة تغطي سطح الأرض في المناطق الطميية غالباً في الرياض والخباري الجافة. وهي سرعان ما تتطاير في الهواء على شكل غبار لخفة وزنها. ويقال لها في بعض مناطق الجنوب الريغة.

الجباب. هي التربة الغليظة إذا حرثت أرضها لا تتفتت بل تبقى قطعاً كبيرة صلبة بعض الشيء وفي اللسان تسمى الجبوب.

السَّمَار. سَمَار من السُّمْرَة وهي السَّواد، وهي صحراء تغطيها حجارة سود صغيرة، مثل سَمَار الرَّاهِصِيَّة، وسَمَار الخَضَارة وسمار حلبان، والسمارة قرب تثليث، وقد يرد مؤنثاً فيقال سَمَارة، والمصغر لا يذكر غالباً إلا مؤنثاً، فيقال: سُمَيِّرَة. وقد يطلق السمار على الحزن يجلله السواد.

العبلة. جمعها عبال وعُبَل وهي اسم لكل أرض منبسطة ظاهرة تجللها حجارة المرو والتي يغلب عليها البياض سواء كانت في أرض سمار أو غيرها؛ ومن أشهرها عبلة سدير تمتد من وادي المياه في سدير جنوباً إلى وادي المشقر شمالاً وشرقاً تحدها جبال مجزل وغرباً منخرقات أودية طويق (جوي والقريف) (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ١٣٥).





العبلة

والعِبْلةُ أو عبلة سجا تقع إلى الغرب من رغبا وإلى الشرق من ظلم، وهي من أشهر العبال في عالية نجد، وعبلة أبو مروة تبعد عن القويعية ٥٥كم صوب الغرب، وعبلة المقرن وتبعد عن عفيف غرباً ١٥٠ كم تقريباً (ابن جنيدل ١٣٩٩ج٣-٣٥, ٩١١-٩١٦).

المهمه. الأرض المقفرة من الناس ولا ماء فيها وتجمعها العامة على مهمهيه قال الشاعر محمد الأحمد السديري:

في مهمه قفرٍ من الناس خالي
يشتاق له من حس في القلب هوجاس

البراح. الأرض الواسعة والخالية من المعوقات كالحجارة والأشجار وفي اللسان هي الأرض الواسعة لا زرع فيها ولا شجر سميت كذلك لبروزها وظهورها.

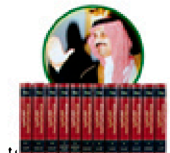
الفياح. الأرض الواسعة الخالية من الجبال السهلة المسالك وكذلك وردت في اللسان كل موضع واسع فيَّاح وروضة فيحاء ودار فيحاء أي واسعة، والعامة في عهدنا الحاضر في بعض المناطق تبدل الفاء باء فتقول بياح ووردت في اللسان الباحة باحة الدار أي ساحتها والجمع بوح.

الجرهدية. تطلقها البادية على الأرض المستوية بها شجيرات سهلة المسالك خالية من العوائق-مماثلة للدبدبة. قالت وسيم العامرية:

لاعوي عوا السرحان في جرهديه
واعوي عواه بنايفات الفرايد

المتياهة. تطلقها البادية على الأرض الواسعة التي لا علامات بها ولا موار تساعد الشخص على التعرف عليها. وقد تطلق المتياهة على المناطق المتشابهة المتقاربة التي تصيب من لا يعرفها جيداً باللبس مما قد لا يمكنه من التفريق بينهما مثل ذلك متياهة سدير وهو شعيب مواز لشعبين عنه جهة الغرب هما شعيب سديران وشعيب سدير، ومتياهة المهمري يشابه تكوينها وادي المهمري وهي قريبة منه لذلك يعتقد من وصل إلى المتياهة أنه في الوادي وجميع هذه المواقع في الصمان.

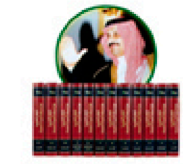
المسحاء. أرض مستوية جرداء كثيرة الحصى ليس فيها شجر ولا تنبت، غليظة جلد تضرب إلى الصلابة، ليست بقفٍ ولا سهلة، وقيل المسحاء الحمراء، وقيل السوداء.



المنخفضات

قد يُظن أن الرياح ليس لها ذلك الأثر الذي يؤدي إلى تكوين المنخفضات المنتشرة في الصحاري الجافة، وأن العامل المائي هو العامل الرئيسي في نشأة تلك الأشكال الأرضية. إلا أن المتجول في المناطق الصحراوية لا يلبث أن يدرك بوضوح أثر الريح في هذا المجال عندما يرى الأعاصير الهوائية التي تنشأ نتيجة تسخين سطح الأرض ابتداء من منتصف النهار وهي تحملُ كميات كبيرة من الأتربة والمفتتات الصخرية من الأراضي التي تمر عليها إلى مناطق أخرى. وأكثر المناطق تعرضاً لهذه العملية تلك الأراضي التي سقطت عليها أمطار غزيرة، وتلك التي تنتهي إليها سيول الأودية حيث تصبح أسهل تأثراً بالتعرية الريحية بالأعاصير لعدة أسباب، منها تمتع هذه المناطق بوفرة نباتية لتوفر الرطوبة الأرضية، فيتوجه إليها الرعاة بقطعانهم التي تعمل على اجتثاث النباتات من أصولها وتعرية التربة وتسهيل انتقالها بالرياح، كما تنتشر فيها المئات من جحور الأحياء الصحراوية مثل الضباب والثعابين واليرابيع وغيرها التماساً للرطوبة في فصل الصيف الحار. وتعمل الرياح على حمل مخلفات تلك الجحور، فإذا ما جاء موسم المطر التالي تخلخلت وتهدمت فتحفرها الأحياء الصحراوية مرة أخرى. وتكرار تلك العملية يؤدي إلى التخفيض المتتابع في تلك المناطق. وكثيراً ما تتعرض الأجزاء المتوسطة من مناقع المياه للتشقق بعد جفافها مما يسهل عملية التذرية وتطاير المواد الدقيقة. وبهذا فإن الرياح، وإن لم تكن العامل الأولي في صنع تلك المنخفضات، هي العامل الثانوي الأكثر فاعلية في تكوينها.

وهناك نوع من المنخفضات تعرف ببطائح الماء تتجمع فيها مياه التصريف الداخلي في الصحاري، وتتصف باستوائها ورواسبها الدقيقة وخلوها من الحياة النباتية. ويتباين اتساع هذه المنخفضات من حفر صغيرة لا يتعدى قطرها بضعة أمتار، تضافرت في تكوينها عمليتا الإذابة والتذرية، كالخبراوات الصغيرة التي تنتشر فوق سطح الصمان وأسطح الحماد، إلى منخفضات يبلغ قطرها عشرات الكيلومترات كالقيعان والسباخ الفسيحة. وتستمد هذه المنخفضات مياهها إما من المجاري السطحية أو المطر المباشر، أو من المياه الجوفية التي تصل إلى السطح عن طريقين؛ مباشرة حيث يتقاطع مستوى الماء الباطني مع سطح الأرض، أو بالخاصة



الشعرية. ويمكن أن تستمد هذه المنخفضات مياهها من هذه المصادر جميعاً.

وتحفل المعاجم العربية، الجغرافية منها واللغوية، بذكر كثير من أسماء المنخفضات، منها ما يمكن تحديده وتوزيعه، ومنها ما أشار إليها العرب دون أن يكون لها دلالة واضحة، فمثلاً الغَمْض والغَامِض هو المطمئن المنخفض من الأرض. قال أبو حنيفة: الغمض أشد الأرض تطامناً يطمئن حتى لا يُرى ما فيه، وهو أشد تطامنا من الغائط ونحو الأخير الجَوْف والمِهْوَأَن. وبالرجوع لكتاب المخصص، يمكن الحصول على عشرات الألفاظ الدالة على هذا النوع من المنخفضات.

الجوف. من أشهر المنخفضات، وقد عُرِف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد، كما يقال له دومة الجندل وجوف آل عمرو نسبة إلى سكانه الأقدمين بني عمرو من قبيلة طيء. واسم الجوف جاء من المعنى اللغوي الذي يُقصد به الأرض المنخفضة، ويعرف حديثاً أيضاً باسم نقرة الجوف والجوف غير مضاف، وهو أشهر اسم عرف به.

وقد ذكر هذا الموضع والمواضع المجاورة له المتنبي، وهي معروفة بأسمائها تلك. وقد أشار المتنبي إلى عقدة الجوف بقوله:

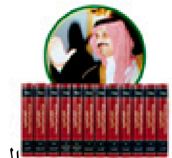
إلى عقدة الجوف حتى شفت
بماء الجرادي بعض الصّدى

ويبدو أنه يعني بعقدة الجوف واحة دومة الجندل لأن العقدة تعني الأرض الكثيرة النخل، ودومة الجندل معروفة بكثرة نخيلها وخصبها حتى ضرب بها المثل فيقال: آلف من غراب عقدة لأن غرابها لا يطير (ابن جنيدل ١٤٠١: ٧٤-٧٥).

وهناك عدة مناطق تعرف باسم الجوف، منها جوف مراد، نسبة لقبيلة قحطانية معروفة، يقع جنوب نجران ولا يزال معروفاً. ومنها موضع آخر في جنوب ثاج وحنيذ والصرار غرب بلدة الجُبيل. وفي بلاد قحطان الجوف بقرب وادي طريب في أعالي وادي تثليث، ولا يزال معروفاً. وفي السروات كما في أسافل جبالها مما يوالي تهامة أماكن عديدة تسمى الواحدة منها بالجوف وهي شعاب ضيقة وعميقة وشديدة الانحدار بها عيون جارية غالباً.

الخبت. ما اتسع من بطون الأرض فهو الخبت، وهو علم لمواضع منها خبت كلب قال فيه الأخنس بن شهاب التغلبي:

وكلب لها خبت فرملةُ عالج
إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب



وقَرَنَ الأخطلُ خبتاً لعرعر، فقال يصف سحاباً:

فما زال يسقي بطن خبتٍ وعرعر
وأرضهما حتى اطمأن جسيمها

كما قرن بينهما امرؤ القيس بقوله:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا
وحلت سليمى بطن خبت فعرعرا

ويظهر أن اسم خبت يطلق على منخفض الجوف، أي غوطة الجوف (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٤٩٠-٤٩٢).

وعد العقيلي في جازان عدداً من المواضع يسمى كل منها خبتاً مثل خبت البقر وخبت ابن جبران وخبت الخارش وخبت الزهبين وغيرها (العقيلي ١٣٩٩: ١٦٢).

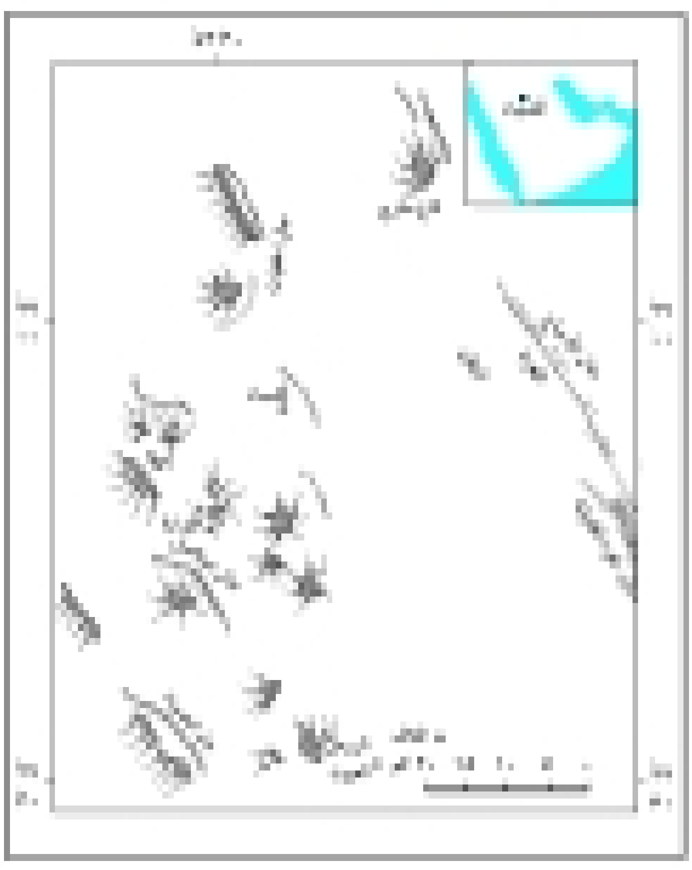
القاع. القاع الأرض الحُرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها، وهي مستوية ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، واسعة سهلة مطمئنة، قد انفرجت عنها الجبال والآكام. وهو ما استوى من الأرض لا حصى فيه ولا حجارة، ولا ينبت الشجر، وما حواليه أرفع منه، وهو مصب المياه (الأزهري ١٩٦٤، ج٣: ٣٣). وقد وصف القاع في القرآن الكريم بالصَّفْصَف فقال تعالى ﴿فيذرها قاعاً صفصفا﴾ (طه: ١٠٦). والصَّفصف كما جاء في لسان العرب لابن منظور: الذي لا نبات فيه، والصَّفصف أيضاً المستوي من الأرض وجمعه صَفَاصِف، وقيل الصَّفصف المستوي الأملس، والقاع إذا كان أملس يسمى قرقرة وهي صفة تطلق على مواضع.

ويطلق لفظ القَرْعَاء على جزء الرَّوْضَة الخالي من النبات، إذ كثيراً ما يحدث وجود منطقة مرتفعة نسبياً عن أجزاء الرَّوْضَة الأخرى فلا تصلها مياه السيل اللازمة لنمو النبات. والقَرَعُ هو أن يكون في الأرض ذات الكلأ مواضع لا نبات فيها كالقرع في الرأس. وأرض قَرِعَةٌ: لا تنبت شيئاً. وأصبحت الرِّيَاضُ قُرْعاً: قد جردتها المواشي فلم تترك فيها شيئاً من الكلإ.

والقيعان كثيرة في بلاد العرب، والغريب أن ياقوتا والبكري لم يذكرا قيعان الجزيرة بالتفصيل على نحو ما فعلا بالدارات والروضات. ويبدو أن ذلك ناشئ عن عدم صلاحية هذا النوع من الأرضين للسكنى، كما هو الحال في الدارات والروضات.

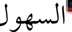
ويمكن تقسيم القيعان من حيث النشأة إلى عدة أنواع، منها القيعان المرتبطة بمظاهر الجيلان وهي أكثر القيعان انتشاراً في الجزيرة، إذ تعترض مئات الأودية





خريطة توزيع القيعان في منطقة القصيم

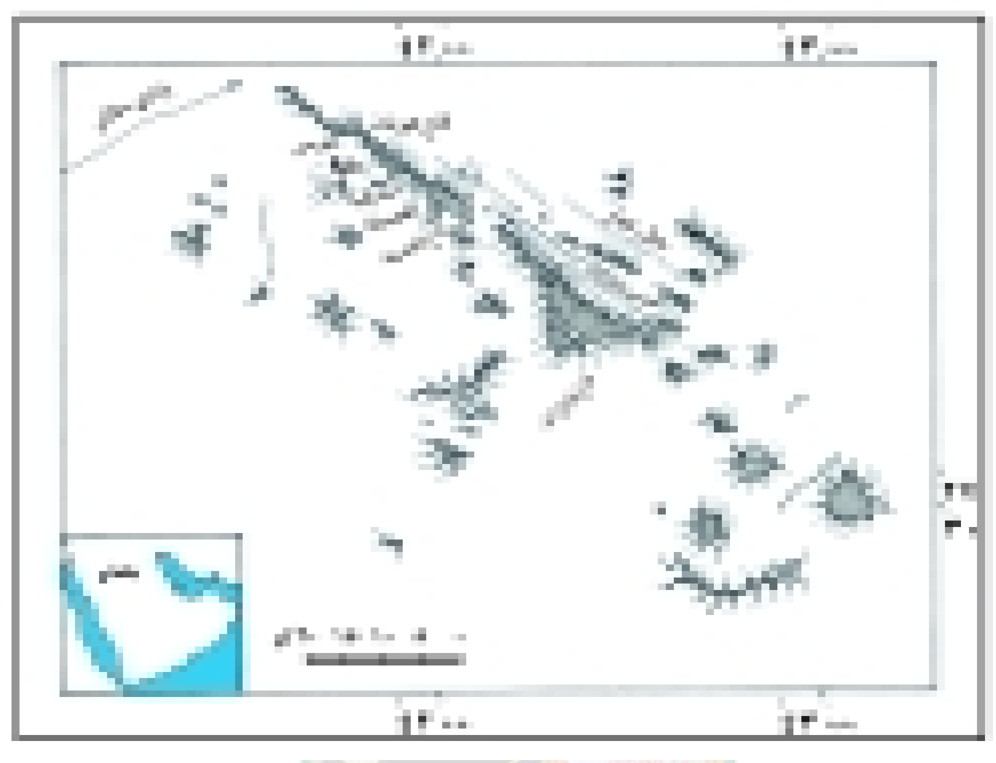
والمسايل في انحدارها الطبيعي نحو الشرق والشمال الشرقي مجموعة من الجيلان، تحول دون تدفق مياهها. فتتكّون مسطحات مائية تغذيها تلك الأودية، بالإضافة إلى عدد كبير من الأودية القصيرة الشابة التي تنحدر من ظهر الجال نحو المنخفض. وتعمل على تمزيق جرف الجال وتقطيع صخوره، مشكلة أراضي وعرة يصعب قطعها بالمركبات. ويؤدي التمزيق الذي يسببه العديد من الأودية القصيرة الشابة في جرف الجال إلى تراجع بطيء لحافاته، ومن ثَمَّ يتسع القاع تدريجياً. ومن ناحية أخرى فإن المواد الغضارية الناعمة، والرواسب التي تتركها تلك العملية، بالإضافة إلى ما تتركه الأودية الأخرى من رواسب في قاع المنخفض، يقابلها نشاط متزايد من الأعاصير الهوائية صيفاً، تذري هذه الرواسب الناعمة الناتجة عن تشقق أسطح هذه القيعان بعد جفافها.

وأمثلة هذه القيعان كثيرة في جزيرة العرب، منها في منطقة القصيم قاع مَدْرَج والعُصْودَّة وصَلاصَل. وقاع مدرج من أكبر القيعان وهو محفور وسط وشاح سطحي من حجر الكلس الرملي، ويتراوح سمكه بين بضعة سنتيمترات وأربعة أمتار، ويرتكز القاع فوق تكوينات حجر الطفال ويحده من جهة الشرق جال مدرج. ويطلق على ظهر ذلك الجال صفراء الأسْيَاح، وهي من تكوين منطقة الجله المؤلف من حجر الرمل وحجر الطفال الحديدي والجصي، ومن حجر الكلس والدولومايت الرمليين. وتحيط الرمال والأبارق بأجزاء متفرقة منه، كما تبدو جروف الجال على شكل مصاطب وأكمات ممزقة من الغرين والطفال.

وفي منطقة حائل مجموعة من القيعان الكبيرة؛ يبدو أنها هي التي جُمعت قديما في اسم واحد وهو -كما جاء في معجم البلدان- قاع قُراقِر «الذي ينتهي إليه سيل حائل وتسيل إليه أودية ما بين الجبلين، وهما جبل أجأ وجبل سلمى. ولفظ قراقر -فيما يبدو- جاء من القَرْقَر وهو القاع الأملس الذي لا شيء فيه» مثلما جاء في لسان العرب. قال الأزهري: والقرارة القاع المستدير، والقرقرة: الأرض الملساء ليست بجد واسعة، فإذا اتسعت غلب عليها اسم التذكير فقالوا قرقر. وقيل: القرقرة وسط القاع ووسط الغائط، والمكان الأجرد منه، لا شجر فيه ولا دفء ولا حجارة، إنما هي طين ليست بجبل ولا قف، وعرضها نحو من عشرة أذرع أو أقل. وقد أطلقت العرب اسم قاع قراقر على مجموعة من القيعان الكبيرة الواقعة في منطقة حائل. ويتألف قاع قراقر من عدة قيعان تمتد بمحاذاة جال عَيار من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وتبدأ من قاع طِيَارات، وهو أكبر القيعان حيث يزيد طوله على ستة كيلومترات ويتجاوز عرضه كيلو مترين، ويصب فيه شعيب الصَّدْر الذي ينحدر نحو الشمال الغربي حتى ينتهي إلى قيعان صغيرة تفيض كلها في قاع طيارات. ويلي هذا القاع -باتجاه الشمال الغربي- قيعان الثُّمَيد والقُصَيْفَة وهُوبَان، ويصب في الأخير وادي حائل، الذي ينحدر من جبل أجا. ويوجد غربي قاع هوبان قاع ملحي كبير يسمى بَقْعَا؛ وهو قاع مستدير تحيط به أشجار الطرفاء، وبعض النباتات التي تتحمل الملوحة كالفِرْس والضُمْرَان، وبالقرب منه مزارع النخيل والخضر وبعض الفواكه. ولشكل هذا القاع تأثير على نمط العمران الذي يتألف من ثلاث قرى تستدير بالقاع هي البقعا الشرقية والبقعا واللويمي في الشمال.



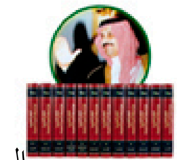


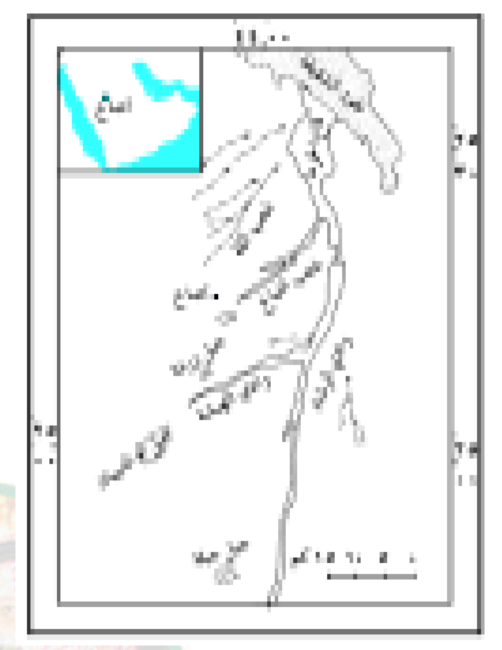
خريطة قاع بقعا، والقيعان المتصلة به

ويصب في هذا القاع من الجـهة الجنوبية وادي أعيوج الذي يمده جال الزرقا بعدد من الروافد.

ترتكز هذه الـقيعان على تكوينـات من حجر الرمل الـذي يتراوح لونه بين الأبيض والبني الفاتح. ويشبه هذا النمط من القيعان تلك القيعان الناتجة عن التقاء الأودية المنحـدرة نحو الشرق والشمال الشرقي بـالرمال المستندة عـلى الجيلان المذكورة، مثل قاع خَرْمَا الناتج عن التقاء وادي الرِّشَاء وشُعَبـى وأُضَاخ وأَثلة مع نفود الشقيقة.

وتنبغـي الإشارة إلى أهمية عـملية التذرية في إمداد العروق الرملية المحاذية للجيلان، المتمثلة في رمال الشقيقة والسِّر والثُّوَيْرَات، وكذلك إلى أثرها في تكوين كثبان رملية محدودة يقع أغلبها بالقرب من القيعان. ويمكن الاستدلال على ذلك بالكثبان الرمـلية المنتشرة جنوب شرقي قاع مَدْرَج التي تصطبـغ باللون الأحمر الناتج عن تذرية الطبقة الحـمراء المنتمية للعصرين البرمي والترياسي التي يرتكز عليها حوض قاع مدرج. وإذا عرفنا أن معظم تلك الكثـبان تكثر عند منصرف





خريطة قاع خرمة

الريح من القاع، أي في الجنوب الشرقي، فإنه ليس من المستبعد أن يمتلئ بالرمال حوض القَعْرة وهو الحوض المقعر المستطيل الممتد من قاع مدرج حتى الطرف الشمالي لنفود الطُّرفيَّة.

وهناك القيعان الناتجة عن التقاء رافد بالوادي الأصلي، وتحدث عند التقاء رافد كبير مثل وادي الجَرِير الذي كان يدعى قديما بالجَـرِيب، بوادي الرمة مما يؤدي إلى تكوين قاع كبير له نفس خصائص القيعان السابقة من حيث الاتساع والاستواء والتشقق.

أما قيعان المنخفضات الكبرى الناتجة عن مناخ البلايستوسين الرطب فهي من أكبر القيعان في شبه الجزيرة العربية. ويضم منخفض السرحان في شمال غرب الجزيرة (حوالي ٢٥٠٠٠كم٢)، عدداً كبيراً من هذه القيعان التي تمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وأهمها قاع الأزرق في الشمال، والقاع الممتد بين بلدتي سكاكا وقُرَيَّات المِلْح. وتدل الشواهد على أن القاعين كانت تشغلهما في عصر البلايستوسين الرطب بحيرات ما زالت آثارها ظاهرة في الشواطئ المرفوعة والمدرجات الفيضية. ففي قاع الأزرق «سَجَّلت بعض أودية المنطقة نوبات امتداد البحيرة البلايستوسينية وانحسارها بعدد من المدرجات الفيضية التي أمكن التعرف على بعضها بالمجرى الأوسط لوادي رَاجِل الذي يدخل قاع الأزرق من الشرق، وتعلو أقدم بقايا المدرجات بذلك الوادي أكثر من عشرة أمتار فوق بطنه، بينما يوجد مستوى أوسط على ارتفاع سبعة أمتار يفضي بدوره إلى مدرج أدنى فوق القناة النشطة بمترين» (بحيري ١٩٧٢: ١٤٨). وينتشر فوق سطح القاع الواقع بين سكاكة وقريات الملح عدد من التلال الطينية الشبيهة بتلال الأزرق، مشيرة إلى الحيز الذي شغلته إحدى البحيرات القديمة



بالمنخفض (بحيري ١٩٧٣ : ٥٥). وفي كل من هذين القاعين عثر على مجموعات من أدوات حجرية، بدا من دقة صناعتها أنها ربما تنتمي لإحدى مراحل حضارات العصر الحجري القديم الأعلى الذي بدأ فيه الإنسان يستقر بالقرب من البحيرات والمسطحات المائية العذبة.

والتحليل المنطقي لنشأة هذه القيعان أن البحيرات البلايستوسينية قد تركت بعد تلاشيها وجفافها أسطحاً صالحة للتذرية، قامت الرياح بتعميقها وحفر بطونها بسرعة تفوق معدلات الإرساب فيها. ومما يؤسف له أن هذه القيعان لم تنل عناية القدماء إذ جل ما أشار إليه ياقوت -على سبيل المثال- هو أن الأزرق ماء في طريق الشام دون تيماء. وأشار أيضاً إلى القرى التي تحتل القاع الآخر وهي دومة الجَنْدل وسكاكة والقَارَة، ويشملها جميعاً اسم القريات. كما نقل عن أبي سعد قوله إن دومة الجندل تقع في غائط من الأرض مقداره خمسة فراسخ، ومن قبل مغربه عين تَثُجُّ فتسقي ما به من النخيل والزروع.

ومن أمثلة القيعان الموجودة في المنطقة الجنوبية الغربية قاع جرب شرقي محافظة العقيق بحوالي أربعين كيلاً، كما تكثر القيعان في أطراف حرة كشب وحرة رهاط مثل قاع أم الغيران إلى الجنوب من المهد، وقاع المسلح وقاع المشخص.

الرَّوضَات والفياض. وهي منخفضات صغيرة اهتم بها القدماء فذكروها في أشعارهم، وحفلت بأسمائها معاجمهم. ذكر ياقوت في معجمه تحت عنوان «بيان الرياض التي ببلاد العرب» ١٣٦ روضة؛ وقال «والرياض المجهولة كثيرة جداً، إنما نذكر هنا الأعلام منها، وما أضيف إلى قوم أو موضع تجاوره أو واد أو رجل بعينه. وأعلم أنهم يقولون رَوضَة وَروضَتَان ورِيَاض وَروضَات، كل ذلك لضرورة الشِعر».

والروضة عند العرب هي الأرض المنخفضة التي يَتَحيَّر فيها الماء، أو يَسْتَرِيض فيها، ومن هنا جاءت تسميتها بالروضة. وإذا كانت الروضة في القِفَاف أو الحُزون المرتفعة فإنها تسمى السَّلَق وجمعها سُلْقان. قال الأزهري: ورياض الصَّمان والحَزْن في البادية قيعان وسُلْقان واسعة مطمئنة بين ظهراني قِفاف وجَلَد من الأرض، يسيل إليها ماء السماء فَتُنبت ضروباً من العشب والبقول، ولا يسرع إليها الهَيْج والذُّبُول، وإذا أَعشبت تلك



الرياض وتتابع عليها الوسمي (مطر أول الربيع) رتَعت العرب ونَعَمُها جمعاء. وإذا كانت الرياض في أعالي البِرَاق والقِفَاف فهي السُّلْقَان واحدها سَلَق، وإذا كانت في الوطاءات فهي رياض، وفي بعض تلك الرياض حَرَجات من السِّدر البري.

وقد ذكر ياقوت أن هناك فرقاً بين الروضة وغيرها من المنخفضات من حيث الحجم، فربما كانت الروضة واسعة يكون تقديرها ميلا في ميل، فإذا عرضت جداً فهي قِيعان وقِيعَة واحدها قاع، وكل ما يجتمع في الإِخَاذ والمَسَاكات والتَّنَاهي فهو روضة عند العرب وعرضها وطولها سواء، وأصغر الرياض مائة ذراع ونحو ذلك. ويرى ابن شُمَيل أن الروضة قد تكون دَعْوة (والغَرَض مثلها) مثلما جاء في المخصص. ويبدو أن كلمة دَعْوة في عبارة ابن شميل بمعنى كلمة رَتْوَة التي تعني الغرض أيضاً، وهو مقدار رمية السَّهم، التي قدّرها العرب بخمسمائة ذراع (ابن رسته ١٩٨١ : ٢٢) أي حوالي ٢٣١م، وهي الغَلْوة أيضا. وذهب أبو زياد الكلابي إلى أبعد من ذلك حين ذكر أن الروضة قد تبلغ سعة بغداد مثلما جاء في لسان العرب. والواقع أنه ليس هناك تعارض بين هذه الأقوال، إذ يتراوح حجم الروضة بين الحوض الصغير الممسك للماء كالغُدران -واحدها غَدِير- وبين المساحة الكبيرة التي أشار إليها الكلابي. وربما انطبق ما ذكره ياقوت على رياض الصَّمان بصورة خاصة، أما قول الكلابي فينطبق على رياض القصيم وسدير التي نشأت حولها القرى والمزارع.

وتختلف الروضة عن القاع في الإنبات، إذ يكاد يخلو الأخير من النبات فيما عدا حواشيه وجوانبه حيث تنمو متفرقة بعض النباتات التي تتحمل الملوحة، كالطَّرفاء والضَّمْرَان والفرْسُ والأشْنَان. أما الروضة فنباتها مُلْتَف مُتَكاوس، ويكثر فيها العُشب كالنَّفَل والحُوَّاء والحِنْزَاب وغيرها. وعندما يكثر نبات الروضة تسمى حديقة وحدائق الرَّوض هو ما أعشب منه والتفّ، ويقال روضة بني فلان ما هي إلا حديقة، وتسمى حديقة لأن النبت في غير الروضة مُتَفَرِّق، وهو في الروضة مُلتف مثلما جاء في معجم البلدان. وتتباين الحياة النباتية في الرياض بتباين موقعها الجغرافي، فرياض الصَّمان التي ذكرها ياقوت تكثر فيها أشجار السَّدر البري والغَرْقَد، وفي نجد تنتشر شجيرات



الرِّمْث، أما في الحجاز فالنَّبات السائد هو السَّمرُ والسَّلَم والسيَال بجانب النباتات والأعشاب الفصلية.

وأشار ابن شميل إلى أن من خصائص الروضة أن يكون لها احتقان، أي أن تشرف جوانبها على سرارها، أي وسطها وهو خير منابتها. ورب روضة مستوية لا احتقان لها، وإنما هي روضة تفرغ إما في روضة أو في واد أو في قُف، فتلك الأراضي أبداً روضة كل زمان سواء أكان فيها العشب أم لم يكن، والكلام لياقوت الحموي. ويطلق على حواف الروضة والقاع الحجاج والحاجب والحواجب. وقد يطلق على الروضة الحديقة حيث يلتف عشبها.

وتختلف الروضة عن القاع أيضاً في مدى احتفاظها بالماء، فالقاع قد يحتفظ به لمدة شهور، أما الروضة فلا تحتفظ به أكثر من أيام قليلة. فالروضة إما أن تفرغ ماءها في روضة أخرى قريبة (ولهذا يسميها البدو أحياناً الفيضة)، أو تصرفه في واد يأسر مياه هذه الروضة، ويسمى الجدول الذي يُسِيل ماء الروضة إلى غيرها مِذْنب الرَّوضة والجمع مَذَانِب ويقال للتي يَسِيل عليها الماء مِذْنب أيضاً، والكلام لياقوت الحموي. وقد تصرف الروضة ماءها في قُفٍّ. ولا يكون ذلك إلا في مناطق الصخور الجيرية حيث تنتشر الحفر البالوعية، التي تتباين في أحجامها من الغيران الصغيرة التي تشبه جِحَار الثعابين والهَوام إلى الدُّحْلان والخُسُوف الكبيرة. والروضة حينئذ من القُف التي هي فيه. قال ابن شميل «ولو ذهبت تحفر فيها لغلبتك كثرة حجارتها وهي إذا رأيتها رأيتها طينا وهي تُنبت وتُعشب»، والكلام لابن منظور.

ويعطي ابن منظور نقلاً عن الأزهري تفسيراً مقبولاً للتفريق بين القيعان والرياض، فبينما تكون أرض القيعان ضعيفة النفاذ، تمنع رواسبها الطينية الناعمة كل قدرة على الإنبات، نجد أن ميزة الروضة في أرضها النفاذية التي تساعد على الإنبات. يقول الأزهري: فإذا كان البلد سَهْلاً يَنْشَف الماء لسهولته، وأسفل السهولة صلابة تمسك الماء فهو مَرَاضٌ، وجمعه مَرَائض ومراضات، وإذا احتاجوا إلى مياه المَرائِض حفروا فيها جِفَارا فشربوا منها واستقوا من أحسائها إذا وجدوا مياهها عذبة. وإذا ما طبق ذلك على الواقع نجد أن معظم الرياض قد حفرت فيها الآبار، بل إن منها ما قامت حولها الزراعات ونشأت عندها القرى.



والروضات أو الرياض كثيرة في بلاد العرب، منها رياض الصَّمان والحزن، وهي منخفضات أو حفر لا يتعدى عمقها بضعة أمتار تُرَصِّع سطح الصَّمان الجيري، ويمكن مشاهدة العديد منها في الطريق بين الرياض ورماح والشُّملول. ويمكن الاستدلال عليها بسهولة من أَحراج السِّدر البري الذي يتكاثر فيها مختلطاً مع كثير من أنواع النباتات الصغيرة الأخرى، كالشِّيح والشُّبْرُم.

والصمان منطقة تقع شرقي الدَّهْنَاء، وجنوبي وادي البَاطِن، وغربي وادي المِيَاه، وشمالي طريق المنطقة الشرقية في المفصل ما بين الدهناء والفُرُوق، يتداخل مع منطقة الصُّلْب فيما أدخلته هذه الحدود، حتى لا يكاد عارف أن يفرق بينهما. وبعضهم يرى أن الصمان هو الصلب، والصلب هو الصمان، وحتى التسمية لا تكاد تفرق في مدلولها بين هذا وذاك. فالصلب: هو ما صلب من الأرض وقسا. والصمان كل أرض صلبة ذات حجارة حَثّة وعرة. وهذه المنطقة (الصمان والصلب) حزون متداخلة وقفاف وحتائف، تتخللها رياض ومستقرات مياه وقيعان، كلها تنبت السّدر والعَوْسَج، ويشتبك فيها الشّيْح والقَيْصُوم والجَثْجَاث والعَرَار والجَعْد، وتسخو بنبات الرياض العطرة الفاغية؛ فيطيب منظرها، ويعبق عطرها، ويترنم طيرها، ويحلو فيها الربيع، ويلتذه المتربعون. قالت بنت الخِس-وقد سئلت أي البلاد أمرأ؟ قالت: خَيَاشيْم الحَزْن، أو جَواء الصمان، قيل ثم أي؟ قالت: أزهى (أجَلَى) أيّ شئت.

وقال بعض العرب: مَنْ قَاظَ الشُّرَيْف، وتربع الحَزْن، وشتا الصمان فقد أصاب المرعى.

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يذكر غيثاً:

وأقام بالصمان عامةَ ليله
فكأن دارة كل جوٍ كوكب

وبالصمان أعلام مشهورة، منها خباريها التي يضرب بها المثل في سعتها وكثرة مائها وطيب نبتها، وأشهرها تسع خباري (خبراوات)، وهن اللاتي ذكرهن شاعر شعبي، حين قال:

تَملَّت خَبَاري الصلب وَيْن انت يالعَطْشَان
ثمان الخباري تَاسِعَتْهِن كحَيْلِيْلَة

وهن: الخَمّة، وأم قُرَيْن، والحاصْبِيّات، ومَعْقَلة، والعَوشزِيّات، وصُفَيّة، وهُجَرِيّات، ومَغْطِيّات، وكُحَيْلِيلَة. وهذه هي أشهر خبراوات



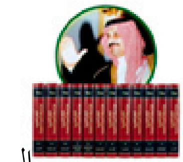
الصمان (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٧٨-٨٠).

ومن أشهر تلك الرياض وأكبرها روضة مَعْقُلة القريبة من الشُّملول، التي تضوع منها رائحة نبات النفل لكثرته فيها، وينزل على أطرافها بعض البدو. ولعامل الإذابة في الصخور الجيرية أثر كبير في حفر هذه المنخفضات، ثم يأتي بعد ذلك عمل الرياح التي تسفي المواد المتخلفة عن التحلل.

وتختلف رياض الصَّمان هذه في نمطها عن التَّناهي، وهي الرياض الواقعة عند مفيض الأودية ومَرافضها، وتتوزع بشكل خاص عند بطون الجيلان، أي جوانبها المتدرجة الانحدار، حيث تنتهي عند هذه النطاقات مياه عدد من الأودية المنحدرة نحو الشرق. وتختلف الروضة في هذا عن القيعان التي تتوزع في تلك النطاقات نفسها، إذ يفيض في الروضة واد أو واديان على الأكثر، ثم تفضي الروضة بمياهها إما إلى سبخة أو تتسرب في الرمال التي تتعامد امتداداتها مع خط انحدار تلك الأودية. أما القاع فإنه يأسر أودية كثيرة تفيض كلها في قَرَاره ولا تخرج منه، وتعمل الكميات الكبيرة من الطمي التي تحملها تلك الأودية إلى القاع على تماسك قشرته السطحية.

وقد كان للتوزيع الجغرافي للروضات على هذا النحو أثره الكبير في توزع المراكز العمرانية واستزراع تلك الرياض؛ وهذا يفسر انتشار القرى والمدن على شكل خطوط تتوازى مع الامتدادات الطولية للجيلان شرقي القصيم. وقد أعطت هذه الظاهرة اسمها لبعض تلك المراكز، يتمثل ذلك في روضة البَسَّام وروضة مطربة والرُّوَيْضات.

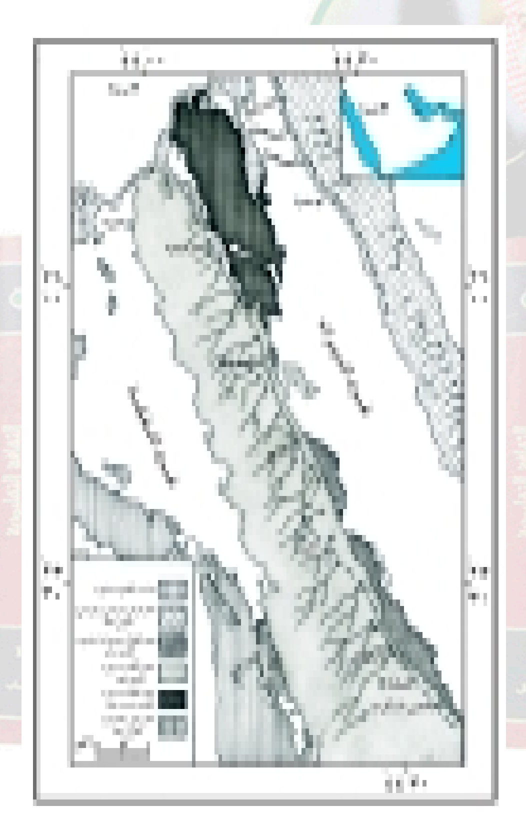
ولو سرنا مع الخط الغربي، ابتداء من الطرف الشمالي لصفراء السرّ لوجدنا أن هناك مجموعة من السباخ التي تنتشر عند حضيض جال خرطم، وبالاتجاه جنوباً نقطع مجموعة من الأودية الصغيرة حتى نصل إلى المِذْنَب وهي منطقة زراعية كبيرة. وينتشر النخيل حول شعب المذنب الذي يدخل المنطقة من الغرب. ويتصل بهذه الروضة روضة القفيفة، ويدخلها أيضاً شعب آخر هو شعب القُفَيْفَة. وبعد القفيفة يبدأ النفود بالظهور شرقي الطريق بعد أن تأخذ تكوينات جال خرطم في




الاختفاء، وإلى الجنوب من القفيفة بثلاثة كيلومترات تقريباً تشاهد روضة المصية وهي بطرف النفود، وبعدها المَفِيض وهي روضة كبيرة أيضاً، ثم المُرَبَّع وهي قرية صغيرة يدخلها ثلاثة أودية أكبرها هو الجنوبي. وشرقي المربع تظهر تكوينات أحدث من تكوينات جال خرطم تفصل صفراء السر عن النفود، ولا تلبث هذه التكوينات أن تنقطع عند القُعَيّر شرقي قرية العَمَار. ويصب في القعير واد بالاسم نفسه.

ويتتابع هذا النمط جنوب القعيّر، فيلتقي بروضة وشعب وثيلان ثم روضة مطربة ثم الجنيفة، وبها قاع صغير تقوم إلى جانبه بعض المزارع، ثم الأرطاوي، وهي قرية كبيرة ويمر بها شعب كبير، وإلى الجنوب الغربي منها توجد الفَيْضَة ثم خُرَيْسَان ثم الحَفَن ثم بلادين السكران ثم سَمْحان وأخيراً سَاجِر، وهي مدينة بها مزارع ونخيل وبها شعب عرضه حوالي خمسة عشرمترا، وقد ذكرها ياقوت ضمن الرياض. أما الجانب الغربي من صفراء السر فيخلو تماما من المراكز العمرانية، على عكس الجانب الشرقي الذي تكلمنا عنه، مما يؤكد أثر توزيع الروضات في انتشار المراكز العمرانية. وحجم العمران حول هذه الروضات أكبر مما يظهر عليه في الخرائط، بل إن تزايد العمران فيها مستمر نظراً للحركة الزراعية النشطة الناتجة عن تشجيع الحكومة للمنتجين الزراعيين.

والنمط الثالث من أنماط الروضات هو تلك الروضات التي نجدها عند حضيض بعض الجبال، ويمثلها أفضل تمثيل روضة حَسْحُوس الواقعة في



خريطة توضح العلاقة بين الروضات وتوزيع العمران



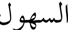
الطرف الشمالي الشرقي لكتلة شُعَبَى الجبلية، يحدها جنوباً جبل حسحوس، وشمالا صُفْران عِيدَة، وغربا جبل الحِشَّة، ويَفيضُ فيها شِعبان، شعب الرَّدهة من الجهة الجنوبية الغربية ويخرج من الناحية الشمالية الغربية، وشعب عيدة الذي يدخلها من الناحية الجنوبية الشرقية ثم يفيض من الناحية الشمالية الشرقية، وبعد أن يدور حول صفران عيدة يلتقي بشعب الردهة حيث يؤلفان شِعْباً واحداً هو وادي ثريَّان الذي ينتهي في حَجْرَة ثريَّان. ويلاحظ أن المنطقة الوسطى من الروضة مرتفعة، فلا تغمرها مياه أي من الشعبين. وفي وسط هذه الروضة بئر عمقها حوالي عشرة أمتار وهي محفورة في رواسب طميية واضحة في جوانب البئر. وهناك أمثلة أخرى للروضات من هذا النوع، منها على سبيل المثال روضة الجِرْذَاويَّة، وروضة سَاق، وروضة أم العمر شمال خيبر في جبال الحجاز، وروضة الخفيسة ومطربة شرق المجمعة في حضن العرمة.

ومن المعروف أن الرَّوْضَة مكان منخفض من الأرض تنصرف إليها مياه الشعاب المجاورة وتلتقي فيها من جهات متعددة ملقية ما تحمله من الطمي والرواسب المخصبة للتربة، وتسمى الرَّوْضَة أحياناً فيضة وغالباً تكون الفياض ذات غطاء نباتي كثيف مما يجعلها مقصد الرعاة والمتنزهين.

ومن الفياض المعروفة فيضة السر، وهي واقعة في منخفض سهل تحيط به من الغرب صفراء تعترض جنوباً وشمالاً، ويحف بها من الشرق برقة سهلة.

وفي أدنى الحمادة وبالقرب من القصب والحريق تقع روضة العكرشية في حضن عريق البلدان يحف بها طريق شقراء الحمادة، ويسيل بها وادي العب وصفحة جبل طويق. وإذا كثرت السيول خرج ماؤها جنوباً وصب في سبخة القصب وظل مدة يجري.

ومن أشهر الروضات روضة خريم وهي روضة كبيرة مستطيلة، وخريم نقا من أنقية الدهناء، يقع شرقيها يشرف عليها ويصب بها وادي الثمامة والمساجدي والحويشات. وتعد هذه الروضة من أكبر رياض اليمامة وأشهرها، وهي تقع في العرمة مهب الصبا من بلد رماح على مسافة خمسة عشر كيلاً منه، ورياض وادي الطوقي، أكبر أودية العرمة، وأكثرها روافد،



روضة خريم

وأخصب أودية المنطقة. وبه من الرياض روضة العمياء وروضة أبي الحليان وروضة الطافحة وغيرها.

قال ابن خميس عن فيضة التَّنْهَاة «التِّنْهَاة هذه روضة من أجمل رياض نَجْد وأخصبها وأطيبها نبتاً وأحسنها موقعاً، يدفع بها أربعة أودية من أكبر أودية العَرَمَة وأهمها. هذه الأودية تَنْصَّب من قمة العَرَمَة مشرقة، وتفرغ هذه الرَّوْضَة في حضن الدَّهْنَاء حيث يلتف سدرُها وتَنضبُها وطلحها وجثجاثها وشيحها وقيصومها أبد الدهر، وحيث يختلف نُوارُها، وتصدح أطيارها، ويختلط نفلها وحرفها وكرشها ورقمها وحوذانها. وكل نبت طيب بها إذا جادها الغيث وباكرها وسميه. تمتد هذه الرَّوْضَة من الشرق إلى الغرب حيث مفاجر الأودية التي تدفع بها، وتمتد حولها من الجنوب والشمال ذيول للدهناء تشكل حبالاً متطامنة وصياهد وأجارع ودكادك. يتخللها من الشمال سواق تفضي إلى رياض صغيرة تسمى الخوابي جمع خابية، وهي مستقر الماء أو الرَّوْضَة الصغيرة لا ترى إلا من قرب فكأنها مختبئة. بها ما بالروضة الأم من شجر ونبت وجمال. تمدها هذه السواقي بما



تفيـضه عليهـا مياه الرَّوْضَة، وإن هذه الخوابي وهذه السواقي وهذه الحبال الرملية تتخللها، تزيـد الروضة متعة وجمالاً. ولذا كانت منتزهاً للملك عبد العزيز آل سعود مفضلاً يقيم بها شهوراً أيام الربيع وتنبث خيامه في جوانبها ويتجمع حوله شيـوخ القبـائل ورجـال العرب بـادية وحاضره».

الجيّان. الجو منخفض تحيط به أرض مرتفعة من كل الجهات، ولا تظهر معالم الجوّ حتى الوصول إلى مشارفه. ويتميز الجوّ بتربته الرملية المحببة عند البدو أيام فصل الأمطار وكثـرة الأشجار ولطافة جوّه وقت الهبايب، وقلّة غباره وقـت الزوابع الهوائية، وكثرة منافذه ومراعيه. والجو ذو سطح مستدير يبلغ أدنى حد لطول شفته عن الشـفة المقابلة لأصغر جو كيـلاً واحداً، وأقصى حد لـطول شفة أكبر جو عن الشفة المقابلة خمسة أكيال. وللجو مستقر ماء يُسمى روضة أو فيضة في منتصفه تحتفظ بمياه الأمطار لفترة.

ومن أجواء الصمان جو أبو علندا، سمي بهذا الاسم نسبةً لنوع خاص من الأشجار دائم الخضـرة. والعلندى غير محبب لمراعي الماشية ولا يصلح لإيقاد النار. وجو قراادان سمي بهذا الاسم نسبةً للقراد الذي يؤذي الإبل لكثرته في هذا الجو.

وجوّ لبن سـمي بهذا الاسم نـسبةً لجودة حليب الإبل والماشية الـتي ترعى فيه، بسبب نوع النبات في هذا الجو الذي يعـطي لبن الماشـية مذاقاً خـاصاً. قال دعسان بن حطاب الدويش:

جعـله عـلى مـارق الى نـثّرت مـاه
حـيـثه مـربّ جـدودنـا دار اهلـنـا
ويـزِّى لنـا العـرق الحمـر لين يـالاه
ويملى الـغـبايـا ثـم يسـيّـل لـبنّـا

ومارق ضلع طويل بارز للعين ولا يحيط به شيء يماثله، أي بلهجة البادية (مرق عن غيره).

كما ورد اسم الغبايا أيضاً وهي فياض مستِنقعات يكثر فيها السدر، وهن غائبات عن الأنظار حتى الاقتـراب منهن شرق الدهناء وغربي الصمان.

وجوّ الثـور سمي بهذا الاسـم لأن ثوراً مات فيه عطشاً بعد أن فقده صاحبه تاجر المـواشي في هذا الجو، وهو مـن الأجواء المشهـورة بالصمان يقع شـمال درب المنشرحة. قال الشاعر:

وجـدي عليـهـا وجد مـن قربـة له
فـي وسط جـوّ الـثور غـرّه وكـاها
اهـلـه بـعيـدٍ والـدّحـل مـا يـدلّـه
وحتـى ذلوله ما اقـضبت يوم جـاها

مـا له جـدا كـود العـبيـري يـهلّـه
مـتـذكّـرٍ مـن قـربتـه بـرد ماهـا

وجو هميدان سمي بهذا الاسم لأنه ينفرد عن غيره بنمو نبات أشجار العرفج الكثيف. وفي إحدى السنوات انقطعت الأمـطار وأمـحلـت أرضـه وتحولـت الأشجار إلى هشيم يسمـى بلغة البادية هميد.

وجو عويشزان (غازي سابقاً) سمي بهذا الاسم نسبةً لنمو أشجار العوشز بكثرة وهو شجر لا يقترب منه ويوحش أبناء البادية لاعتقادهم أن الجن تسكنه. قال دعسان بن حطاب الدويش:

العـصر تطـلع بك علـى جو غازي
وقـامت تحـايـد من عـيـاها تحـزّي
أمّـا تشـوف مـن الـطّوارف نـوازي
والاّ سـنـا ضـوّ المـنـاره يـنـزّي

وجو نحيط سمي بهذا الاسم بسبب شخص تـوفي فيه اسـمه نحيـط. قال دعسان بن حطاب الدويش:

تحـدّرت بامـر الـولـي راعي الجـود
ويالـله عـسى جو الـغديـر لها مـاد
وجعله على السبقين والصلب ياسعود
تحـدّه الجـيـان لـنحـيـط مـن غـاد

وجو سـاقان سـمي بهـذا الاسم لوجود تل طويل في وسطه، وهذا التل شبهوه بسـاق الإنسان لهذا سمي هذا الجو بساقان. قال حـنيف بن سعيدان المطيري:

عـلّه عـلـى قاع الـغبـايـا نثـر مـاه
والى امتـلى ابا الهول علـوى يجونه
سـال النـظـيم وجـوّ سـاقان يملاه
وعـلى المـنيـسـر ضافـياتٍ ركـونـه

وجو سعدان سمي بهذا الاسم لكثرة نبات السعدان الشائك الملمس الذي يشبه الإبر. قال ابن ناحي:

واوجودي عـليها وجـد راعي مطيـه
أصبحت بالـنّفود وهو بجو سعدانـي
الـظّمـا محـرقٍ كـبده نـعالـه رديه
والمطـيه غدت وهوه بـحال الشوانـي

وأجواء الصمان عديدة وما سبق أمثلة لها.

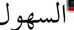
الدَّارَات. جـمع دارة، وهـي أرض منخفضة مستديرة أو شبه مستديرة تُحيط بها الجبال أو عروق الرمل أو كليهما معاً مرتفعة عن مجاري السيول لا تـتخللها الأودية ويبـقى سيلها بـها، وتكثر فـي الأقاليم الجبـلية القريبة من الامتـدادات الرملية؛ وهي من بطـون الرمل المنبتة، وقد سميت الدَّارة تشبيهاً لها بدارة القمر، وهي الـهالة الـتي حولـه. وقد لاقت الدارات اهتمام الشعراء وأصحاب المعاجم اللغوية والجغرافية فاستطردوا في وصفها واستـقصـاء المعروف مـنها، وتـفـاخـر



المتأخرون على المتقدمين في معرفة العدد الأكبر منها.

وقد وضع في هذا الموضوع بعض الكتب والرسائل، وصل إلينا منها كتاب الدارات للأصمعي (١٢٨-٢١٦هـ) الذي حصر فيه ست عشرة دارة، ولم يكن كتاب الأصمعي مفصلاً بل كان يورد اسم الدارة ثم يتبعه بشاهد من الشعر. وممن رام جمع الدارات ابن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ وتلاه صاعد بن الحسن المتوفى سنة ٤١٩هـ. ولم يتجاوز ما ذكراه العشرين دارة (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٣). وذكر ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ في كتابه عن الدَّارات نحو أربعين دارة. ويبدو أن البكري لم يطَّلع على كتاب ابن فارس، فليست هناك أية إشارة إليه في معجمه. ولهذا لم يذكر سوى اثنتين وعشرين دارة معتمداً على كتابي ابن حبيب وصاعد بن الحسن، واستدرك عليهما ما أغفلاه. وأورد البكري أيضاً بعض النصوص المهمة في ضبط أسماء الدارات (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٤-٥٣٥). أما ياقوت الحموي فقد ذكر ثمانياً وستين دارة، استخرجها من كتب العلماء المتقنة، وأشعار العرب المحكمة، وأفواه المشايخ الثقات، واستدل عليها بالأشعار حسب جهده وطاقته.

واجتمع للفيروزآبادي من أسماء الدارات ما لم يجتمع لغيره من المتقدمين، فذكر في قاموسه ما ينوف على مائة وعشر دارات. ولا ينبغي أن نسلم بصحة كل ما ذكر الفيروزآبادي إذ أن هناك تصحيفاً في بعض أسماء الدارات لم يُنَبَّه عليه، فيذكر الاسمين معا، فمثلا دارة أُجُد مُصَحَّفَة عن أَجَأ وهي نفسها دارة بُحْتُر الواقعة وسط جبل أجأ. وكذلك دارة بَاسِل مصحفة عن مَأْسَل وصُلْصُل عن جُلْجُل، والغُبَيْر عن العمير وغير ذلك. وقد أحس بذلك الزَّبيدي شارح القاموس ويظهر ذلك من قوله عند التعرض للدارات «على اختلاف في بعضها» (الزبيدي ١٣٠٧، ج٣: ٢١٢). وفي العصر الحديث أسهم ثلاثة من الباحثين في الكتابة عن الدارات، توجه جهدهم لحصر وتحديد مواضعها الواردة في كتب الأقدمين. وقد بدأ الموضوع عبد الله عسيلان في مجلة العرب (عسيلان ١٣٨٩، م٤: ١١-١٦؛ ١٢٨-١٤٦) فحاول في بحثه تعريف الدارة وبيان قيمة دراستها الأدبية والجغرافية والتاريخية، ثم أورد ما يقرب من ثمانين دارة استخرجها من كتب الأقدمين دون أن يتوغل في تحديد مواضعها. وتكلم في ختام بحثه عن

كتب الدارات، وما ورد عنها في كتابي البكري وياقوت وفي أسفار العرب. والباحث الثاني هو حمد الجاسر الذي حدد مواقع الدارات إتماماً لما كتبه عبد الله عسيلان. وقد حصرها في مائة وستة مواضع، ويقل هذا العدد إذا ما أخذنا في الاعتبار الأسماء المصحفة عن أخرى. ثم جاء سعد بن جنيدل، فتناول بالنقد مقالتي حمد الجاسر وعبد الله عسيلان، وبيّن أن الدارة تكوين طبيعي ثابت لا يزيد عددها ولا ينقص، وأن عدد الدارات متعلق بما وجد منها غير خاضع للتقديرات (ابن جنيدل ١٩٧١، م٥: ٩٠٦). وفي هذا تأكيد أن الدارة ظاهرة طبيعية يمكن توزيعها جغرافيا، ثم استطرد في التعقيب على تحديد مواضع الدارات كما وردت في مقالات الجاسر.

ويستفاد من بحث ابن جنيدل أنه كتب ما كتبه عن معرفة ومشاهدة، فجاء حديثه عنها دقيقا، فإذا ما أضفنا إليه ما ورد في مقالات الجاسر أمكن أن نخرج بتحديد جغرافي دقيق لكثير من الدارات المذكورة في المصادر القديمة. وقد بَيَّن الجاسر سبب احتفال الشعر القديم بذكر الدارات؛ فيقال إن القوم يتخذونها منزلا لهم لاتصافها بكل الصفات الملائمة للمنزل، فهي لينة سهلة لمبارك الإبل ولمرابض الغنم ولجلوس القوم ثم هي مرتفعة عن مجاري السيول، محاطة بتلال أو جبال تحمي من الرياح في الغالب، ولخصوبة أرضها، فهي مرتع للبهم والغنم وملعب للصبي، وهي في الوقت نفسه تتسع لأكبر عدد من بيوت الحي (الجاسر ١٣٨٩، م٤: ١).

وهناك عدة أشكال للدارة، ولهذا جاء تعريف القدماء متبايناً بتباين تلك الأشكال، وسنعرض هنا لأهم تلك التعريفات مع بعض الأمثلة التطبيقية على كل نوع من الأنواع المذكورة:

قال الأصمعي: والدارة ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال، غَلُظ أو سَهُل، يقال دَارٌ ودَارَةٌ وأَدْوُرٌ ودَارَات (الأصمعي ١٩١٤: ٥)، ونحو هذا قوله «الدارة جَوْبَة تحفها الجبال والجمع دارات» (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٣)، وفي اللسان عنه أيضاً أن الدارة الجوبة الواسعة تحفها الجبال. وقال ياقوت «الدارة في أصل كلام العرب كل جوبة من جبال، في حَزْن كان ذلك أو سهل».

وينطبق تعريف الأصمعي المتقدم على إحدى دارات شُعَبَى المسماة اليوم



بدارة ثُريَّان غربي كتلة شُعَبى وتحدها من معظم نواحيها جبال صُفْرَان ثريان أو عُمْدَان ثريَّان تشبيها لها بالأعمدة لعلوها. وأسفل تلك الجبال من جهة الشمال بعض الأبارق، وبها فرجة من الشرق حيث يدخلها شعب النجفة. وتنفتح من جهة الغرب نحو حَجْرة ثريان التي يحدها غرباً عُرَيق الدسم (نفود العريق). وينمو في هذه الدارة الرِّمث والسَّمُر والطَّلح، وبها بئر تدعى ثريان ومزرعة صغيرة. وقد أشار ابن جنيدل إلى أن بعض البدو يسميها حَجْرَة ثريان. والواقع أن هذا يطلق على المنطقة الواقعة بين نفود العريق وبين شُعَبى وهي شبيهة بالدارة إلا أنها أكثر اتساعا وأقل خصوبة من الدَّارة، وسُمِّيت الحَجْرة لأنها تَحْجُر السيول القادمة إليها من المشرق. وربما يعود سبب تسميتها بالدارة عند بعض البدو لقربها من الدارة المعروفة بذلك الاسم. ويرى ابن جنيدل أن وصف الأصمعي ينطبق أيضاً على دارة دَمْخ الواقعة في ناحيته الغربية الشمالية، فيما بين ناصفة دمخ وماء الفيضة، وينطبق أيضاً على دارة ثَهْلان الواقعة في ناحيته الجنوبية فيما بين المريصيص من الشمال وماء دلعة من الجنوب، وينطبق أيضا على دارة جُلْجُل الواقعة في وسط جبال الهَضب الأسمر المعروفة حاليا باسم روضة جَلاجِل في جبال جَلاجِل (ابن جنيدل ١٩٧١، م٥: ٩٠٤).

وفي تعريف آخر للأصمعي: أن الدارة رمل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٣)، وقال أيضاً «الدارة رمل مستدير في وسطه فَجْوة. وإلى مثل هذا ذهب الهجري بقوله «الدَّارةُ النَّبْكَة السَّهْلة حَفَّتْها جبال، مقدار الدارة خمسة أميال في مثلها» (الجاسر ١٩٦٨: ٣٨١-٣٨٢). وهذه التعريفات كلها متقاربة وتشير إلى دخول عنصر الرمل في تشكيل الدارة. وهذا التعريف لا يتعارض مع التعريف السابق، إذ كثيراً ما تكون الدارة هناك محفوفة بالأبارق أو منفتحة نحو الرمل، كما هو الحال في دارة ثريان. وبالإضافة إلى ذلك فإن أرض الدارة في الغالب أرض رملية سهلة. وعن جعفر بن سليمان «إذا رأيت دارات الحِمَى ذكرت الجنة، رِمَالٌ كَافُورية» (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٢). وينطبق هذا التعريف على كثير من الدارات، وبخاصة دارات الحمى إذ تقع في النطاق الجنوبي، الواقع بين عريق الدسم، نفود العريق



والكتل الجبلية الواقعة إلى الشرق منه، مناطق كثيرة تنطبق عليها أوصاف الدارة، اشتهر منها دارتا عَسْعَس ووسَط. وعسعس الذي تنسب إليه الدارة جبل كبير إلى الجنوب من ضَرِيَّة، يُرى رأي العين منها، قال عنه الهَجَري «وعَسْعَس جبل أحمر مجتمع عال في السَّماء، لا يشبهه شيء من جبال الحمى، هيئته كهيئة الرجل، فمن رآه من المصعدين حسب خلقته خلقة رجل قاعد، له رأس ومَنْكِبَان». قال الشاعر «إلى عَسْعَس ذِي المَنْكِبَيْن وذي الرَّأسِ».

وتقع الدارة عند سفح جبل عسعس الجنوبي، وتستدير بها الرمال من جهة الجنوب والشرق، وتشاهد بعض الأبارق من الجهة الشمالية الشرقية. وتنتشر في هذه الدارات نباتات الثُّمام والعَرْفج والعَضِيد والسَّلَم. وإذا ما جعل المرء الجبل خلف ظهره وامتد ببصره نحو الجوانب الأخرى من الدارة تبدو له استدارة الرمال ولونها المغاير للون سطحها أشبه ما تكون بدارة القمر، وهي الهالة التي حوله، ولعل تسمية الدارات جاءت من هذا التشابه، وبقرب عسعس من جهة الغرب جبل وَسَط، قال الهَجَري: وبناحيته اليسرى دارة من دارات الحمى، كريمة مِنْبات واسعة نحو ثلاثة أميال في ميل. قال: وهذه الدارة بين وسط وجبل آخر يقال له عسعس (الجاسر ١٩٦٨: ٢٥٧-٢٥٨). وعند جبل وسط دارتان: الأولى، وهي التي أشار إليها الهَجَري، تقع غربي دارة عسعس، وتقع الثانية إلى الغرب منها، يحيط بها الرمل (عُرِيق الدسم) من ناحيتها الغربية، ومن الشمال الشرقي جبل وسط، ويفصلها عن الدارة الشرقية حَزْم مرتفع من الأرض، وتتجمع مياهها في ركنها الغربي حيث يكثر حولها نبات النَّصِيّ والجَثْجَاث، إذ إن الثُّمام هو الغالب في بقية أجزاء الدارة. وبالاتجاه نحو الشمال الشرقي، بمحاذاة عريق الدسم (نفود العريق) نشاهد أيضاً في كتلة جبال شُعَبى دارتان، هما دارة القَطَار ودارة شُعَبى، وهما منفتحتان غرباً نحو الرمال. وليس هناك تعارض بين قول الأصمعي والهجري فيما يتعلق بمساحة الدارة وامتدادها، إذ إن ذلك أمر نسبي ويختلف من دارة إلى أخرى.

وهناك كثير من الدارات التي كانت معروفة قديماً أصبحت تسمى منزلة ونوع آخر منها يسمى محامة.

وقد فرق أبو حنيفة بين الجوبة والدارة، فذكر أن الجوبة هي المكان



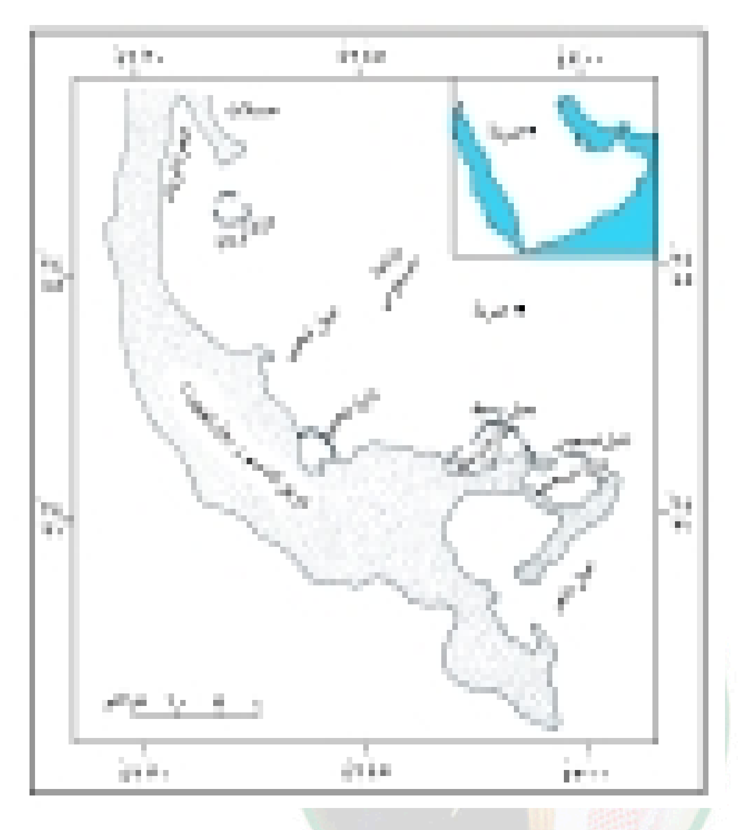
المُنْـجَاب الوطيء مـن الأرض القليـل الشجر مثل الغَائط المستدير. ولا يكون في رمل ولا جبَل إنما يكون في أجلاد الأرض ورحابها، سُمِّي جَوْبَة لانْجِياب الشجر عنها والجمع جَوْبات. ثم عَرَّف الدارة في مكان آخر بأنها لا تكون إلا من بطون الرمل المُنْبِتَة. وأبو حنيفة هنا قد زاد كلام الأصمعي إيضاحاً وأضاف إليه اقتـران النبات بالدارة. وقـد علق ابن جنيدل على قول أبي حنيفة بقوله إن ذلك ينطبق على دارة رمحة الواقعة في نفيِّـد رمحة غربي صحراء الحُـمَيّ (تصغير حِمَى) وينطبق على دارة البشارة (ابـن جنـيـدل ١٩٧٢، م٦: ٩٠٥). والواقع أن ذلـك ينطبـق على معـظم الدارات.

وتأخذ الدارة شكل الأريكة حيث تتـركب مـن ظهـر شديد الانـحدار وذراعين تحصران بيـنهما حوضاً شبه مستوٍ تحده الكثبان الرمليـة. ويقع في أحد جوانبها منخفض تصب فيه سيول الدارة.

ومن خلال الدراسة الميدانية للدارات الواقعة في جنوب شرقي نفود العريق، وبالذات دارة عـسعس ودارتا وسط، يظهر أن هـناك عاملين يتضـافران في تشكيل تلك الدارات، أولهما السيول التي تنحدر فوق السفوح الجنوبية لجبلي عسـعس ووسط، وثـانيـهما الـرياح الشمالية الغربية التي تسفي رمال نفود العريق نـحو السفوح الجنوبيـة لهذين الجبلين، وبخاصة أن هناك قطاعات من الرمـال المتحركـة تتركـز في الجنوب الشرقي من هـذا النفود. واستطاعت المسيلات المنحدرة من هذين الجبلين أن تحول بين الأجزاء الوسطى من الرمال والوصول إلـى سفوح الجبـل، بينمـا نجحت أطرافها في الوصول إلى أطرافه، أو ذراعي الأريكة، فكونت الأبارق التي نشاهدها هناك. وساعد على تثبيت هذا الوضع تتابع هذه الظروف، مع تكون بعـض المـنخفضـات الصـغيرة عـند حضيض الكثبان المواجهة للجبل، ونمو بعض النباتات التي تساعد على تثبيت تلك الرمال. إلا أن ذلك لم يمنع سفي كميات مـن الرمال إلى ذلك الحوض أدت إلى تسويته وتغطيته بطبقـة رملية لينة تتيح نمو كثير من النباتات فيه وقت الربيع.

أما النوع الآخـر من الدارات الذي سبق تمثيله بدارة ثريان، واستدارة الجبال فيها شبه كاملة، فإن السبب، فيما يبدو، هو استقطاب أحد الأودية للمسايل الجبلية وسحب الرواسب التـي تتركها في قاع



خريطة توزيع الدّارات في إقليم القصيم

ذلك المنخفض، وبذلك تعمل تلك المسايل على تراجع الحافات الجبلية وتوسيع الحوض الجبلي أو الدارة. وهناك مثال شبيه لهذا، ولكن في نطاق الصخور الجيرية، وهو سهل البَقْعَة الأردني، وهو منخفض حَتِّيّ أدى إلى تقويض القبة الالتوائية بفعل عمليات النحت ونشاطها ثم احتوى وادي أم الدنانير -وهو أحد روافد وادي الزرقا- مسايل المنخفض مما أدى إلى توسيعه.

ودارة جلاجل تقع قرب ماء قديم يعرف بهذا الاسم، في المجامع في هضب الدواسر الأسمر، يحف به جبل سمر من الغرب وماء الطيري جنوباً منه، والسريف شرقاً منه، وماء ثريا شمالاً منه، وهو في أعلى وادي سمر في جانبه الأيسر. وتقع الدارة عن الماء شمالاً شرقياً، وهي دارة واسعة محفوفة بالجبال من نواحيها المختلفة.

وقد اختلف أصحاب المعاجم في تحديد هذه الدارة اختلافاً كبيراً. فمنهم من قال إنها في الحمى، ومنهم من قال هي في بلاد كندة.

قال ياقوت: دارة جلجل. قال ابن السكيت في تفسير قول امرىء القيس:



ألا رب يـوم لـك مـنـهن صـالـح
ولا سـيـمـا يـوم بـدارة جـلـجـل

قال: دارة جلجـل بالحمى، ويقال بغمرة ذي كندة، وقال محمد بن بليهد: دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس باقية إلى اليوم في بطن الهضب تقع في جبهته الجنوبية الشـرقية، ويقال لها اليوم دارة جلاجل وهو الموضع الـذي عناه عمرو بن الخثارم البجلي بقوله:

وكـنـا كـأنـا أسـد دارة جـلـجـل
مـدلٍّ عـلـى أشبالـه يـتـهـمـهـم

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضاب باقـية عـلى هذا الاسـم (ابن جـنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٤٩٦-٤٩٧). ومـــن الدارات المشهورة في المنطقة الجنوبية دارة المريخ غرب جبل صدا.

المحـامات. المحـامة: مـن الحوم، والمحامة جوبة غالباً ما تكون في فياض الأودية الكبيرة، ويكثر فيها النبات مثل الرمث والهضيد والـثمام. وتكون مقراً للسيول أو مداراً لها، فكأن ماء السيول بدورانه فيها يحوم فـي أرجائها يلتمس طريقاً للـخروج، وبعضها عند امتـلائه تفـضي سـيولـه إلى محـامة أخـرى. ومستوى المياه فيها منخفض لأنها غالـباً واسعة وبـطونها مسـتوية (ابن جـنيدل ١٣٩٩ ج٣: ١١٥٠).

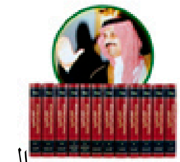
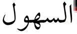
ومن المحامات: محامة ابن زريبة، محامـة مشهورة تقع بـين الجثوم وبين الحمة شـمالاً من بلدة عـفيف شمالاً غربياً، حافاً بها من الغرب حمة صغيرة سوداء. ونسبت إلى ابن زريبـة مناحي بن جدي بن زريبة الروقي الـذي ابتنى فيها هجرة له وسكنها فترة من الزمن ثم ارتحل عنهـا، وتبعد عن عفيف أربـعة وثمانين كيلاً.

ومحامـة اليبَّس بـين هجرة الحسو وهجرة بلغة في بلاد مطير بني عبدالله، تبعد عن هجرة الحسو شمالاً ستة عشر كيلاً، وقد أسس فيها الـيبس من مطير هجرة لهم واستقروا فيها فنسبت إليهم، وهي تابعة لإمارة المدينة المنورة.

ومحامة الـصلح فيها مـورد لقبيلة العوازم من الروقة، تقع شمالاً غربياً من بلدة عفيف على بعد ثمانين كيلاً.

ومـحامـة عسعس بـقرب جـبل عسعس، فيها مورد ماء لقـبيلة الغبيَّات الروقة من عتيـبة تبعد عن بلدة عفيـف ثلاثة وثمانين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ١١٥١).

الهبج. تطلـق البادية هذا المصطلح على الأرض المنخفضة عما حولها مثل الهوبجة التي تقع إلى الشـمال من بلدة أشيقر.

المظاهر الساحلية

الشُّـرومُ والأخْوار. تزخـر سواحل البحر الأحمر بالفتحات المدخلية الساحلية على شاطئيه الشرقي والغربي، وهي من الـظواهر الملفتة للنظر ليس لكثرة أعدادها فحسب وانمـا لتنوعها وتعـدد الأشكال المصاحبة لها. وتتخذ هذه الفتحات أسماء محلية مختلفة كالشَّرْمِ والخُورِ والمَرْسىَ، إضافة إلى فتحات كثيرة لبحيرات ساحلية لا تـظهـر أسـماؤهـا عـلى الخـرائط المستخدمة.

وقد تبين مـن خلال عملية الحصر التـي تمت لأعداد الفـتحات المـدخليـة الساحلية عـلى الساحل الشرقي للبحـر الأحمر وأسمائها، اعتمادا على الخرائط الطبوغرافـية والجيولوجية ذات المقيـاس ١ : ٢٥٠,٠٠٠، أن هناك أكثر من ٥٧ فتحة مدخـلية ساحلية سمـيت بأسماء مختلفة. منها ٢٢ شَرْماً و١٠ خِيْرَان و٥ مراس. إضافة إلى فتحات عديدة ظهرت على الخرائط الـسابقة من دون أسماء. وتجدر الإشارة إلى أن الفتحات الساحلية المذكورة قد يتضاعف عددها على خرائط بمقاييس أكبر.

ولهذه الـفتحات أسمـاء مختلفـة. فالشَّرْمْ لغة: لُجَّةُ البَحْرِ أو الخليج منه، أما اصطلاحاً فالـشَّرْمُ، وجمعها شُرُومْ هي: خلجان تشبه الرِّيا، ولكنها أصغر وأضيق من الأخيرة. أما الخُورُ لغة فهو المُنْخَفِضُ من الأرض، والخَليجُ من البَحْرِ



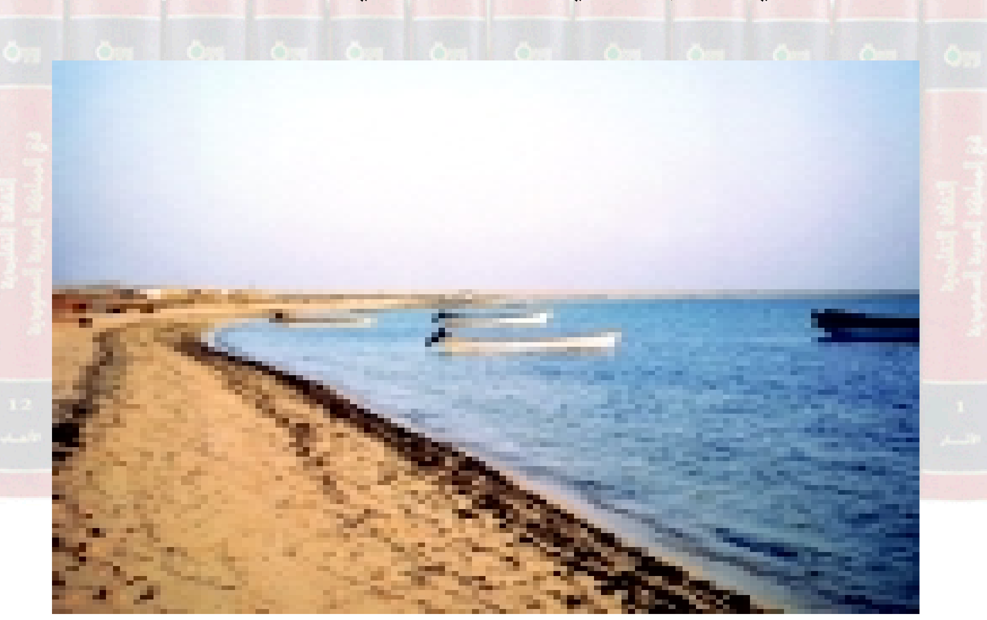
أحد الشّروم بجزيرة فرسان



ومَصَبُ الماءِ في البحر. واصطلاحاً: الخور واد تغمره مياه البحر عند المصب. أو هو خلَيج صغير. ويطلق مَرْسَى على المرفأ الفسيح الذي تحتمي فيه السفن من أمواج البحر لوجود حواجز من الجزر والشعاب المرجانية وغير ذلك.

وتختلف مدلولات هذه الأسماء شكلياً في الوقت الحاضر على الرغم مما يراه بعض الناس بأنها قد نشأت بطريقة واحدة، ولا يختلف بعضها كثيراً عن بعض. وقد كان لتعدد معاني الخور لغة واصطلاحاً أن أطلق محلياً على فتحات ساحلية، كثيراً ما تكون مختلفة من حيث الشكل. ولا شك في أن انتشارها السائد في القسم الجنوبي من السهل الساحلي للبحر الأحمر دون القسم الشمالي، يشكل ظاهرة ملفتة للنظر لأول وهلة. ولكن سرعان ما تتضح أسباب ذلك إذا عرف ما تعرض له القسمان الشمالي والجنوبي من ظروف بيئية مختلفة منذ نشأت الفتحات الساحلية عليها في عصر البلايستوسين.

وقد تجمعت أدلة متعددة ترجح تعريف الخور بأنه مصب الماء في البحر، أو أنه واد تغمره مياه البحر عند المصب، وهو بهذا يقترب من مصطلح المصب الخليجي. أما المَرْسَى فهو، كما يتضح من اسمه، فتحة ساحلية تؤدي وظيفة بشرية، وقد لا يختلف عن الشرم أو الخور في نشأته، إلا أنه قد ينشأ أيضاً



مرسى بجزيرة فرسان






خور القنفذة

من تعاريج في خط الساحل سواء أَنَشَأَتْ هذه التعاريج بالتعرية أم نشأت باطنياً (تكتونياً) أم نشأت بحواجز أم أطر مرجانية غارقة.

وتتوزع الشروم على الساحل الشرقي للبحر الأحمر من شمال مدينة جدة جنوباً حتى خليج العقبة شمالاً. وبمعنى آخر من شرم أَبْحُر جنوباً عند دائرة العرض ٤١َ ٢٨ْ، إلى شَرْم ضَبَة شمالاً عند دائرة العرض ١٦َ ٢٨ْ. ومن الملاحظ ازدياد أعداد الشروم كلما اتجهنا شمالاً حتى تصل إلى أعلى كثافة لها بين شرم الوجه والمويلح. وتكاد تعطي الشروم لهذه المنطقة من الساحل مظهرا شكلياً مميزاً.

وتتنوع الشروم بطول الساحل، ويشمل هذا التنوع أطوالها وأشكالها واتساعها والمنطقة التي نشأت فيها. وقد ساهم في هذا التنوع عوامل عديدة، منها نحتية وأخرى بنيوية. ومن الشروم التي تمثل النماذج المختلفة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وهي من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي: شروم الحَرِّ والبَدْو وجُبَّة، ثم شروم ضِبَاءْ، وأخيراً شرم أَبْحُر.

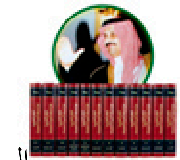
وتقع شروم الحر والبدو وجبة على بعد ٨كم إلى الجنوب من قرية المُوِيلحْ، ولا يفصل بين أبعدها شمالاً، وهو شرم الحرِّ، عن أقصاها جنوباً، وهو شرم جبة، أكثر من ٦كم. وتتخذ هذه الشروم



أشكالاً متشابهة تقريباً. حيث تبدأ بفتحة عمودية على الساحل تماما تتفرع في الداخل إلى فرعين موازيين للساحل تقريباً، وتكاد تتساوى الأبعاد المتعامدة على الساحل مع تلك الموازية للساحل، وهي غالباً ما تتراوح بين نصف كيلو متر، كما في شرم البدو وهو أصغرها، وكيلو متر ونصف في شرمي الحر وجبة. وتشترك الشروم الثلاثة في كون فتحة الشرم المتعامدة على الساحل قد تكونت ضمن الشعاب المرجانية البلايستوسينية، بينما تكونت الأفرع الموازية للساحل ضمن تكوين رغامة الثلاثي. ويصب في كل شرم منها واد متعمق، حيث تشير الجروف أو السفوح المنحدرة بشدة نحو بطون الأودية إلى أنها متعمقة نتيجة لحت رأسي ناجم عن هبوط في مستوى الأساس (البحر). ويستمر تعمق الأودية في الشروم نفسها، وتشير خطوط تساوي الأعماق إلى ذلك، كما تشير الجروف القائمة على جوانب هذه الشروم (يصل أقصاها أكثر من ٤٠م) إلى هذا التعمق أيضا. ويتضح من الدراسة الميدانية وجود مدرجات بحرية على جانبي كل شرم، يختلف أعدادها من شرم إلى آخر. ففي شرم الحر ستة مدرجات موازية لخط الساحل يقطعها الشرم جميعها. أما السواحل الجرفية الداخلية للشرم في المناطق التي تقترب فيها الجبال من خط الساحل فلا تظهر هذه المدرجات باستثناء المدرج ٣ الذي يظهر في الجوانب الجنوبية للشرم المكونة من الحجر الجيري الشعابي والذي يمكن تمييزه بسهولة عن تكوين رغامة.

ومما يميز شرم الحر عن شرمي البدو وجبة دلتا تنشط عند حدوث جريان في الوادي عقب زخات المطر النادرة في هذه المنطقة. أما شرم البدو الأقل مساحة من سابقه فقد قطع مدرجين بحريين تشكلا ضمن صخور الحجر الجيري الشعابي البلايستوسيني الموازي للساحل. ويصب في هذا الشرم إضافة إلى الوادي الرئيسي واديان آخران تاليان شق كل منهما مجراه عند مكاشف الطبقات الفاصلة بين تكوين رغامة والحجر الجيري الشعابي. ولعل ما يميز هذا الشرم أيضاً اتساع النطاق الساحلي المَدّي وطين السباخ الذي يحيط بالنطاق السابق. وعلى الأطراف الداخلية للشرم أطر مرجانية على سواحل البحر أمام فتحة الشرم.

وشرم جبة لا يختلف كثيراً عن شرم الحر في شكله أو سعته، إلا أنه يتميز بميزة هامة عن غيره هي وجود صخور الحجر الجيري الشعابي البلايستوسيني



داخله، مكونة لمعظم الجانب الجنوبي للشرم. ونظراً لزيادة عمق هذا الشرم عن غيره من شروم المنطقة ٦٣م فقد حولته المؤسسة العامة للموانئ إلى ميناء يسمى ميناء ضبا.

أما شروم منطقة ضبا فيقع أحدها، وهو شَرْمُ رأس ضَحِكَانْ شمال ضبا بكيلومترين، بينما يقع الثاني إلى الجنوب من ضبا بثلاثة كيلومترات. أما الأخير فهو شرم المدينة المذكورة. وتتشابه الشروم الثلاثة تشابهاً كبيراً في شكلها وأبعادها فلا يزيد طولها على ١٠٠ – ٢٠٠م، بينما يقل اتساعها عن ذلك. وقد تشكلت هذه الشروم شمال ضبا وجنوبها ضمن صخور الحجر الجيري الشعابي، بينما تشكل شرم ضبا ضمن كل من الصخور السابقة ورواسب المدرجات الحصوية التي يرجح أنها تغطي تكوين رغامة في هذه المنطقة. وترتبط جميع الشروم السابقة بأودية تصلها من الظهير، وربما كان شرم ضبا وواديه أكثرها أهمية. فقد اخترق هذا الوادي الأطر الشعابية الثلاثية، إضافة إلى المدرجات الحصوية البلايستوسينية لينتهي في الشرم المذكور. ولا تزال الفجوات الساحلية المرفوعة الدالة على منسوب المدرج (٣م) على الطرف الشمالي للشرم، بينما لم تلاحظ أي أطر مرجانية نامية على الجوانب الداخلية له.

ويقع شرم أُبْحُرْ إلى الشمال مباشرة من مطار الملك عبد العزيز الدولي بمدينة جدة ويزيد طوله على ٩كم، فهو أطول الشروم على الساحل الشرقي للبحر الأحمر. أما عرضه فيتراوح بين أقل من نصف كيلو متر، عند فتحته على البحر الأحمر، إلى أكثر من كيلومتر ونصف في الداخل. ويتخذ الشرم شكلاً ملتوياً شبيهاً بالمنعطفات النهرية، تحيط به الجروف المقوضة بشدة من الجانبين. وفي بعض المواقع، حيث تختفي هذه الجروف، تتشكل سباخ تمتد بعمق إلى الشمال وإلى الجنوب من الشرم، وأيضاً نحو الشمال الشرقي حيث مصب نهر الكراع فيه. وهناك أطر مرجانية حديثة نامية قرب فتحة الشرم على البحر الأحمر.

وتكثر على ساحل الخليج العربي الأخوار وتسميها العامة خيران. ومنها الخور، أرض واقعة على الساحل من جنوبي رأس الزور بنحو ٣-٤ أكيال وتمتد جنوباً بضعة أكيال. وفي هذه البقعة خوران، أحدهما الشمالي ويدعى خور العما ولا تستطيع القوارب الدخول فيه،



والآخر الجنوبي ويسمى الخور المفتح، وهو مفتوح وتتردد عليه قوارب الصيد، وبين الخورين تل يبعد عن البحر نحو ٣كم يدعى بناية. وفي أرض الخور آبار تدعى جهنمية ماؤها ضارب إلى الملوحة، وبالقرب من تل بناية مملحة، ويدعى هذا التل بناية الخور لتمييزه عن بناية الزور وبناية الدشت في الاتجاه الشمالي.

ومثل الخور الدوحة، وهي رأس عريض من البحر داخل في البر. والدوحات في الخليج العربي كثيرة وفي أزمان الغوص للبحث عن اللؤلؤ كانت ترسو بها سفن الغوص وينزل أصحابها في شواطئها في فترات من الزمن، أما الآن فقد أصبحت لا جدوى لها. ومن تلك الدوحات:

دوحة بلبول: وتقع بين زور بلبول جنوباً وزور سليق شمالاً. ودوحة بلبول خليج ومكان لرسو السفن على بعد ٣٢كم إلى الشمال الغربي من خليج المسلمية في منطقة السودة. وكان يقام فيها ما يشبه السوق من إبريل إلى يونيو، وفيه يقايض البدو المحليون دهنهم بالأرز والتمور من القطيف، وليس هناك منازل، ويتم الحصول على الماء الرديء من الآبار التي لا يدوم ماؤها. وبلبول موصولة من الجنوب برأس آخر اسمه دوحة بليبل.

دوحة رحوم: خليج ضخم ضحل في ساحل الحسا ويقع في البياض بين القطيف وميناء العقير. وتمتد تلال رملية على طول الجانب الجنوبي تسمى تل الزينات، وغربي هذه التلال في جهة جنوب غرب ركن الخليج رمال مرتفعة تعرف باسم نقا المحارف.

دوحة سلوى: خليج كبير يكوّن الطرف الجنوبي لما يمكن أن يسمى بخليج البحرين. وعلى الشاطئ الشرقي للخليج نخل قليل للبدو، وآبار مياهها قليلة الأهمية، ولإحدى المزارع المهجورة الآن ينبوع صغير من الماء ينحدر إلى البحر ويقصده بنو هاجر. ويمر الطريق بين الهفوف والدوحة بالقرب من دوحة سلوى.

دوحة السيح: جنوب ميناء الخبر، وفي جانبها الشمالي الشرقي ميناء العزيزية وفي طرفها الشمالي قرية السيح (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٧١١-٧١٤).

الرؤوس. الرأس: طرف من البر داخل في البحر، ويسميه سكان شرق الجزيرة بالحد مثل حد المشعاب (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٤٨٠). وعلى الساحل الشرقي للمملكة رؤوس كثيرة، منها:

رأس تنورة: رأس ممتد من البر نحو الجنوب في خليج تاروت داخل في البحر، وكان مرسى للسفن الشراعية شمال القطيف، وكانت له شهرة أزمان الغوص. ثم بعد اكتشاف النفط في الظهران وما حوله أصبح الميناء الأول لنقل النفط إلى الخارج، وأنشئت هناك مدينة رحيمة وفيها معامل للنفط.

رأس الخفجي: شمال رأس المشعاب، وجنوب رأس الزور بقرب ميناء سعود قريباً من الحدود الكويتية. وقد اتخذته شركة الزيت العربية اليابانية مقراً لها. وبعد اكتشاف النفط نشأت بقربه بلدة كبيرة.

وعرف رأس السفانية أيام ازدهار الغوص، وكان ميناؤه من أشهر الموانىء في ذلك العهد، وكان يعرف أيضاً باسم رأس النعامة. وهناك عدد من الآبار قريبة من هذا الرأس على الجانب الشمالي. وقد أصبحت السفانية بلدة بعد العثور على النفط بقربها (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٧٣١-٧٣٦).

وقد يطلق الخشم في شرق الجزيرة على الطرف الممتد من البر في البحر، أي الرأس، مثل خشم الأقطة، وخشم الزينة، وخشم أم حويض، وكلها في ساحل دوحة سلوى (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦١١).

أما الحالة فتطلق في شرق الجزيرة على الأرض الواقعة قرب المرسى والتي قد يغمرها البحر أثناء المد، ولكن السفن ترسو بجوانبها، مثل حالة رأس الخط جنوب رأس السفانية، وحالة المشعاب وهي جزئياً رملية مستطيلة الشكل في طرف رأس المشعاب. (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٤٦٩). وقد يسمى الرأس أحياناً الزور مثل: زور بلبول وزور سليق وزور لوزان.

العدان. تطلق الكلمة على ساحل البحر والنهر، وهذا هو الأصل اللغوي للكلمة، ثم أصبحت علماً لأرض واسعة تسمى بر العدان.

يطلق البحارة أحياناً العدان على كل المنطقة الساحلية الواقعة بين الكويت والقطيف في شرق شبه الجزيرة العربية، ولا يعني لفظ عدان بالنسبة للبدو وسكان الكويت كذلك، سوى المنطقة الصغيرة القريبة من الكويت.

ويتكون الشاطىء بين الكويت والقطيف من صحراء حجرية رملية منخفضة، بها بعض بساتين النخيل التي يملكها البدو في أماكن متفرقة، وبها بعض التلال المتباعدة. وصخور ممتدة على طول المنطقة المواجهة للبحر، تفصلها بعض المسالك عن اليابسة في

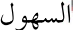


بعض الأماكن. ويتكون قاع البحر في أماكن كثيرة من الطين الأبيض. ولذا فإن مياه هذا الجزء أقل صفاء من المياه التي تليها جنوباً، ويقل عدد مغاصات اللؤلؤ على هذا الساحل (الجاسر ١٤٠١، ج٣: ١١٣٩-١١٤٠).

ويطلق الخط على كل سيف عند بعض علماء اللغة، ثم كثر إطلاقه على سيف البحرين لشهرته عند العرب. أما مدينة الخط فيقصد بها في أخبار السابقين وأشعارهم القطيف (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦١٢-٦١٤).

المدرجات البحرية والنهرية. هي مُسَطَّحات مرفوعة متدرجة بعضها فوق البعض، وقد تكون مدرجاتها قريبة من بعضها أو بعيدة حسب تضاريس المنطقة الموجودة فيها. والمدرجات البحرية عادة قريبة من السواحل موازية لها، وهو أمر ناجم عن أن هذه المدرجات تمثل مستويات سابقة للبحر، وخطوطاً للسواحل السابقة على الساحل الحالي.

أما المدرجات النهرية فهي على جوانب مجاري الأودية الحالية، على كلا الجانبين أو على أحدهما. وتتميز المدرجات النهرية بتقارب بعضها من بعض غالباً، وتعلو بعضها بعضاً في مسافة قصيرة نظراً لأنها قد تشكلت ضمن الرواسب التي رسّبها الوادي أصلاً في فترات سابقة. ومن ثم فالمدرجات النهرية هي قيعان قديمة للأنهار أو للأودية، برزت على جانبي الوادي نتيجة لتعمقه في مجراه، ولنحته قاعه وتتكون من الحصى والطين والرمال. وبمتابعة ظهور المدرجات البحرية والنهرية على ساحل تهامة من الشمال صوب الجنوب، يُشاهد ظهور مصاطب بحرية متقطعة في ساحل خليج العقبة تبدو غالباً تلالا مسطحة القمة، تتكون من بقايا شعاب مرجانية مرفوعة. وقد تعرضت هذه المصاطب لعمليات التعرية بكثافة. وتتركز هذه المصاطب إلى الشمال والجنوب من مصب وادي الحَمْضَة على صخور رملية. وهناك مصطبة نهرية قديمة إلى الشرق، مباشرة من مَقْنَا مكونة من الحصى والجلاميد تتوزع في موقعين: يصل ارتفاع المصطبة في الأول إلى ٢٠م وفي الثاني إلى ٣٠م فوق قاع الوادي، وهو محدد بصدع من الجهة الجنوبية ومع ذلك فإن الصلة بين الموقعين واضحة من خلال بقايا حصوية وجلمودية ممتدة بينهما. وبالقرب من مقنا تمتد مصطبة حصوية قديمة على مساحة كبيرة بارتفاع ٨م.



أحد الشّعاب المرجانية على ساحل البحر الأحمر

وإلى الشمال من شرم المَجْوَة مدرجات بحرية تشكلت في كتلة من الشعاب المرجانية القديمة، ومن الصعب فصل الشعاب الحديثة عنها. ويظهر إلى الجنوب من محطة رأس الشيخ حميد عدد من المدرجات البحرية تتباين مستوياتها. أما بالنسبة للساحل بين رأس الشيخ حميد والمويلح، فإنه يمثل النهاية الشمالية الشرقية للبحر الأحمر ويتخذ شكل خليج واسع، ويقع خليج الشَّرْمَة الصغير في وسطه. ويمتد القسم الأول منه بين رأس الشيخ حميد وخليج الشرمة، بينما يمتد القسم الثاني بين الخليج الأخير وقرية المُوِيلِحْ. ويتميز القسم الأول بالانتشار الواسع للرواسب الثلاثية-الرباعية، والرواسب الرباعية التي شكّلها وادي عِفَال. وهي تحيط به في مثلث متساوي الأضلاع، يزيد طول ضلعه على ٣٥كم تشكل قاعدته خط الساحل. وقد أطلق على الرواسب الثلاثية-الرباعية هنا اسم تكوين لسان.

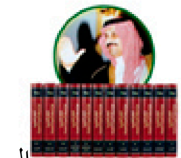
أما القسم الثاني لهذا الساحل، بين خليج الشرمة وقرية المويلح فيضيق فيه اتساع السهل الساحلي ويتراوح بين ٥-١٠كم، وفيه الرواسب الثلاثية والرباعية



من غطاءات الحصى والمدرجات ورواسب المراوح الغرينية. وتتكون الرواسب البلايستوسينية من حجر جيري مرجاني على شكل عتبات نحت مرفوعة لعدة أمتار فوق مستوى سطح البحر. وهي تلك المصطبات التي تمتد أمام خط الساحل وخاصة في الرؤوس، وقد نجمت عن نحت الأمواج. وتغطيها غالباً مياه ضحلة، ويختلف اتساعها بين ساحل وآخر. كما تشكل هذه الصخور العديد من الجزر المنتشرة أمام خط الساحل، كما في جزر أم قُصُور وبَرْقان وسلْ، ولا يزيد ارتفاع أعلاها على ١٠م. ومما تجدر الإشارة إليه أن ظهور المدرجات البحرية وغطاءات الحصى تزيد باطراد مع الاتجاه جنوباً من مدينة ضبا. ويشير القطاع العرضي لهذه المدرجات (٤كم جنوب ضبا) إلى وجود خمسة مستويات، أحدها تحت مستوى سطح البحر وأعلاها يرتفع إلى مستوى ٥٥م فوق سطح البحر، وتشير الخصائص التشكلية للمنطقة الساحلية في مدينة الوجه إلى أن هذه المدينة قد بنيت على مدرجات بحرية. كما توجد هذه المدرجات غرب المطار إلى الجنوب من الشرم. وتتعاقب هذه المدرجات حسب القطاع العرضي لها في ستة مستويات، أدناها تحت مستوى سطح البحر وأعلاها عند منسوب ٣٥م فوق سطح البحر. وقد تشكلت جميع المدرجات، باستثناء المدرج العلوي، من الشعاب المرجانية البلايستوسينية. أما المدرج ٣٥م فقد تشكل في شعاب مرجانية بلايوسينية-بلايستوسينية.

والشعاب المرجانية صخور كلسية أفرزها حيوان المرجان الذي يعيش عادة في مياه ضحلة مالحة. ومنها الشعاب العميقة التي تبرز إلى السطح من أعماق بعيدة في البحر وتمثل غالباً مراحل متعددة للنمو المرجاني.

تستمر المدرجات البحرية في الظهور إلى الجنوب من أم لج، وتتشكل جميعها في هذه المنطقة من صخور الحجر الجيري المرجاني البلايستوسيني. وتظهر هذه المدرجات في موقعين أحدهما على الساحل الشرقي لجزيرة الحَسَّاني إلى الغرب من أم لج بحوالي ١٨كم في سبعة مستويات أدناها تحت سطح البحر وأعلاها عند منسوب ٥٥م فوق سطح البحر. أما الموقع الثاني فهو السفح الغربي لجبل جَرَّة الساحلي إلى الجنوب من أم لج بحوالي ٣٠كم، حيث تظهر المدرجات البحرية على



ثمانية مستويات، أدناها تحت مستوى سطح البحر وأعلاها عند منسوب ٥٠م. وتتوزع حول مدينة ينبع مجموعة من مدرجات الحصى الثلاثي– الرباعي، ومدرجات الحجر الجيري المرجاني البلايستوسيني. وتتلاشى أشكال المدرجات البحرية إلى الجنوب من ينبع، وتصبح بقعاً متناثرة لا تشكل مدرجات نموذجية كما هو الحال في الأقسام الأخرى. وعلى الرغم من اتساع السهل الساحلي في معظم هذا القسم من الساحل فإن المدرجات البحرية الشعابية لا توجد إلا في أشرطة ضيقة.

أما المدرجات النهرية فهي تتوزع في عدد من أودية هذا القسم من ساحل البحر الأحمر في مدرجات منفردة، ونادراً ما تكون متتابعة. إلا أنها تزداد وضوحاً في بعض الأودية الجنوبية، خاصة في كل من وادي ضمد ووادي جازان، في ثلاثة مدرجات نهرية تشكل ثلاثة مستويات رئيسية، إضافة إلى مدرج علوي يمثل مستوى السطح العام للمنطقة المحيطة بهما.

المصاطب البحرية والشواطئ المرتفعة. تكثر على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي. وفي شواطىء المملكة الحصى والرمل الساحلي على مصاطب بحرية وشواطىء مرتفعة من شمال الجُبَيْل (٥١َ ٢٧ْ شمالاً، ٤٠َ ٤٩ْ شرقاً) إلى نهاية الطرف الجنوبي لدوحة سَلْوَى. والشكل الشائع للبلايستوسين البحري هو الرمل ومصاطب التجمع الصدفي الأحفوري coquina التي ترتفع متراً أو مترين فوق متوسط المد العالي. وهذه المصاطب منخفضة غير متواصلة على امتداد الخط الساحلي حتى مسافة قصيرة إلى الداخل. وعلى امتداد دَوْحة سَلْوَى حفريات بحرية محفوظة جيداً، معظمها لأنواع معاصرة. وهي موجودة في حجر رملي ناعم وحصوي، وفي تجمع صدفي أحفوري. ويبلغ أقصى سمك لهذه الوحدة المحتوية على حفريات ثلاثة أمتار تقريباً. وفي سبخة سَوْدَا نَثِيْل أيضاً حفريات بحرية تحت متوسط المد العالي بثلاثة أمتار.

وإلى الغرب من خليج سَلْوَى ترتفع بعض الجروف إلى حوالي ١٣٠م، ومنها: جبال العُقَيْر، وخشم أم حُوَيِّض، وخشم الزَّيْنَة، وجبال بُعَيْج. وليس هناك ما يماثل هذه الجروف في شمال السهل الساحلي للخليج. وقد نحتت هذه المرتفعات

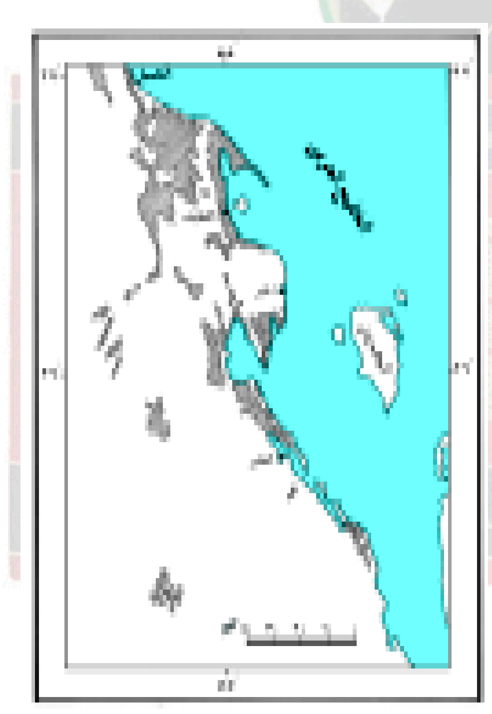


وقطعت بالتعرية البحرية أثناء تقدم البحر. وقد درست بعض المصاطب في خشم أم حُوَيِّض الذي يبعد ٨٠كم شمال سَلْوَى والمنطقة المحاذية لسَلْوَى من الغرب. وعلى الرغم من بعد المسافة بينهما وجد بينهما تطابق في قطاعات المصاطب المختلفة.

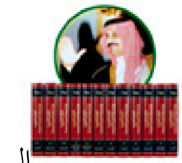
السِّبَاخ

يطلق لفظ السبخة على المنخفضات المسطحة، التي تكون في العادة قريبة من مستوى الماء الباطني، مغطاة بقشرة ملحية تتوقف سماكتها على موقع السبخة ومعدل التبخر. وكلام العرب عن السباخ قليل بالنسبة للمساحات الواسعة التي تغطيها بالقرب من الشواطئ العربية والمنخفضات الكبرى، كالأزرق وقراقر، والمنخفض الذي تقع فيه مدينة خيبر حيث تنتشر المستنقعات الملحية. ويُعَرِّف العرب السَّبَخة كما ورد في لسان العرب لابن منظور أنها الأرض ذات المِلح والنَّز، والنَّزُّ هو ما تحلَّبَ من الأرض من الماء، وقد نَزَّت الأرض إذا صارت ذات نَز. والسَّبَخة الأرض المالحة، والسَّبَخ المكان يَسْبَخ فَيُنْبِت المِلْح وتَسُوخ فيه الأقدام، وقد سَبِخ سَبَخاً، وأرض سَبِخة: ذات سِبَاخ وهو جمع سَبَخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. والسبخة النَّشَّاشة التي لا يَجِف ثراها ولا يُنْبِت مرعاها، ومن حديث الأحنف: نزلنا سَبخة نَشَّاشَة، يعني البصرة أي نَزَّازة بالماء، لأن السَّبَخة يَنِز ماؤها فينشُّ ويعود ملحا.

وتتوزع السِّبَاخ على طول سواحل شبه الجزيرة العربية، وبصفة خاصة في شرقي الجزيرة بالقرب من السواحل الغربية والجنوبية للخليج العربي. وتشاهد هذه الظاهرة على طول الطريق



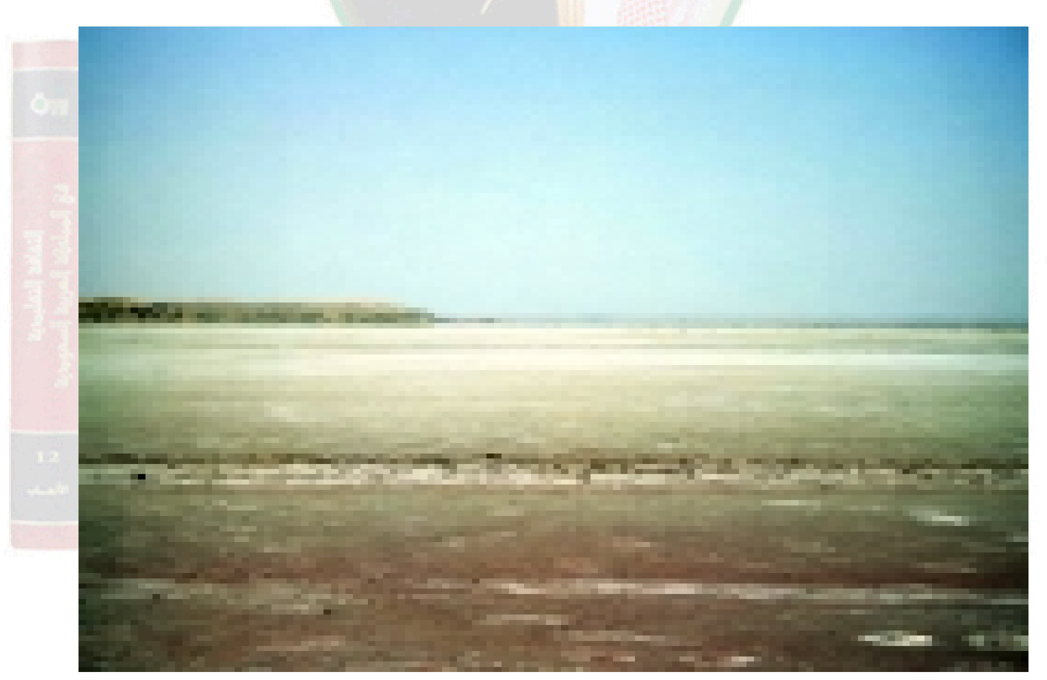
توزيع السّباخ في المنطقة الشرقية




الساحلي بين القطيف والجبيل، ولا يقطع مجال النظر في الامتداد المسطح لهذه الظاهرة سوى بعض التلال الرملية التي تحدها من جهة الغرب، مشيرة إلى أن هذه السباخ ليست سوى خلجان ضحلة كانت تغمر هذه الأرض خلال عصر الهولوسين القصير الأوسط، وربما تنغمر، في الوقت الحاضر، الأجزاء القريبة من البحر من تلك السباخ خلال فترات المد الربيعي. وقد أشار ياقوت إلى إحدى هذه السباخ لَعْبَاء فذكر أنها اسم لسبخة معروفة بناحية البحرين بحذاء القطيف على سيف البحر، وفيها حجارة مُلْس، سميت بذلك لأنها لعب فيها كل واد أي سال.

كما تنتشر هذه السباخ في أجزاء متفرقة من سهل تهامة، ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح على طول الطريق بين ينبع وجدة، خاصة بالقرب من بلدة رابغ حيث تصبح أكثر انتشاراً ابتداء من جنوب مدينة ينبع شمالاً حتى مدينة الليث جنوباً.

أما السباخ الداخلية فلم يشر إليها العرب، وهي تتوزع في مناطق الدرع العربي والربع الخالي حيث تتكون،



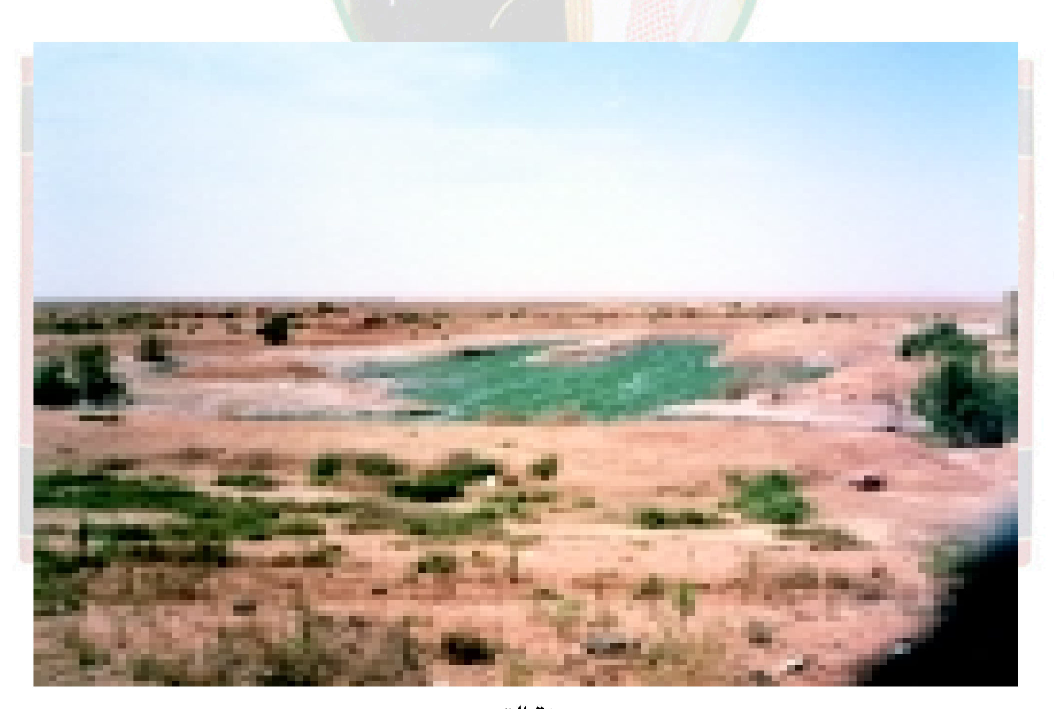
سبخة غُويمض بوادي الرّمة



حسبما تسمح الظروف الطبيعية بذلك، في المنخفضات والقيعان. وأوضح مثال لها في قاع بقعا، وبالقرب من الأزرق، وفي بطون الأودية الكبيرة، كوادي الرمة ووادي الدواسر (عقيق بني عقيل). ومن أشهر السباخ في نجد سبخة القصب، وهي سبخة منخفضة تتجمع بها سيول المنطقة، وتنتج معدن الملح الذي يغذي منطقة نجد وغيرها بملح الطعام. ويقتسم رقعتها أهل القصب، فكل من يشتغل بتعدين الملح معروفة منطقته. ويقرب طولها من ١٢كم في عرض ٦كم. وصفة تعدينها أن يحفر كلٌ في رقعته الخاصة به حفرة لا يتجاوز عمقها أربعة أمتار، وإذا جم الماء بها تركها نحواً من عشرة أيام فحينئذ يكون ماؤها قد تجمد تلقائياً وأصبح ملحاً نظيفاً فيحوزه ويجم الماء بعد ذلك على نحو ما تقدم وهكذا (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٢٨٩). وإلى ذلك يشير الشاعر الشعبي حميدان الشويعر:

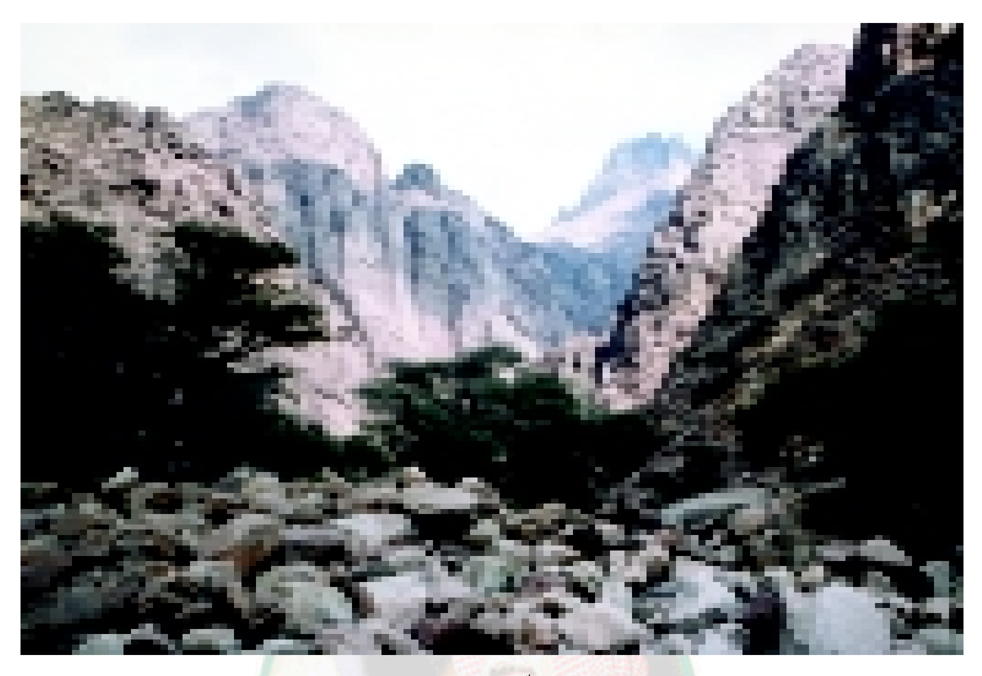
أنا من قوم تجرتهم
ارطى الضاحي ودوا الغيره

ودواء الغيره هو الملح الذي يوصف لمن به غيرة، أي تخمة.



سبخة القصب





سبخة الشّيبة بالربع الخالي

والسبخة إما أن تكون خالية من النبات تماما، كالسباخ الساحلية التي تغمر بعض أجزائها مياه المد، وهي التي سبق تسميتها بالنَّشاشة، وهي السبخة الحقيقية. أي التي لا تتغذى بالجداول أو المجاري المائية. وإما أن تنمو فيها بعض أنواع النباتات النامية في المياه المالحة، وهي تلك السباخ التي أشرنا إليها داخل الجزيرة وبالقرب من القيعان وبطون الأودية الكبرى، حيث تتعرض لغمر فصلي من مياه الأمطار، وتسمح درجة الملوحة فيها لبعض أنواع النباتات بالنمو، خاصة تلك التي يسميها العرب الحموض، كالهَرْم والسُّواد والضُّمران وغيرها.

سباخ البحر الأحمر. تتوزع السباخ على طول ساحل البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب، إلا أنها تتباين في انتشارها نتيجة لعدد من العوامل التي ساعدت أو قللت من هذا الانتشار. وبطبيعة الحال لا تسمح الخرائط الصغيرة المقياس بتوقيع السباخ المحدودة المساحة، ولذا فإن عدداً كبيراً من السباخ الصغيرة لا تظهر على هذه الخرائط. وتحتاج عمليات الحصر الفعلية إلى خرائط بمقياس كبير لا يقل عن ١ : ٥٠,٠٠٠، ومثل



هذه الخرائط غير موجودة أو على الأقل ليست بمتناول اليد. وباستخدام خرائط ١ : ٥٠٠,٠٠٠ فإن أقصى امتداد للسباخ شمالاً يظهر عند شرم ينبع عند دائرة العرض ١٥َ ٢٤ْ شمالا. وأقصى امتداد للسباخ جنوباً هو جنوب الليث عند دائرة العرض ٢٠ْ. ولا يزيد عدد السباخ فيها على ٣٠ سبخة. أما مع استخدام خرائط ١ : ٢٥٠,٠٠٠ فيظهر انتشار السباخ شمالاً حتى رأس الشيخ حميد عند دائرة العرض ٧َ ٢٨ْ شمالاً، وحتى جنوب جازان قرب الحدود السعودية اليمنية. ويصل عدد السباخ فيها إلى حوالي ١١٨ سبخة. ومن المرجح ازدياد أعداد السباخ إلى أكثر من ضعفي هذا الرقم بكثير باستخدام خرائط كبيرة المقياس سواء أكانت ١ : ٥٠,٠٠٠ أم ١ : ١٠٠,٠٠٠. وعلى سبيل المثال فإن الغالبية العظمى من سباخ الشروم لم تظهر على الخرائط باستثناء شروم ينبع ورَابِغْ وأَبْحُر حيث سمح امتدادها بظهورها. وبوجه عام فإن معظم السباخ التي يقل امتدادها عن ٥٠٠م لم تحتسب ضمن أعداد السباخ السالف ذكرها.

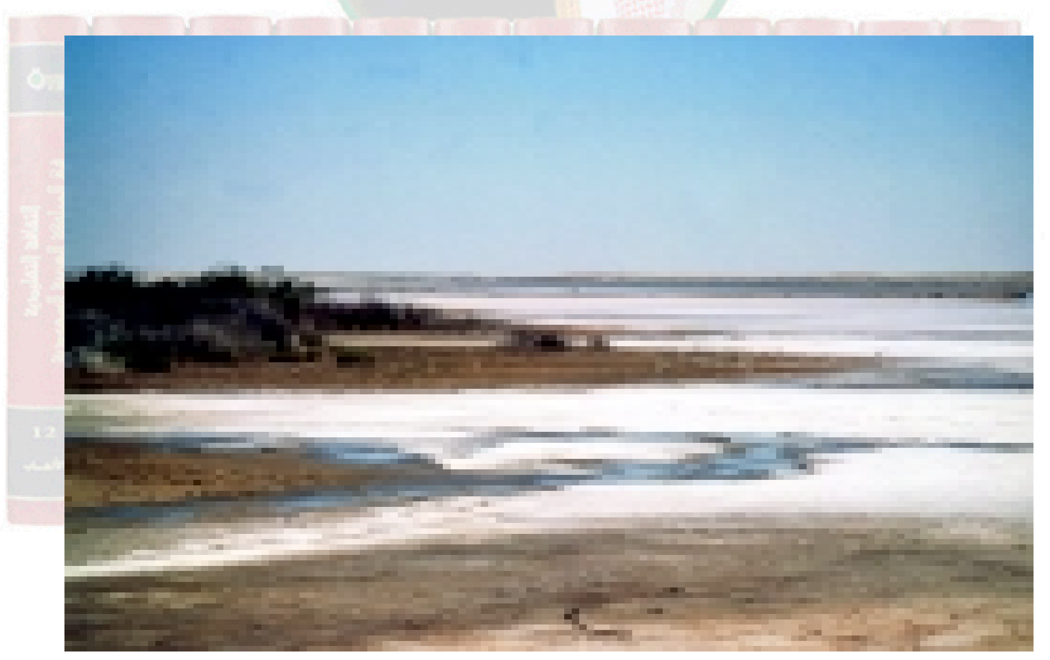
ويختلف توزع السباخ من الشمال إلى الجنوب. فمن رأس الشيخ حميد شمالاً وحتى ينبع جنوباً لا يزيد عدد السباخ على ٢٣ سبخة. بمساحة كلية مقدارها ٧٧,١ كم². بينما يزيد عددها بشكل واضح في المنطقة الممتدة من جنوب ينبع إلى جنوب الليث ليصل إلى ٥٥ سبخة، بمساحة كلية تصل إلى ٣٩٢,٧ كم². وتعود أعداد السباخ للتناقص مرة أخرى من جنوب الليث حتى الحدود اليمنية حيث تكاد تغيب من بعض المناطق وتزيد في أخرى. ولا يزيد المجموع الكلي لمساحة السباخ في هذا القسم من الساحل عن ٣٤٧,٨ كم².

ويعكس التوزع الحالي للسباخ على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر تشكل السهل الساحلي، حيث تقل أعداد السباخ ومساحتها في المناطق التي تقترب فيها الجبال من الساحل، كما هو الحال في ساحل حقل (خليج العقبة)، وساحل جبل البُوَانَهْ جنوب أم لج، وساحل وادي حَلِي، وجبل حَائل حيث تتلاطم أمواج البحر بالحرات والَبراكين. بينما تتزايد أعداد السِّباخ في السهل الساحلي الذي تكثر فيه الأطر والشعاب المرجانية، كما في البدع ومكة المكرمة ووادي حلي، وهي شعاب مرجانية نمت قرب الساحل على هيئة إطار. كما تتزايد أعداد السباخ ومساحاتها أيضاً في السهل الساحلي المنخفض الذي تعلوه مياه المد، وتكثر

فيه البحيرات الساحلية والرمال الشاطئية. كما فـي ساحل اللـيث ورَابِغْ والحَمْـرا ووادي بِيشْ.

سبـاخ الخليـج العربـي. على طـول السهل الـساحلي سباخ عديدة يـغطيها الطمي والغرين والرمل، ومن فوقها في كثير مـن الأحيان طبقة ملحـية. وتمثل السبخة سطح توازن يتحكم في منسوبها مستوى المـاء الباطني المحلي. وتـتكون السباخ الساحلية نتيجة لتسرب مياه البحر إلى المناطق الداخلية التي تصلها مياه المد البحري، وتنشـأ بفعل إرسابات بحرية تخـتلط مع بـعض الرواسـب الرملـية المجلوبة بواسطة الرياح.

وهناك نوعان من السباخ في السهل الساحلي للخليج العربي، هما: السباخ الرملية والسباخ الطينية. وتتشكل السباخ الرملية نـتيجة لامتلاء الخلجـان بالرمال الريحية، ثم إعادة تشكيل هذه الرواسب الرملية وغربلتها وإعادة توزيعها عن طريق الأمواج والـتيـارات البحـرية. ويمـكن مشاهدة هذه العملية جنوب مدينة الظَّهران في دَوْحـة ظَلُوم، خـاصة عنـد هبوب الرياح. ولمعظم السباخ على طول الساحل خطوط متقوسة شبه متوازية تظهر حدود نمو السباخ السالفة، مما يساعد في تحديد خط الساحل خلال تقدم البحر وانحساره. وتتميز السـباخ الرملية باستواء سطـحها

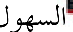


سبخة بجزيرة فرسان



الشديد حتى إن معدل انحدار سطحها تجاه البحر لا يتجاوز ٠,٥ م/كم. وخلال فترات الجفاف يتبخر الماء الشعري من الرمل، ويتجمع قرب السطح مكوناً ماءً شديد الملوحة، يتبخر مخلفاً ملحاً مترسباً قرب السطح. وبعد نزول المطر يبقى الماء فوق السطح لتشبع السبخة ولمستويات المد العالية، ولكن مستوى الماء الباطني ينخفض خلال أوقات الجفاف ما بين ٣٠ إلى ١٠٠سم تحت السطح. ويعمل الماء الملحي الذي يصعد شعرياً من خلال الفراغات بين حبات الرمل على تغليف حبيباتها بأغشية مائية ملحية مما يجعلها قابلة للانزلاق، وتتطور إلى سطح ضعيف التحمل يشبه ما يعرف بالوعث أو الرمال الرخوة التي يغوص فيها الحيوان والإنسان. وعند تبخر هذا الماء من سطح السبخة الرملية تتشكل بلورات من الملح تغلف سطح السبخة، وأحياناً يتشكل سطح ملحي شديد الصلابة. وإن حدث وغطت الرمال هذا السطح الملحي فإنه سيبقى محفوظاً ما لم يرتفع مستوى الماء الباطني ويساعد على تحلله.

أما السباخ الطينية فتتكون عن طريق تشكل طين جيري من إفرازات كائنات طحلبية ونحوها في المياه الضحلة بالخلجان. ويمكن مشاهدة هذه العملية في خليج تَارُوت، وفي السباخ الساحلية قرب الخَرَسَانِيَّة أمام جزيرة أبو عَلِي. والوحل الموجود في هذه السباخ رطب لزج المزاج، دقيق القوام، ليست له قوة تَحَمُّلٍ تذكر ولذا ينساب تحت الضغط. ويصطاد هذا الوحل الرمل الذي تحمله الرياح فيتكون عليه غطاء من الرمل نادراً ما يتجاوز سمكه متراً واحداً، وقد يتحمل هذا الغطاء الرملي عندما يكون جافاً فوق الوحل سير بعض المركبات الخفيفة. أما عندما يبتل فإنه يصبح مصيدة للمركبات التي تسير فوقه، خاصة الثقيلة منها التي قد لا يرى من إطاراتها شيء بعد غوصها بالسبخة. أما إذا كان سطح السبخة الطينية غير مغطى بالرمال، فإنه يجف خلال فصل الصيف وتتماسك مواده، ويتصلب تحت ضغط السيارات التي ترتاده ويصبح كالزفت. وتنتشر السباخ الطينية بين خليج تَارُوت ورأس مِشْعَاب، وعلى طول ساحل الإمارات العربية المتحدة. وتعد سبخة مَطِّي التي يقع جزء كبير منها في المملكة، سبخة مركبة إذ إنها رملية طينية. وفي المناطق المذكورة هناك سباخ قد يبدو من الوهلة الأولى أنها طينية، ولكن عند الفحص الدقيق يتضح أنها تعلو قشرة صلبة من الملح أو الجبس، ويندر أن تُكوِّن قشرة طينية صلبة.

وتخلو السباخ من الغطاء النباتي، عدا ما يتحمل الملوحة، نظراً لما تحتويه من نسبة ملح عالية. ومن أهم السباخ على طول ساحل الخليج العربي مجموعة سباخ المَقْطَع، التي تقع أمام مدينة الخَفْجِي وتمتد إلى الشمال والجنوب من عند رأس القُلَيْعَة داخل الحدود الكويتية حتى السَّفَّانِيَّة. وهي تتخذ أسماء محلية من الشمال إلى الجنوب، فيُطلق على بعضها طفاف، مثل: طَفَّة المُرَيْر، وطَفَّة العِظَامِي وطَفَّة فُضَيْح، ثم السباخ الواقعة أمام رأس تَنَاقِيب، ومعظمها سباخ داخلية مختلطة بالرمال. وما بين زَوْر سُلَيْق ومدينة الجُبَيْل تمتد سباخ ساحلية، منها: سبخة أم الظِبَاء وسبخة عَيَّة وسبخة المُرَيْر. وتمتد سبخة الفَصْل الكبيرة من شمال الجُبَيْل جنوباً لمسافة كبيرة حوالي ٣٠كم، وهي سبخة مركبة إذ إنها تقترب من الساحل وتمتد نحو الداخل لمسافة كبيرة.

وإلى الجنوب من الجُبَيْل تقع سبخة الصُّمّ وسبخة الرَّيَّاس وهما في الحقيقة سبخة واحدة تمتدان نحو الداخل وتتصلان بسبخة الضَّبِّيَّة الداخلية المواجهة للقَطِيْف. وإلى الغرب من دَوْحة السَّيّح جنوب العَزيزية سباخ السَّيّح الساحلية الكبيرة. وفي الحقيقة فإن هناك امتداداً مستمراً للسباخ الداخلية، من سبخة الضَّبِّيَّة نحو الجنوب ولو بشكل متقطع حتى جنوب شرق مدينة الهُفُوف، ومنها: سباخ القُوَيْرَات وأم الشُّرَيْبَات والصَّرَى ورَفَادان وصَرَاة الجُبَيْل وكلها جنوب شرق مدينة بُقَيْق، وسبخة أم حِيْشَة وسبخة مُرَيْقِب في شرق الأحساء. وعلى طول الساحل من رأس قُرَيَّة جنوباً سبخة الدَّنَّان التي تمتد حتى العُقَيْر، وسبخة السَّكَك وسبخة المَشَاخِيْل جنوب شرق سَلْوَى.



الرمـــال

مصطلحات الرمال

هناك كـلمات درجت عـلى ألسنة الناس لوصف المظاهر الرملية، وقد يكون لبعضها أصل ممتـد في التراث العربي، ومنها:

البرقة: وهـي وصف للأرض التي يغلب على لونها البياض ويخالط رملها خشونة ومثلها الأبرق، وجمعها براق.

والمواضع التي بهذه الصفة كثـيرة وكثيراً ما تضاف إلى مواضع مشهورة مثل: براق سلمى الواردة في قول المفضل النكري:

صبـحنـا عـامـراً ببـراق سـلـمى
طـعـانـا مــثــل أفــواه المـزاد

وبراق غضور مـوضع كان فيه يوم من أيام العرب ولا يزال معروفاً (الجاسر ١٣٩٩، ج١:١٧٧).



جرعاء – نفود المظهور




الجَرْعَاء (جمعها جرعاوات): الرمل الملامس للأرض المنبت للعشب والعاذر والعرفج والحمض وغيره.

الجلد: ومؤنثها الجلدة وهي الأرض الواسعة السهلة المسالك وأرضها صلبة، وهناك موضع بالربع الخالي في نصفه الغربي يسمى الجلدة لا رمال فيه إلا عرق رملي واحد يقسمها إلى نصفين جنوبي وشمالي يسمى قاسم.

الحاسد: فيما تعارف عليه سكان المناطق الرملية جمعه حواسيد وهناك من يسميها مطبات السِّكِن «أي الجن» وهو عبارة عن تجمع رملي بارتفاع يصل ارتفاع بعضها إلى نصف متر. وقد تمتد إلى خمسين متراً، تتكون على ظهور العروق وكأنها جسم مصغر للعروق، ولا تكون إلا في الجهة التي تهب منها الرياح في الصياهد ذات الرمال الخشنة، وعادة ما تكون متعددة مما يؤدي إلى تضرر السيارات التي قد تتعرض لها بصورة فجائية.

الحاوي: فيما تعارف عليه سكان المناطق الرملية منخفض في وسط العرق يحيط به رأس العرق كقوس هلالي الشكل وهو أوسع من الحقنة (الهوته).

الحُبُك: الحَبْك الشد، وقد حبَّكْتُ العقدة أي وثقتها. وحُبُك جمع حِبَاك، وحُبُك الرمل: حروفه وأسناده، واحدها حِبَاك. والحروف هي كثبان الرمل الكبيرة، والأسناد منحدرات الكثبان. وفي شمال الرُّبْع الخَالِي منطقة تسمَّى الحِبَاكَة.

الحِقْف (الأَحقاف، الحُقوف): الحقف هو ما اعوج من الرمل واستطال. ويبدو أن المقصود بهذه التسمية تلك العروق الرملية الحلزونية الشكل، الناتجة عن استطالة أحد أطراف كثيب هلالي نتيجة لاختلاف في اتجاه هبوب الرياح والتحامه بطرف كثيب هلالي متقدم وهكذا، مما يؤدي إلى ظهور مجموعات من الكثبان الحلزونية قد تمتد عدة كيلو مترات. ويسود هذا النوع من الكثبان جنوب الربع الخالي بصفة خاصة. وتعتبر الرياح الشمالية والشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية هي المسؤولة عن تكوين هذه الأشكال. وتسمى تلك المنطقة الأحقاف. وقيل الحِقْف من الرمل المعوَّج. والأَحْقَاف رمال بظاهر بلاد اليمن. والحقف عند بعض ساكني المناطق الجبلية هو أعلى جزء من الجبل أو الهضبة إذا كان له ظله.

الحقنة والهوتة والقرويطة: مصطلح محلي يطلق على الحفرة العميقة الضيقة يحيط بها الهيال على شكل هلال من





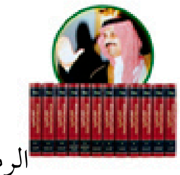
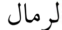
حقنة (الهوتة – القرويطة)

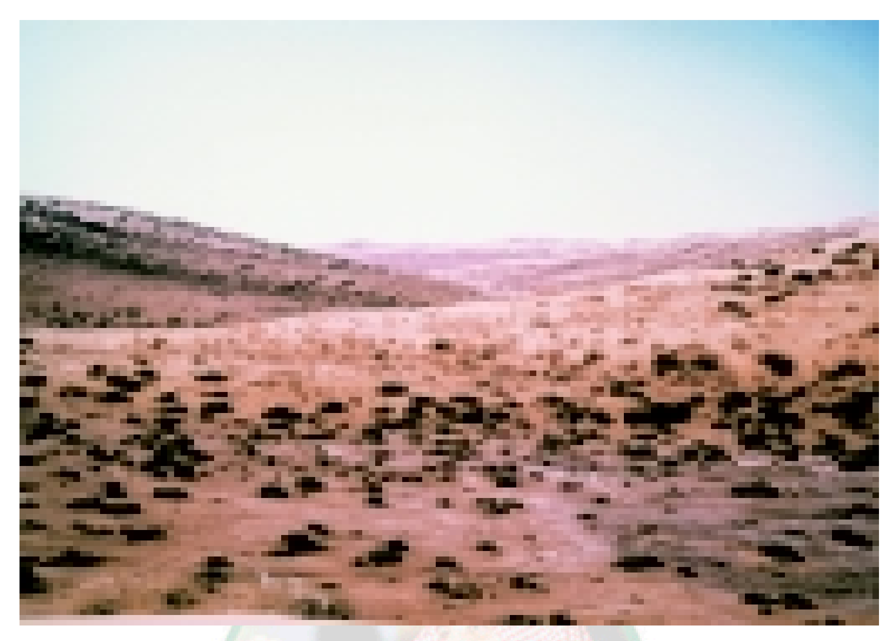
جهة ومن الجهات الأخرى رمل مرتفع وهذا في الدهناء والربع الخالي، وإذا كان الهيال في أرض مستوية صلبة ولا شيء يغلق فتحة الهلال فيسمى محوى.

الحورني: عند العامة هي كثبان رملية صغيرة، متداخلة مثل الحوايا إلا أنها أصغر منها وهي امتدادات رملية صغيرة تتكون بفعل الهواء على الصياهد في المناطق الرملية وهناك من يسميها الرباضة وعادة ما تكون في نهاية الأودية التي تنتهي في مناطق رملية مثل وادي رنية ووادي نجران–وهناك من يسميها المريرا.

الخب: وهو أرض منخفضة بين كثيبين أو أكثر من الرمال، تحجز الخب بينها، وأرضه قليلة الرمال. وقد تبدو أرض الخب الصلبة ظاهرة للعيان، أو قد تكون مكسوة بالحصباء، وتستغل هذه الخبوب–عادةً–في الزراعة لقرب الماء من السطح، لأن الرمال المحيطة بالخب تمتص كل قطرة مطر تنزل عليها وترشحها إلى طبقة المياه الجوفية السطحية، ويستفيد منها المزارع. ومن أمثلة هذه الخبوب خبوب بريدة (الوليعي ١٤١٠: ٤٦-٤٧).

الخل أو الدرب: الخل هو الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة، وسمي خلا لأنه يتخلل أي ينفذ. وقيل الخلُّ الطريق بين الرملتين، وقيل هو الطريق في الرمل أياً كان، والجمع: أخل وخلال. وفي بعض المناطق إذا كان الطريق الذي



خل الدويحرة بالشماسية

يقطع العرق متطاولاً مع امتداده فهو الفلخ أو الساروق وهو أضيق من الفلخ، أما الفزر فهو الطريق الذي يفصل العرق مع منتصفه ويقطعه عرضاً لا اعوجاج فيه.

الدبة: قوز ظهره خشن نوعاً، ينبت المرعى، أي ليس رملاً سائباً.

الدَّعَث: هو منطقة من الأرض ذات رمل قليل وهي تشبه أرض العثامير لكن الشجيرات فيها قليلة غير متشابكة، كما تميل الأرض فيها إلى الانبساط وتخلو من النتوءات التي تميز أرض العثامير، فهي وسط بين الأرض العثمورية والصَّيْهَد. وقيل إن الدَّعَث هو تدقيقك التراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد، أو غير ذلك تدعثه دعثاً. وكل شيء وطيء عليه فقد اندعث.

الدماث: مفردها دمث وهي الأرض التي اختلط ترابها بالرمل فأصبحت لينة سهلة.

الدِّهاس: ما كان من الرمل لا ينبت شيئاً وتغيب فيه القوائم. وقال الأصمعي: الدهاس كل ليِّن لا يبلغ أن يكون رملاً وليس بتراب ولا طين.

الدو: الأرض الواسعة المستوية، وقد تطلق عليها البادية التختخ. قال شيبان بن قويد:



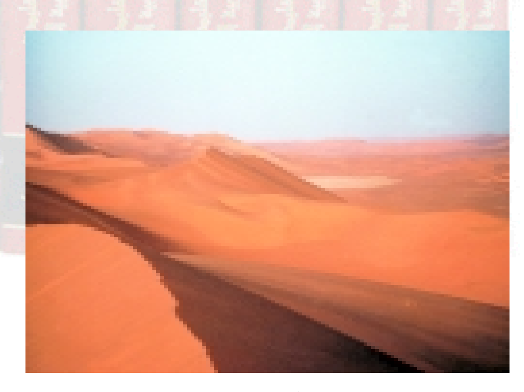


أحد الخلول في نفود الثويرات

يازين داهومهن عافيهن الذاري
في تختخٍ خالي جر العوى ذيبه

كما يطلق عليه الريداء. وفي ذلك يقول عبدالله بن سبيل:

وراحوا مع الرّيدا وساع الأطاريف
يذكر لهمْ مَنْدىً شبيعٍ يبونه



صورة جوية لعروق بني معارض

الذالق: هو قمة التل الرملي، وهو يشبه اللسان أو السيف الذي يمثل ذروة الكثيب الرملي أو الطعس بين اللهد والظهر، ويكون الذالق عادة ذا شكل حاد؛ ولذلك يشبه أحياناً بالسيف لدقته نتيجة لاستمرار تشكيله بالرياح فيسمى سيف العرق، وهو من المناظر الخلابة في المناطق الرملية (الوليعي ١٤١٠: ٤٧-٤٨).

الشقيقة: وهي كل منخفض بين حبلين من حبال الرمل، تنقاد على طولهما ما انقادا وهي خالية من الرمل، وربما استنقع فيها الماء وتدعى النواصف. ومصطلح الشقائق ما يزال يستخدم في الربع الخالي واستبدل في الدهناء بلفظ







النواصف والشقائق (الخبة)

الخَبّة والجنـدلية، وفي المنطـقة الجنوبية شُقّه، وفـي حائل الفـلق وفي المنطـقة الجنوبية يفرقون بين الشقة والخبة بقولهم إن الخبة هـي التي تلتـقي فيها قـاعدتا العرقين الرمليين فـهي أضيق من الشقة



الناصف والشقائق (الخبة)

بكثير. وأرضها جميعها رملية وقد تسمى أيضاً خابية ومنـدسة، وإذا قعرت الخبة أو الخابيـة وأصبحت مستـديرة الشكل والرمال تحيط بها من كل جانب فتسمى مداره.

الصباب: ويقصد به سفح الكثـيب الذي تصـب عليه الـرمال المنقولـة من الكساح، وهي عادة في ظل الرياح.

الصيهد: الأرض شبـه المستوية بها الرمال الخشنة المتموجة الثابتة، والصيهد القاع المطمئن يصهد فيه الحر، أو الأرض الرملية التي تنخفض عن جبال الرمل. ويلاحـظ خلو الصـيهد مـن الأشجار ولكنها تتحول في أيام الربيع إلى بساط





صيهد بعروق السياريات

أخضر من النباتات الحولية ولذلك يقصدها الرعاة.

الضاحي: هو حبل الرمل يكون قريباً من بلدة فهو لها ضاحية ومن الرمال القريبة من البلدان التي يطلق عليها الضاحي:

ضاحي القصب وهو جانب من رمل عريق البلدان وعناه حميدان الشويعر بقوله:

انا من قوم تجرتهم

ارطى الضاحي ودوى الغيره

وضاحي الزلفي ويصغر فيقال له الضويحي وهو شرق الزلفي ينطلق من رمل الثويرات متجهاً جنوباً نحو جبل مجزل.

وضاحي الدلم وهو رمل منقاد من الشمال إلى الجنوب من بلدة نعجان إلى خفس دغره.

الطعس: عند المعاصرين هو الكثيب المجتمع من الرمل وأصله كلمة دعص العربية التي تحمل نفس المعنى قال سليمان الطويل:

والردف طعسٍ نابيٍ ما وطي به

غب المطر شمس العصير اشرقت به

ومثله الطعموس كلاهما شكل من أشكال الكثبان الرملية، في كل منهما الظَهَر واللَّهَد. فظَهَر الطعموس هو جزء الكثبان المعرض للرياح، بينما يقع اللَّهد ذو الانحدار الشديد في الجانب الآخر



الطِّعس

المحمي من الرياح، ودائماً ما يذري الذَّالِق الرياح المتحركة لمنطقة اللهد. والدِّعْص قور من الرمل مجتمع، والجمع أدعاص ودِعَصَة، وهو أقل من الحقف.

الطُّغَيْبِيْسَات: واحدها طغيبيس وهي كتل الرمل المتقاربة تبعد عن جمهور الرمل.



الظهر

الظهر: هو جانب الطعس المواجه للرياح، ويكون انحداره تدريجياً ولهذا يسهل اجتيازه على الإنسان والحيوان وفيه عادة غطاء نباتي يساعد على وجود مراعٍ ممتازة في أيام الربيع.

العثمور: تتكون العثامير عادة في مناطق الصفراوات حيث يقل الرمل وتنبت بعض الشجيرات المتشابكة أو الحجارة، وعند هبوب الرياح تحمل ذرات الرمال التي يتم إرسابها بعد اصطدامها بأي عائق أمامها في الجهة المعاكسة لاتجاه الرياح لأنها تعتبر منطقة ركود. وفي بعض الأحيان تتطور هذه العثامير إذا توافر الرمل بكثرة إلى ما





مجموعة من العثامير وقد تحولت إلى كثبان هلالية صغيرة –سدير

يدعى بالكثبان الهلالـية. والعثامير في القصيم عـادة شرقي وجنوبي الشجرة لأنها عـكس اتجاه الرياح الـسائدة في القصيم وهو الشمال والغرب. وتتصف منطقة العـثامير عادة بوعورتها واتخاذ الزواحف لها بيئة لسـكانها، كالثعابين وغيرها (الوليعي ١٤١٠ :٤٨).

العُجْمَة (جمعها العَجَمات): العجمة من الرمل المتراكم المشرف على ما حوله، وقيل هو كثرته وما تعقَّـد منه. والرملة العجماء التي لا شجر فيها. والعجمان الصخور الصلاب.

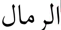
العـداب: من صفـات الرمل، مـا استدق منه، أو جانبـه الذي يدق ويلي الجَدَد، ويكون عادة عنـد ذيول الكثبان الهلالية وأطراف حبال الرمل أو العروق.

وفي شعر ابن أحمر الباهلي:

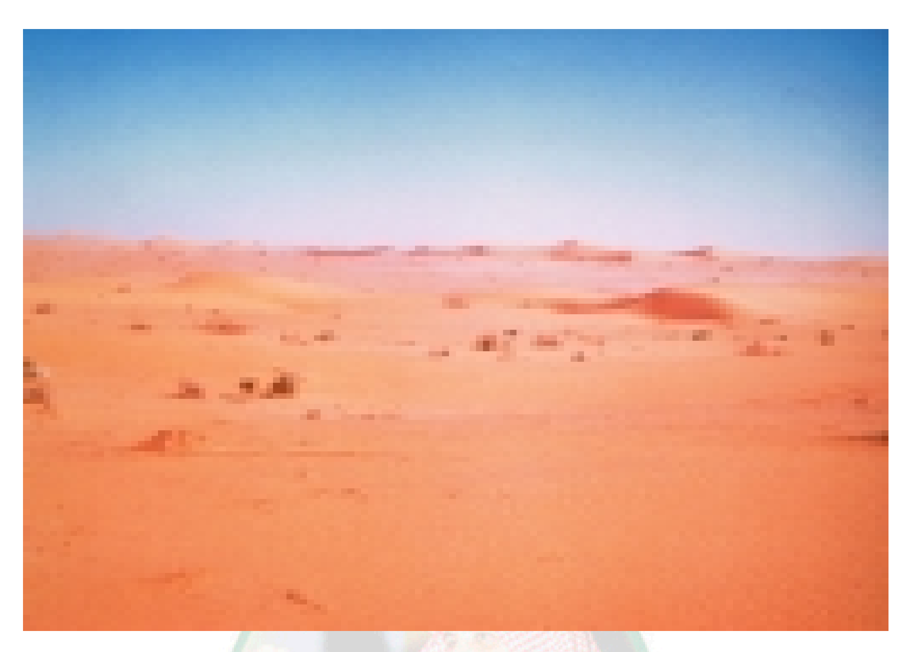
كثـور العـداب الفـرد يضربـه النّـدا
تـعَـلَّـى النـدا فـي مـتـنـه وتحـورا

والعرب في عصرنـا يقولون العدام بالميم بدل الباء، والتعـاقب بين الحرفين معروف في بعـض الكلمات، ولكنهم يقصدون به ما غـلظ وارتفع من الرمل واحـدتـه عـدامـة (الجـاسر ١٤٠١، ج٣:١١٣٣-١١٣٤).

العَدَانَة: هي منطقة رمال عظيمة أكبر من العراقيب تتكون من التقاء مجموعة من الطعامـيس، مما يخلق منخـفضات



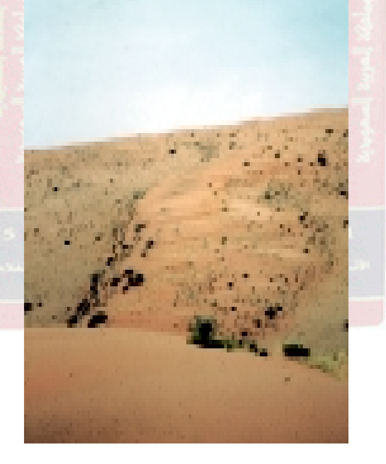




عرقوب (مجموعة من الطعوس الصغيرة)

عديدة بين رؤوس الطعاميس قد تسمى نقر.

العُرقُوب: هو مجموعة من الطعوس الصغيرة في بداية تشكلها خاصة عندما



عرقوب

تكون ملتحمة وذات التواء، وعند بعض أبناء البادية يقصد بالعرقوب الامتداد الرملي في العرق الذي لا نبات فيه وتكون أرضها أكثر صلابة من غيرها ومحدبة ومستطيلة الشكل ولذا فهي أسهل الأماكن لسير السيارات. وقد يسمى البرعوص والبرخوص.

العقلة: منخفض في الرمل أرضها جلد وتحيط بها الرمال من جميع جوانبها، وقد يكون في العقلة ماء وزرع، وسميت عقلاً أخذاً من عقال الراحلة الذي يمكن أن يؤخذ الماء به من آبارها لقربه من السطح. ومن العقل عقل الزلفي داخل نفود الثويرات وبامتداده





عقلة في نفود الثويرات

عريق البلدان، وعقلة أم قلوب وأم هشيم غرب حائل وعقلة الرماحي وابن داني وابن قليب شرق حائل.

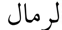
الغرمول: والجمع الغراميل، وقد تجمعها العامة على غريميلات، حصوات مناصيب ممثلة بفعل الرياح ترى من بعد كالأزوال، وقد تطلق على تكوينات رملية غير كبيرة.

الفَالِق: الفَلْق هو الشق، ويستخدم في النُّفُود الكَبِيْر مرادفاً للشقيقة التي تستخدم في الرُّبْع الخَالِي. والفَلْق الشق، والفُلُوْق الشقوق، واحدها فَلْق وفَلَق. ويقال: مررت بحَرَّةٍ فيها فُلُوْقٌ أي شقوق. والفَلَق والفَالِق: الشق في الجبل والشِّعْب. والفَلَق المطمئن من الأرض بين الرَّبْوَتَيْنِ. والفَالِقُ فضاء بين شقيقتين من رمل، وجمعها فُلْقَان. ولا يستخدم في الوقت الحاضر سوى فَلْق التي تجمع على فُلُوْقٌ، مثل فَلْق الوَسِيْع وفُلُوْق الرَّاشِد في النُّفُوْد الكَبِيْر.

القَصِيمة جمعها القَصَائم: رمال مستطيلة شبيهة بالعرق أو الحَبل تنبت الغضا. قال أبو حنيفة: ولولا الغضا لم تكن قصيمة. ومن أجل ذلك سمي إقليم القصيم بهذا الاسم وذلك لكثرة الغضا في رماله.

القونس: في عرف البادية كل منطقة رملية بها طعوس جم متلاصقة بعضها







عرق أحم – نفود الثويرات

ببعض. والقوز تكوين رملي أجم لا يرتبط بشيء حوله وظهره مقوس لا هيال فيه.

الكاسح: ويقصد به سفح الكثيب الذي تنقل منه الرياح، ويكون عادة مواجهاً للرياح السائدة.

الكثيب الرملي: جاء في اللسان انكثب الرمل: اجتمع. والكثيب من الرمل: القطعة تنقاد محدودبه. وقيل: هو ما اجتمع واحدودب والجمع: أكثبة وكُثُبٌ وكُثْبانٌ مشتق من ذلك وهي تلال الرمل وفي التنزيل العزيز: ﴿... وكانت الجبال كثيباً مهيلا﴾ (المزمل: ١٤). قال الفراء: الكثيب الرمل، والمهيل الذي تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه.

الكثيب الهلالي: وهي الكثبان ذات الشكل الهلالي، وتنشأ حينما تهب الرياح من اتجاه رئيسي ثابت فوق أرض مستوية فتصادف عقبة صغيرة، كشجيرة أو كوم من الحجارة أو حيوان ميت. فتكون هذه العقبة النواة التي ينشأ حولها الكثيب، ويتطور ويزداد حجمه تبعاً لوفرة الرمال وكثرتها. وقد يصل ارتفاعه إلى ثلاثين متراً، ويكون لطيف الانحدار في الجهة التي تهب منها الرياح، ومقوراً من الجهة الأخرى مع قرنين يمثلان طرفي الهلال، وأي تغير في اتجاهات الرياح





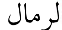
كثبان رملية – نفود الثويرات

قد يحوله إلى أنماط كثيبية أخرى. وقد أطلق العرب عليه عدة تسميات أخرى، منها الحَنْو، الدعص، والقوز ومن ذلك قوز بالعير قرب القنفدة وفيه قرية سميت باسمه، وفي مدينة جدة حيّان أحدهما اسمه القوازيق والآخر قويزه سميا بذلك لأنهما قاما على قيزان الرمل.

اللَّـبَب: الـرمل الكـثيـر يقال لـه العَقَنْـقَل، فإذا نقص فهو كَثِـيْب، فإذا نقص عنه فهو عَوْكَـلٌ، فإذا نقص عنه فهو سِقْطٌ، فإذا نقص عنه فهو عَدَابٌ، فإذا نقص عنه فهو لَبَبٌ. وقيل: اللَّبَب هو ما استرق وانحدر من الرمل. وقال بعضهم اللَّـبَبُ من الرمل ما كان قريباً من حَبْل الرمل. قال أبو حنيفة «اللَّبَبُ من الرمل هو المسترق المنحدر من معظم الرمـل وهو أسفل الحـبل ومسقـطه». ويطلق على المنطقة الواقعة شمال النُّفُوْد الكَبِيْر اللَّبَّة.

اللُغْف: يـطلق على جانب الرمـل الممتد ذي الانحناءة مثل لُغْف النُّفُوْد الكَبِيْر في الخُنْفَة. ولغف العرق بطنه.

اللَّهَد: وهو جانب الرمل المطل على النقرة مباشرة شديد الانحدار لأنه يقع في الجانب المعاكس لاتجاه الريح، ورمله متحرك غير ثابت، ولهذا يـجد الإنسان والحيوان صعوبة في صعوده على الأقدام. ويسمى بطن العرق ويسمى الردف.






اللهد (بطن العرق – الرِّدف)

اللِّوى: اللوى منقطع الرمل، فهو في الأصل وصف سميت به مواضع بعينها. قال ذو الرمة:

أقامت بها حتى تصوّح باللِّوى
لوى معقلات في منابته البقل

وهذا البيت دليل على أن قرب معقلات موضعاً يعرف باللوى يضاف إليها، كما أن عطفه اللوى على حزوى في البيت التالي:

أرقتُ له والثلج بيني وبينه
وحومان حزوى فاللوى فالحرائر

يفهم منه تقارب الموضعين. ووصف المرتعى في اللوى بالصمان في البيت التالي:

تعرجن بالصمان حتى تعذرت
عليهن أرتاع اللوى ومشاربه

يدل على أن هذا الموضع في الصمان. ولذا فإنه يمكن القول إن اللوى الوارد في شعر ذي الرمة يقع شرق الدهناء بقرب معقلة في نواحي الصمان. والصمان –وإن كان حزوناً وقفافاً



مختم ومعنك



ورياضاً- إلا أن فيه أماكن ذات رمل (الجاسر د.ت. ج٤: ١٥٤٣-١٥٤٤).

المجذم: موقف الرمل القائم.

المختم والمعنك: مصطلح محلي يطلق على الامتداد الرملي الذي يعترض في الشقة أو الخبة ويصل بين العرقين.

المشبك والمعجم: مصطلح محلي يطلق على نقطة التقاء العرقين.

المعيزيله: قطعة الرمل تنفصل عن الرمل الكثير. وبها سميت منطقة معيزيلة شرق الرياض (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٦٥٠).

المهلكة: المفازة التي يخشى فيها الهلاك لانعدام الماء فيها، وهي أرض في الجنوب الشرقي من المحراض تكثر فيها الرمال والسباخ، وتدعى عروق المهلكة في الربع الخالي، وفي شرقيها بئر ارتوازية حديثة تدعى قلمة أبو شفرة (الجاسر د.ت.، ج٤: ١٧٠٣).

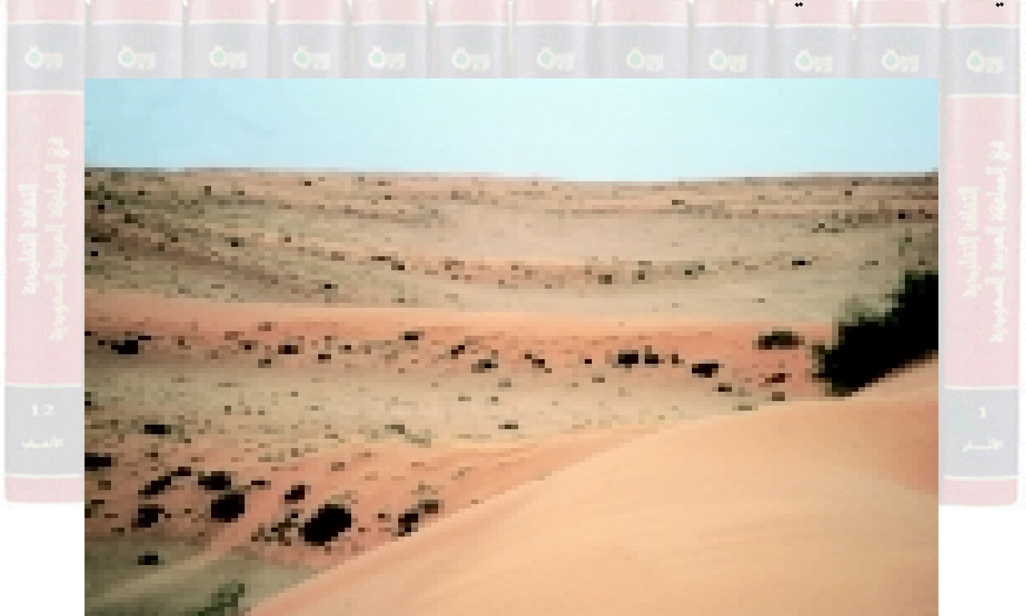
النازية: وهي النزاوة وجمعها النوازي وتطلق على كل أرض مرتفعة عما حولها سواء كانت رملية أم صلبة. وفي الرمال تطلق على الرمال المتجمعة والمرتفعة وسط الكثبان الرملية. التي تطل عادة على نقرة، ويكون رملها شديد الانهيال في جانب النقرة، وليناً في منطقة الظهر.

قال ابن لعبون:

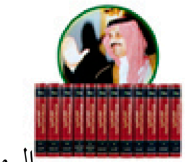
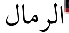
وغنى راعبيات الحماما

على ذيك المشاريف النوازي

وقال آخر:



مشبك ومعجم

وإن صاح صياحٍ بروس النوازي
تجيه دقلات السبايا تكزى

نَجَفة الكثيب (النِّجاف): نجفة الكثيب إبطه، وهو آخره الذي تصفقه الرياح فتنجفه فيصير كأنه جرف منجوف.

النقرة: المكان المنخفض وسط الرمل، وهي منخفض يحيط به قوس من الرمال ذو انحدار شديد من ناحية النقرة وانحدار تدريجي من الناحية الأخرى. وتكون النقرة بالاتجاه المعاكس لاتجاه الرياح، وتحمل الرياح ذرات الرمل لتلقيها أمام النقرة. ولكن في وسط النقرة المحمي من الرياح، تتكون دوامات هوائية تحمل الذرات الرملية المتساقطة معها مرة أخرى لإرسابها على حافة الكثيب أو الطعس مما يؤدي إلى استمراره وبهذا تكون النقرة خالية أو شبه خالية من الرمال. قال ابن سيده «النقار الواحدة نقرة تكون في الرمل وفيها تصوب وهي مكرمة تنبت وينزلها الناس لوطائها» والتصوب من الصبب وهو انحدار الرمل من مكان عال نحو النقرة. والنقرة عادة تكون واسعة فإذا كانت ضيقة جداً سميت هوته وقرويطة. وهناك ثلاثة مصطلحات تستعمل مرتبطة بالنقرة هي: اللَّهَد والظهر والذالق وجميعها سبق شرحها.

ومن النقر: نقرة الحيران –جمع حوار وهو ولد الناقة– موضع شرقي تيماء. ونقرة قفار قرية تقع بقرب قفار، بينهما



النقرة





الهيال

وبين حايل على مسافة ١٢كم من حايل متصلة بقرية قفار (الجاسر د.ت.، ج٣: ١٣٢٣).

الهيال: هو الجزء المعاكس لاتجاه الرياح فيكون في أعلى العرق حيث تنهال حبات الرمل، ويكون عادة بشكل هلال يصعب على الإنسان أو المطية وحتى السيارة الصعود معه.

الأشكال الرملية

تعدّ الرمال وأشكالها المتعددة من أهم صور الإرساب التي تتركها الرياح في الصحراء. ونظرة واحدة في خريطة شبه الجزيرة العربية تبين لنا تلك المساحات الشاسعة التي تغطيها الرمال، حيث تصل تلك المساحة إلى نحو نصف المناطق الرسوبية بها.

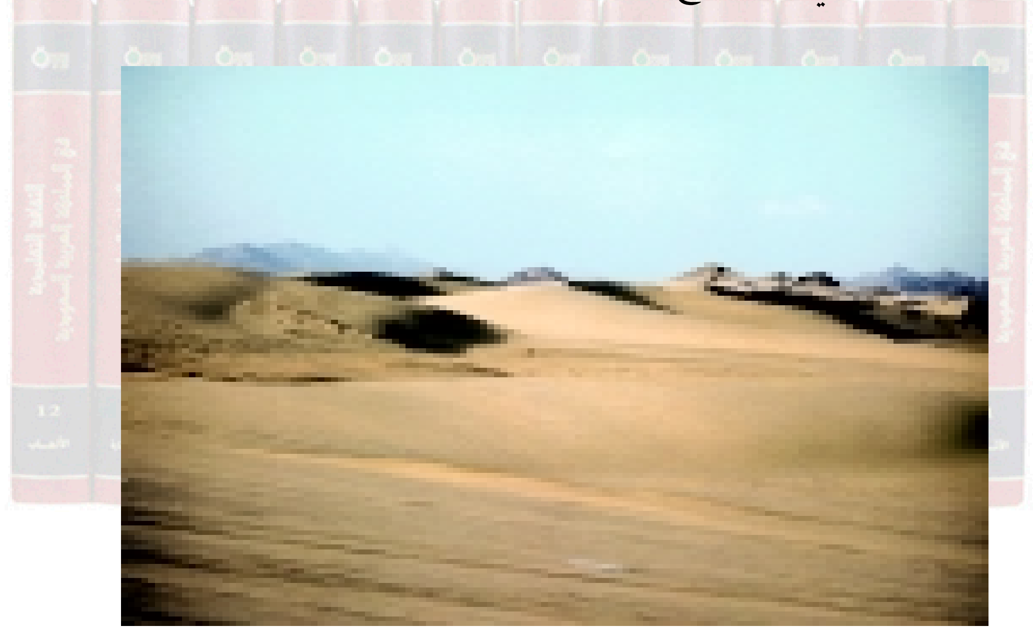
وإذا كانت اتجاهات الرياح السائدة والعرضية ذات أثر بعيد في تشكيل الإرسابات الرملية المعروفة، فإن لعوامل السمات السطحية (الطبوغرافية) أثرها الكبير أيضاً في تحديد مكان النطاقات الرملية في شبه الجزيرة العربية. والرياح، كأي عامل تشكيلي آخر، تنحو إلى التسوية فتنحت في المناطق المرتفعة وترسب في المناطق المنخفضة لسببين اثنين، أولهما الجاذبية الأرضية بقدرتها التي لا تقل عن قدرة الرياح، والسبب

الثاني أن الكثبان الرملية لا تتشكل فوق المناطق المرتفعة، وهكذا نشأت تلك النطاقات العظيمة في حوضي النفود (عالج) في الشمال والربع الخالي في الجنوب.

ومن عوامل السمات السطحية أيضاً وجود عوائق في مقتبل الرياح تؤدي إلى استنزاف حمولتها من الرمال، وأكبر مثال لتلك العوائق هو جروف الجيلان الممتدة على محاور متوازية شرقي الكتلة العربية القديمة، تلك الجروف التي ساعدت على تكوين النطاق المعروف بالدهناء والمحاور الرملية الموازية له.

ويمكن تصنيف الأشكال الرملية في شبه الجزيرة العربية في أربعة أنواع، ترتبط أساساً بالنطاقات الرملية في شبه الجزيرة العربية، وهي: النفود والدهناء والربع الخالي.

الكثبان الهلالية. يطلق عليها في معظم المؤلفات الأجنبية وبعض المراجع العربية اسم البرخان، وهي لفظة تركية تعني تلك الكثبان الرملية المفردة، ذات الشكل الهلالي، وتمثل الشكل الشائع في معظم صحارينا العربية، ويبدو أنّ هذا الشكل هو أساس غالبية الأشكال الرملية الأخرى فهو ينشأ في ظل أبسط الظروف، وأي تعقيد في عناصر البيئة يحوله إلى أنماط كثيبية أخرى. وأنسب البيئات لتشكل الأَهلَّة هي سهول الرِّق المستوية الخالية من التَضرس، حينما تهب



كثبان هلالية على ساحل تهامة

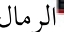


الرياح من اتجاه رئيسي ثابت فوق أرض مستوية، فتصادف عقبة صغيرة كشجيرة أو كوم من الحجارة أو حيوان ميت. فتكون هذه العقبة بمثابة النواة التي ينشأ حولها الكثيب ويتطور ويزداد حجمه تبعاً لوفرة الرمال وكثرتها، وقد يصل ارتفاعه إلى ثلاثين متراً. ويكون لطيف الانحدار في الجهة التي تهب منها الرياح، ومقورا من الجهة الأخرى، مع قرنين يمثلان طرفي الهلال.

ونظرا للشكل الهلالي الذي يتخذه الكثيب، أطلق العرب على هذا النوع من الكثبان عدة تسميات. فهو الحِنْو وجمعه أَحْنَاء، والحِقْف وجمعه أَحْقَاف، والقَوْز وجمعه أقواز وأَقَاوِز وقيزان. والتسمية الأولى ليست خاصة بالرمل وإنما تطلق على كل معوج من الرمل والأودية والقِفاف، كما في لسان العرب لابن منظور. أما الحِقْف، فهو ما اعوج من الرمل واستطال. ويبدو أن المقصود بهذه التسمية تلك العروق الحلزونية الشكل الناتجة عن انفصال أحد أطراف الكثيب الهلالي، وتعتبر الرياح الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية هي المسؤولة عن تكوين هذه الأشكال. وقد تلتحم هذه الأشكال في مجموعة واحدة تمتد عدة كيلومترات. ويسود هذا النوع من الكثبان جنوب الربع الخالي، دون باقي مناطق الجزيرة. مما أعطى هذا الجزء من الجزيرة اسمه القديم (الأحقاف). وجاء في تفسير قوله عز وجل: ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾ قيل كان سكناهم الرمل، كما جاء في المخصص لابن سيده. ولا يزال هذا الاسم يكتب على الخرائط الحديثة.

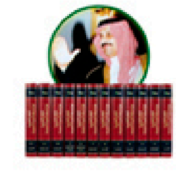
أما النوع الثالث -القَوْز- فهو الذي تنطبق عليه مواصفات الكثيب الهلالي، يقول العسكري «القَوْز المستدير من الرمل كأنه هلال» (العسكري ١٣٥٢، ج٢: ٥٢١). وهو الرمل عندما ينعطف فيصير مثل الهلال، وهو ينبت نباتاً كثيراً. وهذا المصطلح شائع الاستخدام. واختلف في حجم القوز، فقيل: هو الكثيب المشرف العالي من الرمل كأنه جبل، وقيل: إنه الكثيب الصغير، والقول الأول أرجح.

العُروق. ومفردها عرق، ويطلق لفظ العروق على الكثبان الرملية المستطيلة التي تنقاد (أي تمتد) في الأرض لمسافات بعيدة. وتنشأ عادة عندما تقبل الريح الدائمة من اتجاه غالب، تؤازرها رياح آتية من اتجاهين جانبيين (بحيري ١٩٧٢: ٦٨). وتعمل الرياح الدائمة على زيادة طولها، بينما الرياح الجانبية تعمل على زيادة عرضها وارتفاعها.



٥٥وتكون مثل هذه الـكثبان عادة من مجموعات متوازية يفصل بينها أراض منخـفضة، تتحـرك خلالها الـرياح، وتسمى تلك الأراضي الشَّقَّائق واحدها شقيقة. وقد تنـشأ هذه الكثبان نتيجة اختلاف ظروف الرياح في منطقة تسود فيها الكثبان الهلالية، فتتحد تلك الكثبان مؤلفة مـجموعة من الكثـبان الطولية المتوازية. ويطلق على هذه الكثبان في شبه الجزيرة الـيوم اسم العروق. ولم تكن هذه التـسمية شائعة في المصـادر العربيـة كما هي عليـه الآن، فاللفظ الشائع هو الحِبَال أو حِبَال الرَّمل، فالحَبْل كمـا ورد في لـسان العـرب: الرمل المستطيل شُبِّه بالحبل، والحبل من الرمل المجتمع الكثير العالي. وقيل الحِبَال في الرمل كالجِبَال في غير الرمل. كما تُدعى الأُمُل ومـفرده أَمِيل. جـاء في لسان العرب: الأَمِيل حَبْل من الرمل معتزل عن معظمه، علـى تقدير مِيل. وقيل الأَمِيل حبـل من الرمل يكون عرضـه نحوا من ميل. والأكثر في صفته هو الاستطالة. وهو بهذا مرادف للعِرْق، ويقال لحبال الرمل الصغار المَغْنِيق، قال ابن شميل: معانيق الرمال حِبال صغار بين أيدي الرمل، الواحدة معنقة. وفي حديث عروة بن مُـضَرِّس «أتيتك من جبلي طيء ما تركت من حبل إلا وقفت


عروق بنفود المظهور



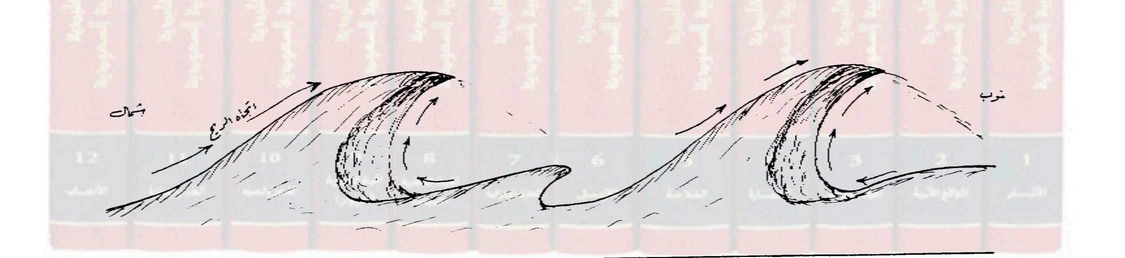
عليه». وقال ابن سيده: الأَمِيل حبل من الرمل يكون عرضه نحوا من ميل، وقيل يكون عرضه ميلا وطوله مسيرة يوم وقيل مسيرة يومين، وقيل عرضه نصف يوم. وقال ابن منظور الأَمِيل ما ارتفع عن الأرض من غير أن يُحَدّ. يقول الشاعر:

نظرتُ ودوني القف ذو النخل هل أرى
أجارع في آل الضحى من ذُرا الأمل

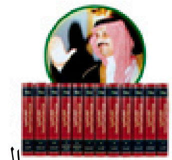
والأمل هو الطرف الشمالي من نفود السياريات مع الطرف الجنوبي من عرق المظهور حيث التقاء النفودين فيما بين وادي الأجردي (ذي طلوح قديماً) وقرية الحمودية (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ١٣٧).

وتنتشر عروق الرمل أو الحبال في معظم النطاقات الرملية في شبه الجزيرة، وبخاصة في الربع الخالي والدهناء في خطوط طولية متوازية تمتد حسب اتجاه الرياح السائدة متباينة الأشكال. فبعضها حواف رملية ذات رؤوس حادة، وبعضها الآخر يكون في شكل امتدادات رملية تعتليها بعض الأَقْوَاز (الكثبان الهلالية) التي تهاجر في اتجاه الريح. ومثله العريق (بصيغة التصغير) ويدل على الرمل الكثير مثل عريق البلدان وعريق الدسم. ونهاية العرق في الدهناء من جهة الجنوب الشرقي يطلق عليها الرثرث. وفي الربع الخالي يطلق عليه المرثم.

وتسمى الفُرْجَة بين الحبلين الشَّقِيقَة أو الشقة وجمعها شَقَائق وشقق. قال ابن منظور نقلا عن الأزهري: الدهناء سبعة أَحْبُل بين كل حَبْلَيْن شَقِيقَة، وعرض كل حَبَل ميل، وكذلك عرض كل شقيقة. وفي المخصص: الشَّقِيقة الأرض بين الحَبْلين على طَوارهما تنقاد ما انقادا، وهي أرض صلبة يَسْتَنْقِع فيها الماء، سعتها الغَلْوة والغَلْوتان. وسماها



كثبان هلالية مهاجرة (شرقي خريص - الدهناء)




البكري الشُّقَّة وذكر أن عرضها ربما كان فرسخا، وهي أرض ليس بها من الرمل شيء. هُجُول، جمع هَجْل وهو المطمئن من الأرض، وصحاري تُنبت البقل، وأكثر شجرها العَرْفَج (البكري ١٩٤٥، ج٤: ٩١٣-٩١٤). وربما نشأ في تلك الشَّقائق بعض الكثبان الهلالية أو العروق الصغيرة من الرمل، فتلك تسمى الفَلَك، الواحدة فَلْكَة، كما أورد ذلك ابن سيده.

الدَّكْدَاك أو الدَّكْدَاكة. وهو -حسب ما يقول ابن سيده- ما غَلُظ من الرمل وجلد، وإذا تَلَبَّد الرمل فقد انْدَكَّ، فإن حفرت فيه حفرت في تُراب هَيَام وهو الدُك. والدَّكْدَك والدَّكْدَاك من الرمل ما تَكَبَّس واستوى، وقيل هو بطن من الأرض مستو. وقال الأصمعي: الدَّكْدَاك من الرمل ما التَبَد بَعْضُه على بعض ولم يرتفع كثيراً، كما ورد في لسان العرب. والوصف الذي أشارت إليه النصوص السابقة ينطبق على ما يُعرف اليوم بالدِّكاك ومفردها دكاكة، حذفت الدال الثانية للتخفيف، وتطلق على الرمال المستقرة المنبسطة على وجه الأرض، وتكثر بها -عادة- النباتات والشجيرات التي تعمل على استقرارها، وهي صالحة لسير المركبات فوقها لتلبُّد الرمل وتَماسُكه. وإذا كان ذلك المنبسط الرملي أو الدكداك



دكداك قرب خبراء صفاقة



رقيق الرمل غير متلبد سمي العَدَاب، وهو ما انبسط من الرمل وامتد بعد معظمه حتى يضرب الجَدَد، كما يقول ابن سيده، وربما كان ذلك عند ذيول الكثبان الهلالية وعند أطراف حبال الرمل أو العروق.

الأنْقَاء. النَّقَا وجمعه أنقاء وهو – كما يقول ابن منظور– تل الرمل يرتفع وينفرد، ويكون رمله ثابتاً، وتكثر الأنقاء في الدهناء، والتثنية نَقَوان ونَقَيَان والجمع أَنْقَاء ونُقِيّ، وهي أكوام رملية عظيمة خالية من النبات ترتفع عما حولها كثيراً وترى من بعيد كأنها جبال منفردة. وتتألف تلك الأكوام من كثبان هلالية الشكل متداخلة، يعلو بعضها بعضا، بطريقة لولبية تحصر في وسطها فَجَوات عميقة يصل بعضها إلى سطح الأصل، وتسمى تلك الفجوات عند العرب باسم البَلالِيق واحدتها بَلُّوقَة، وهي مكان صلب بين الرمال كأنه مكنوس، تزعم الأعراب أنه من مساكن الجن. وقد تمتد أطراف تلك الأنقاء إلى عدة كيلومترات، ويمكن رؤية ذلك بوضوح في الأجزاء الجنوبية الشرقية من النفود الكبير في شمال شبه الجزيرة العربية. وبالقرب منها رواب رملية منبتة ذات شكل بيضاوي تسمى عند البدو الزّبَّاره. وهي الرمال المتجمعة والمرتفعة ولكنها ليست مستدقة كالنقا. ليس بجانبها نقرة بل أرض مستوية. وأكثر ما تتكاثر الأنقاء في غرب شمالي الدَّهْنَاء مما يلي مياه الدَّجَاني والقَاعِيَّة، فهناك: نَقَى هَشَّال ونَقَى المُغْر ونَقَى المُطَوَّع ونَقَى مخَيْط ونَقَى عَجَاج ونَقَى سُبَيْت ونَقَى الجَمَل ونَقَى التَّنْهَاة ونَقَى أبو الهَوْل. ومعظم هذه الأنقاء متجاورة لذلك تسمى منطقتها حَوْمَة النِّقْيَان أي مَجْمَع الأَنْقَاء.

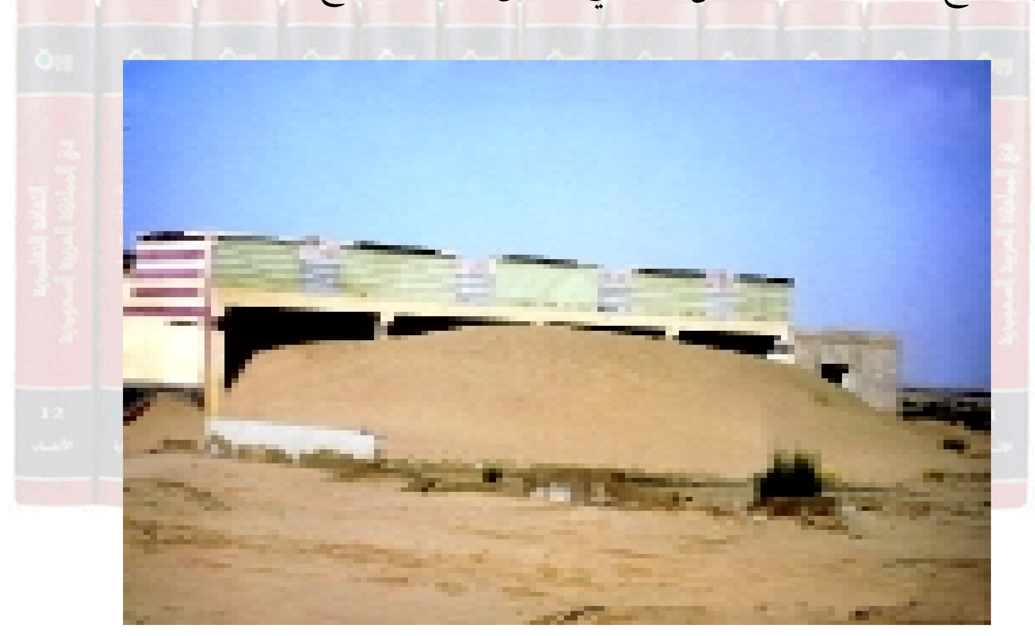
تكوينات الرمال

تعد أشكال التجمعات الرملية المختلفة من أبرز مظاهر السطح، ليس في المملكة العربية السعودية فحسب وإنما في جميع المناطق الجافة وشبه الجافة في العالم. وتغطي أشكال التجمعات الرملية عادة ما بين ربع وثلث مساحات الصحاري في العالم. وتتضمن هذه التجمعات الرملية بطبيعة الحال أشكالاً كَثِيبيّة وغير كثيبية متعددة. وتتنوع أشكال الكثبان الرملية عادة حسب ظروف السطح والمناخ وموارد الرمال والموقع. وبناء على ذلك اختلفت هذه الأشكال في مختلف مواقع المملكة حسب الظروف البيئية المحلية لكل منها.




التكوينات الرملية في غرب المملكة.
أدت الاختلافات الشكلية بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي للسهل الساحلي الغربي دوراً مهماً في زيادة رقعة التجمعات الرملية أو تقلصها. وتبدأ هذه الاختلافات الشكلية بين قسمي السهل الساحلي من شمال ينبع البحر، وتزداد وضوحاً إلى الشمال من مدينة الوجه حتى مدينة حقل شمالاً. فقد سبب ارتفاع السهل الساحلي في القسم الشمالي ضيق الشريط الساحلي الذي تغطيه مياه المد، مما قلل من فرص ترسيب الرمال عليه، وحتى لو ترسبت مثل هذه الرمال فإن ارتفاع الساحل الخلفي على شكل جرف يمنع انتقال رمال الساحل الأمامي وقفزها فوقها في كثير من الحالات، باستثناء بعض المصبات الواسعة التي تستطيع الرياح فيها تحريك الرمال من منطقة المصب إلى الداخل.

أما القسم الجنوبي من تهامة فيتميز بأنه سهل ساحلي منخفض، يزداد فيه اتساع الساحل الأمامي الذي تغطيه مياه المد لمسافات واسعة نحو الداخل. ولذلك فإن كثيراً مما تلقيه مصبات الأودية المنحدرة من جبال الحجاز يعاد ترسيبه على الساحل الأمامي بواسطة مياه المد، مما يعطي الفرصة لنقل هذه الرواسب بالرياح عند حدوث الجزر وجفاف هذه الرواسب. ولذا فقد تميز القسم الجنوبي من تهامة باتساع مساحات التجمعات



زحف الرمال في تهامة



الرملية التي تزداد انتشاراً نحو الجنوب، ابتداء من منطقة أم لج حتى تهامة عسير وحدود المملكة العربية السعودية مع الجمهورية اليمنية.

وأدى انحدار السطح على السفوح الشرقية لجبال الحجاز إلى اختلاف تشكل التجمعات الرملية على هذه السفوح عن تلك التي على السهل الساحلي. ففي هذه المنطقة تنتقل حبيبات الرمال مع الانحدار، بينما تنتقل في السهل الساحلي عكس الانحدار. وقد ساهمت هذه الخاصية في زيادة رقعة التجمعات الرملية في الداخل عنها في تهامة. وتزداد هذه التجمعات الرملية عادة في المناطق المحيطة بالمجاري الدنيا للأودية أو في تلك المناطق التي تغطيها أو تقترب منها صخور الحجر الرملي.

ففي أقصى الجنوب تنتشر التجمعات الرملية حول المجرى الجنوبي لوادي نَجْرَان. وتنتشر أربعة تجمعات رملية واسعة في المناطق الواقعة بين المجاري الدنيا لأودية حبونا وأَيْدَمَة. وأكبرها رملة الثُّوير الواقعة جنوباً، وتبلغ مساحتها حوالي ١٧٦٠كم٢ (٢٢x٨٠ كم). كما تقع إلى الشمال منها عدة تجمعات رملية أشهرها عرق الشغيليث متصلة بالمندق من شرق، وعرق الحاذ ورملة بني خرب.

وتمثل هذه التجمعات الرملية مقدمات رملة بني خَطْمَة المتصلة برمال الربع الخالي. أما أهم العروق الرملية فهي تلك المنتشرة حول المجرى الأدنى لوادي تَثْليث، والمجرى الأدنى لوادي بيشَة حيث نفود حُنْجُرَان وعروق حُنْجُرَان، والمجرى الأدنى لوادي رَنْيَة، والمجاري الدنيا لأودية حرَّة النواصيف والبقوم حيث عروق سِبْيع ونفود المَنْثُورَة. كما تقع إلى الجنوب الشرقي من عَفِيف، حيث نفود السِّرَّة قرب الخاصرة ونُفود السّخا التي تشكلت في المجاري الدنيا لعدد كبير من الأودية. كما تمتد العروق بعيداً إلى الشرق من وادي الجرير (رافد وادي الرمة) إلى الشمال من عفيف. وباستثناء امتدادات النفود الكبير إلى الشرق من بلدة تَيْمَاء فلا توجد تجمعات رملية أخرى ذات شأن، فيما عدا بعض التجمعات الصغيرة جداً في هضبة حِسْمَى إلى الغرب من تبوك.

وتتعدد أشكال التجمعات الرملية في غرب المملكة كما تتغير أشكالها من حين لآخر تحت تأثير الرياح. ويتوقف ذلك على سرعة الرياح وشدتها واتجاهها السائد وديمومتها في الاتجاه، والمدى الذي تتغير فيه اتجاهاتها من فترة زمنية إلى أخرى. إلى جانب



فرشات رملية رقيقة في ساحل تهامة

الاختلافات التضريسية في المنطقة وتباين مصادر الرمال من منطقة إلى أخرى.

وهناك عدد من أشكال التجمعات الرملية تشمل الملاءات أو الغطاءات الرملية، وهي تلك الفرشات الرملية الرقيقة التي تذروها الرياح غالباً. ويتكون على سطح هذه الفرشات كثبان رملية أولية وتموجات رملية أو تجعدات غالباً ما تكون متعامدة على اتجاه الرياح السائدة. وتوجد الغطاءات الرملية المتحركة، والتموجات الرملية والكثبان الأولية في معظم مناطق الرمال في المملكة سواء أكان ذلك في القسم الجنوبي من تهامة أم في أطراف صحارى الربع الخالي والنفود والمجاري الدنيا لأودية السفوح الشرقية لجبال الحجاز.

ويمتد تأثير الرمال المتحركة فيها إلى أعالي السراة خاصة في فصل الصيف إذ تحيل سماء السراة إلى غيمة متصلة من الرمال الناعمة، خاصةً عندما يتوقف هطول الأمطار لمدة طويلة. وأكبر مساحة تتحرك فيها الرياح الرملية بمنطقة الباحة هي بلدة ناوان بقطاع تهامة وأبو صادع بين الليث والميقات (يلملم).

وتتعدد الكثبان الرملية الهلالية بجميع أنواعها ومراحلها، سواء البيضاوية منها أو البسيطة أو المركبة في عدد من المواقع على طول السهل الساحلي. ففي الجنوب تسود هذه الكثبان





كثبان رملية أولية في تهامة (الربابيض)

في حقول الرمال الممتدة بين غرب مدينة بِيش وعِتْوِد جنوباً حتى شمال دلتا وادي حلي. كما تسود هذه الكثبان بين وادي الشاقة اليمانية جنوباً، مروراً بالقُوْز وشمال مصب وادي الليث ومصب وادي خليص وقْديد ونفود المَرَاوين الواقعة إلى الجنوب والَشرق والشمَال الشرقي من مدينة أُمْ لُجْ. وتنتشر بعض الكثبان الرملية العرضية في سهول تهامة في المناطق التي يتلاحم فيها عدد كبير من الكثبان الهلالية الصغيرة في سلاسل متجاورة في المواقع التي تنتشر فيها الكثبان الهلالية السابقة.



الكثبان الرملية في تهامة

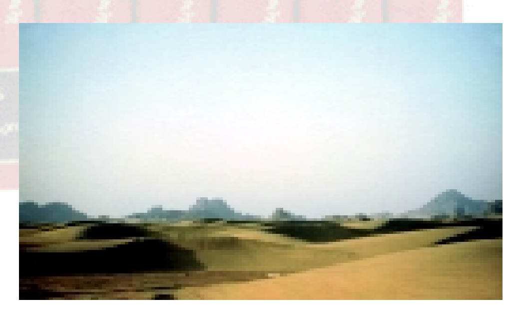
وهناك كثبان طولية متنوعة تمتد في تهامة خلال المنطقة الممتدة بين وادي تعشر جنوباً حتى وادي بيش شمالاً في تهامة السروات (عسير)، مروراً بالمناطق الفاصلة بين وادي تعشر ووادي خُلَب، وبين الوادي الأخير ووادي خُمْس، وبين خمس ووادي فُجَا، وإلى الغرب من وادي أم لج، وشمال وادي ضمد، وشمال مصب وادي بيش. كما تتوزع





كثبان رملية بالقرب من وادي حلي

الكثبان الطولية في المنطقة الممتدة بين جنوب وادي حلي وشمال وادي دُوقَة، مروراً بمناطق وادي يبة، وشمال وادي قَنُونَة، وشمال وجنوب وادي الأحسبة والمِظِيْلِفْ. إضافة إلى بعض المواقع المتفرقة كما في جنوب الليث، ووادي المعرج جنوب وادي الصفراء شمالاً في تهامة-الحجاز. وتتوزع الكثبان الطولية



كثبان هلالية صغيرة متجاورة

إلى الشرق من جبال السروات والحجاز في مواقع متفرقة من الجنوب إلى الشمال، كما في المجرى الأدنى لوادي بيشة، وفي نفود الحُورِيَة شمال سبيع، ونفود السّرة، ونفود السّخا إلى الجنوب الشرقي من مدينة عفيف.

أما العروق فينحصر توزيعها إلى الشرق من جبال السروات والحجاز فقط. وتنعدم في تهامة حيث يضيق السهل الساحلي على البحر الأحمر في كثير من المواقع. كما تقطعه الأودية المنحدرة من جبال السروات والحجاز بكثافة تحول دون تكون العروق التي تحتاج إلى مناطق سهلية واسعة. ومن أهم مواقع توزع هذه العروق في شرق جبال السروات



كثبان طولية قرب الليث

والحجاز، ابتداء من الجنوب إلى الشمال، سهل جوب عدوا، وسهل رملة العرمرم جنوب وشمال المجرى الأولي لوادي نجران. ورملة الثُوَيْر إلى الشمال من المجرى الأدنى لوادي حبونا. والى الشرق من جبال الوَجيد. وكذلك في عروق حُنْجُرَان ونفود حنجران على الطرف الغربي لمصب وادي بيشة، وفي عروق سَبِيع إلى الشمال من مصب وادي رَنْيَة، ونفود الحُورية إلى الشمال الشرقي من عروق سبيع.

وإلى الشرق من جبال الحجاز، الجبال الرملية المعروفة بالأنقاء أو النُّقى، بينما تختفي في تهامة لقلة المصادر الرملية فيها. وتتوزع في أربعة مواقع رئيسية أبعدها جنوباً موقع بني خُرُب إلى الجنوب من المجرى الأدنى لوادي تَثْلِيث؛ ثم في مواقع متعددة عند المجرى الأدنى لوادي بيشة. وفي الشمال تقع الجبال الرملية إلى الشرق من الحْنَاكِيَّة، وفي أطراف النفود الكبير إلى الشرق من مدينة تَيْمَاء.

التكوينات الرملية في نَجْد السفلى. تقع نَجْد السفلى، أو سافلة نجد، إلى الشرق مباشرة من هضبة عالية نَجْد، وتتكون من الأحجار الجيرية والرملية والطفل. وتتميز المنطقة بحافات جبلية (جيلان) تواجه الغرب. ولذلك تسمى أحياناً بمنطقة الحافات أو الجيلان، وهي حافات ظاهرة للطبقات الرسوبية نتجت




بفعل الحت المتفاوت، تميل ميلاً طفيفاً متماثلاً ناحية الشرق ويبلغ متوسط عرض هذه المنطقة ٢٥٠كم. ومن الثابت علمياً أن الرياح الحاملة للرمال تضع حملها أثناء مرورها بعوائق تقلل من قدرتها على حمل الرمال، ولهذا ترسب الرياح كميات هائلة من الرمال بين هذه الحافات. فحيثما وجدت حافة جبلية وجدت أمامها رمال تزيد في الحجم أو تقل حسب ارتفاع الحافة الجبلية واستمرارها وتوفر مصادر الإرساب.

وهناك كثبان رملية إلى الشرق من هذه الحافات، فإلى الغرب من صفراء السِّر نجد نُفُود الغَمِيْس الذي يملأ مجرى وادي الرُّمة، ونفود الشُّقَيِّقَة الذي يستمر نحو الجنوب الشرقي حتى دائرة العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً، ونفود الثَّنْدُوَة إلى الجنوب الشرقي من نفود الشُّقَيِّقَة. وقد منع نفود الشُّقَيِّقَة وادي الرِّشَاء من الاتصال بوادي الرُّمَّة، لذلك ينتهي بقاع كبير اسمه قاع الخَرْمَاء. ونتيجة لهذا فقد رسَّب تربة طميية خصبة استغلها السكان وجعلوها مزارع واسعة.

ومع أن نفود الغَمِيْس يمتد إلى قرب الرُّكَيَّة شرق بُرَيْدَة مما يجعله يتصل بنفود السِّر وعريق الطُّرْفِيَّة، فإن التجمع الرئيسي لهذا النفود هو في منطقة بريدة ولهذا يطلق على هذا التجمع أحياناً نفود بريدة.

ويكاد نُفُود الغَمِيْس يكون محصوراً بين ثلاثة طرق مزفتة، فمن الشرق يحده طريق بريدة–عُنَيْزَة السريع، ومن الشمال والغرب يحده طريق بريدة–الشقة–البكيرية–الخَبْرَاء، ومن الجنوب طريق الخَبْرَاء–البدائع–عُنَيْزَة. ويمتد من الشمال للجنوب حوالي ٣٥كم، ومن الشرق للغرب حوالي ٤٠كم، مع إهمال اللسان الممتد من بريدة شرقاً إلى الركية، ومن الغرب اللسان الممتد جنوب الشيحية وشمال البكيرية. وأنواع الكثبان الرملية داخل هذه المنطقة هي كثبان مستطيلة ومستعرضة، مع بعض العُرُوق. وفيما بين العُرُوق توجد بطون رملية واسعة استغلها السكان في الزراعة، ومنها منطقة الخبوب غربي بريدة التي تشتمل على عدد كبير من الخبوب التي تشتهر بزراعة الخضراوات وغيرها من المحصولات المهمة التي تزود بها سكان مدينة بريدة.

ويبدأ نُفُود الشُّقَيِّقَة من غرب مدينة عُنَيْزَة جنوباً، ويمتد نحو الجنوب الشرقي بمحاذاة صفراء المُرَبَّع وصفراء السِّر اللتين تقعان إلى شرقه لمسافة حوالي ٧٥كم بعرض متوسطه ١٨كم، ولكنه يضيق إلى الجنوب من قرية الخَرْمَاء ثم ينتهي إلى الشرق من خُرَيْمان الشَّغَّار عند دائرة



العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً. وأنواع الكثبان به هي كثبان طولية وعُرُوق ذات أشكال متنوعة من التلال الرملية، كما أن به بعض الكثبان القبابية.

وإلى الغرب من نُفُود الشُّقَيِّقَة يقع نُفُود رامة إلى الشرق من وادي النساء أحد روافد وادي الرُّمَّة. ونفود رامة تجمعان صغيران من الرمال لا يزيد طولهما على ٥كم وعرضهما على ٢كم، وهما في طور النمو. ذكر العبودي أن نُفُود رامة يقع في منطقة جيدة المرعى، تنبت مختلف العشب الفاخر المفضل عند الأعراب مثل الرِّبْل والنَّفَل والشُّقَّارى والقَفْعَاء، وقال «خرجت إليها في يوم من أيام الربيع وكان الجو جميلاً ورامة قد جادها الغيث فأعشبت وأزهرت وعندما رأينا رملها الأحمر يكسوه العشب الأخضر عرفنا أن الشعراء الذين تغنوا بها كان تغنيهم فيها دون ما تستحق». ومن الأمثال القديمة الشائعة «تسألني برامتين سلجما» والسلجم: اللفت. يضرب لطالب حاجةٍ عَسِرَة. يقول العبودي إن أصل هذا المثل أن رجلاً مرضت زوجته وهما برامة في طريق الحج فاشتهت عليه سلجما، فقال:

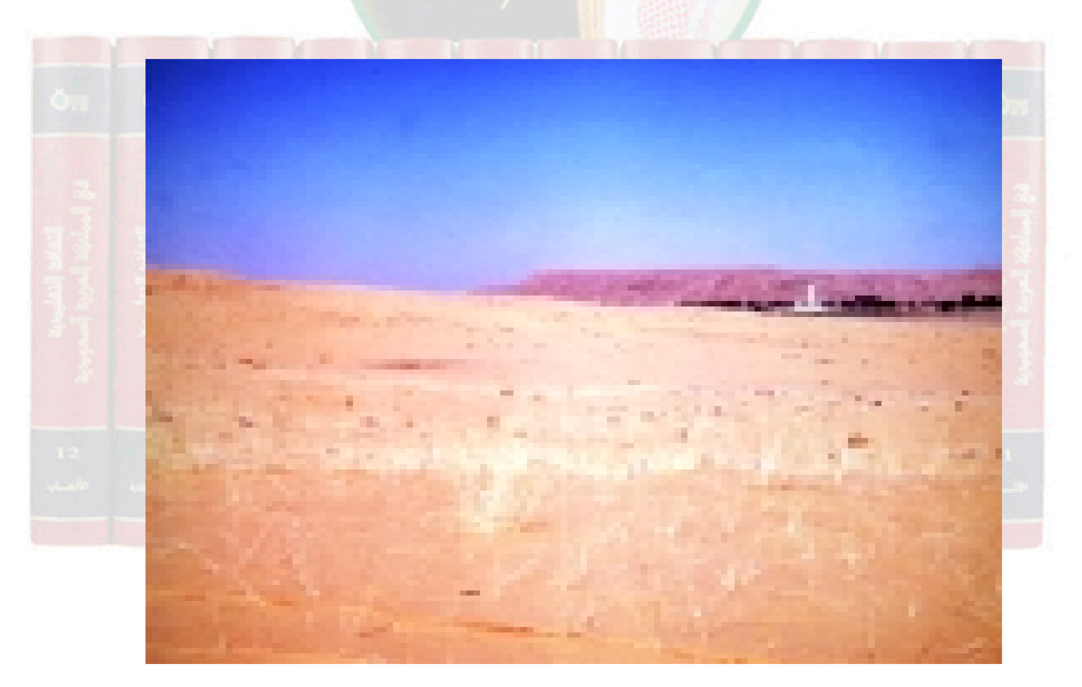
تسألني برَامَتَيْن سلجماً!
إنك لو سألت شيئاً أَمَمَاً
جاء به الكَرِيُّ أو تجشما

وأمما: قريباً، يريد أنك لو سألت شيئاً قريباً لجاء به المكاري متجشماً الصعاب، وذلك لأنه ليس برامة في ذلك الوقت سلجم. ولكن أهل رامة معاندة لقائل الأبيات أوجدوا فيها سلجماً كثيراً. حكى الأصمعي أنه قيل لرجل من أهل رامة: إن قاعكم طيب فلو زرعتموه، قال: زرعناه، قال: وما زرعتموه؟ قال: سلجماً. قال: ما حداكم على ذلك؟ قال: معاندة لقول الشاعر: تسألني... إلخ. وروى الحربي صاحب المناسك عن النوفلي عن أبيه قال: نزلت الرامتين زينب بنت سليمان بن علي فقالت: ما هذا الماء؟ فقيل الرامتين. قالت: التي يقول فيهما الراجز كذا وكذا. لا آكل اليوم، ولا أطعم في رحل إلا السلجم، وكانت حملته مصنوعاً معها. فأمرت به فأخرج، فقسم على جميع من معها» (العبودي ١٤١٠، ج٣: ٩٨٢-٩٩٢).

وباتجاه نُفُود الشُّقَيِّقَة هناك لسان من الرمل يسمى نفود الثندوة. وهو يمتد من بطن عَنْز على دائرة العرض ١٥َ ٢٥ْ شمالاً، ويمتد نحو الجنوب الشرقي لمسافة ٣٧كم حتى فيضة أم الصَّعَانِيْن إلى الجنوب من دائرة العرض ٠٠َ ٢٥ْ شمالاً بنحو ٤كم، وعرضه لا يتجاوز في

المتوسط ٥كم فقط. ويبدو أنه إرساب حديث في طور النمو فليس به كثبان رملية ضخمة، كما خلت خرائط مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية ١ : ٥٠٠,٠٠٠ التي أعدت عام ١٩٦٠م من ذكره أو الإشارة إليه. وبناء على ذلك فإن نُفُود الشندوة في حال نموه وامتداده شمالاً سيتصل بنفود الشُّقَيِّقَة مما يجعلهما يوازيان نفود السِّر الذي يقع إلى الشرق منهما. ويبدو من المظهر الطبيعي لهذه المنطقة أننا نشهد تكوُّن دهناء جديدة، منها واحدة قريبة التحقيق عندما يتصل نُفُود السِّر بنُفُود الدِّحِي، والأخرى عندما يتصل نفود الشُّقَيِّقَة بنُفُود الشندوة ويواصلان الزحف جنوباً. وقد يتصلان بنُفُود السِّر أو الدِّحِي عند نهاية صفراء السِّر.

وإلى الشرق من جال خرطم وجال الوطاة، ترسبت كميات هائلة مستمرة من الرمال التي تتخذ أسماء مختلفة. وهي تتخذ اتجاه الحافات الجبلية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. فعند دائرة العرض ٤١َ ٢٦ْ شمالاً يبدأ عريق الطُّرْفِيَّة الذي يستمر نحو الجنوب الشرقي، ويتصل بنُفُود صَعَافِيْق أمام الرُّبَيْعِيَّة والشَّمَاسِيَّة. وأمام دائرة عرض أم سِدْرِة، حيث يمر خط الرِّيَاض-سدير القصيم السريع، يبدأ نفود السِّر الذي



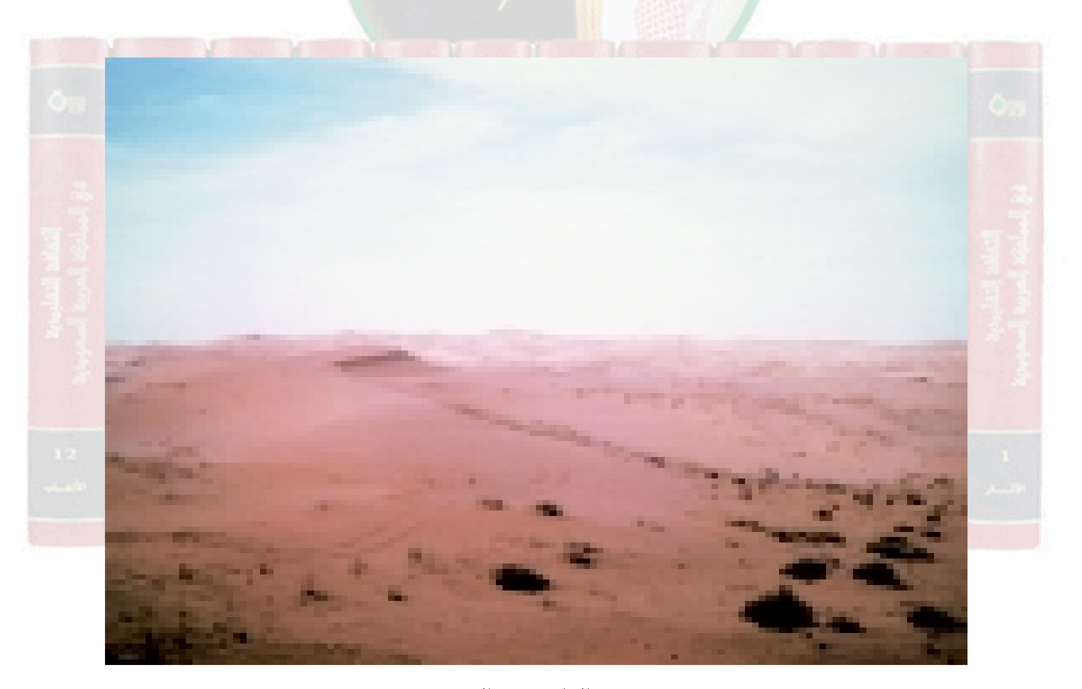
نفود صعافيق – أمام الشماسية – القصيم



يستمر في الاتجاه نحو الجنوب الشرقي حتى دائرة العرض ١٢َ ٢٤ْ شمالاً عند مزارع المِلَيْحيَّة على مسافة حوالي ١٠كم جنوب خط الرِّيَاض-مكَّة المُكَرَّمَة السريع. وفي واقع الأمر فإن نفود صَعَافِيْق هو جزء من نفود السِّر مما يمكن معه القول إن نفود السِّر يبدأ من مجرى وادي الرُّمَّة جنوباً.

ويبلغ امتداد عريق الطُّرْفِيَّة حوالي ٣٨كم إذ إنه يمتد إلى مجرى وادي الرُّمَّة. وهناك يتصل به لسان من نُفُود الغَمِيْس الذي سبق الحديث عنه. أما عرضه فلا يتجاوز ٤كم، ولكنه جنوب دائرة العرض ٣٠َ ٢٦ْ شمالاً يبدأ عرضه بالازدياد نتيجة قربه من نفود الغَمِيْس ومجرى وادي الرُّمَّة.

أما نفود السِّر فيبلغ امتداده ٢٨٠كم من جنوب مجرى وادي الرُّمَّة حتى نهايته عند مزارع المُليحيَّة. أما عرضه فيتراوح بين ٢٢كم في أقصى اتساع له أمام نُفُود المَلْحَاء، و ٦كم في جزئه الجنوبي جنوب دائرة العرض ٥٠َ ٢٤ْ شمالاً. ويشتهر نُفُود السِّر بكثرة الزبائر (جمع زبَارَة) وهي تجمع هائل من الرمال على شكل قبة كبيرة ومن حولها منخفضات تذرية تعرف محلياً بالنقر جمع نقرة أو الخبوب جمع خب. وإلى الغرب من نهاية نُفُود السِّر يقع عرق



عريق الطرفية – القصيم




الدُّغَيْبِيس الذي يتجه من الشرق للغرب إلى شمال شرق مدينة الـقُوَيْعيَّة بنحو ١١كم. وطـوله حـوالي ٢٠كـم أما عرضه فلا يتجاوز كيلومترين، وهو من العُرُوق الرملية الناشئة الحديثة الترسيب. وأهم منه العرق الذي يقع جنوب نهاية نُفُود السِّر بنحو ١٢كم فقط، وهو عرق الخَبْرَاء. وأهميته تنبع من أنه يتجه نحو الجنوب الشرقي ويتصل بنفود قُنَيْفِذَة، وهو يمتد لمسافة ٤٢كم. ومتى ما اتصل نُفُود السِّـر بعرق الخَبْرَاء فإنه سـيكون تلقائياً ذا اتصال بنُفُود قُنَيْفِذَة، ويتبقى فقط نـحو ٦٠كم لكي يـتصل هذان البـحران مـن الرمال بـنفـوذ الدِّحِي وتتشكل من خلال ذلك الدَّهْنَاء الجديدة التي سبق الإشارة إليها. ويتـميز نُفُود السِّر بالتجمعات الرملية الضخمة التي يمكن أن تسمى بالجبال الرملية؛ وهي أكوام رملية كبيرة قد تعـلو قممها من ٥٠ إلى ٣٠٠م فـوق السطح الـذي تراكمت عليه، وكـثيراً ما يوجد على ظهورها أشكال من الطعوس التي تتألف من أنواع شتَّى مـن الكثبان الهلالية. إضافة إلى كثبان طولية وعُرُوق رمليـة خاصةً كلما اتجهنا نحو الجنوب.

وإلى الشرق والشـمال الشرقي من حافـة الأسيـاح والشمـاسيـة وصفراء الأسيَـاح وصفـراء المِسْـتِوي، تتـراكم إرسابات رملـية هائلة تتكون مـن نفود المَظْهُور، أو عرق المَظْهُور، ونفود الثُّوَيْرَات الذي يتحول اسمه بعد دائرة العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً عند رمحين أشيقر إلى عُرَيق البُلْدَان الذي يستمر في الاتجاه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي وينتهي عند دائرة العرض ٠٠َ ٢٥ْ شمالاً. كما نجد هناك كثباناً رملية أخرى بصدد الامتداد والاتصال مع الكثـبان الرملية الكبيرة؛ ومثال ذلك نفود المَلْحَاء في جنوب صفراء المِسْتِوي ويتصل بـنفود السِّر عبر عُرُوق المَواصِل، ونفود قُنَيْفِـذَة إلى الشرق من جِلْه العِشَار وهو يستمر في اتجاهه نحو الجنوب الشرقي حتى جـنوب المزاحمية تقريباً إذ إن نهايته الجنوبية الـشرقية غير واضحة فهو في تمدد مستمر. ويقع إلى الغرب من جبال طُوَيْق جنوب وادي بِرْك نُفُود الدِّحِي الذي يمتد جنوباً حتى قرب وادي الدَّوَاسِر. ولأهمية هذه المساحات الرمـلية الواسـعة فسـوف نستعـرضها بالتفصيل فيما يلي:

فنفود المَظْـهُور لا يفصله عن رمال صحراء الـنفود التـي ينبثق مـنها نحـو الجنوب الشرقي فاصل تضـريسي. وبما أن المصادر العلمية لم تحـدد بدايته بدقة فالأرجح أن يكون الحـد الذي يبدأ منه





نفود المظهور

نفود المَـظْهُور هو خط الـطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً، وهو الحد الذي تبدأ منه صحراء الدَّهْنَاء، خلافاً لمعظم من كتبوا عنها ممن يجعلون بـدايتها من عند درب زبيـدة. والسـبب في ترجـيح هذا الحد هـو أن صحراء النفود الكبير تسـتمر في الاتجاه شرقاً في تَجُمُّعٍ هائل من الرمال، حتى إذا وصلت إلى خط الطول هذا انقسمت إلى قسمين: قسم شمـالي هي صحراء الدَّهْنَاء، وقسم جنوبي هو نفود المَظْهُور. وتفصل بينهما هضبة التَيْسِيَّة التي تنتهي من الناحية الـغربية عند خـط الطــول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً.

ويمتد نفود المَظْهُور من بدايته حتى نهايته بطول عروق السَّـيَّاريَّات، حيث يبدأ نفود الثُّوَيْرَات عند خط الطول ٣٠َ ٤٤ْ شرقاً ودرجة العرض ٠٠َ ٢٧ْ شمالاً نحو ٢٤٦كم، وعرضه ما بين ٦٠كم عند بدايته و٤٥كم في منتصفه ونهايته. وتسود في نفود المَظْهُور الكثبان الطولية مثالية الشكل التي تكَّونت على الأرجح في ظـل نظام ريـحي ثنائـي الاتجاه، جنوبي غـربي وشمالي غربـي. وهي تسمَّى بالعروق لأنـها تمتد متوازية من الشمال الغربي إلـى الجنوب الشرقي. ويفصل بين هذه العُرُوق شقائق تسمى خبب أو خبـوب جمع خِبّ. والخب هو فجوة واسـعة بين العُرُوق الرمـلية وتحتوي عادة على كثبان رمـلية هلالية متحركة. وهناك عرقان يحتفظان بالاسم





طعوس الحنانين بالتيسية

نفسه على طول نفود المَظْهُور، هما عرق المَظْهُور في شمال النفود، وعـرق لَزَّام في وسط نـفود المَظْهُور. وعـند دائرة العرض ٤٠َ ٢٧ْ شمالاً أمام قرية المهينية والهمجة يصبح تتابع العُرُوق كالتالي: عرق الأبَيْتِر ووراءه خب الحسـك، ثم عرق الأشْعَلِي، ثـم عرق جَـدْعَان، ووراءه عرق لَزَّام، فعرق المَظْهُور. وأمام قرية أبا الدود إلى الشمال الشرقي من تقاطـع دائرة العرض ٠٠َ ٢٧ْ شـمالاً وخط الطول ٠٠َ ٤٤ْ شرقاً بنحو ٦كم يصبح تتابع العُرُوق أكثر انتظاماً إذ نجد خمسة عُرُوق رئيسية تسيطر على المظهر الطبيعي في هذا الجزء من نفود المَظْهُور. وهي من الجنـوب إلى الشمال: عرق غَشَّام، وعرق الأشْـعَلِي وعرق لَزَّام، ثم عرق المَظْهُور.

وقد وصفها أمين الريحاني في كتابه ملوك العرب فقال «إن العروض (يقصد العُرُوق) أي النفود الكبرى بين الأسْيَاح وقباء (قِبَـة) هي عدة جبال من الـرمال تمتـد طولاً من الشـمال إلى الجنـوب، وعرضاً من الـغرب إلى الشرق. وهي تدعى دعوصا (طعوساً)، علو الدعص يتراوح بين الخمسمائة والسبعمائة قدم، وبين كل دعص وآخر نحو أربعة أميال نزولاً وصعوداً. أحد عشر دعصاً هي، بل إحدى عشرة كربة، كل واحدة أشد من الأخرى. هناك أفقٌ أمامنا يعلوه أفقان أو رأسا دعصين بعيدين. وفي كل أفق





كثبان طولية في نفود المظهور

رسول من الذهب الوهَّاج يدعونا لنعيم الخيال، بل لخيال النعيم.

ما أجمل ذهب النفود في الشروق وفي الغروب، بل ما أجمل أرجوانه إذا مال الظل وتعرض في الأصيل. وما أبهج ليل النُفُود وقد افترشت رملاً ناعماً كالحرير، وآخيت نجماً دانياً في نوره منك، كأنه يهمس في أذنك كلمات السكينة والحب والسلام. وما أروع أشكال الرمال وقد كونت أهراماً وقباباً وفيها أمثلة الصراط، وقد شحذتها الرياح فأمست كحد السيف. إن أصعب السير على الرّكْب والركائب هو السير في العروض (العُرُوق)، ولا أثر البتة لطريق فيها، ولا مهرب من أمواج رمالها. تصعد الذلول في الدعص إلى رأسه وهي تترنح فتغوص حتى الرسغ، فتجيء الخطوة الواحدة وفيها قد بذل جهد عشر خطوات، فتئن حتى الرحال من شدة الحال. أما في النزول، فتنتقم من الدعص الذلول، فتروح هاوية غاوية، وهي تغوص في الرمل حتى الركاب. فتجيء الخطوة مقدار خمس خطوات، وفي كل منها للراكب خمس نكبات. زد على ذلك أن الدليل المطيري كان يعبر المنحدر في خط مستقيم دائماً، فلا يهمه الرفيق المحموم، فتتبعه الركائب غائرة متدهورة إذا لم يكبح جماحها. وكيف يقوى على كبح جماح ذلوله من كبحت جماحه الحمَّى.


خبة في نفود المظهور (طعوس الجن)

الماء معنا لا يكفي إلا أياماً معدودة. فإذا أنخنا كل مرة شرفتنا الحمَّى لنجاملها حتى تـزول، ينفد ماؤنـا قبل أن نجتاز نصف الطريق. ولا ماء إلا فـي الحفر! (حفر البَاطِن) اركب يارجل وتوكل على الله. لا أظنني توكلـت في تلك المحنة الفريدة على غير الله. بل كنت أحس، أستغفرك ربي، أنك، وإن كانت الحمَّى رديفي، راكب أمامي قابض على زمـام الذلول وزمامي.

يـاذلولـي حجـيلـه ذلول ابـن عيـد
قـربتـي قـطـرت والمعـشـى بعـيـد

وما كان أبعده في أيام النـفود، في ذلك البحر الرملي الذي تعالت أمواجه جبالاً وهبطت جباله أمواجاً، فضاق في اجتيازه حتى صدر الدليـل المطيري. ما كنت أظن ونـحن نخوض عبابـه أن له نهاية تنتهي عندها الشدة والعذاب. ولكن الدليل عندما أطللنا على الأفق الأعلى، فاه بكلمة كانت الوحيدة التي أبهجتني: هناك ظهر العروض (العُرُوق) ومنه نعاين الدَّهْنَاء.

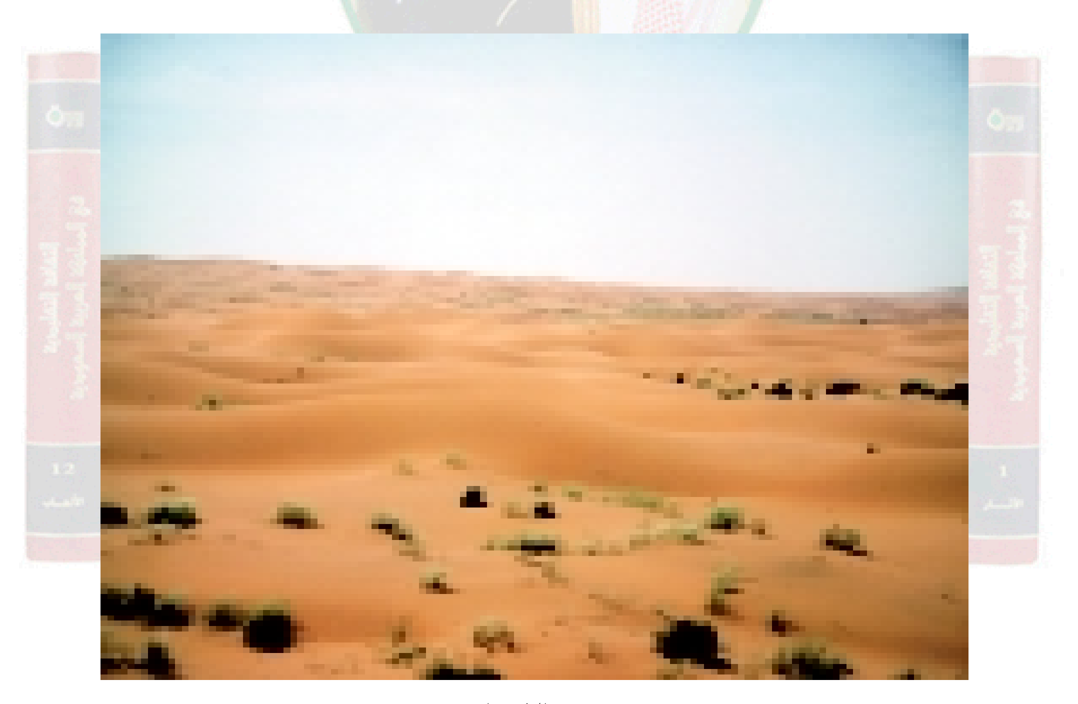
ظهر العروض (العُرُوق)، آخر ضلع من ضـلوع الأسْيَاح آخـر دعص من النفود. آخر درجة من سلم التعذيب- شكرنا الـله ثم شكرنا الـله- وعندما أطللنا على الدَّهْنَاء تنفس الرَّبع كـلهم الصعداء وأمـر هذلول بالتكبـير: كبِّر



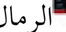
يابداَّح. فراح بدَّاح يـدرهم ويصيح: الله أكـبر! الله أكـبر! وكانت سـاعة الغروب فأنخنا فوق السهل الذي يمتد بين الـعروض (الـعُرُوق) والـدَّهْنَـاء» (الريحاني ١٩٢٤: ٦١٦-٦١٧).

أما نفود الثُّوَيْرَات وعُـرَيق البُلْدَان، فيبدآن بعد نهاية نفود المَظْهُور حيث يبلغ طوله ٢٥٠كم، منها ١٢٦كم يمثلها نفود عُرَيق الـبُلْدَان الذي يـطلق على الجـزء الجنوبي من نـفود الثُّوَيْرَات، ابتداء من درب أبا الصلابيخ المسفلت الذي يربط بين حـمادة الغاط وأم حَـزْم عند دائرة العرض ٥٠َ ٢٥ْ شمالاً. ويتناقص عرض نفود الثُّوَيْرَات باطراد نحو الجنوب، فيبلغ أقصى عرض له ٧٠كم في الشمال عند دائرة العرض ٥٠َ ٢٦ْ شمالاً، ويـضيق عند مدينة الزلفي إلى ٢٢كم، ويستـمر نحو الجنـوب بعرض لا يزيد متوسـطه عن ١٠كم فـقط. وأقل عرض لـنفود الثُّوَيْـرَات وامتداده عُرَيق الـبُلْدَان، هو كيلومترين فقط إلى الشمال الشرقي من مدينة أشيقر بنحو ٦كم.

ويقع نفـود المَلْحَاء بين نفود عُـرَيق البُلْدَان من الشرق ونفود السِّر من الغرب، إلى الشمال من طريق شقراء-الدوادمي المسفلت بنحو ٧كم. وهو من التجمعات

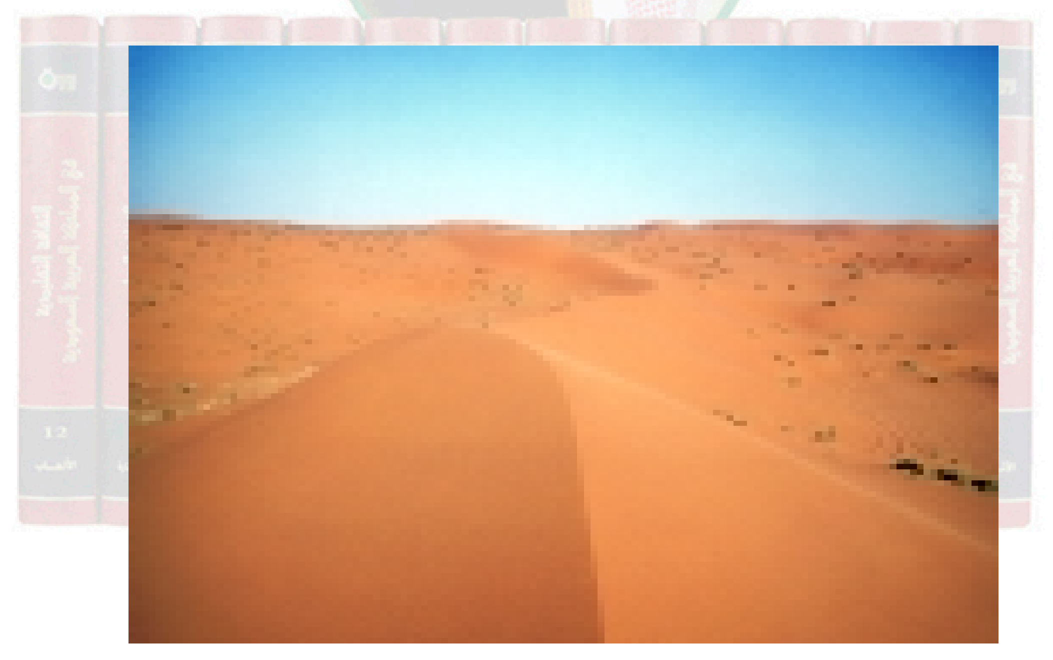


نفود الثويرات

الرملية الصغيرة نسبياً على الرغم من أن تكونه قد تم في الزمن الذي تكونت فيه الرمال الكبيرة إلى شرقه وغربه، استقراء من حجم الكثبان الرملية القبابية وتطورها. وهو يتصل بنفود السِّر عن طريق نفود المَواصِل الذي ربما كان يشغل مجرى وادٍ قديم. وعن طريق هذا النفود يتم تغذية نفود المَلْحَاء بالرمال من نفود السِّر. ويبلغ طول نفود المَلْحَاء ٦٠كم، وعرضه ما بين ١٢كم في الوسط، و٨كم في الشمال، ويضيق نفود المَلْحَاء عند الاتجاه نحو الجنوب حيث لا يتجاوز عرضه ٣كم عند نهايته الجنوبية. ولا تختلف أنواع الكثبان الرملية في نفود المَلْحَاء عما هو موجود في نفود السِّر أو نفود عُرَيق البُلْدَان، وذلك لتشابه نظام الرياح السائد.

ويقع إلى الشرق من نفود السِّر نفود قُنَيْفِذَة. ويمتد من عند فياض المُغَر، عند دائرة العرض ٦٠َ ٢٥ْ شمالاً إلى الجنوب من خط الرِّيَاض–جِدَّة القديم بنحو ١٠كم. وهو يمتد نحو الجنوب الشرقي لمسافة ١٥٠كم. وعند دائرة العرض ٠٠َ ٤٦ْ شرقاً يمتد منه لسان نحو الجنوب لمسافة ٧٥كم حتى مزارع المَجْذَمِيَّة، وهناك يتصل به عرق الخَبْرَاء. ويمتد منه لسان قبل ذلك هو عرق اللسيِّن يتجه نحو الشمال الشرقي متتبعاً منخفضاً سببه



نفود قنيفذة

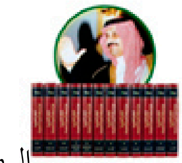
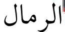




بحيرة الخرارة في نفود قنيفذة

أخدود نِسَاح وتشغله بعض الأودية والشعاب. وأنواع الكثبان بنفود قُنَيْفِذَة معظمها كثبان رملية قبابية، ولكن توجد بعض الكثبان الطولية والعروق في شمال النفود.

ويقع إلى الجنوب من نفود قُنَيْفِذَة نفود الدِّحِي، بنحو ٦٠كم فقط. وهو يبدأ من أمام فريدة الهَيِّرة جنوب حفائر ابن ردعان عند دائرة العرض ١٢َ ٢٣ْ شمالاً، ويحاذي حافة جبال طُوَيْق جنوب وادي بِرْك لمسافة ٢١٦كم حتى مشاش عَسْعَس، التي تقع شمال دائرة العرض ٣٠َ ٢١ْ شمالاً بنحو ٦كم. ويتزايد عرض نفود الدِّحِي كلما اتجهنا جنوباً، فهو يتراوح ما بين ٦ إلى ١٢كم في نصفه الشمالي، و٣٨ إلى ٤٢كم في نصفه الجنوبي. علماً بأنه يضيق أحياناً إلى كيلومترين فقط كما حدث عند مشاش المليح عند دائرة العرض ٣٨َ ٢١ْ شمالاً. ومعظم أنواع الكثبان الرملية في نفود الدِّحِي هي من نوع العُرُوق الطولية التي تتجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، ومنها على سبيل المثال عرق الطَّلْحَات وإلى جنوبه عرق مُرَيْصِيْص، وعرق مُرَيْخَة، وعرق رَمْلان، وعرق أبو عشرَة، وعرق غُضَي،

وعرق الحِنْتُوشِي، وعرق عَيْرَان، وعرق العَسْعَسِيَّة، وعرق عَسْعَس. وبعض الكثبان القبابية القليلة، مثل زبائر الرُّوشَن في أقصى شمال نفود الدِّحِي، وزبائر الحِفْنَة في وسطه، وزبارة دِجِي في جنوبه. ولا توجد هذه الزبائر إلا في طرفه الغربي.

وإلى الجنوب من نفود الدِّحِي منطقة رملية ناشئة تقع ما بين عِرْق الوَادِي في الجنوب ونفود الدِّحِي في الشمال، وفي حال نموها شمالاً أو جنوباً، أو تَقدُّم نفود الدِّحِي نحو الجنوب فسيتم اتصال نفود الدِّحِي بعرق الوادي الذي يتصل بالرُّبْع الخَالِي. ومن ثم تكتمل صلة الدَّهْنَاء الجديدة التي افترضنا أنها في حالة تكُّون. وهذه المنطقة الرملية يبلغ طولها ٤٠كم وعرضها ما بين ٤ و ١٠كم، وبها عُرُوق طولية هي: عريق مُرَّان، وعريق الدُّفُوف، وعريق الحَرْمَل. وليس هناك اسم جامع لهذه الرمال، ويمكن إطلاق اسم نفود الجَبْهَة عليها لأنها نشأت في منطقة الجَبْهَة التي تقع إلى الغرب من حافة جبال طُوَيْق.

وتغطي الصحاري الرملية نصف المنطقة الرسوبية بالمملكة العربية السعودية، أو ثلث مساحة شبه الجزيرة العربية، وهي تشمل ٧٨٠,٠٠٠كم٢ تقريباً. ويقع حوالي ٩٠٪ من هذه الرمال في ثلاثة بحار رئيسية هي: صحراء النفود، والدَّهْنَاء، وصحراء الرُّبْع الخَالِي. وهذه الصحاري الرملية من أبرز ملامح شبه الجزيرة العربية ومن أهم تشكلاتها الأرضية.

النفود الكبير. النفود هو الرمل المتراكم ويجمع على نِفْد ونِفْدَان، وتصغيره نُفَيِّد وهو استعمالٌ شائع في المملكة. لا نجده في المعاجم المعروفة. يطلق المعاصرون كلمة النُّفُوْد على كثبان الرمال المتراكمة فيقولون: نُفُوْد الدَّهْنَاء، ونُفُوْد السِّر، ونُفُوْد البَتْرَاء، والنُّفُوْد الكَبِيْر، ويقصدون بالأخير ما يسمَّى قديماً رِمَالُ عَالِج. والعالج هو المتراكم من الرمل المتداخل بعضه في بعض. وتقع صحراء النفود الكبير في الجزء الشمالي من المملكة بين منطقة حَائِل من الجنوب أو دائرة العرض ٠٥َ ٢٧ْ شمالاً، ومنطقة الجَوْف أو دائرة العرض ٤٠َ ٢٩ْ شمالاً. وهذا التحديد يغفل التجمعات الرملية الصغيرة المنعزلة عن النفود الكبير، الموجودة في منطقتي حَائِل والجوف. أما حد النفود من الغرب فهو خط الطول ٢٥َ ٣٨ْ شرقاً. ويمثل آخر ما وصل إليه اللسان الممتد من النفود نحو الشمال الغربي المسَّمى





النفود الكبير

بالعُرَيْق، وينتهي عند وادي فَجْر. وإلى الجنوب من ذلك نجد منطقة حفرة الطُّفَيْحَة والخُنْفَة، وهي مناطق خالية تقريباً من الرمال المتصلة مع النفود سوى بعض الطعوس والتجمعات الرملية التي تخفي معالم سطح الأرض الأصلية. ولهذا يشق وادي نَيَّال طريقه عبر المنطقة مُشَرِّقاً حتى يصل إلى قرية العَسَّافِيَّة، ثم يتجه بعدها شمالاً حتى يصل إلى نُفُود العُرَيْق. وإلى الشمال الشرقي من الخُنْفَة هناك ما يعرف بلُغْف النفود وهي منطقة خالية تقريباً من الرمل ويمكن الوصول إليها بالسيارة بسهولة. أما حد النفود الكبير من الشرق فهو خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً وهو الحد الذي تبدأ منه رمال الدَّهْنَاء ونُفُود المَظْهُور، وقد سبق ذكر سبب ترجيح هذا الحد على غيره عند الحديث عن بداية نفود المَظْهُور.

ويختلف هذا التحديد عمَّا ذكره القدماء بشأن هذا الإقليم الرملي. فقد ذكر أبو زياد الكلابي أن رمل عالج يصل إلى الدهناء، وينقطع طرفه من دون الحجاز: حجاز وادي القرى وتيماء، فأما حيث تَوَاصَل هو وجبال الدهناء فبزَرُود (البكري ١٩٤٥، ج٣: ٩١٣-٩١٤). وقال أبو عبيد الله السكوني: عالج رمل بين فَيْد والقريات. ينزلها بنو بُحْتُر من طيّيء. وهي متصلة بالثَّعلبية على طريق مكة، لا ماء بها،

ولا يقدر أحد عليهم فيه. وهو مسيرة أربع ليال، وفيه بِرَك إذا سالت الأودية امتلأت. وذهب بعضهم إلى أنه متصل بِوَبَار، مثلما جاء في معجم البلدان. وتقع فيه شرقي جبل سلمى الواقع جنوب النفود الكبير، أما القريات فهي دومة الجندل وسكاكه والجوف والقارة، الواقعة في منخفض وادي السرحان شمال النفود. ولعل هذه الصلة مع رمل الدهناء هي التي أوحت لبعضهم أن يستنتج أن رمل عالج متصل بوبار، أي برمال الربع الخالي كما تقدم، وخصوصاً أن عروق الدهناء ممتدة بذراع نحو الربع الخالي.

وأقصى امتداد شرقي غربي للنفود الكبير هو ٣٤٢كم، أما اتساعه من الوسط فهو ٢٧٥كم من الشمال نحو الجنوب. ويقل عرض النفود كلما اتجهنا شرقاً، فهو لا يتعدى ١٢٨كم عند نهاية النفود الشرقية. ولذلك فالنفود الكبير يشبه مثلثاً قاعدته في الغرب ورأسه في الشرق. ويمكن تشبيهه باليد العملاقة ذات الأصابع الطويلة التي تشير نحو الغرب (Chapman 1978: 23).

وعلى الرغم من وجود بحار الرمال الضخمة في كثير من الأحواض الطبوغرافية، فإن النفود الكبير يعلو سهلا يكاد يكون مستوياً، ثم ينحدر انحداراً خفيفاً باتجاه الشمال الغربي. وقد لاحظ ذلك بعض الرحَّالة منذ أكثر من مائة عام، وكانوا قد اجتازوا النفود على ظهور الخيل من الَجْوف حتى حَائل. وفي عام ١٩٨٢م قام عالم أمريكي من مصلحة المساحة الجيولوجية الأمريكية باستكمال مسحين طبوغرافيين من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب عبر النفود الكبير. وأثبت المسحان أن صحراء النفود لا تقع داخل حوض تضاريسي.

الدَّهْنَاء. صحراء رملية تتخذ شكل قوس يمتد نحو ١٢٠٠كم من جنوب شرق النفود إلى شمال الرُّبْع الخَالِي؛ أي من خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً، وقد سبق أن بينا سبب تفضيل هذه البداية على غيرها وهو درب زبيدة خلافاً لمعظم من كتب عن الدَّهْنَاء. وقد تبين أن خرائط المملكة الحديثة مقاس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ تتفق مع هذا الرأي في بداية الدَّهْنَاء. فقد حملت اسم الدَّهْنَاء حتى خب سَحَّاء إلى الشرق مباشرة من خط الطول ٣٠َ ٤٢ْ شرقاً. أما نهايتها الجنوبية فعند دائرة العرض ٥٠َ ٢٠ْ شمالاً واسم الرُّمَيْلَة الذي يطلق على نهايتها الجنوبية





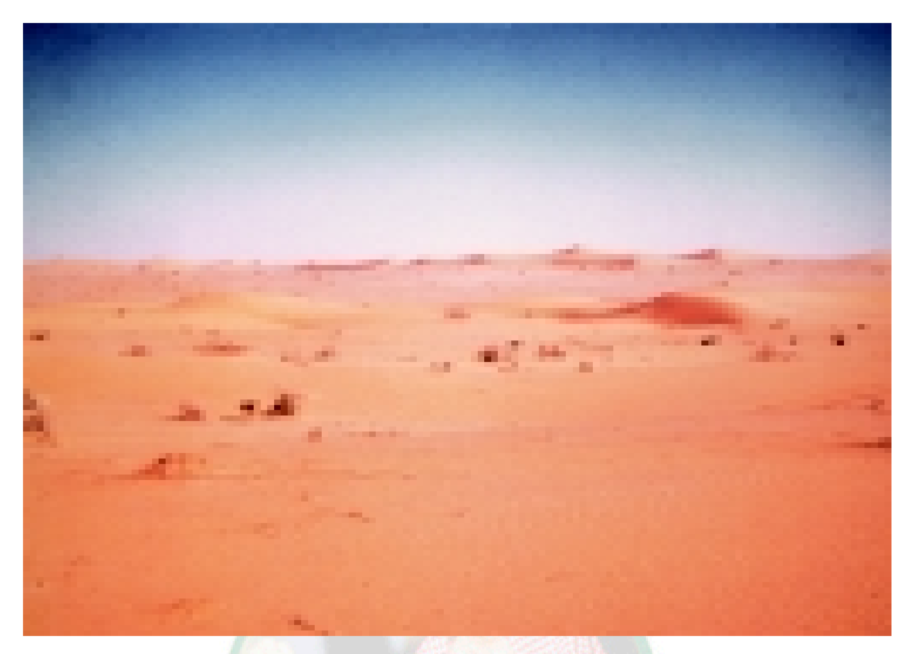
الدهناء

ليس نهاية الدَّهْنَاء وإنما هو اسم محلي يشير إلى قرب اندماج رمال الدَّهْنَاء برمال الرُّبْع الخَالِي. والدليل على ذلك أن المظهر العام لامتداد الدَّهْنَاء لا يتغير بتغير الاسم، فليس هناك سبب تضريسي مقنع يمنع من استمرار الدَّهْنَاء حتى اختلاط رمالها برمال الرُّبْع الخَالِي.

وأما عرض الدَّهْنَاء فيختلف من مكان إلى آخر، فمتوسط عرضها شمال وادي البَاطِن هو ٢٠ كم فقط. وأمام وادي البَاطِن ترتبط الدَّهْنَاء مع نُفُود المَظْهُور ونُفُود الثُّوَيْرَات عبر عُرُوق السَّيَّاريَّات، والسبب في تراكم الرمال في هذه المنطقة هو وجودها بجانب مجرى وادي الرُّمَّة القديم الذي يتميز بخاصتين، هما انخفاضه عما حوله مما سهل ترسيب الرمال، وتوافر مصادر الإرساب مما يحمله الوادي معه من مجاريه العليا. وفي هذه المنطقة يبلغ عرض الدَّهْنَاء حوالي ٦٠كم.

وإلى الشرق من خط الطول ٠٠َ ٤٥ْ شرقاً تنقسم الدَّهْنَاء إلى قسمين لمسافة ٧٠كم. وتسمى المنطقة الفاصلة الجَنْدَلِيَّة، وإلى شمالها عريق الدُّحُول وإلى جنوبها عرق جَهَام. والجَنْدَلِيَّة أرض ذات فياض وآبار، ففيها فيضة أم



عروق السياريات

الصَّــعَانِين، وفــيضة أم طُلَــيْحَة وآبــار الحَنْبَــلي، كما يمــر من خلالها طــريق المَجْمَعَة–حفر البَاطِنِ المزفت. وبعد خط الطول ٤٦ْ شرقاً تبدأ الدَّهْنَاء في الاتساع، فمتوسط عــرضها في هذه المنطقــة هو ٧٥كم، ثم تتناقص كلما اقتربنا من وادي السَّهْبَاء حيث لا يتجاوز عرضهــا هناك ٣٥كم. ويستمر هذا المتوسط حتى قبل نهايتها إذ يعود العرض إلى مثل ما بدأ به، وهو ٢٠كم. وتبدأ الدَّهْنَاء في الاتجاه شرقاً حتى تجتاز درب زبيدة. وعند خط الطول ٣٠َ ٤٣ْ شــرقاً تبدأ فــي الاتجاه نحو الجنوب الشرقــي في قوس منحن مواز للحافات الصخــرية. وعند وادي السَّهْبَاء تتجه نحو الجنوب الغربي حتى نهايتها في الرُّبْع الخَالِي.

والنصوص العربية التي وصلتنا عن الدهناء تفوق كل ما وصلنا عــن الرمال الأخرى. فقد اهتم بهــا الشعراء، ومن ثَمَّ عــلماء الــلغــة وأصحاب المــعاجم الجغرافية لأنها أخصب مراعي العرب، فإذا أخصبت ربعت العرب جمعاء، ومن سكنهــا لم يعرف الحمّى لطيــب تربتها وهــوائهــا (الأزهــري ١٩٦٤، ج٦: ٢٠٩). ولهذا أكثر الشعراء من ذكرها، فوصفوا رمالها، ونباتها، ومنازل أحبتهم بها. وأكــثر الشعراء وصفــا لها هو ذو الرمة، الذي حفظ في شعره صورة تلك



الرمال وأسماءها المختلفة، فذكر من الرمال والمواضع حُزْوى والزُّرْق ومعقلة والشَّمَالِيل وغيرها.

وقد ذكر العرب عرض الدهناء، فقال البكري عن ابن حبيب: إن عرض الدهناء ثلاث ليال، أي حوالي مائة وخمسين كيلو متراً. وهو هنا يشير إلى ما يقطعه الراكب عَبْر رمل الدهناء في طريق البصرة إلى مكة (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٥٩). ومن الممكن أن يتضح عرض الدهناء من خلال وصف الحربي للطريق بين البصرة ومكة (الحربي ١٩٦٨: ٥٨٣-٥٨٧)، إذ تبدأ الدهناء للقادم من البصرة عند اليَنْسُوعة، وهي منهل من مناهل الطريق، ويلي الينسوعة بعشرة أميال (أي نحو ١٦,٠٩كم) الخَبْرَاء ثم من ورائها مَسْقَط الرمل، وهو واد في وادي الرمل يأتي من وراء طريق الكوفة ثم يمر إلى طريق البصرة حتى يصير في البحر في بلاد بني سعد بَيَبْرين وأكنافها، ثم إلى السُّمَيْنة. وذكر أن السمينة بين مَصْرَط ومُرْبِخ، ينحدر القادم من أحدهما ويصعد في الآخر بصعوبة شديدة. والأول منها الذي يلي البصرة أصعبها، وهو مصرط، يستعصب فيه الرمل على الجَمَّالين فينزلون أحمالهم عن الجمال. وفي هذا الرمل أكثبة الزُّرق التي استهل بها ذو الرمة ستاً من قصائد ديوانه، فضلاً عن ذكرها في مواضع أخرى منه تزيد على خمسة عشر موضعاً، والتي أشار إليها في قوله:

ألاَ حَيِيا بِالزُّرقِ دَار مُقَام
لِمَيٍّ وإن هَاجَتْ رجيع سَقَامي

ثم وراء هذا الرمل الشَّقَائق، وهي سبع شقائق تقع بين سبعة أَحْبُل، لكل حبل منها اسم، ولكل شقيقة اسم. وآخر شقيقة منها، مما يلي مكة، المُمْغِرة، وهي أرض حمراء كأنما صبغت بالعصفر، وحجارتها كذلك، تتصل بالحبل الذي يقال له حبل الحاضر من الرمل، وهو آخرها، الذي يشرف على النباج، نباج ابن عامر. ومن وراء حبل الحاضر أَقْوَاز (كثبان هلالية) صغار يَمنة ويَسرة عن الطريق، والمحجة فيها، أحياناً رمل دعَس، وأحياناً قيعان، منها قاع بولان. وتلك الأقْوَاز والأجَارع ما استوى من الرمل في ارتفاع يمنة الطريق ويسرته، يقال لها القَصَايِم، وهي رمال مستطيلة شبيهة بالعرق أو الحبل من الرمل تنبت الغضا، ثم إلى النِّبَاج وتسمى اليوم عيون ابن فهيد والأسياح وهي قرية صغيرة بها مزارع شمالي شرق بريدة، ومن السُّمينة إلى النِّبَاج ثلاثة وعشرون ميلاً (٣٧كم).

طريق البصرة إلى مكة تقطعه مجموعة من الحبال أو العروق الرملية غربي عرق المظهور. وتمتد تلك العروق من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي. وتفصل بينها شرائح صلبة من حجر الكلس الرملي، بألوان: أحمر وبني ورمادي وبني فاتح وأصفر، وهي التي سماها الحربي الشقائق. والشُّقة والشَّقِيقة الأرض الصلبة التي تكون بين حبلين من الرمال. وعددها سبع شقائق كلها من التركيب نفسه، ما عدا الشقيقة الأخيرة التي سماها المُمْغرة، ووصف حجارتها وأرضها بالاحمرار، وهو صحيح إذ إن تركيب تلك الشقيقة من حجر الرمل المتكاثف الأشقر اللون. وتوجد على عدة مستويات منه نطق صغيرة من حجر حديدي يتراوح لونه بين الأسود والبني (ترياسي أو جوراسي). ويتراوح طول تلك الشقائق بين ٣٠كم لأطولها و٥كم لأقصرها.

وما نقله ياقوت عن الأزهري في قوله إن الدهناء سبعة أحْبُل في عرضها، بين كل حَبْلين شقيقة يصدق على الجزء الذي أشرنا إليه في وصف الحربي. قال ياقوت: وقال غيره -أي غير الأزهري- إنه إذا كان المُصْعِد بالينسوعة وهو منزل بطريق مكة من البصرة، صَبَحت به أقماع الدهناء من جانبه الأيسر (وقد يكون المقصود بالأقماع الكثبان الصغيرة) واتصلت أقماعها بِعُجْمَتها، وتفرع حبالها من عُجمتها (أي ما تراكم منها من الرمل وأشرف على ما حوله). ثم يورد ياقوت وصفاً طريفاً للدهناء فيقول «وقد جعلوا رمل الدهناء بمنزلة البعير، وجعلوا أقماعها التي شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفناً كَثَفِن البعير (أي ما يقع علي الأرض من أعضائه إذا استناخ)، وهي خمسة أحبل على عدد الثَّفِنات، فالحبل الأعلى منها، الأدنى إلى حَفْر بني سعد -اسمه خُشَاخِش- لكثرة ما يسمع فيه من خَشْخَشة أموالهم، والحبل الثاني يسمى حَمَاطان، والثالث حبل الرِّمث، والرابع مُعَبِّر، والخامس حبل حُزْوَى». ولا يمكن حالياً تحديد هذه الحبال، إلا حبل حُزْوَى، الذي يُرى بالقرب من روضة معقلة. ويقطع الطريق بين معقلة ورماح عدة حبال من الرمل لا علاقة لأسمائها بالأسماء التي ذُكِرَت في نص ياقوت.

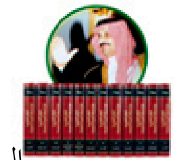
كذلك وصف العرب طول الدهناء. قال الأزهري «طول الدهناء من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين (الأزهري ١٩٦٤، ج٦: ٢٠٩). ونقل ياقوت



نص الأزهري السابق دون أن يشير إلى زرود الواقعة في الامتداد الشمالي للدهناء. وفي النصوص السابقة ذكر الحربي «مَسْقط الرمل وأنه وادٍ في وادي الرمل يأتي من وراء طريق الكوفة حتى يصب في البحر، في بلاد بني سعد بيبرين وأكنافه (الحربي ١٩٦٨ : ٥٨٣)، بينما وصف ياقوت مسقط الرمل بقوله «مسقط الرَّمل في طريق البصرة بينها وبين النباج، وهو واد يأتي من وراء طريق الكوفة من قبل السماوة، ثم يقطع طريق الكوفة إلى طريق البصرة حتى يصب في البحر في بلاد بني سعد من يبرين. ومن عبارته هذه يمكن القول إنه شبَّه الدهناء بواديين، يتفق أولهما في امتداده مع محاور تكوينات العارض والعَرمة، ويمتد من الشمال من عند بركة العشار التي ينقطع عندها رمل الدهناء شمالاً، حتى يصل إلى المجرى المدفون بوادي الرمة في الموضع الذي سَمَّاه مسَقط الرمل، ثم يستمر مع امتداد محور الدهناء جنوباً حتى يلتقي برمال الربع الخالي أو رمل يبرين. أما الوادي الثاني فيتفق مع امتداد وادي الرمة، وبديهي أن امتداد الرمال في مجرى الوادي جاء تالياً لنشأته، وبتضافر عمليات النحت والإرساب بفعل الرياح ردمت الرمال تلك الفجوة التي حفرها وادي الرمة في تكوينات العارض والعرمة في عصور جيولوجية سابقة، فأصبح المجرى الأدنى من الوادي مغطى بالرمال، وهو ما سَمَّاه الحربي وادي الرَّمل وربما يكون ذلك تحريفاً عن وادي الرمة.

مما تقدم يتضح أن المقصود بالدهناء عند العرب القدامى يشمل المحور الرملي الشرقي الذي يمتد من بركة العشار إلى أن يصل إلى الربع الخالي. كما يشمل الأجزاء التي يمر بها طريق البصرة من وادي الرمة المندفن تحت الرمال، والعروق الرملية التي تصل بينه وبين بئر زَرُود.

والدهناء تتكاوس رمالُها وتتداخل وتمحى شقائقها وتعفى طرقها، فلا يُسار فيها إلا بمعرفة الجهة، ولا يقطعها إلا خِريت ماهر. وحيناً تنقاد حبالُها وتتواكب شقائقها وتبرز أعلامها. وهذا يرجع إلى طبيعة تكوينها ورمالها المتحركة في بعض أجزائها والساكنة في أجزاء أخرى. ولذا تجدهم يتخذون منها مسارات معلومة وطرقاً لاحبة تتحاشى عبور متكاوسها، أضف إلى ذلك أن الدهناء خاليةٌ من المناهل قفرٌ من المياه، فكانت في حقبها الماضية مضيعةٌ مهلكة ابتلعت الكثير وطوتْ في جوفها القوافل والمجتازين. ولهذا قالوا «فلان كالدهناء.




قريبة الثرى بعيدة الماء». يضرب لمن يريك أن خيره قريب وهو أبعدُ من ماء الدهناء.

ولما كانت هجرُ سابقاً هي الممون الرئيسي لنجد باديةً وحاضرةً بالميرة والكساء وأكثر مستلزمات الحياة بحكم أنها بلادٌ زراعية تنتج التمور والحبوب. ونحوها، كما أنها بلادٌ صناعية تغزل الصوف والوبر والشعر وتصنعه وتصنع الأدوات الزراعية الأقتاب والرحال. وهي أيضاً باب الجزيرة إلى الهند وجنوب شرق آسيا عن طريق مرفئها المعروف العُقَيْر، لذلك فإن لها طرقاً معروفةً تعبر الدهناء من نَجْد، فكل جهة من جهاتها الممتدة من الشمال إلى الجنوب لها طريق معروف. فالعارض وما صاقبه جنوباً وما فوقه غرباً يسلك أهله طريق مَزَالِيْج الطريق الجنوبية يتزودون بالماء من منهل أبي جِفَان في طرف العرمة الجنوبية ثم لا ماء -أمامهم- دون الأحساء، وفيه كثبٌ وعرة شاقة تجتازها الرواحلُ بصعوبة شديدة، وهي التي عناها محسن الهزاني في تائيته حينما وصف الركب الوهمي الذين حملوا رسالته لصديقه سليمان بن عفالق في الأحساء، هذه الكثب هي مُزْعِلات قال:

يسرحن الصبح من جرعا نعام
والعصير منكّباتٍ مزعلات
والعتيم القابله من غير إين
يشربن بروسهن من ما الصراة

يقصد صراة الأحساء. وسميت مزعلات لأنها تزعل مجتازها أي تغضبه وتحنقه بوعورة اجتيازها.

ومزاليج أيضاً هي التي يقصدها عبيد بن رشيد في قصيدته التي يقول منها:

اقفن بنا مثل القطا مع مزاليق
وصارت توالي كل عشرٍ ثمان

وهي التي يقصدها الرقاص بقوله:

هني من درهمت به فرخة الحره
معط مزاليج والا معطٍ الجودى

ومزاليج هي العلم البارز الذي سمي به حقل النفط الغني الذي كُشف في تلك المنطقة.

يلي مَزالِيْج من الناحية الشمالية من هذه الطرق طريق مِخْيَط وزان مبرد يسلكه من يفوّز من منهلي سِعْد ورْملان. وسمي مخيطا باسم نقى هنالك في أول الدهناء غربيها سامِق الطول مذروب الرأس كأنه مخيط، وهذا الطريق يلي طريق خُرَيْص شماليه إذا سلكتَه ودخلت الدهناء فالتفت يسارك ترى مِخْيَطاً يسبرك أبرز علم هنالك.



ويلي مِخْيَطاً من الناحية الشمالية طريق الظعيني يدخل الدهناء من تلقاء رملان ويرد منهل جودة، ويليه من الناحية الشمالية طريق الجودي، وسمي بالجودي نسبة إلى منهل جودة الذي يمر به هذا الطريق بعد اجتياز الصلب. وكان هذا المنهل قديماً يسمى يجودة فحذفت ياؤه أخيراً فصار جودة، وبعد منقطع الرمل من هذا الطريق مما يلي الصُّمان كانت هناك شجرة طلح كبيرة تضاف إلى هذا الطريق، فيقال: طلحة الجودي. واياها عنى الخلاوي في وصفه لدحل أبي مروة حيث يقول:

عن طلحة الجودى تواقيم روحه
وعليها شمالي النسور يغيب

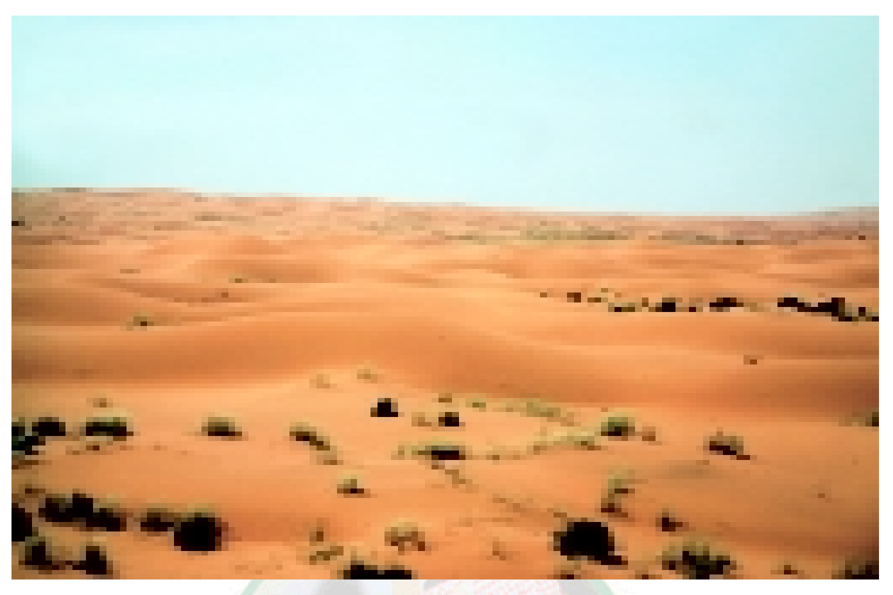
وعنها مهب الهيف رجمٍ وفيضه
وحرورى ان كان الدليل نجيب

ويليه من الناحية الشمالية الكنهري من معالم هذه الطريق الشهيرة، يفوز من رماح ويرد جودة أو الطوال. ويليه من الشمال طريق مغَطْي يفوز من الحفر ويرد الطوال.

ويليه من الشمال المبيحيص وهو يمر بخبرا الخمة بالصمان بعد أن يجتاز الدهناء، ويليه طريق المنشرحة فأم الرمم، فالهبابية فالأجردي، فطريق حاج البصرة، ثم طريق حاج الكوفة، فطريق لينة، فطريق جبة-الجوف. وكل هذه فجاج وسبل تجتاز هذا الذراع الرملي العظيم الذي ينطلق من الربع الخالي ويذهب مشملاً فمغرباً، ويكون في نهايته شمالاً رمل عالج أو صحراء النفود الكبرى كما يسميها المعاصرون. وهناك طريق مما يلي الأفلاج جنوب الدهناء يسمى فليجاً هو طريق الجنوب إلى الأحساء. ودوينه طريق آخر يقال له حوجان يسلكه المفوز من ماءة وسيع وهو يلب بطريق مزاليج جنوبيه.

والدهناء تعتبر من أخصب مرابع العرب ومراتعهم حتى أنهم قالوا إذا أخصبت الدهناء استوعبت كافة العرب، وإذا لم تخصب فإنهم في فقر إلى زيادة إخصاب. ذكر ذلك ابن خميس في حديث طويل جميل ومنه «قال في اللسان وهي الدهناء سبعةُ أحبل في عرضها بين كل حبلين شقيقة وطولها من حزن ينسوعة إلى رمل يبرين وهي قليلة الماء كثيرة الكلأ ليس في بلاد العرب مربع مثلها وإذا أخصبت ربعت العرب جمعاء. وفي حديث صفية ودُحَيْبَة: إنما هذه الدهناء مقيد الجمل هو الموضع المعروف ببلاد تميم».



الغطاء النباتي في الدهناء

ونباتات الدهناء من الشجر هي الأرطى، والغضا، والعلندا، والعوسج، والعاذر، والعشر، والثمام، والحمض. ومن البقول والأعشاب الثغام، والخزامى، والصفارى، والشقارى، والصليان، الضمران، العرفج، العلقى، القليقلان، النصى، الحماط، الشرشر، الذعلوق، الربل، الأرقة، الرقروق، الغريراء، المكنان، القفعا، الحمبصيص، العضيد، الرخيم، المكر، الشتيل، أم ثريب، البسباس، المسيكة، القرنوى، السبط. وقد ينبت في صرائمها (شققها) ما ينبت في الروض.

وحضنها الغربي مستقر لسيول الأودية التي تنحدر عليها، فهنالك رياض من أشهر رياض نجد تمتد في حضن الدهناء كروضة التنهاة وخوابيها تصب فيها أودية الشّوكي وروافده، والعتك وروافده، والطيري وروافده. وهناك روضة خريم وخوابيها يصب فيها وادي الثمامة وروافده. وهنالك مرابخ المزيرع ومدافعه يصب فيها وادي الطوقي وروافده الكثيرة، أما مرابخ الدهناء جنوبي خريم فتصب فيها أودية جنوب العرمة المسعودي وأثيلان والجافي، وما خلف طريق خريص جنوباً من المغائض والمرابخ تصب في أودية العرمة الجنوبية عشيران والحلال الجنوبي، والحلال الشمالي وأبو سدير، وغيرها. ورياض البجادية، والسهباء، والتوضحية أسفل الخرج تصب فيها أودية



العارض كلها: وادي حنيفة وروافده، وأودية علية، ونساح، وبلجان، والعين، وتمير، وماوان، وأثيلان، وأبو سحرا، والسوط، وأودية جنوبي الخرج برك وروافده، والعقيمي وروافده، والثليماء. ومن الشمال أودية نخش العرمة الجنوبية، والترابي والحنية. كل هذه الأودية تستقر في البجادية والتوضحية في حضن الدهناء من تحت الخرج. وهنالك أودية البياض من تحت الأفلاج، وأودية الحرشة كلها تستقر في مرابخ ومدافع في حضن الدهناء الجنوبي تحت الأفلاج، ومن الشمال هنالك روضة حيرْي العصل يصب فيها وادي العصل، وهنالك أيضاً مغائض تصب فيها سيول القرشع، قرشع طاسان، وهكذا. ليس منظر أبدع ولا أمتع من هذه الرياض إذا أخصبت وازدانت وازدهرت وتفتح نوارها وغنت أطيارها. تطل عليها الدهناء بحمرتها الذهبية وتمتد غربها الأودية بطلوحها وغدرها ومحانيها، وتطرق هذا وذلك صبا نجد صباحاً فيفوح عبيرها ويعبق شذاها.

فياسائلي عن نجد او عن رياضه
فديتك هذا بعض ما في ربا نجد

وفي الدهناء أعلامٌ بارزة وصوى مشهورة تغنى بها الشعراء وسرى ذكرها على ألسنة الرواة. واستوعبها السفر والأدلاء وسط هذا البحر من الرمال. بها يعرفون الطرق، ويصفون المنازل، ويحددون الاتجاه وأمكنة الضوال. وقد سبق من ذلك مزاليج ومزعلات. وهناك تل كبير قريب من مزاليج يسمى حومل بارز معروف.

ومن أعلام الدهناء رجم الشويعر علمٌ بارز على طريق مزاليج، يعرفه السفر تمام المعرفة، وفيه يقول ناصر الهزاني يصف ركبا من قصيدة يمدح بها أحمد السديري أمير الأحساء آنذاك:

لهن من ديرة بني زيد مسراح
كرام اللحى ستر البني الطماميح

تموا وهموا لا تهنون بمراح
عسى لكم رجم الشويعر مصابيح

ومن أعلامها أيضاً دليل نقى من أنقية الدهناء البارزة مقابل لمنهل سعد -بكسر السين وإسكان العين فدال- ويضرب بهما المثل في قرب أحدهما من الآخر فيقال «ياقرب سعد من دليل» فالذي على المنهل يشاهد دليلاً، والذي فوق دليل يشاهد من على المنهل، ويقع دليل شمال شرق سعد مخرج السماك الأعزل -النسر- وطريق المنطقة الشرقية -طريق خريص- يأتي من بينهما، وقد أخذ هذا المثل عبدالله بن محمد الصبي



المعروف بميليش، فقال من قصيدة حربية يمدح بها الملك عبد العزيز:

لو صلاح الناس في غارب الجوزا بداه
ما يذل من المخاوف ومن ربه ذليل
هو عمود الدين ما شاف من فتق رفاه
كنه المهدي ويا قرب سعد من دليل

ومن أعلامها خُريم -بضم الخاء وفتح الراء فياء ساكنة فميم- من أطول أنقية الدهناء يرى من أمكنة بعيدة، وإليه تضاف الروضة المشهورة من رياض العرمة فيقال روضة خريم، ويقع شرقيها من الدهناء.

ومن الأعلام أيضاً الجلالية زبارة مُتَلَمِّخة كبيرة تقع شرقي بلد رماح بميل قليل إلى الجنوب، وفيها جرت وقعة بين قبيلة الدواسر وقبيلة سبيع، قال فيها شاعر سبيع:

ذيب يالي عوى عند الجلاليه
ابتجح بالعشا من قوم بسام

ومن أعلامها السبية بالسين المفتوحة المشددة والباء المكسورة والياء المكسورة المشددة فهاء مربوطة. زبارة من زبائر الدهناء شرقيها قريبة من حزوى وبها جرت وقعة للإمام تركي بن عبدالله على بني خالد سنة (١٢٤٥هـ) لم تقم بعدها لبني خالد قائمة، ومنها احتل الإمام تركي الأحساء. وهذا اسم السبية من قديم ذكرها غيلان ذو الرمة في شعره قال:

وقد جعلوا السبية عن يمين
مقاد المهر وانتجعوا الرمالا

ومن أعلامها حزوى بضم الحاء وإسكان الزاء فواو مفتوحة فألف مقصورة، زبارة أيضاً من زبائر الدهناء مشهورة في أسفلها مما يلي معقلا علم بارز هنالك، قال عنها الأزهري: هي حبل من حبال الدهناء مررت به. وقال محمد بن إدريس بن أبي حفصة: حزوى من رمال الدهناء. قالت تماضر بنت مسعود أخي ذي الرمة من قصيدة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً
بجمهور حزوى حيث ربتني أهلي
وصوت شمال زعزعت بعد هجعة
ألاء وأسباطاً وأرطى من الحبل
أحب إلينا من صياح دجاجة
وديك وصوت الريح في سعف النخل

وقال أعرابي آخر:

لئن طلن أيام بحزوى لقد أتت
عليّ ليال بالعقيق قصار

وأنشد ابن أبي حفصة لذي الرمة:

خَلِيليّ عُوجَا من صدور الرواحل
بجمهور حزوى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة
إلى القلب أو يشفي نجي البلابل



ومن أعلامها الأعيجم تصغير أعجم حبل بارز يلتقي فيه السروان (مثنى سرو) وهما حبلان من حبال الدهناء. وفي الأعَيْجِم يقول الشاعر نصار السهلي في محبوبته:

صاحبي ما نوى طاري المحدار
راكدٍ والاعيجم مداهيله
صاحبي يحسب ان شدّتي مختار
مقفيٍ بالحسايف وانا اخيله

ونصار هذا هو الذي يقصده الشاعر المعروف دبيان بن عساف بقوله:

صاحبي شد مع ناقلين الكار
مع فريق عليّ ابعدوا داره
مع فريق الجمالين يانصار
من يجيني من العذب باخباره
شبه وضحا زعوجٍ على القهار
في نهار المواريد دجاره
حايلٍ ما بعد عاودت لحوار
من مغاتير الاجواد سنجاره

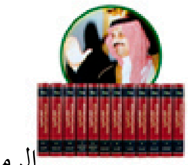
ومن أعلامها البُرَيْخَا بضم الباء وفتح الزاي وإسكان الياء فخاء مفتوحة فألف. تصغير بَزْخَاء، والتسميةُ تفيدُ الضخامة والبروز. وهذه زبَارة من زبائر الدهناء الكبيرة المطلة على قرشع طاسان ومرتفع الدجاني والقاعية جنوبي نقي الجمل في حومة النقيان، وهي التي ذكرها الشاعر السبيعي أبو ذيب حين قال:

قطعانا ما رددت بالكداد
تلقى لهن حول البزيخا معازيب
حنا ذيابة مقرعات التوادي
إلى ركبنا فوق عوج المصاليب

ومن أعلامها حَوْمَة النِّقْيَان، أي مجتمع الأنقاء، وفي هذه المنطقة تنبث أنقية الدهناء هنا وهنالك حتى لكأنها خيام ذهبية مبثوثة، وبعضها على مسمى، وله ذكر على ألسنة الرواة، وبعضها نكرةٌ لا يعرف له اسم. فمن المعروفة نقى الجمل وهو من أبرزها وأشهرها، ويقال إنه هو الذي أوصى ذو الرمة أن يدفن فوقه واسمه قديماً الفرنداذ وفي حومة النقيان يقول محمد بن علي بن صقيه أمير حليفة سابقاً:

حموها من الوفرا إلى حومة النقيان
إلى المستوي والسر وطويق يرعونه
مداهيل تلعات المها شرد الغزلان
ثلاثٍ غدن بالزين عن كل مزيونه

ومن أبرزها وأشهرها نَقَى المُطَوَّع، وهو طالب علم من أهل أُشَيْقِر بالوشم علق حب فتاة أفضى به إلى الوجد والوله فتزوجها وهي لم تكن من طبقته نسباً على ما درج عليه عرب ذلك الزمان من حماس للنسب يفضي إلى القتل، فكشف أمره وهددته العشيرة بالقتل إذا لم يطلقها فأبى وحملوه معهم في قافلة ذاهبة



للامتيار من إحـدى مدن ساحل الخليج العـربي وقصـدهم اغتـياله إذا وصلـوا الدهناء، وقد عـرف قصدهم، وحينما وصلوا الدهناء وقـد اصطادوا ظبياً أخذ من دمه فنجاناً، وجعل يذيب لواعج حزنه وفيض صبابتـه في شعر يكتبه في ثوبه حتى إذا أفرغها قصيدةً طويلة شاكية باكية أسلم روحه لبارئها فدفن في هذا النقى. يرحمه الله. أما القصيدة فمنها:

الاقفا جـزا الاقفا ولا خيـر في فتى
يـتـبـع هـوى مـن لا يـريـد هـواه
مـن باعـنا بـالهـجر بـعناه بالـنيا
ومن جـذ حبـلي مـا وصلت رشـاه

أخذ هذا المعـنى الشريف بركات، فقال:

قـلتـه عـلى بـيت قـديمٍ سـمعـتـه
على مـثل ما قال التمـيمي لصاحـبه
إذا الخـل وراك الـصـدود فـوره
صـدودٍ ولو كـانت جـزال وهـايبـه

يقصد بـقول التميمـي «الاًقفا جزا الاقفا» في البيتين المتقدمين.

ومن أنقائها أيضاً نقى عَجَاج ونقى المغر ونقى أبي الهول.

ومن أعلامها حرابة بكسر الحاء، وفتح الباء، فتاء مربوطة. نقى طويـل مذروب في نهاية الدهناء من شرق مما يلي الحتايف، يسرى من بعد كأنـه رمح ويعنيه الشاعر المفوه حنيف بن سعيدان في قصيدته التي يمدح بها الدوشان قال منها:

كزوا لهم من عـقب الامطار عساس
وتـباشـروا بالـصـلب كـثر شـرابـه
وقاد السلف واستجنبوا قب الافراس
وحـطوا جـنـيح شـدة مـن حرابـه

ومن أعلامها الدويدات جمع دويد، وهي أنقية حـمر متجاورة علامة فارقة في المنطقة، وهن في موضعين من الدهناء في السرو وفي جهام.

ويسـتطرد ابـن خميـس في وصفه للدهـناء قائلاً: وبالمـناسبة فقـد حدثني أحدهم قال كنت مع ثلاثة من أبناء الملك عبد الـعزيز -رحمـه الله- خرجـوا من مخيمه في خريم للقنص، ولما جاءوا عند الدويدات تعطلت سيارتهم فبعثوا محدثي راجلا للمخيم من أجل اسعافهم، وكانوا آنذاك صغاراً. قال فـوصلت المخيم بعد لأي وتعب ونصب، فوجدت الملك عبد العزيز عـلى أحر من الجمر فاسـتدعاني وأخذ خبري، وقال هل هم في دويدات السرو وإلا في دويدات جهام، قال فبهت لأني لا أعـرف هذه من هذه، فـنهرني فتلعثمـت وقلت فيهن كلهن، فضـحك وانصرف عني وأمر بإسعافهم في الحال. قلت: رحمك الله يا عبد العزيز فقد قتلت أرض الجزيرة معـرفة واستيعابـاً، تجوبها



غازياً أو مسافراً أو متفقداً. حتى عرفتك وعرفتها فلم يخف عليك منها شبر.

ومن أعلامها أيضاً نقى سبيت، وهو أبرز أنقية الدهناء وأشهرها، ولا نعلم من هو سبيت هذا الذي أضيف إليه هذا النقى. وهنالك نقيان بارزان في جنوب الدهناء مما يلي البياض يسميان الخليلين، وآخران شماليهما يسميان قرينات عفر.

ويطول بنا الدرب لو ذهبنا في تعداد أعلام الدهناء وما لها من مناسبات، ولكن يكفي أن نسرد ما تيسر لنا منها سرداً. فمنها: نقى التنهاة، والبدرية، والكناسية وأوتاد، وجو صياح، وجو جهام، والطويسة، وسريهيدة، وأم رقيبة، والسنافية، والكنهري، والهدب وحزوى، وعدامة دغيم، والحصانة، واليتيمة.

ويتخذ العرب الدهناء ملاذاً من الأعداء المغيرين، ينطوون في كثبانها ومتداخلاتها، ويجدون فيها ملجأ يحصنهم من أعدائهم. أغار قوم على آخرين وكان المغار عليهم في الصمان مما يلي الدهناء، وقبل أن يفاجئوا المغار عليهم وجد المغيرون شخصاً فاعتقلوه لئلا ينذر قومه، وبعثوا بعين منهم كأنه ضيف ليستجلي خبر القوم ويكشف عددهم واستعدادهم قبل أن يتنبهوا ليغيروا عليهم. ولما هم هذا العين بالذهاب قال للمعتقل إني ذاهب إلى أهلك ضيفاً فبماذا توصيهم. قال قل لهم: إن الأرض مجرودة فليعروا جملي الأصهب ويركبوا ناقتي الحمراء حتى آتيهم وكان لهم في هذا الرمز أكبر نذير؛ فالجراد هو العدو المغير، والجمل الأصهب هو الصمان، والناقة الحمراء هي الدهناء. فبادروا بركوب الدهناء وأخفق المغيرون مما كادوا أن ينالوه. ولقد تغنى الشعراء بالدهناء وقالوا فيها كثيراً نقتطف من ذلك ما يلي: قال أعشى همدان يصف لصوصاً:

يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب
على حين ألهى الناس جل أمورهم
فندلا رزيق المال ندل الثعالب

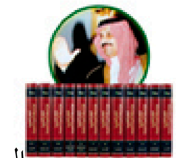
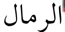
وقال أعرابي حبس بحجر اليمامة:

هل الباب مفروج فانظر نظرة
بعين قلت حجراً فطال احتمالها
ألا حبذا الدهنا وطيب ترابها
وأرض خلاء يصدح الليل هامها
ونص المهارى بالعشيات والضحى
إلى بقر وحي العيون كلامها

وقال كثير:

كأن عدولياً زهاء حمولها
غدت ترتمي الدهنا به والدهالك

وقال آخر:

جــازت الــقــور والمخـارم أمّــاً
ثـم مــالــت لجـانـب الــدهــنـاء

وقالت العيوف بنت مسعود أخي ذي الرمة :

خليـلي قُوما فـارفعا الطرف وانـظرا
لـصاحـب شوق مـنظـراً متـراخـيا
عسـى أن نرى والـله ما شـاء فاعل
بـأكثـبـة الـدهنـا مـن الحي بـاديـا
وإن حال عرض الرمل والبعد دونهم
فقـد يطلـب الإنسان مـا ليس رائيا
يرى اللـه أن القلب أضحـى ضميره
لمـا قابـل الـروحاء والـعـرج قالـيا

وقال ذو الرمة :

غـراء آنـســة تـبــدو بمـعـقــلــة
إلـى سويـقة حـتـى تحضـر الحـفرا
تشـتو إلى عـجمة الدهـنا ومربـعها
روض يـنـاصي أعـالي ميـثة الـعفرا

وهكذا يكثرون من ذكرها، ويحنون إلى أجـارعهـا ووعاسـها وشـقائـقها وصـرائمـها (ابـن خـميس ١٤٠٠، ج١ : ٤٣٣-٤٤٦).

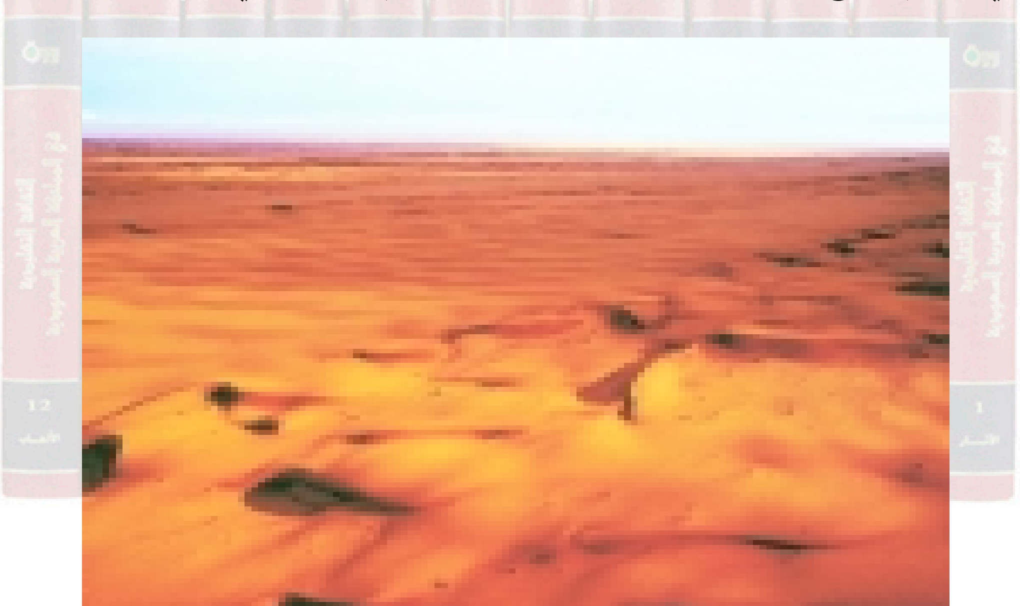
وكما سبق القول تتكون الدَّهْنَاء في أغلبها من كثبان طولية متـوازية تسمى عُرُوق، وتتسع المسافات بينـها أكثر مما تتسع في المسافات الموجودة في النفود الكبير. وتمـيل العُرُوق إلى الانعطاف نحو الجنوب الشرقـي استجابة للرياح الشمالية المسماة محلياً الشمال. وعلى الرغم مـن قلة سقـوط الأمطار علـى الدَّهْنَاء فهي مكان مرغوب للرعاة خاصة رعاة الإبل خلال فصلي الشتاء والربيع. قال ياقوت الحموي «الدَّهْنَاء سبعة أحبل في عرضـها بين كل حبـلين شقيقـة، وطولها من حزن نسوعة إلى رمل يَبْرِين. وهي من أكثـر أرض الله كلأ مع قلة الغذاء والماء، وإذا أخصبت الدَّهْنَاء ربَّعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة أشجارها». والحبال هي العُـرُوق الرملية، والشقة والشقيقة هي الخـبة أو الأرض الصلبة بين العُرُوق.

وأفضل منطقة لتـتبع هذه العُرُوق والشقائق هي المنطقة الواقعة خلف بلدة رُمَاح عند خط الطول ١٠َ ٤٧ْ شرقاً، فمن الجـنوب نحو الشـمال نجد هذه الـعُرُوق: عـرق أبي الـثِّمَـام، عرق الحُمْرَانِي، عرق عِمْر، عرق الرُّوَيْكِب، عرق كَنْهَرَا، عرق جَهَام، عرق القَهَّاب، عرق حِرُوْري. ومن الجدير بالذكر أن المناطق الخالية من الرمال بـين العُرُوق لا تسمى في الوقت الحاضر شقائق في الدَّهْنَاء، بل تسـمى خببا مثل خُبَيْب النَّوْم وخِبَّة المُزَيْرِع، ولكن تعبير شقيقة لازال يطلق في الرُّبْع الخَالِي على المناطق الفاصلة بين العُرُوق.



وتفقد عُرُوق الدَّهْنَاء شكلها وامتداداتها المميزة عندما تنعطف نحو الجنوب الغربي بعد عبورها لمنطقة وادي السَّهْبَاء. كما نجد أشكالاً أخرى من الكثبان الرملية غرب درب زبيدة، مثل الكثبان النجمية والمستعرضة ومثلها أيضاً في جزء الدَّهْنَاء جنوب وادي السَّهْبَاء. وبعض الكثبان الهلالية المتحركة من مكان لآخر في الخبب وفوق بعض العُرُوق. وتشكل هذه الكثبان الهلالية أثناء اتصالها فيما بينها الحوائط البرخانية المتميزة التي يتغير شكلها باستمرار مع تغير اتجاه الرياح.

الربع الخالي. وهي أكبر صحراء رملية في العالم أجمع، تمتد على مساحة تزيد على ٦٠٠,٠٠٠كم٢، وطول يقارب ١٢٠٠كم بين خطي الطول ٣٠َ ٤٤ْ و٠٠َ ٤٧ْ شرقاً، وعرض يقارب ٦٤٠كم بين دائرتي العرض ٠٠َ ١٥ْ و٠٠َ ٢٣ْ شمالاً. وهو يغطي المساحة بين الإمارات العربية المتحدة وسفوح جبال اليَمَن، ومن هضبة حَضْرَمَوت جنوباً حتى رمال الجَافُورَة ورمال الدَّهْنَاء شمالاً. والأقسام الحالية المتداولة للرُّبْع الخَالِي هي: العُرُوق المُعْتَرِضَة في شرقه، والدِّكَاكَة وعُرُوق المَوَارِد والقَعَامِيَّات في جنوبه، وشُقَّة الخَرِيْطَة ورَمْلَة دَهْم في الجزء الجنوبي الغربي منه، وعُرُوق بني مُعَارِض وبني حُمْرَان وعُرُوق الرُّمَيْلَة وعروق المندفن وخشم خطمة في غربه، والطُّرَاعِيْز



الربع الخالي – بحر من الرمال





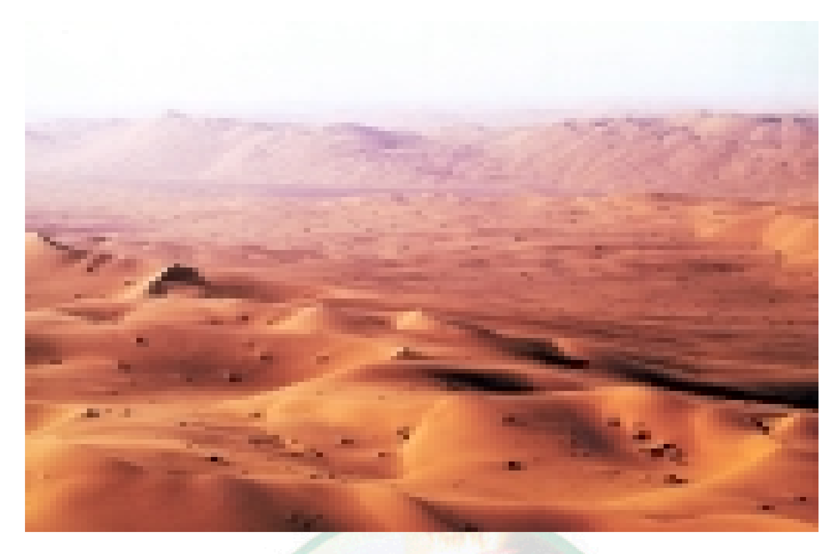
العروق المعترضة في الربع الخالي بعد هطول الأمطار

والحِبَاكَة والكُرْسُوع والسَّنَـام في الوسط والشمال منه. والسنـام الحد المرتفع في التلال الرملية، وإن كان أحدّ وأكثر ارتفاعاً فهو الـسيف ويطلق عـلى رأس العرق المرتفع الواضح عما حوله الشنصوب.

ويبدو أن سبب تـراكم الرمال في الرُّبْع الخَالِي هو أنها حوضٌ ينحدر نحو الشمال الـشرقي والشرق بمعدل ١ م/كم. وتأتي الرواسب إلى الرُّبْع الخَالِي من مصادر متنوعة، فالرمال تأتيه مـن الدرع العربي عن طريق وادي الدَّوَاسِر، ووادي حُبُونَا، ووادي نَجْرَان التي كانت تجري أنهاراً، أضف إلى ذلك الرواسب التي تأتي نتيجة للصرف السطحي من حافة جبال طُوَيْق إلـى الجزء الشمالي من الرُّبْع الخَالِي نفسه، الـذي يحتوي على صخور فتـاتية من الزمن الثالث ضعيـفة التماسك. ونجـد أن الكثبان النشطة هنا أكـبر حجماً وأكثر انتشاراً منها في النفود. ويرجع هذا الفَرْق إلى شدة الريـاح المحلية وقسوة الجـفاف، وهنـاك كثبان أشـد نشاطـاً في الجزء الشمـالـي من الـرُّبْع الخَالِـي؛ نظـراً لتحركات الرمال المستمرة من الجَافُورَة.

وتأخـذ العُرُوق فـي غرب الرُّبْـع الخَالِي أسماء محلية تنسب عادة لاسم من يقطـنها من القبائل أو إلـى شكل العرق وبيئته. والمثال على ذلك العُرُوق بين دائرتـي العرض ٠٠َ ١٨ْ شمـالاً و٠٠َ ٢٠ْ شمالاً، وخطـي الطـول ٠٠َ ٤٥ْ و٠٠َ ٤٨ْ شرقاً فمن الجنوب للشمال في وسط هذه المنطقة نجد: عرق





عروق رملية ممتدة، في الربع الخالي

آل قُنَيْبِر، وعُرُوق بني دِلْهَام، وعُرُوق عُبَيْدَان، وعُرُوق حَوْمَل، وعُرُوق بَارك، وعرق مُـنَادي، وعُرُوق أم الـعَلْقَـاء، وعُرُوق المَجَارِي، وعُرُوق أبو دَرَاوِيْز، وعرق المَحْوَى، وعرق دَلِيْل، وعُرُوق بني حُمْرَان، وعرق أبو حَزْم، وعرق مِدْبَاج. وإلى الغـرب من خط الطول ٣٠ َ ٤٦ ْ شرقاً نجد عُرُوق الرَّدْم، وعُرُوق مُسَـلِّي، وعُرُوق الجُـوَيْخَة، وعُـرُوق الغَنَم، وعرق أبو رَقَبَة، وعرق الوَعَد وغيرها كثير. على أن المنطقة المحددة السابقة تحتوي على أقسام رئيسية، بها أسماء لا حصر لها للعُرُوق الصغيرة. ففـي الجنوب الـشرقـي تقع مـنطقـة القَعَامِيَّات، وإلى الشمال منها قليلاً تقع منطقة مُغَدِّرات، وشمال دائرة العرض ٠٠ َ ١٩ ْ شمـالاً تقـع منطـقة عُـرُوق الأَوَارك. وفي الجنوب الغربي نجد منطقة عُرُوق المُنْدَفِن. وإلى الشرق من جبال طُوَيْق (العارض) تمتد عُرُوق بني مُعَارِض امتـداداً كبيـراً يحوي أسـماء عـديدة للعُرُوق، مثل: عُرُوق عُشَيْرَان، وعُرُوق بني مُشَـايح وغيرها، وتتـميز منطقـة عُرُوق بـني مُعَارِض بـأسماء محـددة للشقائـق التي تقع بين العُرُوق ومنـها شَقَّة غُرَاب، وشَقَّة أم رُجَيْد، وشَقَّة أم سُدُود، وشَقَّة الزُّفُر، وشَقَّة أم شَجَرَة. على أن تقسيمات الربع الخالي كما يراها سكانـه من أبناء البـادية تختلـف عن تقسيمات الجغرافيين فهم يقسمون الربع الخالي إلى ثلاثة أقسام رئيسية تمتد من الجنوب إلى الشمال هي:


عاصفة رملية ،في الربع الخالي

القسم الأول: وهو الغربي ويمتد من رملة دهم جنوباً وينتهي في الرميلة شمالاً. ومن أجزائه الجلده لا رمال فيه إلا عرق رملي واحد يقسمها إلى نصفين جنوبي وشمالي ويسمى قاسم.

القسم الثاني: وهو الوسط ويمتد كأنه عمود فقري ويبدأ برملة الدكاكة في الجنوب حيث الرمال الوعرة ويتسع شمالاً حيث يسمى رملة الحوايا.

القسم الثالث: وهو القسم الشرقي ويسمى الرملة الحورية وتمتد من جدة الحراسيس جنوباً لتنتهي في رمال الجافورة شمالاً.

ولكل من هذه الأقسام الثلاثة أشكال رملية مختلفة عن القسم الآخر، ففي القسم الغربي تكثر الامتدادات الرملية (العروق) والشقق والخبب ومن أشهرها عروق القعاميات، أبو ذاري، أم الكناور، أمهات مرو، مغدرات، بني مشايح، بني حجاب (بني معارض) الصفية، أم العلقا، المندفن، الأوارك، منادي، أبو زيوت، رمال الفونس ثم السحما فالرميلة.

أما القسم الأوسط فرمال جزئه الجنوبي (رملة الدكاكة) تمتاز بارتفاعها وتداخل رمالها حيث يصعب السير فيها وتكثر في جنوبها الرمال المرتفعة كأنها الجبال المستديرة والتي تعرف باسم العقد

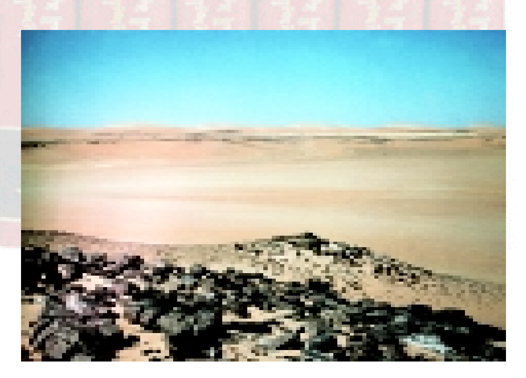




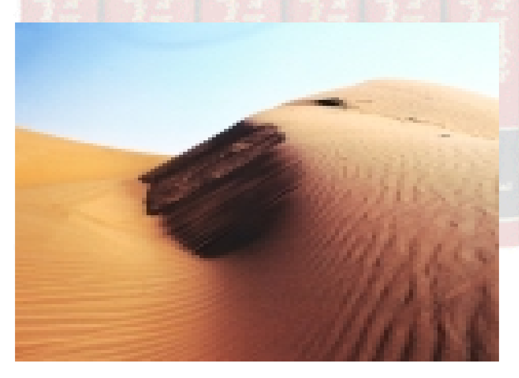
عروق بني معارض – الربع الخالي

أما الجزء الشمالي منها فيعرف برملة الحوايا وهي أقل ارتفاعاً من الجزء الجنوبي ورمالها أقل تداخلاً وصعوبة منه وتكثر فيها الخبب.

أما الجزء الشرقي منها الواقع إلى الشرق من رملة الدكاكة ورملة الحوايا فيتصف بكثرة السباخ الضخمة فيه. وهي مناطق مستوية من الأرض مغطاة بالأملاح، خاصة فيما بين الكثبان الرملية، ومن أهمها سبخة أم السَّمِيْم التي يبلغ طولها نحو ١٠٠كم. وإلى الشرق منها، في منطقة العُرُوق



الجلدة بالربع الخالي



الجلدة بالربع الخالي



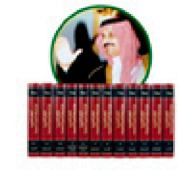
رمال الكدن، شرقي الربع الخالي

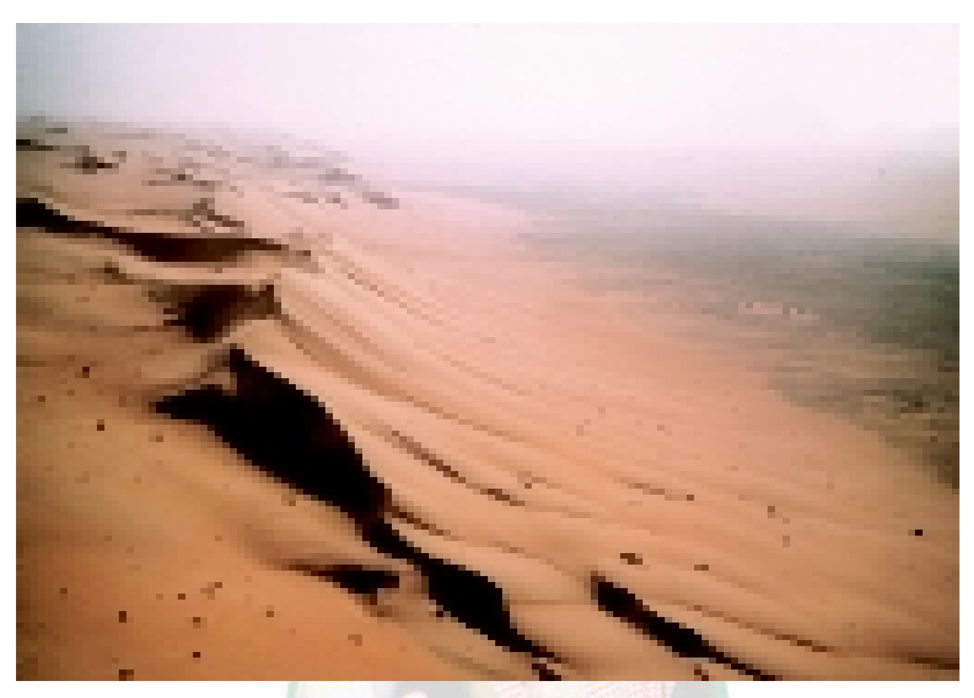
المُعْتَرِضَة تكثر هذه السباخ مثل سبخة أبا الرَّوس.

وتقع رمال الجَافُـورَة شرقي هضبة الصُّمَّان وجـنوب الهُفُوف بين دائـرتي العرض ٠٠َ ٢٤ْ و ٠٠َ ٢٧ْ شمالاً على طول ساحل الخـليج العربي. وتـكون حزاماً ضيقاً في الشمال غير أنها تجنـح إلى الاتساع كلـما امتدت جنوباً حتـى تندمج مع رمال الرُّبْع الخَالِي. وبسبب اتجاه الـرياح الـذي يكاد يـكون ثابـتاً مستمراً، إلى جانب تكرر هبوب الرياح عالية السرعة فإن أنماط الكثبان الشائعة هناك كثبان هلالية مع حوائط برخانية، وبعض الكثبان المعكوسة. وبالإضافة إلى وجود كـثبان قبـابية وفـرشات رملـية وسباخ، فإنه يندر وجود الكثبان الطولية. ويختلف ارتفاع الكثبان وأحجامها تبعاً



شقة الغراب في عروق بني معارض





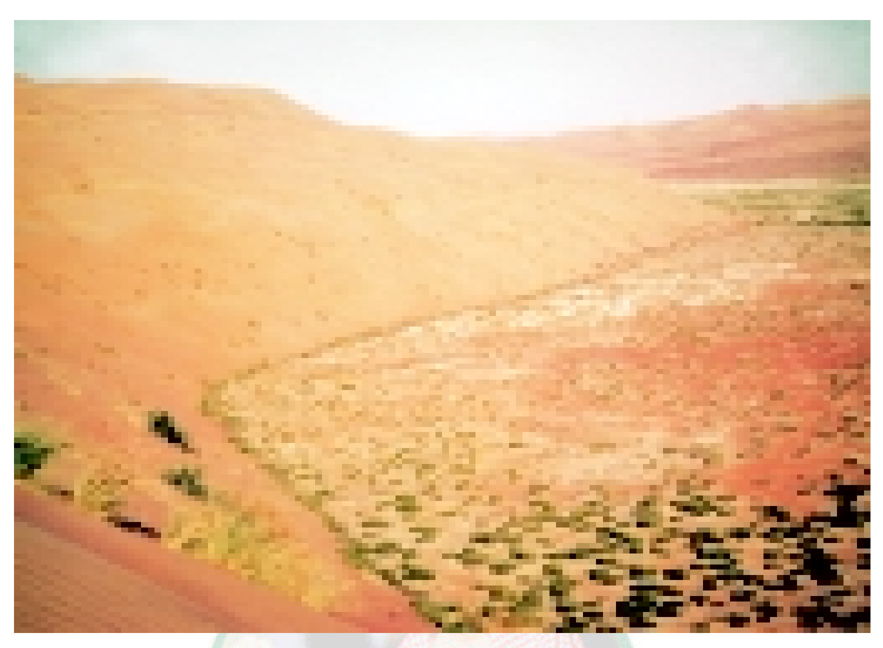
العروق والشقق غرب الربع الخالي (عروق بني معارض)

لاختلاف الرياح المحلية المؤثرة في تشكيلها. وعموماً ليس هناك غطاء نباتي في الكثبان الهلالية والقبابية لحركة الرمال المستمرة فوقها. أما الكثبان المعكوسة فهي عادة ذات غطاء نباتي، ولكن تفوقها الفرشات الرملية بغطائها النباتي الممتاز وليس في السباخ سوى بعض النباتات المقاومة للأملاح حول بعض تجمعات الرمال البسيطة. ولون رمال نفود الجَافُورَة أصفر باهت.

وتقسم المصادر العربية منطقة الربع الخالي إلى عدد من الأجزاء يعرف كل منها باسم خاص. وهذه الأجزاء هي:

رمل يبرين الذي يعرف الآن باسم أبو بحر، الذي يطلق على الجزء الشمالي الشرقي من الربع الخالي، نسبة إلى واحة يبرين الواقعة في ذلك الطرف، عند التقاء خط الطول ٤٩ْ شرقاً تقريباً ودائرة العرض ١٥َ ٢٣ْ شمالاً. ويطلق عليه أيضاً رمل بني سعد، نسبة إلى القبيلة التي كانت تسكن تلك المنطقة، وهم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم، التي امتدت مواطنها إلى قطر وعمان والساحل الغربي للخليج العربي حتى البصرة (البكري ١٩٤٥، ج١: ٨٨). وقد أطلقت هذه التسمية (رمل يبرين) على



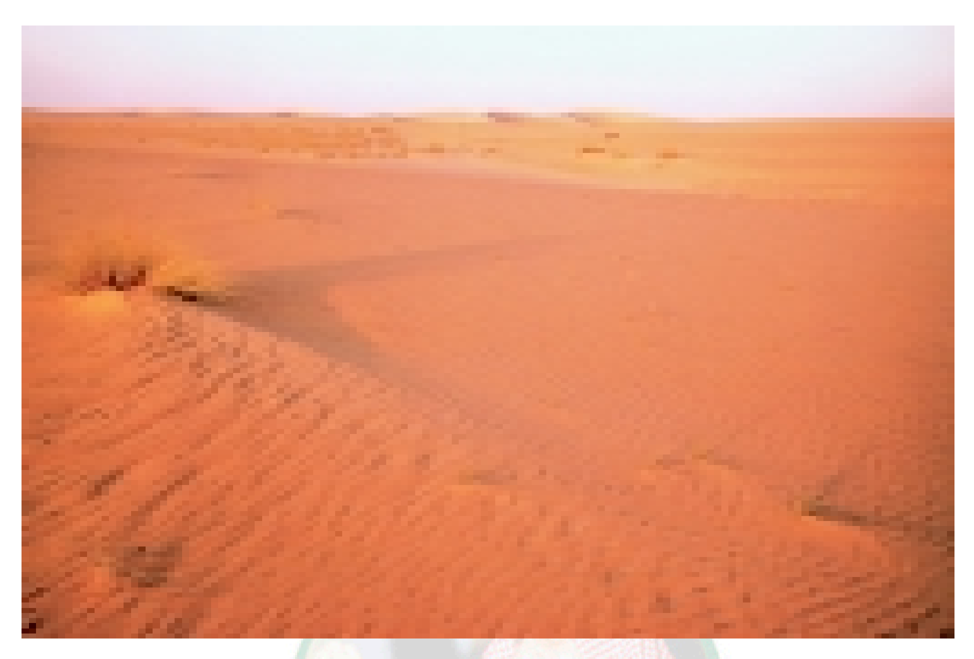
سبخة في الربع الخالي

كل النطاق الرملي الجنوبي المعروف بالربع الخالي. فقد ذكر البكري أن حد اليمن مما يلي المشرق رمل بني سعد الذي يقال له يبرين، وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع في البحر بحضرموت (البكري ١٩٤٥، ج١ : ١٦). وأكد ذلك ما نقله عن الحربي في تعليقه على حديث النبي ﷺ «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي حتى حاء وحكم»، أنهما حيان باليمن في آخر رمل يبرين وهو على قوله حد اليمن (البكري ١٩٤٥، ج٤ : ٣٦٨).

ووَبَار: الذي يطلق على جزء من المنطقة التي شملها التعريف السابق. فقد نقل البكري عن الخليل بن أحمد قوله عن وبار إنها كانت محلة عاد، وهي بين اليمن ورمال يبرين (البكري ١٩٤٥، ج٤ : ١٣٦٦). وقال ياقوت الحموي «وفي اليمن أرض وبار، وهي فيما بين نجران وحضرموت، وما بين بلاد مهرة والشحر».

والأحْقَاف: وهي التسمية الوحيدة التي ظهرت على الخرائط القديمة (الإصطخري ١٩٦١ : ٢٠، ابن حوقل د.ت. : ٢٨٤)، ولا تزال معروفة حتى اليوم. وتطلق على الجزء الجنوبي من الربع الخالي، خاصة تلك الرمال المتاخمة لبلاد عمان وحضرموت، أي





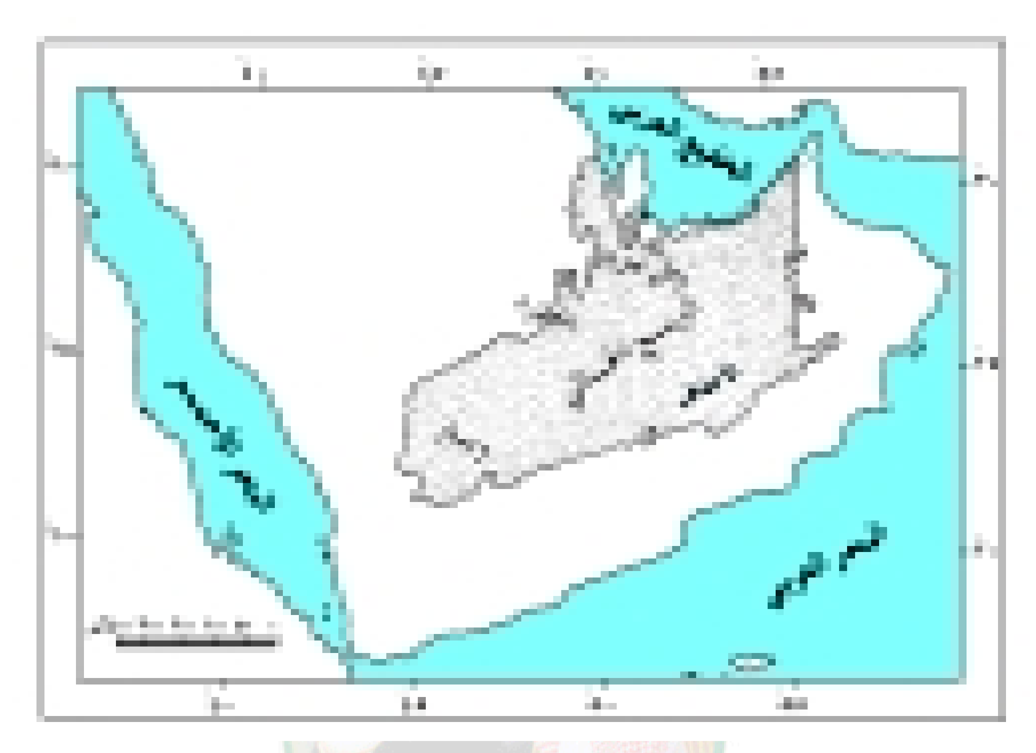
رمال الجافورة

النطاق الجنوبي من الإقليم. وقد أسهب القدماء في بيان موقع الأحقاف لوروده في سورة تحمل الاسم نفسه في الكتاب العزيز، فذكر ياقوت عن ابن عباس أن الأحقاف واد بين عمان وأرض مهرة. وقال ابن اسحق «الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت». وقال قتادة «الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن». وعَقّب ياقوت أن هذه الأقوال غير مختلفة في المعنى.

ورمل الجَزْء، الذي يقع بين الشحر ويبرين، وطوله مسيرة شهر، تحله أفناء القبائل من اليمن ومعد، وعامتهم من بني خويلد بن عقيل. سمي بذلك لأن الإبل تجزأ فيه بالكلأ أيام الربيع فلا تَرِدُ الماء (الإسكندري، مخطوط بالمتحف البريطاني: ٤١).

وعلى العكس من الأقاليم الرملية الأخرى، التي لم يترك العرب نَقاً من أنقائها دون أن يذكروه في أشعارهم أو في كتاباتهم، فإن المصادر العربية لم تقدم الصورة المأمولة لهذا الإقليم، إذ جاء فيها أساطير كثيرة لا يُعلم مدى صحتها، فمن ذلك كما جاء في معجم البلدان أن أرض وبار -وتطلق على القسم الغربي من الربع الخالي- كانت أكثر الأرضين خيراً، وأكثرها ضياعاً، وأكثرها مياهاً وشجراً





الربع الخالي وأقسامه الجغرافية

وتمراً، فكثرت بها القبائل حتى شحنت بها أرضهم وعظمت أموالهم، فأشروا وبطروا وطغوا، وكانوا قوماً جبابرة ذوي أجسام فلم يعرفوا حق نعم الله عليهم. إلى آخر القصة.

وذكروا أن قرية وبار، وكانت لبني وبار وهم من الأمم الأولى، منقطعة بين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة. ويزعم من أتاها أنهم يهجمون على أرض بها قصور مشيدة ونخل ومياه مطر، وليس بها أحد. ويقال إن سكانها من الجن، لا يدخلها إنسي إلا ضل. وزعموا أن الله تعالى لما أهلك عاداً وثمودَ سكن الجن في منازلهم، وهي أرض وبار، فحمتها من كل من يريدها، وأنها أخصب بلاد الله، وأكثرها شجراً ونخلاً وخيراً، وأعذبها عنباً وتمراً وموزاً، فإن دنا رجل منها عامداً أو غالطاً حثوا عليه التراب، وإن أبى إلا الدخول خيَّلوه، وربما قتلوه. وفي هذا المعنى يقول الفرزدق:

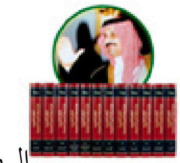
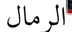
ولقد ضللت أباك يطلب دارما
كضلال ملتمس طريق وبار



ويبدو أن العرب، الذين توغلوا في هذه المنطقة، قد رأوا بعض الأبنية الأثرية، التي مازالت بقاياها تنتشر على هوامش هذا الإقليم بالقرب من وادي الدواسر، وفي واحة يبرين. فكانت هذه الآثار هي الأساس الذي نسجوا حوله تلك الأساطير، إذ ملأها خيالهم بسكان من الجن يعيشون وسط الأنهار التي تجري تحت أشجار النخيل والكروم والموز وغيرها. إلاَّ أن وجود الآثار في هذه المنطقة دليل على سكناها في فترات تاريخية سابقة، وربما توافقت تلك الفترات مع الحضارات الزراعية التي سادت بلاد اليمن في القرون السابقة.

وفي الربع الخالي مصطلحات محلية لسكان هذه المنطقة يطلقونها على المظاهر والأشكال الرملية وقد تطلق أيضاً على نفس الأشكال في المناطق الأخرى منها المطوى وهو كل منخفض مقوس الشكل سواء كان هذا المطوى في ظهر العرق أم في بطن الشقة وتكون رملته عادة لينة وإذا نزل المطر كان أول ما يظهر النبت فيه لدفع الرياح لبذور النباتات لهذه الأماكن المنخفضة، كما أنها تكون أكثر دفئاً. وعادة ما يفضل هواة القنص في الشتاء الإقامة في المطاوي الواسعة في بطن الشقة لأنها أدفأ الأمكنة. ويلاحظ في منطقة الربع الخالي أن رملة الحوايا ورملة الدكاكة ورملة القعد تختلف عن بقية الرمال الأخرى، ذلك أن رملة الحوايا عروق رملية غير مرتفعة متداخلة بعضها ببعض ولكن يلاحظ أن بينها في بعض الأماكن خبب (جمع خبة). أما رملة الدكاكة فهي أكثر وعورة من رملة الحوايا وعروقها مرتفعة متداخلة لا يفصل بين عروقها شيء ولا يمكن اجتيازها إلا من خلال السواريق (مفردها ساروق) وهي أضيق من الفلخ.

أما رملة القعد فبين عروقها شقق (فلوق) إلا أن امتداد العرق الرملي يكون في وسطه تجمع رملي دائري الشكل مرتفع جداً قد لا تستطيع السيارات في كثير منها الوصول إلى رأسها كأنها الجبال المستديرة. هذا في جهتها الغربية، أما في جهتها الشرقية فلا امتدادات رملية موصول بها ويمكن الاستدارة عليها إلا أنها شبيهة بالأولى مرتفعة جداً. وعادة ما يكون في بطون بعض الشقق مناطق تسمى النيسا ترابها كأنه الطحين إذا مشى فيه الرجل غرزت رجلاه إلى الركبة فتتجنبها البادية كما تتجنبها الإبل. أما المناطق الغراز في العروق التي لا تسير معها الإبل والسيارات فتسمى الخفساء أو الرطاقة وعادة ما ينبت فيها نبات

القصباء وتعرفها البادية بهذا الاسم وقد تسمى القصباء نسبة لهذا النبات. والمرثم هو نهاية العرق في الربع الخالي والتي تكون عادة في الجهة الغربية. والجبعور هو بداية العــرق فيه الذي يكون عادة في الجهة الشرقــية، والظهر هو الجهة الشمالية للعرق، والجــهة الجنوبية هي بطن العرق.



المصادر

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد

١٣٨٣/ ١٩٦٤ تهذيب اللغة. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

الأسد، ناصر الدين

١٣٩٢/ ١٩٧٢ «وديان وأودية». مجلة مجمع اللغة العربية م٢٩، القاهرة.

الإسكندري، نصر بن عبد الرحمن

د. ت. كتاب الأمكنة مخطوط رقم ٢٣٦٠٣. المتحف البريطاني.

الإصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد

١٣٨٠/ ١٩٦١ المسالك والممالك. تحقيق محمد جابر الحيني، القاهرة.

الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبدالله

١٣٨٨/ ١٩٦٨ بلاد العرب. تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب

١٣٣٢/ ١٩١٤ كتاب الدارات. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٩٢/ ١٩٧٢ النبات. تحقيق عبدالله بن يوسف الغنيم. مكتبة المدني، القاهرة.

ابن الأعرابي، محمد بن زياد

١٣٩٠/ ١٩٧٠ كتاب البئر. حققه رمضان عبدالتواب. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

الأنصاري، عبد الرحمن الطيب

١٣٩٥/ ١٩٧٥ «لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية». الدارة، دارة الملك عبدالعزيز. ص ص٧٤-٨٧.

بحيري، صلاح

١٣٩٢/ ١٩٧٢ جغرافية الصحاري العربية. الجامعة الأردنية، عمان.

١٣٩٣/ ١٩٧٣ جغرافية الأردن. الجامعة الأردنية، عمان.

البكري الأندلسي، أبو عبيد الله عبدالله بن عبد العزيز

د. ت. المالك والمسالك. مخطوط رقم ٢١٤٤. مكتبة لا له لي، اسطنبول.

١٣٦٤/ ١٩٤٥ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع. تحقيق مصطفى السقا. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

البلادي، عاتق بن غيث

١٣٩٩/ ١٩٧٩ معجم بلاد الحجاز. دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

ابن بليهد، محمد بن عبدالله

١٣٩٢/ ١٩٧٢ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار. (دون ناشر)، القاهرة.

التيمائي، محمد حمد

١٤١١/ ١٩٩٠ تيماء. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد إسماعيل النيسابوري

١٣١٨/ ١٩٠٠ فقه اللغة وسر العربية. دار الكتب العلمية، بيروت.

الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد إسماعيل النيسابوري

١٣٧٩/ ١٩٦٠ المبهج. مطبعة محمد محمد مطر، القاهرة.

الجاسر، حمد

١٣٨٨/ ١٩٦٨ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

١٣٨٩/ ١٩٦٩ «دارات العرب». العرب ج١. ص ص١-١٠.

١٣٩٨-١٣٩٨/ ١٩٧٧-١٩٧٨ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شمال المملكة. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

١٣٩٩-١٤٠٦/ ١٩٧٩-١٩٨٥ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: شرق المملكة. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجراش، محمد بن عبدالله

١٤١٣/ ١٩٩٢ الأقاليم المناخية في المملكة العربية السعودية. تطبيق مقارن للتحليل التجميعي وتحليل المركبات الأساسية. الجمعية الجغرافية السعودية بالرياض.



الجلعود، علي عبدالله، وعبدالعزيز سلطان الشمري

١٤١٤/ ١٩٩٣ البروج وعلاقتها بالزراعة في المملكة العربية السعودية. الهيئة العربية للكتاب، الرياض.

ابن جنيدل، سعد بن عبدالله

١٣٩٠/ ١٩٧١ «دارات العرب». العرب م٥. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

١٣٩٨-١٣٩٩/ ١٩٧٨-١٩٧٩ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

١٤٠١/ ١٩٨١ بلاد الجوف أو دومة الجندل. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجوهري، أبو النصر إسماعيل بن حماد

١٣٧٧/ ١٩٥٧ الصحاح ومدارس المعجمات العربية. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. دار الكتاب العربي، القاهرة.

ابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني

١٣٩٤/ ١٩٧٤ صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الأكوع. دار صادر، بيروت.

الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق

١٣٨٨/ ١٩٦٨ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الحميدي، محمد بن سعد أحمد

١٤١٠/ ١٩٨٩ (لوحة) حساب الأنواء. مكتبة الطرفين، الطائف.

الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالمنعم

١٤٠٥/ ١٩٨٤ الروض المعطار. مكتبة لبنان، بيروت.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي

د.ت. صورة الأرض. مكتبة الحياة، بيروت.

ابن خالويه، أبو عبدالله الحسين بن أحمد

١٤٠٤/ ١٩٨٣ الريح، تحقيق حسين محمد شرف. مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله
١٣٠٦/ ١٨٨٩ المسالك والممالك. مطبعة بريل، ليدن.

الخطيب، عبد الكريم محمود
١٤١٣/ ١٩٩٢ ينبع. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد
١٤٠٠/ ١٩٨٠ المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية معجم اليمامة. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
١٤١٠/ ١٩٨٩ المجاز بين اليمامة والحجاز. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
١٤١٠-١٤١١/ ١٩٨٩-١٩٩٠ معجم جبال الجزيرة. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
١٤١٥/ ١٩٩٤ معجم أودية الجزيرة. مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.

الرازي، زين العابدين بن محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
١٤٠٣/ ١٩٨٣ مختار الصحاح. دار ومكتبة الهلال، بيروت.

ابن رسته، أبو علي بن عمر بن أحمد
١٤٠١/ ١٩٨١ الأعلاق النفيسة. المكتبة الجغرافية العربية، ليدن.

الريحاني، أمين
١٣٤٢/ ١٩٢٤ ملوك العرب. دار الجيل، بيروت.

الزهراني، علي بن صالح السلوك
١٤٠١/ ١٩٨١ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: بلاد غامد وزهران. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

السبيعي، عبدالله سعد الحضبي
١٤١٤/ ١٩٩٣ الخرمة. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله
١٣٢٦/ ١٩٠٨ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. مطبعة السعادة، المدينة المنورة.

السناني، معتاد بن عبيد
١٤١٠/ ١٩٨٩ العيص. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.



السنيدي، عبد العزيز بن راشد
١٤١٤/ ١٩٩٣ الربيعية. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي
١٣١٨/ ١٩٠٠ المخصص. مطبعة بولاق، القاهرة.

ابن سيده، علي بن إسماعيل
١٣٩٢/ ١٩٧٢ المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

ابن سينا، شرف الملك أبو علي الحسين بن عبدالله
١٣٨٥/ ١٩٦٥ المعادن والآثار العلوية. تحقيق عبدالحليم منتصر وآخرون، القاهرة.

الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس
١٣٨٨/ ١٩٦٨ الأم. دار الشعب، القاهرة.

الشبانات، سعد بن عبدالعزيز
١٤١٨/ ١٩٩٧ الصمان. دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

الشريف، عبد الرحمن صادق
١٣٩٧/ ١٩٧٧ جغرافية المملكة العربية السعودية. دار المريخ للنشر، الرياض.

الشهري، صالح بن علي أبو عراد
١٤١٤/ ١٩٩٣ تنومة بني شهر. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

ابن شهيد الأشجعي، أحمد بن عبدالملك بن أحمد
د. ت. رسالة التوابع والزوابع. دار الحوار للنشر، اللاذقية (سورية).

الصياد، محمد محمود
١٣٧٨/ ١٩٥٩ «هذه الجزيرة العربية». مجلة جامعة الملك سعود ع١، الرياض.

الطخيس، سعد بن محمد بن سعد
١٤١٢/ ١٩٩١ الدوادمي. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

عبداللطيف البغدادي، موفق الدين عبداللطيف بن يوسف
١٣٤٩/ ١٩٣٠ الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. مطبعة المجلة الجديدة، القاهرة.

العبودي، محمد بن ناصر
١٣٩٩/ ١٩٧٩ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد القصيم. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

العبيد، عبد الرحمن عبد الكريم
١٤١٣/ ١٩٩٢ الموسوعة الجغرافية لشرقي البلاد العربية السعودية. نادي المنطقة الشرقية، الدمام.

عرام بن الأصبغ، عرام بن الأصبغ السلمي
١٣٧٣/ ١٩٥٣ أسماء جبال تهامة وسكانها. تحقيق عبد السلام هارون. المحقق، القاهرة (مطبعة أمين عبدالرحمن).

العسكري، أبو هلال
١٣٥٢/ ١٩٣٣ ديوان المعاني. عالم الكتب، القاهرة.
١٣٨٩/ ١٩٦٩ كتاب التلخيص في معرفة الأشياء. تحقيق عزة حسن. دون ناشر، دمشق.

عسيلان، عبدالله عبدالرحيم
١٣٨٩/ ١٩٦٩ «دارات العرب في تراثهم الجغرافي اللغوي». العرب ج٢. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض. ص ص١٢٨-١٤٥.

العقيلي، محمد بن أحمد
١٣٩٩/ ١٩٧٩ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: مقاطعة جازان المخلاف السليماني. دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الغنيم، عبدالله بن يوسف
١٣٩٦/ ١٩٧٦ أشكال سطح الأرض في المصادر العربية القديمة. رسالة دكتوراه غير منشورة. قسم الجغرافيا. جامعة القاهرة.
١٤٠٠/ ١٩٨٠ أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة. الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.
١٤٠١/ ١٩٨١ أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية. الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.



١٤٠٤/ ١٩٨٤ منتخبات من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض. الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت.

١٤٠٨/١٩٨٨ البراكين والحرات والحمات في التراث العربي. قسم الجغرافيا، جامعة الكويت.

الفيروزبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب

١٣٧١/ ١٩٥٢ القاموس المحيط. مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

الكرخي، أبو بكر محمد بن الحسن

١٣٥٩/ ١٩٤٠ إنباط المياه الخفية. مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن (الهند).

الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق

١٣٧٢/ ١٩٥٣ رسائل الكندي الفلسفية. تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده. دار الفكر العربي، القاهرة.

لوريمر، ج. ج.

د. ت. دليل الخليج القسم الجغرافي. طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر، الدوحة، قطر.

ابن ماجد، شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد

١٣٩١/ ١٩٧١ كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد. تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن. مجمع اللغة العربية، دمشق.

مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد الحسين

١٣٠٧/ ١٨٨٩ تاج العروس من جواهر القاموس. المطبعة الخيرية، القاهرة.

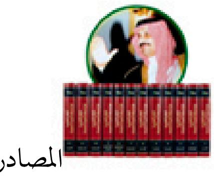
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

١٣٧٧/ ١٩٥٨ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد عبدالحميد محي الدين. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

١٣٨٤/ ١٩٦٤ التنبيه والإشراف. دار صادر، بيروت.

المرزوقي الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن

د. ت. كتاب الأزمنة والأمكنة. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.



ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري

١٣٠٠/١٨٨٣ لسان العرب، القاهرة.

موسل، الويس

١٣٧١/١٩٥٢ شمال بلاد العرب. ترجمة عبد المحسن الحسيني، مطابع رمسيس، الإسكندرية (مصر).

الوليعي، عبدالله ناصر

١٤١٠/١٩٨٩ الشماسية. الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

١٤١٧/١٩٩٦ جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية. الممتاز للطباعة والنشر، الرياض.

١٤١٧/١٩٩٦ الجغرافيا الحيوية للمملكة العربية السعودية. الممتاز للطباعة والنشر، الرياض.

١٤١٧/١٩٩٦ بحار الرمال في المملكة العربية السعودية. الممتاز للطباعة والنشر، الرياض.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله

١٢٨٢/١٨٦٦ معجم البلدان. تحقيق فستنفلد.

Burdon, D.

1973 "Groundwater Resources of Saudi Arabia". *Groundwater Resources in Arab Countries* (M. el Ayouty, ed.). Science Monograph no. 2. ALESCO, Cairo.

Chapman, R.W.

1978 "Geology and Geomorphology of the Arabian Peninsula". *Qunternary Period in Saudi Arabia* vol. 1. (S. al-Sayari and J. Zolt, eds.). Springer-Verlag, New York.

Abul-Haggag, Y.

1963 "On The Artesian Water of Nejd, Saudi Arabia". *Bulletin de La Sociate de Geographie d'Egypte*. vol.37.



Job, C., and others.

1978 “Chemistry and Isotope Contents of Some Wadi Groundwater in the Central Parts of the Tuwayq Mountains”. *Quaternary Period in Saudi Arabia* vol. 1. (S. al-Sayari and J. Zotl, eds.). Springer-Verlag, New York.

Meigs, P.

1953 “World Distribution of Arid and Semi-arid Homoclimates”. *Arid Zone Hydrology*. UNESCO Arid Zone Resources Series no. 1.

Al-Qurashi, Mohammed, D.

1981 *Synoptic Climatology of the Rainfall in the Southwest Region of Saudi Arabia*, Dep. of Geography, Western Michigan University, Kalamazoo.

Wolfart, R.

1961 “Hydrogeology of the Central Tuwaiq Mountains and Adjoining Regions (Saudi Arabia)”. *International Association of Scientific Hydrology* no. 56.

